وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية

قسم اللغة العربية

المرجعيات الدينية في شعر علي الفتال دراسة بلاغية

أطروحة مُقدَمة إلى مجلس كلية العلوم الاسلامية/ جامعة كربلاء وهي جزء من

متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية / لغة القرآن وآدابها

كُتِبتْ من قبل:

سرمد محمد بكر السعدي

بإشراف:

أ. د. عبود جودي الحلّي

ذو القعدة/1445 هـ أيار /2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

((حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا
فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4)))

(صدق الله العلي العظيم)

(فصلت:1-4)

ترشيح اطروحة للطبع

نظرا لإنجاز مباحث وفصول الاطروحة الموسومة بـ (المرجعيات الدينية في شعر علي الفتال (ت ٢٠٢١ م) دراسة بلاغية) لطالبة الدكتوراه (سرمد محمد بكر عطوان) فاني أرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف: أ.د. جبير كبودي المالكي

مكان العمل : قسم اللغة العربية/كلية العلوم الإسلامية جامعة كربلاء

التأريخ: ٢٠٢٤/١/٩

إقرار المشرف

أشهد أن الأطروحة الموسومة بـ (المرجعيات الدينية في شعر علي الفتال (ت2021م) دراسة بلاغية) التي قدمتها الطالبة (سرمد محمد بكر عطوان) قد تم إعدادها بإشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في (لغة القرآن وآدابها) .

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ متمرس

الإسم: د. محمود طه ذياب عبود عباس الحلو

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

التاريخ: ١٥/ ١/ ٢٠٢٤

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الاطروحة للمناقشة.

التوقيع :

الاسم: أ.د. أحمد كاظم عبد الله

التاريخ: ٣/ ٦/ ٢٠٢٤

إقرار لجنة المناقشة

نشـهد نحـن رئـيس لجنــة المناقشــة وأعضــاؤها أنَّنــا اطلعنــا علــى هـذه الأطروحــة الموسـومة بـ (**المرجعيات الدينية في شعر علي الفتال دراسة بلاغية**) وناقشنا الطالب/ـة (**سرمد محمد بكر عطوان**) في محتواها وفيما لـه علاقة بهـا ونعتقد أنَّها جديرة بـالقبول بتقدير (ممتاز) لنيل شهادة الدكتوراه ؛ فلسفة في لغة القرآن وآدابها.

أ.د. عهود عبد الواحد عبد الصاحب
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد

عضواً

أ.د. مسلم مالك الاسدي
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

رئيساً

أ.م.د. أماني حارث مالك
جامعة القادسية / كلية التربية للبنات

عضواً

أ.م.د. عهود ثعبان يوسف
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

عضواً

أ.م.د.تغريد عبد الامير الخفاجي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عضواً

الاستاذ المتمرس الدكتور
عبود جودي عبود الحلي
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضواً ومشرفاً

صُدِّقتْ في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التوقيع:
الاسم: **أ.د. محمد حسين عبود الطائي**
العميد
التاريخ:

الإهـــــــداء

إلى من علمني الصون والعفاف وساندني في طلب العلم ...زوجي الحاج سعد

و من وهباني جناحين ؛ ليجعلاني أُحلقِ في سماء العزة والفخر... أبي وأمي

و من دعائهم لازمني وساندني ...إخوتي وأخواتي وزميلاتي

الى مصدر إلهامي واندفاعي للأمام ...أولادي

(سجاد ,علي, رقية)

أُهديكم هذا الجهد

الشكر والعرفان

الحمد لله والشكر له أولا وأخرا الذي وفقني وهداني بأن اكون متخصصة باللغة العربية ؛ وهي لغة القرآن الكريم , وأدبها الجميل.

بعد شكر الخالق, ومن البر والاحسان أن أشكر زوجي و والديّ وأخوتي وأولادي على مساندتهم لي في إكمال هذا المشوار العلمي.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى عمادة كلية العلوم الاسلامية المتمثلة بعميدها ومعاونيه الأفاضل ,وإلى رئاسة قسم اللغة العربية , واعترافا بالفضل الجسيم , وواجبا عليَّ وعرفانا أن اشكر أساتذتي في قسم اللغة العربية في كلية العلوم الإسلامية الذين تزودت من بحور علومهم في مرحلتي الماجستير والدكتوراه إذ بذلوا جهداً أعجز عن وصفه وما زلت انهل من بحور علومهم..., ولا يفوتني أن أذكر زملائي الذين ساندوني طوال مدة دراستي وكتابة بحثي ولم يتوانوا عن تقديم ما احتجت إليه؛ فقد كان لهم أثر بالغ في دراستي, والشكر موصول إلى كل من قدم المساعدة أو النصح.

وأتقدم بوافر شكري وتقديري إلى استاذي المشرف الاستاذ المتمرس الدكتور عبود جودي الحلي الذي كان معي في هذا العمل ناصحا وموجها ومصوبا في رحلتنا العلمية هذه , فلا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أبتهل إلى الله تعالى أن يمده بالصحة والعافية وينفعنا به .

وأخص بالشكر والتقدير كادر المكتبة المركزية في جامعة كربلاء , أخوة وزملاء وعلى رأسهم المربي الفاضل الاستاذ الدكتور فيصل علوان الطائي.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير العالي إلى الأساتيذ الكرام أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة هذه الاطروحة والسفر إلى مدينة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

والحمد لله رب العالمين على توفيقه وسداده وما توفيقي الا بالله الواحد الاحد, فهو وحده ميسر الأمور, ومرشد العباد لما فيه من خير وتوفيق وسداد.

الخلاصة:

إن الشعر شأنه شأن سائر النصوص الادبية يخضع للاقتباس والتضمين , وخير الاقتباس ما كان من آيات القرآن الكريم أو من كلام السنة النبوية الشريفة وآل البيت الكرام , فأبلغ النصوص بشكل قطعي هو الكتاب الكريم , سواء كان الاقتباس بشكل مباشر أو غير مباشر , وقد سار الشعراء على هذا المنهج من الاقتباس قديما وحديثا ؛ لغرض تقوية المعنى وإيصال الفكرة وجذب القارئ, ومنهم الشاعر الكربلائي المرحوم علي الفتال الذي كان للأثر الديني دور بالغ في اشعاره, وقد اخترنا عنوان لهذه الدراسة (المرجعيات الدينية في شعر علي الفتال دراسة بلاغية) وقد انتهت الدراسة إلى إنَّ الشاعر الفتال – موضوع الدراسة– هو نموذج من شعراء هذه المدينة المقدسة , والعراق ايضاً, فهؤلاء طبقة من المثقفين تنوعت مصادر ثقافتهم إلاّ أنهم بكلّ ما تضمنه من آيات كريمة وحديث شريف أهم مصادر ثقافتهم .

ولَم يقتصر استعمالُ شّعراِء هذه المرحلة للمرجعياتِ الدينيةِ عَلى النزوعِ الدّينيّ لديهم، بل وظفَّوا تلك المرجعياتِ أيضًا في الحثِّ على الجهادِ في سبيلِ اللهِ، ومناصرةِ الوطنِ وحمايتِه، ودعمِ عقيدته الدينية، والتّرسيخِ لبعضِ القِيَمِ الأخلاقيّةِ...إلخ.

وتضمنت نتاجات الفتال أكثر الأساليب البلاغية العربية ولعل الباعث إلى ذلك اتساع منجزاته الأدبية عامة والشعرية خاصة على امتداد حياته , وتعدد أغراضه التي نضد فيها, وهي دليلٌ على إجادةِ الفتّالِ لتصريفِ الكلامِ العربيّ في وجوهِه المُختلفةِ، واستنطاقِ الدّلالةِ المُرادةِ عن طريق هذه المرجعيّاتِ بِمَا يُوقِفُ المُتلقّي عَلَى المقصدِ بِلا كَدٍّ ولَا نظرٍ طويلٍ.

وتقترح الباحثة أن تدرس المرجعيات الثقافية –غير الدينية– في شعره , وأن يسلط الضوء على شعراء هذه المرحلة الذين لم تتعرض نتاجاتهم للدراسة بعد.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	6-1
التمهيد: بطاقةٌ تعريفيَّةٌ لِحياةِ عليّ الفتّال	20-7
الباب الاول: المَرجعيّاتُ الدِّينيَّةُ فِي شِعرِ عليّ الفتّال	91-21
الفصل الاول: المَرجعيَّاتُ القُرآنيّةُ فِي شِعرِ الفتّال	59-29
المبحث الاول : الاقتِباسُ القُرآنيُّ المُباشِرُ	41-30
المبحث الثاني: الاقتباسُ القُرآنيُّ غَيرُ المُباشِرِ فِي شِعرِ الفتّال	59-42
الفصل الثاني: المرجعيات من الحديثُ النَّبويُّ الشَّريفُ	91-60
المبحث الاول: الاقتِباسُ المُباشِرُ مِن الحَدِيثِ النّبويّ	69-61
المبحث الثاني: الاقتِباسُ غَيرُ المُباشِرِ مِن الحَدِيثِ النَّبَوِيّ	91-70
الفصل الثالث: المَرجعيّاتِ الدّينيَّةِ التي تشمل أقوالِ آلِ البيتِ الكِرامِ	114-92
المبحث الاول: المرجعيَّاتُ الدّينيَّةُ المباشرةُ مِن أقوالِ آلِ البيتِ الكِرامِ	99-95
المبحث الثاني : المرجعيَّاتُ الدّينيَّةُ غيرُ المباشرةِ مِن أقوالِ آلِ البيتِ الكِرامِ	114-100
الباب الثاني: مرجعية الصور البلَاغيَّةُ في شِعرِ عَليّ الفَتَّال	230-115
الفصل الاول : مرجعية الصور البَديعِيَّةُ فِي شِعرِ الفتَّالِ	154-118
المبحث الاول : مرجعية المُحسناتُ اللّفظيّةُ فِي شِعرِ الفتّال	135-121
المطلب الاول: السجع	125-121

المطلب الثاني: الجِناسُ	130-126
المطلبُ الثّالثُ: التّصريع	135-131
المَبحَثُ الثّانِي :المُحسّناتُ المَعنويّةُ فِي شِعرِ الفتّال	154-136
المطلَبُ الأوَلُ: الطّباق	143-136
المَطلَبُ الثّاني: التّورية	149-144
المَطلَبُ الثّالِثُ: حُسنُ التَّقسِيمِ	154-150
الفصل الثاني : مرجعية الصُّوَرُ البَيانِيَّةُ في شِعرِ الفَتَّالِ	188-155
المبحث الاول: التَّشبيهاتُ	168-158
المبحث الثاني: الاستعاراتُ	174-169
المَبَحثُ الثّالِثُ: الكِناياتُ	180-175
المَبَحثُ الرَّابِعُ: المجازُ المُرسلُ	188-181
الفصل الثالث: مرجعية الصُّوَرة فِي شِعرِ علي الفتَال في ضوء علم المعاني	230-189
المبحث الاول: الخبَرُ والإنشاءُ فِي شِعرِ الفتّالِ	206-193
المبحث الثاني: التّقديمُ والتّأخيرُ فِي شِعرِ الفتّالِ	211-207
المَبحثُ الثّالِثُ: التَوكيدُ في شِعرِ الفتّالِ	215-212
المَبحثُ الرّابعُ: أُسلوبُ القَصرِ فِي شِعرِ الفتَّالِ	219-216
المَبحَثُ الخامسُ: الإيجَازُ فِي شِعرِ الفتّالِ	226-220
المَبحَثُ السَّادسُ: الإطنابُ فِي شِعرِ الفَتَّالِ	230-227
الخاتمة:	234-231

التوصيات	237-235
مسرد المصادر والمراجع:	250-238
الخلاصة باللغة الانجليزية	A

المُقَدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمتِه، وصلَّى اللهُ على نبيِّهِ محمدٍ صفوتِه من خليقتِه، وآلِ بيتِه وعترتِه الأطهارِ ، وبعدُ...

تعدّدت زوايا النّظرِ إلَى الشّعرِ العربيّ الحديثِ والمُعاصرِ، لاسيما الشّعرَ الذي يتضمّنَ القضايا الدينيّةِ والاجتماعيّةِ و السياسيةِ ، فبالنظرِ إلى دوافعِ الشعراءِ ورؤاهم الّتي انبثقَ منها الشعر، جاءت صعوبةُ قراءتِه، وتفرّقت مناهجُ تحليلِه بينَ الحديثِ والقديمِ؛ لسبرِ أغوارِه والاطِّلاعِ على مصادرِه و مرجعيّاتِه الّتي انتزعَ منها الشّاعرُ صورتَه الّتي ضمَّنَها دلالاتِه التّي توخّاها وأغراضَه الّتي صَدَرَ منها.

ومن ثمَّ فقد تيسَّرَ للباحثِة – بِمُعاونةِ السّيد المُشرف عَلى هذه الأطروحةِ – أن تشقَّ سبيلَها إلى إعمالِ إحدَى النّظريّاتِ التي تميّزت مِن بينِ نظريّاتِ قراءةِ النصوصِ الشّعريّةِ بِالجمعِ بينَ الرُّؤى النقديةِ العربيةِ المتباينةِ؛ بهدفِ قراءةِ مجموعِ النماذجِ الشعريةِ المختارةِ من أعمالِ شاعرٍ عراقيٍّ كربلائيٍّ معاصر، قراءةً آنيةٍ تُفرزُ آثارَها في الإحاطةِ بمقاصدِه منها، وهي نظريةُ المرجعّياتِ أو ما يُسمّى في مفاهيمِ النّقدِ الحداثيّ بِالتّناصّ، واختصت بمجموعةِ الأعمالِ الكاملةِ لأحدِ شعراءِ العراقِ المُعاصرينَ، وهو الشّاعرُ المرحوم عليّ الفتّالِ؛ لِمُناقشةِ أعمالِه وتسليطِ الضّوءِ عليهَا خلالِ هذه النّظريّةِ.

وإنّ عاملَ التّوفيقَ في اختيارِ الموضوعِ والفِكرةِ مردُّه إلَى اساتذتي العلماءِ الإجِلَّاءِ الذينَ وجّهونِي إلَى حُسنِ الاختيارِ، وأعانوني عَلى إنجازِه بِتوجيهاتِهم المُستمرّةِ، وإرشادَاتِهم الحكيمةِ، فكان مِما وقعَ لِي مِن ذلِكَ أن اخترتُ الفتّالَ شاعرًا عراقيًّا كربلائيا لهُ مُميّزاتُه وسِماتُه الّتي اتّسمَ بِهَا على الصّعيدَين الذّاتيّ والموضوعيّ، مُنطلِقًا مِن المنهجِ التّحليليّ الوصفيّ في دراسةِ خصائصِ شِعرِه وسماتِه في أعمالِه الشّعريّةِ الكاملةِ الّتي شكَّلت نتاجَ عُمرِه عَلى امتدادِ سِني حياتِه، والّتي جمعَهَا في حَياتِه في ثمانيةِ أجزاءٍ, وهي تعكس واقع مجتمعه وفكر اقرانه من الشعراء, فهو رجل اراد ان يكون فكان , وواجه الحياة بمختلف معوقاتها, إذ ولد في اسرة ليست غنية , فلم يولد وفي فمهِ ملعقة من ذهب , وانما جاهد وعمل في شتى الاعمال ومنها المهنة التي لصقت به وهي مهنة الفتالة (فتل الخيوط) فصارت لقبا له, وهو يمثل شريحة واسعة من شعراء ومثقفي كربلاء المقدسة

وقد فُصّلت الدّراسةَ بِحَسَبِ مَا دعَت إليه و اقتضت به؛ فجاءت في بَابَينِ، وقد تضمَّن كلُّ بابٍ منهما ثلاثة فصول، ونوقشَ تحتَ كلٍّ منها عددٌ مِن النّماذجِ الشّعريّةِ وفقَ نظريَّةِ المرجعيّاتِ، في صورةٍ مخصوصةٍ، فلم أُعنَ هُنا بِدراسةِ المرجعيّاتِ الاجتماعيّةِ أو التّاريخيّةِ، أو السّياسيّةِ، أو الثّقافيّةِ، بل كانَ إطارُ الدّراسةِ محكومًا بِتناولِ المرجعيّاتِ الدّينيّةِ في شِعرِ الفتّالِ، فِي جوانِبِها التي لهَا انبثاقات قرآنيّةٌ، أو حديثيّةٌ، أو ما تضمَّنَ نزعةً تأثُّريةً بِآراءِ وحِكم آل البيت الكرام وغيرها.

ومن هنا جاءت الدراسةُ موجّهةً لهذه النماذجِ المختارةِ من شعرِ الفتَّال، وفقًا لمستوياتِ هذه النظريةِ وركائزِها، وما ارتبطَ بِهذه النّظريّةِ ارتباطًا ملحوظًا، يتوجّهُ عليهِ بعدَ ذلكَ مَا في هذه النصوصِ -محلِّ التّحليلِ- مِن فنونٍ بلاغيّةٍ تثيرُ كوامِنَ المعنَى، وتنفضُ عنهُ عتمةَ القراءاتِ غيرِ المُجديةِ، بِجمعِ كلِّ حُزمةٍ مِن أعمالِه الشّعريّةِ تحتَ بابٍ أو فَنٍ واحدٍ مِن فنونِ البلاغةِ الثّلاثةِ (المعاني، والبيانِ، والبديعِ)، وقد قدحتُ زنادَ الفِكرِ في مُحاولةٍ للكشفِ عَن وجوهِ الدّلالةِ التّي احتملَتها خطاباتُ الفتّالِ المُتباينةِ في أعمالِه الشّعريّةِ وفقًا لِمُقتضيها وحالِ المُخاطَبينَ بِهَا، وما عرضَ لَهُ فيهَا، وقد اشتملَ البابُ الأوّلُ عَلى توطئةٍ نظريّةٍ لمفهومِ المرجِعيّاتِ، في اللُّغةِ والاصطلاحِ، وتَقسِيمٍ للمرجعيّاتِ إلَى مُباشرةٍ وغيرِ مُباشرةٍ، والفرقُ بينَ المرجعيّةِ والاقتباسِ والتّضمينِ، وثلاثةِ فصولٍ هِيَ عَلى النحوِ الآتي:

الفصلُ الأوّلُ: المَرجِعيّاتُ القرآنيّةُ فِي شِعرِ عليّ الفتّال

والفصَلُ الثّاني: المرجِعيّاتُ من الحديث النبوي الشريف في شِعرِ علِيّ الفتّالِ

الفَصلُ الثّالِثُ: المَرجعيّاتِ الدّينيَّةِ التي تشتمل أقوالِ آلِ البيتِ الكِرامِ

أمّا البَابُ الثّانِي: فكانَ عَن **مرجعية الصُّوَرِ البلَاغيَّةِ في شِعرِ عَليّ الفَتَّال،** وقد تَضمَّن بينَ دِفَتَيهِ ثلاثةَ فصولٍ، هِي عَلى نَحوِ مَا يَلِي:

الفصلُ الأوَّلُ: مرجعية الصُّورُ البَدِيعيَّةُ فِي شِعِر الفَتَّالِ

الفَصلُ الثّانِي: مرجعية الصُّوَرُ البَيانِيَّةُ في شِعرِ الفَتَّالِ

الفَصلُ الثّالِثُ: مرجعية الصُّورة فِي شِعرِ علي الفتّال في ضوء علم المعاني

على أن يضمَ كلُّ فصلٍ مِنها عددًا مِن المباحثِ الفرعيّةِ تحتَهُ، تأتِي الإشارةُ إلَى كلٍّ منهَا في موضعِه مِن الدّراسةِ، على أن يُتبعَ هذا البابُ بِمَا اشتملَ عَليهِ من فصولٍ ومَباحثَ بِخاتمةٍ لِأهمِّ وَأبرزِ النّتائجِ التي توصلت إليها الدراسة, وشفعت الدراسة بثبت المصادر والمراجع.

- **أهميةُ الدراسةِ:**

إنّ للعملِ على هذه الدّراسةِ قدرًا مِن الأهميّةِ عَزَّز مِن قيمةِ اختيارِ الموضوعِ والمنهجِ، ومجموعِ الأعمالِ المُتناولةِ تحتَهَا للشّاعرِ العراقيِّ عليّ الفتّال، فأمَا مَا تعلَّقَ بالموضوعِ فلأنَّ دراسةَ النصوصِ الشّعريّةِ المُرتكزةِ على المرجعيّاتِ الدّينيّةِ – خاصَّةً – لَم تحظَ بعِنايةٍ كبيرة مِن الدّارسينِ، فكانت العنايةُ بِهِ تقريبًا للمرادِ مِن تلك المرجعيّاتِ وتوظيفاتِها فِي الشّعرِ العربيِّ المعاصرِ، وتيسيرًا على الباحثينَ تناولَ مادَّتَها؛ لأنها غير مدروسة , سوى دراسة رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثة ميس هيبت حميد الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية في جامعة كربلاء تحت عنوان شعر علي الفتال دراسة في الموضوع والفن , 2014م.

- **المنهج المتبع:**

أمّا اعتماد المنهج التحليلي الوصفي ، فلأنَّ تحليلَ النّصوصِ الشّعريّةِ على مُقتضَى ما تُحيلُ عليهِ الفنونُ البلاغيّةُ والتّراكيبُ النّحويةُ فيهَا مِن معانٍ، قصُرَ باعُ كثيرٍ مِمّن تناولوه عن تحليلِ النصوصِ موضوعِ الدّراسةِ بالوقوفِ على مقاصدِها وخصائِصِها الفنيّةِ على الوجهِ الأكملِ.

وأمّا بالنّسبةِ للأعمالِ المُتناولَةِ تحتَ هذه الدّراسةِ، وهي أعمالُ الشّاعر عليّ الفتّال الشّعريةُ الكاملةُ، فكانَ بسببِ اختيار تلك الأعمالِ، وفرة مادّتِها، وغزارةِ الفنونِ الّتي عوَّلَ عليهَا الشّاعرُ في صياغةِ أنماطِ شعرهِ وأغراضِهِ ومُناسباتِه, ومن خلاله نستطيع الاطلاع على هذه الظاهرة.

- **سببُ اختيارِ الموضوعِ:**

هناك اسباب كثيرة جعلتني اختار هذا الموضوع , لعل أولها وفرة المصادر التي يمكن ان ترفد بحثي التي توافرت بحكم عملي في المكتبة المركزية , ولأنّ الشاعر معاصر اذ توفاه الله سنة (2021م) , فلم تكتب عنه دراسات تحليلية للنظر في منجزه الشعري مع انه اعتنى كثيرا بالجوانبِ الدينيّةِ الّتي شكَّلت دافعًا قويًّا لاختيارِه ضِمنَ موضوعِ البحث , فضلا عن رغبة الباحثة في تسليط الضوء على اعمال الشعراء الكربلائيين من العصر الحديث, وقد تم اختيار احدهم كنموذجٍ يعكس من خلاله افكارهم ويبرز ابداعاتهم , ومدى ثقافتهم , ومستوى تفكيرهم .

- **مُشكلاتُ الدّراسةِ:**

لم يكن البحث في قضية شعر علي الفتال يسيرا , وكانَ مِمّا واجهَ الدّراسةَ مِن مشكلاتٍ لا تُوصفُ بالمُستعصيةِ؛ لسهولةِ التغلُّبِ عليهَا بمعونةِ اللهِ تعالَى، قبلَ العملِ عليهَا وفي أثنائهِ ، من ابرزها سعة ديوانه الذي جمع في ثمانية اجزاء , والاحاطة به وبكل اتجاهاته, وتعدد وجهات نظرهِ وتعدد علاقاته, وعلى الرغم من وجود دراسة سابقة (رسالة ماجستير للطالبة ميس) ولكن قضية المرجعيات الدينية لم يسبق الكتابة عنها , و صعوبةُ الشقِّ التّحليليّ؛ لأنّه كثيرًا ما كانَ يُعوِزُ في مراجعةِ الأساليبِ والتّراكيبِ وبعضِ موادِّ اللغةِ إلَى المراجعِ القديمةِ الّتي يصعبُ التّعاملُ معهَا، أو يصعبُ العثورُ عليهَا؛ لاستئثارِ مكانِ طباعتِها بِها، ومِن تلك العراقيلِ أيضًا: اشتمالُ ديوان الفتّال على نوعٍ من التّعالقاتِ الدّينيّةِ غيرِ المباشرةِ معَ أقوالٍ كثيرٍ من السّلَفِ مِن عُلمائِنا المُجتهدين، فكانَ في التّعرُّفِ عليهَا مشقّةٌ وعناءٌ، إلى جانبِ كثرةِ الأعمالِ الشّعريّةِ المطبوعةِ للفتّال، الّتي أدّت إلى تنوع الجهودِ عليهَا بينَ القراءةِ والمراجعةِ ومحاولةِ التّحليلِ , التي جمعت في(3443) صحيفة، مع ما في هذه الأعمالِ من سوءِ تنظيمٍ للأجزاءِ، ولو أنَّها رُتِّبت ترتيبًا ألفبائيًّا لكانت أقربَ إلى النَّظرِ والتناولِ, وبعض الاغلاط اللغوية, وسوء التنضيد, وكثرة التكرار الوارد بين أجزاء المجموعة؛ ولهذا فقد عانت الباحثة في تأمل شعره وتحليله لتضع يدها على اهم المرجعيات الدينية وابراز الصور والفنون البلاغية التي وردت في اعماله , وبطبيعة عمل الطالبة في المكتبة المركزية / جامعة كربلاء , سهل الامر على الباحثة لتخطي هذه الصعوبات , خلال توافر الاف الكتب و المصادر من حولها وسهولة الوصول إليها.

ومن أهم المصادر التي اقترضت منها مادة الدراسة هو الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر علي الفتال التي جمعت في ثمانية اجزاء , ومصادر ادبية, ولغوية , وبلاغية , وتاريخية ونقدية ومنها:

تحرير التحبير، شرح نهج البلاغة، المصباحُ في المعاني والبيانِ والبديع ، تفسير الطبري، صحيح ابن حبان، خزانة الأدب وغاية الأرب، العمدة في محاسن الشعر ونقده، سر الفصاحة، مناقب آل أبي طالب, الفصول الخمسون في النحوِ، الإعراب عن قواعد الإعراب، شذور الذهب من كلام العرب، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، بلاغات النساء ، لسان العرب، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضرورة الشعر ، شرح التبيان في علم البيان، تحف العقول عن آل الرسول، الترغيب والترهيب، الصناعتان (الكتابة والشعر)، البحر المحيط, وغيرها.

واتقدم بالشكر والامتنان الى كل من أسهم في اكمال هذه الدراسة وخروجها بهذه الحلة , واتقدم بالشكر والامتنان إلى عمادة كلية العلوم الاسلامية , والسيد المساعد الأستاذ الدكتور مسلم الأسدي, ورئاسة قسم اللغة العربية والعاملين فيه العطوف, ومن احاطني بعطفه الابوي وزين أطروحتي بملاحظاته المشرقة المشرف الأستاذ الدكتور عبود الحلي , والشكر موصول الى زملائي في المكتبة المركزية وعلى رأسهم المربي الفاضل الأستاذ الدكتور فيصل علوان الطائي ,وشكري إلى كل من أسهم في تقديم هذا العمل .

وعلى الرغم من هذا الجهد الذي بذلته وسهرت فيه ليالٍ طوالا الا أني لا ادعي الكمال , فكما قال العماد الاصفهاني : (عندما يكتب الانسان كتابا ثم يرجع إليه؛ فيقول لو قدمت هذا لكان افضل ولو وصلت هذا لكان افضل) ذلك لأنَّ الكمال لله وحده ولا يوجد كتاب أو بحث يستطيع أن يقول عنه الانسان كاملا , لهذا اعدكم اني سأنتفع من ملاحظات السادة اعضاء لجنة المناقشة وارتقي ببحثي إلى ما هو افضل أن شاء الله , وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التّمهيدُ

بطاقةٌ تعريفيَّةٌ لِحياةِ عليّ الفتّال

أولًا: (اسمُه، نسبُه، ولادتُه، بيئتُه)

وُلِدَ الشّاعرُ علي كاظم حسن ظاهر الاسدي[1] في كربلاء يوم 1935/5/2م، وقد قيل: إنّ نسبَه الأسدي عَلى وفقِ ما وُجِدَ في الكتبِ، ولكنّ حديثَ الفتّالِ عن نفسِه يُخبرُ بأنَّ لقبَ عشيرتِه التي ينتمي لها هي (المطيري) فقد لخّصَ سيرتَه الذّاتية فِي أرجوزةٍ وضعها تحت عنوانِ (سطورٍ من حياتي) ومَا يتراءَى لِي أنّهُ جَدَّ في البَحثِ عن أصلِ نسبِه إلى أنِ اهتدَى إلى المطير نسبًا ثابتًا بعدَ تقصِّي الحقائقِ؛ فقالَ فيها[2]:

اسمي عليٌّ وأبي كاظمُ وحَسَنُ جدّي فتًى حازِمُ

ولَقبي الفتَّالُ فِي الشُّهيرة لكنَّما المَطير لِي عشيرة

لفخذِها الدّوشان ينتمي أبي وهم أُباةٌ في أصول العرب

و لقبٌ بالفتّال لعملِه الذي امتهنّهُ في حرفةِ (الفِتالة): وهي صناعةُ إبرامِ الخيوطِ وفتلها[3]، وكان ينشرُ أحيانًا نتاجاتِه الأدبيةَ في بعض الصحفِ والمجلاتِ بأسماءٍ مستعارةٍ؛ و ذلك لأسبابٍ سياسيةٍ، ومنها: (عكاظ، عامل نفط، أبو زهير، فتى الطف، كربلائي، متفاهم، فلكلوري)[4]، ولد الفتَّال في الثاني من أيار سنةَ ألفٍ وتسعمائةٍ وخمسٍ وثلاثين[5][6], و ولد الفتال في دارٍ شرقيةٍ متواضعةٍ في كربلاء، لا تزيد مساحتِها عن (60_50) مترًا تحتوي عَلى غرفتين، قضَى الفتَّال

---

[1]– ينظر: معجم الشعراء الشعبيين في كربلاء:54/2، والسراج الخافر:41.

[2] – علي الفتال في انعكاسات المرايا :القسم الاول :11.

[3] – ينظر: معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء:150.

[4] – ينظر: على الفتال في انعكاسات المرايا: 2\32.

[5] – ينظر: زمن وعطاء سيرة ذاتية:1 / 27، وتاريخ كربلاء قديما وحديثا:237.

[6] – و يتوافق هذا التاريخ مع مولد ملك العراق المغفور له فيصل الثاني بن غازي بن فيصل بن حسين بن علي الهاشمي (رحمه الله) هو ثالث وآخر ملوك العراق من الأسرة الهاشمية وقد ولد في الغرفة اليسرى من الطابق العلوي في قصر الزهور الملكي في بغداد , ينظر: طارق إبراهيم شريف , سيرة حياة الملك فيصل الثاني 1935–1958 اخر ملوك العراق, الطبعة الاولى, دار غيداء, 2011م , 9.

طفولته فيها، والدار -عَلى حَدِّ وصفِهِ لَهَا- هي دارٌ شرقيةٌ في (دربونة) [1]، تتفرَّع من (عكَد)[2] (البلوش)[3], فقال فيه[4]

وُلِدتُ في الثاني من آيار الأغر في عامِ عشرين وخمسةَ عشَر

في (عكد البلوش) بِبَابِ النّجف محلةٌ معروفةٌ للسَّلف

ينتمي الفتال الى مدينةٍ ذات طابعٍ ثقافيٍّ ملتزمٍ، وهي كربلاءُ المقدسةُ وفيها نشأ وتربَّى إذ لم يكن المرقدان الشريفان للإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) مكانَي تعبُّدٍ فحسبُ بل شهِدَت كربلاءُ بفضلهما حركةً أدبيةً وعلميةً واسعةً، وليسَ مِن المبالغةِ القولُ: أنّ هذين المرقدين مدرستان اغترفَ منهما المتعلِّمون العلومَ المختلفة، فكانت تُعقد فيهما المجالسُ الأدبيةُ والمهرجانات الخطابية[5].

ومعروفٌ أنّ طبيعةَ الحياةِ في الثلاثينيات من القرنِ الماضي ولم تتح لأطفال تلك الحقبة غير الالعاب البسيطة مثل (كرةِ القدمِ، والأرجوحةِ، والطيارةِ الورقية)، وهذه المشاهدُ ظلّت عالقةً في ذاكرته.

وكانت رحلةُ الفتال في الدراسةِ رحلةً طويلةً؛ فقد دامت خمسًا وثلاثين سنةً، بدأت مع أقرانِه في عام (1941م)، علمًا بِأنّه لم يرسُب في أيِّ سنةٍ من سِنِي الدِّراسةِ، إنما اضطُرُّ إلى ترك الدراسةِ ليتوجَّه للعملِ؛ لأسبابٍ اقتصاديةٍ بعد اجتيازه للصفِّ الأوَّلِ، ومارسَ أعمالًا كثيرةً منها العملُ في صناعةِ أَسِرَّةِ الجريدِ في عام (1942-1946م) فقال في ذلك[6]:

حتّى إذا أنهيتُ صَفًّا واحدًا تركتُها بِرَغبتِي مُعاندًا

---

[1] – دربونة: من دَرْب دروبة، طريقٌ، والدربونة، هي زقاق صغير يتفرع عن حارة، ينظر: معجم الألفاظ العامية/52

[2] – عكد: لفظة كانت تطلق على الأزقة في ذلك الوقت، ينظر: تاريخ كربلاء قديما وحديثا/198.

[3]– البلوش: الجالية البوجستانيَّة العربية التي سكنت بعض دور هذا الزقاق عند قدومها الى العراق من إيران لغرض زيارة المراقد المقدَّسة، واستقروا في هذا الزقاق ، لقربه من مرقدي الإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) فعرف الزقاق بإسمهم، ينظر: زمن وعطاء سيرة ذاتية/1 /5

[4] – علي الفتال في انعكاسات المرايا: قسم الاول/ 12.

[5] – الادب العربي في كربلاء من اعلان الدستور العثماني الى ثورة تموز 1958 م اتجاهاته وخصائصه الفنية /25

[6] – علي الفتال في انعكاسات المرايا: قسم الاول/ 12.

ودامَ تَركي زمنًا بالعدَدِ سِتَّة أعوامٍ بِها لم أسعَدِ

كنتُ بِهَا أعملُ بِالأَسِرَّة مِن الجَرِيدِ عَامِلًا بِالأُجرة

إلى قَولِه:

وَبعدَها عَمِلتُ بِالفِتالة تسع سنين كُلُّها رَذالَة

وفي عامِ (1946م) عَمِلَ في مِهنةِ الفِتالةِ التي كانت مهنةً شاقَّةً ومتعبةً، ثمَّ عادَ للدراسةِ المسائيةِ في العام نفسِه، فكان يعملُ في الصباحِ ويدرس في المساءِ إلى أن أنهَى دراستَهُ الابتدائيةَ في عام (1952م) في مدرسةِ السبط المسائيةِ[1]، في أثناء هذه الفترةِ فُجِعَ فِي وفاةِ والدتِه أثناءَ ولادتِها لأُختِهِ الصُّغرَى، وقد تركت هذهِ الفاجعةُ أثرًا عميقًا في نفسِ الشاعر[2]، فقالَ واصفًا ذلك[3]:

واقترنَ الوالدُ مِن أُمِّي ومَا أعرفُ عنهُ غيرَ ذاك مَعلمَا

فَأنجَبَت ثلاثةً ذكورَا و ثُمَّ أنثَى بينَنَا أَخِيرَا

ومَاتت الأُمُّ علَى الوِسادَة ماتَتْ ومَا أتمَّتِ الولادَة

ليلًا بِمُستشفَى الحُسيني قد قَضت يا ويلَ بيتٍ نحبها مُذ عسرت

وهكذا عاش الفتال حياته محروما من حنان الام وعطفها وضيق الحياة, وترجم لذلك الحرمان من خلال نتاجه , ومِمّا يُذكرُ أوَّلِ مَا نَظَمَ مِن الشّعرِ، أنَّهُ قالَ[4]:

إذَا ضاقَت بكَ الدُّنيَا لِحِين فَصبرًا، إنَّ "بعدَ العُسرِ يُسرَا"

وكان ذلكَ الشعر مِمّا احتفظَ بِهِ في كِتابِ الحِسابِ، وهو مِمّا لَم يَزلِ في مكتبتِه، ومنذُ صغر سِني عمرِه ظَهَرَ في أوَّلِ لَبِنَةٍ من شعرِه أسلوبُ النُّصحِ والاقتباسِ من القرآن الكريمِ، وفي

---

[1] – الاعمال الشعرية :ج4/455–456.

[2] – ينظر: زمن وعطاء سيرة ذاتية :1\26–25، وعلى الفتال مراجع سيرته ونتاجه الادبي:7.

[3] – علي الفتال في انعكاسات المرايا: قسم الاول/ 12.

[4] – ينظر : المصدر نفسه: 33/2, وحوارية مئة سؤال وسؤال مع علي الفتال:14.

اعتمادِه عَلَى الاقتباسِ مِن القرآنِ الكريمِ مَا يدلُّ عَلَى شِدّةِ ارتباطِ الفتّالِ بِه، وكثرةِ تلاوتِه لهُ وتأثُّرِه بِهِ، ومِن ثَمَّ ترسَّخت المعاني والكلماتِ لديه، وبدأت تنسابُ على لسانِه بسلاسةٍ؛ لإيصالِ المعنى المراد، ولعلَّ صِغَرَ السِّنِّ مع استخدامِ أسلوبِ النُّصح دليلٌ على خبرتِه في الحياة وقد اكتسبها من قسوةِ الحياةِ عليهِ، وقد تحلَّى بالصبر وخصوصًا بعد وفاةِ أُمِّه وزواجِ والدِه بامرأةٍ أُخرَى[1]، فقال في أرجوزته[2]:

وبعدَ أعوامٍ تزوَّج الأبُ بل نحنُ زوَّجناهُ وهو يَرغبُ

فأنجَبت أربعةً أشِقَّاء إبنَين وابنتَين، رَبُّنا شَاء

صبَرَ الشاعرُ على قسوةِ حياتِه وخصوصًا بعد سرقةِ الحبِّ والحنانِ منهُ، فواصَلَ دراستَه مع عملِه مُواكبًا بينَ العملِ وملكتِه الشعريةِ، فَعُرِفَ بِشَاعرِ مَدرستِهِ، وبقيت جملةٌ عالقةٌ في ذهنِه من أحدِ مُعَلِّميه حِين قالَ مُشجِّعًا له: "ستكونُ مِن أصحابِ القَلَمِ"[3].

وانتظمَ في إحدى الحركاتِ السياسيةِ الوطنيةِ، بعد تخرُّجِه من المرحلةِ الابتدائيةِ في عام (1952م), وأكمل دراستهُ المتوسِّطةَ التي قضاها متنقلًا بين ثانويةِ المشرقِ المسائيةِ، ثم انتقل إلى المعهدِ العلميِّ، وبعدها إلى متوسطةِ التفيُّض في بغداد ومتوسطةِ الكاظمية، حتى تخرَّج عام (1961م) من الدراسةِ المتوسطة[4]، وهذا الفارقُ الزمنيُّ ليس لكثرةِ رسوبِهِ في مراحلِ التّعليمِ، بل بسبب سجنِه أربع سنواتٍ ونصفٍ على إثرِ انتمائِه السياسيِّ في عام (1954-1955م) ثم نُفِيَ إلى (قضاء بدرة)[5]، وفي عام (1958م) أُطلِقَ سراحُه مع رفاقه تزامنًا مع أفراحِ ثورةِ

---

[1] – ينظر: زمن و عطاء سيرة ذاتية: 148/1.

[2] – علي الفتال في انعكاسات المرايا: قسم الاول/ 12.

[3] – زمن وعطاء سيرة ذاتية: 123/1.

[4] – الاعمال الشعرية :ج455/4-456.

[5] – وهو أحد الأقضية التابعة لمحافظة واسط في العراق يقع القضاء إلى الشرق من مدينة الكوت ويبعد عنها بمسافة 70 كم ويحاذي من جهته الشرقية دولة إيران وتبلغ مساحة القضاء 3650 كيلو متر مربع وتتبع له ناحيتي جصان و زر باطية ويقطنها أكراد يتحدثون العربية ويمارسون طقوس الشيعة. al-Zaidi ، Mohammed. ""بدرة" الحدودية، يقطنها أكراد يتحدثون العربية ويمارسون طقوس الشيعة | نقاش". Niqash. مؤرشف من الأصل في 2020-09-26. اطلع عليه بتاريخ 2/9/2023.

تموز[1]، وقد رصدَ ذلكَ في أرجوزتِه التي هي ليست شعرا انما هي احداث منظومة, الّتي منها قوله [2]:

لكنّما الطغاةُ في ذاك الزمن قد فصلوني ورموني في السجن

قضيتُ فيه أربعًا ونصفًا من السّنينَ؛ حيثُ كنتُ عَفًّا

ويومَها ماتَ أبي ولَم أَكُن أراهُ؛ إذ كنتُ بِرغمي مُرتَهن

حتَّى إذَا ثورةُ تموز غدَت تدقُّ أبوابَ العِراقِ وانتَهت

وبعد إطلاقِ سَراحِه تفاجأ بوفاةِ والدِه في أثناء اعتقالِهِ، ولم يكُن لِيبُلَّغَ بِنَبأ ذلك؛ مِمّا أحزنَهُ شديدَ الحزنِ عليهِ[3]، وفي هذا العام بدأ نشاطَه الصحفيَّ إذ نشر خاطرةً في جريدةِ الجمهوريةِ العراقيةِ بعنوانِ (إلى مدينتي)[4]، وتستمرُّ مسيرةُ الفتال حتى عُيِّنَ في مختبراتِ مصفى نفط الدورة بوظيفةٍ استخداميةٍ عام (1959م) وهو مُنتظمٌ في الدراسةِ المسائيةِ، وبعدها بعامٍ اقترنَ الفتالُ بشريكةِ حياتِه، وفي الوقت نفسِه عاد لنشاطِه السياسيّ كعضوٍ في التّنظيمِ[5].

وُلِدَ ابنُه الأكبرُ (زهيرٌ) في عامِ (1961م) وتمَّ اختيارُ هذا الاسمِ له تيمُّنًا باسم الشاعر زهير ابن أبي سُلمى، وشَعر الفتال في هذه الحقبة بأنه لم يعد مقتنعَا بالحركةِ السياسيةِ آنَ ذاك[6], فبدأ يتغير اتجاهه السياسي.

وبعدَ ثورةِ (1963م) اعتُقل الفتال في أبي غريب بسببِ نشاطِه الطلابيّ والنقابيّ، وقد وُلِدَت ابنتُه (تماضر) في هذه الفترةِ، واختار الشاعر هذا الاسم تيمُّنًا بالشاعرةِ الخنساءِ وهذا دليل على ولعه واهتمامه بالأدب العربي، ومِن ثَمّ وبعدَ حينٍ أُطلِقَ سراحُه بِكفالةٍ في العام نفسِه وفُصِلَ من عملِهِ، فعادَ إلى عملِه السابق-بالفِتالة- عام (1964م) ثم رُزِقَ بابنتِه (لُبنَى) في عام(1965م), و(جمان) في عام (1967م), وبعدها بعامٍ عادَ إلى وظيفتِه مع مَن أعيدَ من المفصولين السياسيين, وهو مستمرٌ في طلبِ العلمِ فحصل على شهادةِ الإعداديةِ - الفرعِ الأدبيّ-

---

[1] –ينظر: زمن وعطاء سيرة ذاتية:1\219, 227.

[2] – على الفتال في انعكاسات المرايا:13/1.

[3] – ينظر: زمن وعطاء سيرة ذاتية :1\235، وعلى الفتال مراجع سيرته ونتاجه الادبي:10.

[4] –ينظر: الاعمال الشعرية : ج459/4.

[5] –ينظر: زمن وعطاء سيرة ذاتية :1\235، وعلى الفتال مراجع سيرته ونتاجه الادبي:7.

[6] – ينظر: المصدر نفسه :1/ 273–284.

كطالبٍ خارجيٍّ في عام (1968م) بعد اجتيازِه للامتحانِ الوزاري، وبعد نقلِه إلى معملِ استخلاصِ الكبريت في محافظةِ كركوك صدرت له أوَّلُ مجموعةٍ شعريةٍ عنوانها (براعم صغيرة) في عام (1969م)، وبعدَها بِعَامٍ وُلِدَ ابنُه (رافد) وعاد للعملِ في مصفى الدورة، وفي عام(1971م) انتظمَ كعضوٍ في جمعية المؤلفين والكتّاب العراقيين، وبعدها بعامٍ سجَّل في كليةِ الآدابِ/ قِسم اللغةِ العربيةِ في جامعة بغدادَ، وعاد إلى كربلاء مُوظَّفًا في المنشأةِ العامَّةِ للتعليب في كربلاء سنةَ (1975م)، ثم بعدَ ذلك بِعامٍ تَنتهي رحلةُ علي الفتال الدراسيةُ الأوَّليةُ الطويلةُ التي دامت خمسًا وثلاثين سنةً دونَ رسوبٍ، وتكلَّلت بتخرُّجِ الشاعرِ ونيله شهادة البكالوريوس في اللغةِ العربيةِ وأدابها[1]، عاش الفتّال هذه السنينَ في مشّقّةٍ وتعبٍ شديدَين، وعانَى صعوباتٍ وعناءٍ نتيجةَ تنقُّلِه مِن مكانٍ لآخرَ، وكانت حياتُه قد أصبحت عبارةً عن دورةٍ مُستمرّةٍ للمعاناةِ ومُقاساتِ التنقُّلِ بينَ الأماكنِ تارةً، والسّجن والاعتقالِ تارةً أخرَى، ولم يستطع أن يعيشَ حياةً طبيعيةً؛ لأنّه كان سياسيًّا منتميًا إلى حزبٍ معارضٍ للسلطةِ الحاكمةِ في تلك الحقبة.

ثم بدأ في عام (1980م) بالمشاركةِ في الندوات والمهرجاناتِ، ومنها الندوةُ العربيةُ للتراث الشعبيّ في بغداد، وبعدها بعامٍ شارك في المهرجانِ القطريّ للشعرِ العربيّ في جامعةِ البصرةِ في عام (1981م), وفي عام (1985م) أحيلَ على التقاعدِ وتفرَّغ من إعياءِ العمل الوظيفيّ وكان بدرجةِ رئيس ملاحظين، وتعاقد على إدارةِ معرض الكتاب في كربلاء مع الدارِ الوطنيةِ للنشر والتوزيع، وفي العامِ نفسِه شاركَ في مهرجان المربد الشّعري واستمرّت مشاركاتُه فيه من 1985-2010م), وأسّس مكتبة دار الفتال للطباعةِ والنشرِ والتوزيع خلالَ الفترة من (1988م إلى 2002م)[2].

وكان لدارِ الفتال _للطباعة والنشر _أثرٌ كبيرٌ في صقل موهبةِ الشاعر؛ فقد أتاحت له الاطّلاعَ على مؤلّفات كبارِ الأدباءِ والشُّعراءِ، وأثّرت فيه بِشكلٍ إيجابيٍّ، واكتسبَ - من خلالِ قراءاتِه ومُطالعاتِه- الخبرةَ والتجربةَ الكبيرةَ والمعاني الغزيرةَ، وقد حاول عرضها في ما نظم من شعرٍ وما كتب من مؤلفاتٍ نثريةٍ، فهي تُعدُّ من أوسع المكتباتِ في كربلاء؛ بِمَا تضمّنته مِن الكتبِ مُختلفِ

[1] – ينظر: على الفتال في انعكاسات المرايا:1\24، وعلى الفتال مراجع سيرته ونتاجه الادبي :10, والاعمال الشعرية :ج456/4.

[2] – ينظر: علي الفتال في انعكاسات المرايا : 7/1, وسطور من الذكريات 91, وزمن وعطاء سيرة ذاتية :339/4–5/3, والاعمال الشعرية :ج457/4–461.

العراقية والعربيةِ، كانت تتحوّلُ المكتبةُ في كثيرٍ مِن الأحيانِ إلَى منتدًى ثقافيٍّ؛ فقد كانت تَجمُّعًا للأُدباءِ والمُثقّفين وكان لهذه المكتبةِ أثرٌ كبيرٌ في الحياةِ الأدبيةِ لِمدينة كربلاء المقدسةِ.

ومن ثم اختُيرَ مُستشارًا لمنتدى الأدباء الشباب في كربلاء(1992م) ضمنَ الهيئةِ الاستشاريةِ للثقافةِ والفنون في كربلاء، وبعدها بعامٍ اختُير عضوًا، ثم أمينًا عامًّا لفرعِ اتّحادِ الأدباءِ والكتّاب، وبعد التغيير السياسيّ الذي حدثَ إثرَ الاحتلالِ الأجنبيّ للبلادِ، وترأّس تحريرَ جريدة (نداء الأُمة) الأُسبوعية في عام(2003م) , وقد توقف العمل فيها بعد صدور ستة اعداد منها، و ترأّس تحريرَ مجلةِ (المعرفة) الشهرية (2005م)، وترك العمل فيها بعد صدور عددها الحادي عشر, ولغرض الاستزادةِ والاغترافِ من العلمِ والمعرفةِ، وبسببِ سِنِّهِ لَم يتمكَّن من الانتظامِ في دراستِه العُليا للحصولِ على درجةٍ عاليةٍ في التّعليمِ النّظاميّ في الجامعات العراقيةِ الرسمية، يتقدّمُ الفتّالُ لدراسةِ الماجستير في الجامعةِ الهولندية الحرَّةِ، ويحصلُ فيها على شهادةِ الماجستير عن رسالتِهِ الموسومةِ: (كربلاء في لغتِها العاميةِ عبرَ التاريخ) في عام (2007م)، ثمّ الدكتوراه عن أطروحتِهِ الموسومةِ بـ(الدرسِ النّحويّ بينَ التُّراثِ والمُعاصرةِ: دراسةً وصفيةَ أسلوبيةً)[1].

وبعد قضاءِ الفتّال رحلةً طويلةً من المشّاقِ والعناءِ، توفّاهُ الله في صباحِ يومِ الثّلاثاءِ التّاسعِ والعشرينِ مِن شهرِ حزيرانَ لِعامِ 2021، وكان قد بلغ من العمرِ ما يُناهزُ الـ85 عامًا، وكان قبل وفاتِه في صراعٍ طويلٍ معَ مرضٍ عضالٍ، وقد خلّف وراءَه ثروةً أدبيّةً كبيرةً؛ لكثرةِ إنتاجِه في ميادين الأدبِ الشّعريّةِ والنّثريّةِ.

ثَانيًا: الصّعيدُ العِلميُّ

كثيرٌ مِن المؤلفاتِ والدراساتِ والأطاريحِ وجّهت عنايتَها إلى الفتّالِ؛ لِمناقشةِ حياتِه وأعمالِه ونتاجاتِه، ومن الكتب التي تناولت سيرتَه ومنجزاتِه الإبداعيةِ والبحثيةِ الآتي[2]:

1- علي الفتال مراجع سيرته ونتاجه الأدبي: للدكتور عبود جودي الحلي, بغداد, 2004م.

2- علي الفتال في انعكاسات المرايا / ثلاث مجلدات: للدكتور عبود جودي الحلي, بغداد , 2022م.

---

[1] – ينظر : زمن وعطاء سيرة ذاتية: 1/ 336, وهؤلاء في حياتي : 346.

[2] – ينظر : علي الفتال, الاعمال الشعرية ,4/462-463.

3- السراج الفاخر: للدكتور سالم هاشم أبو دلة,(د. ت).

4- علي الفتال في مئة سؤال وسؤال: غانم عبد الزهرة.

5- إيليا الفتال يحلُّ طلاسم علي أبي ماضي: توفيق الوائلي, بيروت , 2006م.

6- مدارات الأسئلة: ناظم السعود, 2008م.

7- الحس الوطني والقومي في ديوان الدكتور علي الفتال: للدكتور حسين عدنان الحسيني ,كربلاء , 2010م.

8- الدكتور علي الفتال في لغته الشعرية وأغراض شعره: للدكتور خالد عباس السياب بالاشتراك مع الدكتور حسين عدنان الحسيني, بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء, مج 66, ع/ 2008م.

9- الجهد اللغوي والنحويُّ عند الدكتور علي الفتال: للدكتور عبد الكاظم محسن الياسري.

وقد ترجمت له المؤلفات التي كتبت عن أُدباء العراق أو الحركة الأدبية في كربلاء ومنهم[1]:

1- سلمان هادي طعمة في كتبه:(كربلاء في الذاكرة 1988م ، خزائن كتب كربلاء الحاضرة 1977م، معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء 1999م، تراث كربلاء 1983، معجم الكتاب في كربلاء).
2- دكتورة شهرزاد حسن قاسم في كتابها: مصادر الموسيقى العراقية 1900-1978.
3- حميد المطبعي في موسوعته: موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين 1995م.
4- دكتور صباح نوري المرزوك في موسوعته: معجم المؤلفين والكتاب العراقيين 1970- 2000.
5- حسان الكاتب (السوري) في موسوعته: الموسوعة الميسرة.
6- معجم البابطين، عن أُدباء العراق المعاصرين, 2007م.

ثالثًا:مُؤلَّفاتُه

[1] – الاعمال الشعرية :ج461/4.

يُعدُّ الفتّالُ – عِندَ الحُكمِ عَلى طبيعةِ شعرهِ ونثرِه، ومِن خلالِ مَا حصرتُه لَهُ مِن إصداراتِ دلّت على ثراء انتاجه, واتساع افقه لكثرة متابعته وقراءته في مختلف الاتجاهات و الميادين– شاعرًا بِالدّرجةِ الأولَى، وكاتبًا متعدِّدَ المواهبِ، وفي تعدُّديةِ أغراضِه وتشعُّبِ اختصاصاتِه ما يدلُّ عَلى ذلك, فقد انطلق كشهاب بارقا ساطعا في سماء الادب, متمتعا بخفة الروح في مؤلفاته وفي تعامله مع مجتمعه .

فقد تناول الفتّالُ الموضوعاتِ المتباينةَ في شِعرِه ونثره، ومِن ذلك كتاباتُه في الجوانبِ الدينيَّةِ والاجتماعيَّةِ، كما كتبَ في الطبِّ الشعبيِّ، ومؤلّفاتُه المطبوعةُ بلغت خمسةً وخمسينَ مُؤَلَّفًا بين النَّثريَّةِ و الشعريةِ، وهي:

أ- الكتب: ندرج هنا مؤلفات علي الفتال المطبوعة التي أحصاها في المجلد الرابع من أعمالِه الشعريةِ ونبدأ[1]:

أوَّلًا: جهوده المهنية: أسهم في توثيق النشاطات التي كانت تقام بالمؤسسات التي عمل فيها ومن ذلك:

1- دورة التوثيق والإعلام الصناعي-كربلاء/1979.
2- فعاليات قسم التدريب المهني في المنشأة العامة للتعليب في كربلاء لسنة 1980.
3- الدورات التدريبية في المنشأة العامة للتعليب في كربلاء من 1970-1980/كربلاء - 1985.

ثَانِيًا: الكتبُ النقدية:

1- الحب في لغة نزار قباني- بغداد-1985.
2- نوافذ تستقبل الشمس: بيروت -2007.

ثالثًا: نهج البلاغةِ :

1- الإمام علي في المرآة / كربلاء2002.
2- من خصائص نهج البلاغة / كربلاء2002.
3- المختار من كلام الإمام علي الكرار (عليه السلام)/ كربلاء2002.

رابعا: التراث الشعبيُّ الكربلائي:

[1] -ينظر الاعمال الشعرية : ج4/ 463-469.

1- شهر رمضان في التراث الشعبي الكربلائي/ بيروت2007.
2- الخير والشر في التراث الشعبي الكربلائي/ بيروت2007.
3- حرف يدوية وهوايات شعبية/ بيروت2007.
4- الطب الشعبي بكتاب الحيوان/ بيروت2007.

رابعًا – دراساتٌ أدبيةٌ:

- صاحب الشاهر ابن القرى والوطن الشاعري/بيروت 2007

خامسًا- دراسات حربيةٌ:

- الحرب العالمية الثانية- أحداث مثيرةٌ، وصورٌ نادرة/بيروت 2007

سادسًا - دراساتٌ معاصرةٌ

- ثورة الإمامِ الحسين كيف نفهمها؟ بيروت 2007.

سابعا- بحوثٌ قرآنيةٌ:

- القرآن الكريم في أحاديثنا اليومية/بيروت2007.

ثامنًا- كتبُه المخطوطةُ 35 مخطوطة، منها:

1- أعلام الفكر والأدب في كربلاء
2- أضواء على نهج البلاغة/خمسة أجزاء.
4- الدرس النحوي/ بين التراثِ والمعاصرة- دراسة وصفية أُسلوبية- وهي أُطروحتُه التي نال عنها شهادة الدكتوراه, في الجامعة الهولندية الحرَّةِ, وهي جامعة غير معترف بها من قبل وزارة التعليم العالي العراقية .
5- مرتوى الظمآن من وحي القرآن/1250رباعيَّة شعريَّة .
6- نظرات في تكملة دوزي.
7- كشكول الفتَّال جزآن.
8- هكذا واجهت الحياة سيرة ويوميَّات أربعة أجزاء– بقلمه
9- مفردات أعجميَّة في لغتنا العاميَّة

تاسعًا: دراساتٌ في الأدبِ العاميّ:

1- ملا عبود الكرخي رائد الشعر العامي –بغداد- 1987.
2- من بحور الشعر العامي / الأبوذية –بغداد- 1990.
3- الدرامي قصيدة الحياة المكثفة –بغداد- 2000.

4- التواصل في تراثنا الشعبي/ كربلاء نموذجا- بغداد- 2005.

5- الحبيب في الشعر العامي- بغداد- 2006.

عاشرًا: دراساتٌ في الادب الحديث:

1- صاحب الشاهر ابن القرى والوطن الشاعري –بيروت- 2007.

أحدَ عشرَ: اللغةُ والنحو:

1- قصدية اللغة عند عالم سبيط النيلي –كربلاء- 2002.

2- نظرات في مساعد الكرملي-بيروت- 2007.

ثاني عشرَ: التُّراث:

1- الأحلام في حياة الحيوان الكبرى-بيروت- 2003.

2- حرف يدوية وهوايات شعبية –بيروت-2007.

3- شهر رمضان في التراث الشعبي الكربلائي : بيروت-2007.

4- الخير والشر في التراث الشعبي الكربلائي-بيروت- 2007.

5- نهج البلاغة في التراث الشعبي الكربلائي –بيروت- 2007.

6- التداوي بالحيوان –بيروت-2008.

ثالثَ عشرَ: السيرة:

1- علي الحائري في ذاكرة الادباء –كربلاء-1999.

2- أضواء على الأعلام في كربلاء.

3- سطور من الذكريات-بيروت- 2007.

4- زمن وعطاء (سيرة ويوميات)خمسة أجزاء –كربلاء- 2012.

رَابعَ عشرَ: التراثُ الدينيُّ:

1- المشكِّكُون بنهج البلاغة والرد عليهم- بيروت-2005.

2- الحر الرياحي تاريخ وموقف-بيروت-2005.

3- الإسلام في بعض منطلقاته الفكرية-كربلاء-2013.

خامسَ عشرَ: التّاريخُ الحربيُّ:

1- الحرب العالمية الثانية/ أحداثٌ مثيرةٌ وصورٌ نادرة –بيروت-2008.

2- معجم الأسماء الحِسان من آيات القرآن.

3- ألفاظ أعجمية في لغتنا العامية.

4- كربلاء قبلة المسلمين وفاتيكان العالم.

ب- آثاره الشعرية: نشرت له عدة مجموعات شعرية، وقد كتب في مجالات متنوعة، وقام بجمع أغلب نتاجه في (الاعمال الشعرية الكاملة 1-8) تمّ طبعُه في عام (2013) ومجموعاته الشعرية المطبوعة[1]:

1- براعم صغيرة –النجف-1969,

2- الاحتراق في لهيب الشفاه- بغداد-1984.

3- عيناك بداية الحياة –بغداد-1986.

4- الجرح المنتصر، في العترة النبوية الشريفة -كربلاء- 1990.

5- الدر الموصول في مدح آل الرسول-بيروت- 2005.

6- حل الطلاسم –بيروت-2005.

7- في محكمة الصمت- كربلاء- 2006.

8- هو ذا إذن –كربلاء-2006.

9- الشعر العربي العراقي- 2006.

10- تجلِّيات الفتى يوسف-كربلاء-2006.

11- ترنيمة الدرب الطويل –كربلاء-2006.

12- صهيل الحرف-كربلاء-2006.

13- نشيد العمر-كربلاء-2006.

14- مناغاة في محراب الحب-كربلاء- 2006.

15- مخاضات الزمن -كربلاء- 2006.

16- تجليات الفتى يوسف-كربلاء- 2006.

17- رباعيات الفتَّال في محاكاة الأجيال –بيروت-2006.

18- ورباعيات الفتَّال في واقع الحال-كربلاء- 2012.

19- ومناسك الحج في رحاب الشعر -كربلاء- 2012.

20- رباعيات الخيام (مترجمة عن الفارسية)-بيروت- 2008.

21- وقصة الانسان/ ملحمة شعرية كتبها في كربلاء المقدسة عام 2013

[1] – علي الفتال في انعكاسات المرايا: ق2/ 27–28, والاعمال الشعرية: ج4/464–465.

ومن مختارات في روائع الشعر العربيّ، وهي قصائد جمعَها في سبعة أجزاء وطبعت في- بيروت -2006 وهي: (في وصف العيون، من قصص العشاق، من قصائد الحبِّ، في الحب، فراشات ملونة، وصف الطبيعة، في حب أهل البيت)[1].

على الفتال من شعراء كربلاء، ولد وعاش في ربوعها، ونهل من مترع فيضها، كانت لسيرة الحسين بن علي وأخيه ابي الفضل (عليهم السلام جميعا)، درسا بليغا استلهم الشاعر منه التضحية في سبيل المبدأ والنضال من أجل الغد المشرق وكان هذا الدّيدنَ الذي سار عليه الشعراءُ الكربلائيون المعاصرون، وقد عُرِفَ الشّاعرُ أديبًا مُناضلًا وطنيًّا، وقبلَ ذلك إنسانًا عطوفًا صادقًا وهذا ما لمسنَاهُ من خلالِ شعرِه، ورغم وطنيَّتِه لم يبتعد عن بيان إيمانِه وعقيدته وتمسكه بدينِه، وبالقضية الحسينية وكان ذلك واضحًا من خلال قصائدِه التي ذكرها في محبةِ محمد وآل محمد الأطهار.

رحم الله أديبَنا الراحلَ وأنزل عليهِ تأبين رحمته و مغفرتِه وجليل إحسانه، وجمعَه اللهُ مع محمدٍ وآلِ محمدٍ، وآخرُ دَعوانَا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

[1] –قائمة بمؤلفات الشاعر في مجالات المعرفة المختلفة ينظر: معجم المؤلفين والكتّاب العراقيين(1970.2000) /5/422 .423، والق الشموع/ 153، 154, و الاعمال الشعرية :ج4/464–465.

الباب الأول

المرجعيات الدينية

الفصل الأول

المَرجعِيّاتُ الدّينيّةُ القرآنيّةُ فِي شِعرِ عليّ الفتّال

المبحث الاول: المرجعيات القرآنية المباشرة

المبحث الثاني: المرجعيات القرآنية غير المباشرة

تَوطئةٌ للمفهومِ:

مِن المعلومِ قَطعًا أنَّ أيَّ نَصٍّ مِن النُّصوصِ الإبداعيّةِ مَا هو إلّا مَخاضٌ لِعددٍ مِن النُّصوصِ الّتي سبقتْهُ، فالنصُّ "عادةً ما يكونُ متعديًّا حدودَ ذاتِه، ليمدَّ جسورًا خطابيةً ودلاليةً إلى نصوصٍ أُخرَى"[1] فَهو مُتأثِّرٌ بِطبيعةِ دَورةِ الحياةِ الّتي تَكتسِبُها النُّصوصُ بِعمليّاتِ الإبداعِ في المُنجزاتِ السّابقةِ عَليهِ، ومُؤثِّرٌ كذلكَ فِيمَا يَأتِي بَعدهُ، وذلكَ وَفاقًا لِمَا أنتجتْهُ المَناهجُ السّياقيّةُ، يُطلَقُ على هذا التأثير والتأثر اسمُ المَرجعيَّاتِ أو التّناصيّةِ، أو تَعدِّيَّات النّصِّ، وإنَّ لِهذه المَرجعيَّاتِ – بِحَسبِ مَا تَرِدُ عَليهِ مِن صُورةٍ فِي إبداعِ أحدِ المُبدعينَ – تَأخذُ صُوَرًا مُتباينةً، كالمرجعيّةِ الثّقافيّةِ، والمرجعيّةِ الاجتماعيّةِ، والمَرجعيّةِ الدّينيّةِ.

وقد عمدَ كثيرٌ مِن الشُّعراءِ إلَى الاستِقاءِ مِن مَنابِع الكِتابِ العَزيز وسُنَّةِ النبيِّ المُجتبَى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأفعمُوا خِطاباتِهم الشِّعريّةَ بِتنوع الدّلالةِ الّتي هَيمنتْ في ظَاهرِ النّصِّ وبَاطنِهِ عَلَى المعنَى، فَأدَّتْ بِدَورِهَا إلَى استِنطاقِ معارفِ الشَّاعرِ بِبعضِ مَا يَملِكُ مِن مُخزونٍ ثَقافيٍ ودينيّ، وقد شَاكلَ مَفهومُ المرجِعيَّاتِ – فِي كَثِيرٍ مِن دوافِعِه – مفهومَ التّناصِّ وَأغراضِهِ الّتي مِن أجلِهَا عَمِلَ الشُّعراءُ عَلى استجلابِ النُّصوصِ الخَارجيَّةِ؛ لِتوظيفِهَا في نُصوصِهِم؛ لتقويتِهَا وتَكثيفِ مَعانِيهَا.

وقد كَانَ لِاتّساعِ ثقافته، وَغَزارةِ مَعارفِهِ الدّينيَّةِ أثرٌ في تَشكيلِ مَلامحِ شَخصيَّتِه الدينيّةِ وَبلورةِ ذاتيَّتِهِ عبرَ أثِيرِ هذه المَرجِعيّاتِ، مُتمثِّلَةً في القُرآنِ الكَرِيمِ والحَديثِ النبويِّ، حيثُ جَلَّتْ لَنَا عَن سَعةِ ثَقافتِه وتبحُّرِه في السُنَّةِ النبويَّةِ الّتي ارتكزَ عليهَا في استرفادِهِ لِألفاظِها ومَعانِيهَا معًا، أو لِاستحضَارِ مَعناهَا دونَ لفظِهَا في خطابِهِ، بِصورةٍ واضحةٍ عَلى نَحوِ مَا سَيظهرُ لَنا فِي الإطارِ التّحليليِّ لِهذه النّماذجِ المُختارةِ مِنهَا في هذا الفَصلِ.

[1]) وليد الخشاب، دراسات في تعدي النص ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 1994 ، ص3.

مفهُومُ المَرجعيَّةِ في اللُّغةِ والاصطِلاحِ

أوَّلًا: المرجعيَّةُ لُغةً:

والأصلُ في هذه الكلمةِ، الفعلُ الثُّلاثيُّ (رَجَعَ) بِمعنَى ارتدَّ وعادَ إلَى شيءٍ أو مكانٍ انطلقَ منهُ، و "الرَّجعةُ، مراجعةُ الرجلِ أهلَه بعدَ الطَّلاقِ، وقومٌ يُؤمنونَ بالرجعةِ إلى الدُّنيا قبلَ يومِ القيامةِ"[1]، وجاءَ في المعجمِ الوسيطِ: "يُقالُ: رجعَ، ارتدَّ وانصرفَ، والمرجعُ هو الرُّجوعُ، وما يُرجعُ إليهِ في علمٍ أو أدبٍ من عالِمٍ أو كِتابٍ"[2]، ولم يبعُد عن تلكَ التَعريفاتِ اللغويَّةِ، ما عرَّفَ بهِ مُعجمُ المصطلحات الأدبيَّةِ المعاصرةِ كلمةَ (المرجعِ)، ففي معاناهَا وما تؤدِّيه من وظائفَ يقولُ: "المرجعُ: حقيقةٌ غيرُ لسانيةٍ تستدعيها العلامةُ، والمرجعيةُ: علاقةٌ بين العلامةِ وما تُشيرُ إليهِ"[3]

ورُجوعُ الشَّاعرِ وارتدادُه إلى الأصولِ الأولَى الَّتي سبقتْه، وأسهمت في التأسيسِ لنظرةٍ موسَّعةً عن نوعِ الإبداعِ الذي يُشاركُ فيهِ هو الآنَ، غيرُ معيبٍ ولا مُنتقِص من شَأنِ نصِّه، فـ"ليسَ لأي من أصنافِ القائلينَ غَني عن تناولِ المعاني ممَّن تقدَّمهم، والصبَّ على قوالبِ مَن سبقَهم"[4]، ولو كانَ ذلكَ عيبًا ما كانَ يَشيد ابنُ الأثيرِ بضرورةِ تعلُّقِ المبدعِ من كلِّ علمٍ بسببٍ، من قولِه: "واعلمْ أنَّ صناعةَ تأليفِ الكلامِ من المنظومِ والمنثورِ تفتقرُ إلى آلاتٍ كثيرةٍ، وقد قيلَ: ينبغي للكاتبِ أن يتعلَّقَ بكلِّ علمٍ"[5]

ثَانيًا: المَرجِعيَّةُ اصطِلاحًا:

وليسَ ثَمَّةَ تَباينٌ بينَ مَا تُؤدِّيهِ لُغةُ الفِعلِ الثَّلاثيِّ (رَجَعَ) مِن مَعانٍ، ومَا اصطلحَ عليهِ النقادُ مِن ذلكَ فِي بيانِ مَعنَى المرجعيَّةِ، ومَا تؤلُ إليهِ دلاليًّا عندَ توظيفِهَا في خطابٍ مَا مِن

---

[1]) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق/ د. مهدسي المخزومي – إبراهيم السامرائي، دار الهلال، 248/2, مادة (رجع).

[2]) أحمد حسن الزيات، إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط5، 1996, 331.

[3]) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985 ، 97.

[4]) أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق/ علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1971، 202.

5) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتبِ والشاعر، تحقيق/ بدوي طبانة – أحمد الحوفي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1989, 27/1.

الخَطابَاتِ الإبداعيّةِ شِعرًا ونثرًا، فَقد جاءَ تعريفُ المرجعيَّةِ - اصطلاحًا – لدَى الدكتور مجدي وهبه، علَى أنَّهُ: "ما خلَّفه لنا السَّلفُ من آثارٍ علميَّةٍ وفنيَّةٍ، ممَّا يُعدُّ نفيسًا بالنسبةِ إلى تقاليدِ العصرِ الحاضرِ ورُوحِه"[1] علَى أنَّ الدكتور نعمان بوقرة، ربطَ بينَ المرجعيَّاتِ بِمختلفِ أنواعِهَا والتُّراثِ الذي تَحصَّلَ لِأمَّةٍ مِن الأُمَمِ فَوظَّفَهُ مُبدِعُوها فِي إبداعِهِم، فَعرَّفَ المَرجعيَةَ بِقولِهِ: " العلاقةُ المرجعيَّةُ بينَ العناصرِ، ويُمكنُ هنا أن نستعملَ المُصطلحَ النَّحويَّ (العامليَّة) فوجودُ العنصرِ في اللغةِ ليسَ اعتباطًا، بل هو مُحدَّدٌ من طرفِ العناصرِ التي سبقتْهُ أو تلك الَّتي ستلحقُ بهِ، وتُعدُ العناصرُ الأُخرَى المحددةُ لوظيفةِ هذا العنصرِ بمثابةِ مرجعٍ له"[2]، ويَظهرُ مِن هذه التّعريفاتِ أنّ المَرجعيَّةَ ارتدادُ بِالخِطابِ الحاضرِ إلى الوراءِ؛ للنّهلِ مِن مَعينِ التُّراثِ، والتّمثُّلِ بِهِ في تَضَاعيفِهِ.

أنواعُ المَرجِعيَّاتِ:

وَقد صنَّفَ النُّقادُ المَرجعيّاتِ مِن حَيثُ الشّكلُ الذي يُوظِّفُها بِه المُبدعُ في إبداعِهِ شِعرًا كَانَ أو نَثرًا، وَمِن حيثُ الأثرُ الذي تَعكسُه عَلى الخطابِ فِي النصِّ الشِّعريِّ على صِنفَينِ:

1- المَرجِعيّاتُ المُباشرةُ:

الاقتباسُ المُباشرُ يعنِي: "قيامَ الشَّاعرِ بالالتزامِ بلفظِ النصِّ القرآنيِّ من دونِ تغيير شكلِ الآيةِ أو تحويرِها"[3]، أو أنَّهُ: "إيراد الآياتِ المُقتبسةِ بِنصِّها ولفظِها"[4]، وانطلاقًا مِن هذين التّعريفينِ، يُمكنُ القولُ بِأنَّ الاقتِباسَ المُباشرَ إيرادٌ للآياتِ المُقتبسةِ في النّصِّ الشّعريِّ كما هي في القرآن الكريم لَفظًا ومعنى.

2- المَرجِعيّاتُ غَيرُ المُباشرةِ:

---

[1]) مجدي وهبه، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1997 ,53.

[2]) نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، جدارا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009، 135.

[3]) علي كاظم المصلاوي، الطفيَّات المقولة والإجراء النقدي، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط1، 2012 , 172/ 176.

[4]) عبد الهادي الفكيكي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، محاكاة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 2011، 11.

ويمكن معرفة الاقتباس غير المباشر بأنه محدودٌ بِحَدِّهِ في تعريفِ السيد أحمد الهاشمي، الذي ألمحَ إلى عدمِ مباشرةِ الاقتباسِ من القُرآنِ الكريم أو السُّنَّةِ بقولِه: "هو أن يُضمِّنَ المتكلِّمُ منثورَه أو منظومَه شيئًا من القُرآنِ الكريم أو الحديثِ عَلى وجهٍ لا يُشعرُ أنَّهُ منهما"[1]، فمتَى لَجأَ الشّاعرُ إلَى نَقلِ الآيةِ أو جُزئهَا أو بَعضٍ مِن حديثٍ لهُ (صلى الله عليه واله وسلم)، بِالمعنَى الذي يُمكنُ مَعهُ أن يَقولَ القائلُ بِأنّ ذلكَ ليسَ مِن القُرآنِ الكريم وَلا مِن السّنَّةِ فهذا التّناصُّ غيرُ المُباشرِ، وذلك المعنَى عينُه هو المُستقرُّ في وجدانِ الدكتور طعمة، حيثُ جعلَ الاقتباسَ غيرَ المُباشرِ غيرَ مرتهنٍ بلفظِ الآيةِ المُقتبسةِ، بل إنَّ الاقتباسَ غيرَ المُباشرِ عندَه هو مَا أملَى عَلَى المُبدعِ تغييرَ وتحويرَ اللَّفظِ القُرآنيّ وإحالتَه إلى الطريقةِ التي يلتمسُ بِها الشَّاعرُ الدلالةَ على مُرادِه[2].

وحينَ نَقِفُ في دِراسَتِنَا هذِه علَى كثيرٍ مِن النّماذجِ الشِّعريّةِ للشّاعرِ (علي الفتّال) نَجدُهُ استندَ في تَعزيزِ خِطابِهِ الشِّعريّ، وَتقويةِ دلالاتِه الّتي رَاحَ يَطلُبُها تَحتَ الغرضِ الذي يَنظمُ فِيهِ، إلَى بعضِ المرجعيّاتِ القُدسّيةِ مِن القُرآنِ الكريم والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ، فِي صُورتَيها المُباشرةِ وغيرِ المُباشرةِ، وذلِكَ مِن بَابِ الاقتِباسِ أوّ التّضمينِ، وهو مِمّا لَا يَستغنِيَ عَنهُ صناعتِهِ الإبداعية ، مُنطلَقًا مِن أنَّ لِهذه التّوظيفاتِ قِيمةً إبداعيّةً جَماليَّةً، مُمَثلَّةً فِي هَيمنةِ التّشكُّلاتِ النَّصيَّةِ الدينيةِ عَلَى جَوانِبَ مِن نُصوصِ المُبدعِ، وَأُخرَى دَلاليَّةً يَستهدفُ بِهَا دعمَ فِكرتِهِ الّتي بنَى نَصَّهُ عَليَهَا وتقويتها.

وانطلاقًا مِن أنَّ النصَّ الإبداعيَّ لَا يصمد فِي مواجهةِ النص القرآني و النُّصوصِ الإبداعيّةِ الأُخرَى، ولَاسيَّمَا الّتي سَبقتْهُ زَمنًا، انفتحَ عَلَى آفاقٍ أرحبَ مِن مُجرَّدِ الاقتِصارِ عَلَى فِكرِ مُبدعِهِ، فَمتمثَّلَ فيهِ بعضَ مَا يُسمَّى بِالمرجعيّاتِ، الّتي انقسَمَتْ بِدَورِهَا على مَرجعيَّاتٍ (ثَقافيّةٍ، واجتماعيّةٍ، ودينيّةٍ)، فكانَ النصُّ الإبداعيُّ امتصاص وتحويل مِن عددٍ مِن النُّصوصِ الأُخرَى الّتي سَبقتْهُ زمنًا؛ لِيتحوَّلَ بِذلك النصُّ الإبداعيُّ إلَى خِطابٍ مُتعددِ الرُّؤَى، لَهُ انبساقاتٌ شتَّى أنتجتْهَا خِطاباتٌ أخرَى ذاتِ مرجعيّاتٍ كَثيرةٍ.

---

[1]) السيد أحند الهاشمي، جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1998, 258.

[2]) ينظر: أحمد طعمة الحلبي، التناص بين النظرية والتطبيق، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2007 ، 125.

الاقتِباسُ في اللُغةِ والاصطِلاحِ النّقديّ

أوَّلًا: مفهومُ الاقتِباسِ:

وقد استنطقَ عليّ الفتّال أكثرَ دلالاتِه بالرّبطِ المقاميّ الخارجيّ بينَ أبعاضِ خطابِ القُرآنِ الكَريمِ، أو السُنَّةِ النّبويّةِ مُقتَبسًا مِنهُما مَا يَراهُ ملائِمًا لِدلالِة خِطابِهِ، بِوصفِ الاقتباسِ سَعيٌ من المُتكلّم إلَى: "أن يُضمَّنَ كلامَه كلمةً مِن آيةٍ، أو آيةً تَامَّةً من آياتِ كِتابِ اللهِ تعالَى خاصَّةً...، ومنهم مَن عَدَّ النصَّ المُضمَّنَ من الحديثِ النَّبويّ اقتباسًا"[1]، وقد عمدَ عليّ الفتَال في أكثرِ اقتباساتِه من القُرآنِ والسُنَّةِ إلى العُدولِ عن تضمينِ النُّصوصِ بأشكالِها الواردةِ بِها في المصحفِ أو في أحدِ الأحاديثِ؛ إثباتًا لقوَّتِه في تصريفِ المعاني، وتفاديًا لمحظورٍ شرعيّ قد يقعُ فيهِ، فتغييرُ وجهُ الكلامِ المُقتبسِ ضرورةٌ لا يُمكنُ الحيادُ عنهَا، حيثُ تُعدُّ إيراداتُ الشَّاعرِ للنصِّ المُقتبسِ بلفظِه ومعناهُ من السَّرقاتِ، ما لَم يكُن النصُّ قُرآنًا أو سُنَّةً، فإنَّه من غيرِ هذا البابِ.

وقد خصَّ عدد من البلاغيينَ الاقتباسِ بالقُرآنِ الكريم، فلَم يَعدُّوا ما نُقِلَ من غيرِ القُرآنِ اقتباسًا، ومِن هذا التَّخصيصِ ما ذهبَ إليهِ ابنُ حجةَ الحمويُّ من قولِه: "الاقتباسُ هو: تضمينُ النظمِ أو النثرِ بعضَ القُرآنِ، لا أنَّهُ منهُ، فإنَّه لا يُقالُ منهُ: قالَ اللهُ، ونحوه، فإنَّ ذلك لا يكونُ اقتباسًا"[2]، وهو هُنا يختصُّ مَا يُطلَقُ عليهِ مَفهومُ الاقتباسِ بِمَا نُقِلَ مِن آياتِه إلَى الشّعرِ أو النّثرِ، لأنَّ مَا نُقِلَ مِنهُ مِن القُرآنِ، وَالحقُّ أنَّ مَا ذكرَهُ جُمهورُ البلاغِيينَ مِن أنَّ الاقتباسَ يُطلَقُ عَلى مَا كانَ مِن القُرآنِ الكريم وَما كَانَ مِن السُنَّةِ، وَما ليسَ مِنهُما، ودليلُ ذلكَ مَا ذكرَهُ الدكتورُ بدوي طبانة مِن نصِّه السّابقِ[3].

وإنَّ مِن بواعثِ استرجاعِ المُبدعِ لفكرِ غيرِهِ بِنقلِهِ إلَى مُجمَلِ خطاباتِهِ الإبداعيّةِ، رَغبتُه في بَلورةِ ملامحِ المعنَى الذي يُنتجُه الشّاعرُ، في صُورةٍ مَسُوقةٍ ضِمنًا فِي نصِّهِ؛ لِدعمِ مُرتكزاتِ خِطابِه، وَإعطائِهِ حُجيَّةً مَنشَأُها حرصُ الشّاعرِ عَلى المزجِ بينَ مُنجزِهِ الخِطابيّ ومُنجزِ غيرِهِ مِمّن لَهُم إلَى هذا المعنَى الذي وظَّفَهُ هو فِي نِصِّه سَبقٌ، عَلى أنَّ مَا

---

[1]) بدوي طبانه، معجم البلاغة العربية ، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1988 ، 519.

[2]) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، دراسة وتحقيق: د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 2005, 357/4.

[3]) ينظر: مصطلحات البلاغة العربية، 519.

يَجبُ العِلمُ بِهِ أنَّ سَبقَ أحدِهم لِفكرةٍ مَا أو مَظهرٍ مِن مظاهرِ الدّلالةِ، هَو أساسُ التّناصِّ وركيزةُ الاسترجاعِ الأُمِّ الّتي تَنهضُ بِمضمونِ التّناصيّةِ.

ثَانيًا: فرقٌ بينَ مَفهُومَيِ الاقتِباسِ والتَّضمِينِ:

على أنَّ من العُلماءِ مَن فرَّقَ بينَ التَّضمينِ والاقتِباسِ، وذلكَ أشْكلُ بمقامِ الضَّبطِ والتقعيدِ البلاغيِّ لهذينِ المُصطلَحينِ، ومِن ذلكَ، ما حَدَّ بهِ الكرميُّ، التَّضمينَ بقولِه: "وعِندَ أهلِ البَدِيعِ: أنْ يُضمِّنَ كلامَه شيئًا من كلامِ غيرِه"[1]، ويعني بقولِه: "كلامِ غيرِه" أي الشُّعراءُ والنَّاثرونَ، مستثنيًا كلامَ اللهِ تعالَى، وكلامَ نبيِّه (صلى الله عليه واله وسلم)، فقد عدَّ ذلك اقتباسًا، معَ وحدةِ المفهومِ، ودلَّ علَى هذا بقولِه: ""وإن كانَ من القُرآنِ أو الحديثِ...، فاقتباسٌ"[2]، بيدَ أنَ مذاهبِ أكثرِ البلاغيّينَ لَم تُفرّق بينَ الاقتباسِ والتَّضمِينِ في الاصطلاحِ[3]، وعلَى ذلكَ العَملُ بينَ أكثرِهم؛ ولِذا فإنّي لم أُفرّق بينَها، بل تعاملتُ معهما بوصفِهما اصطلاحًا واحدًا، لسهولةِ الوصولِ إلى الأغراضِ الدلاليّةِ المُستشهدِ بِهما عليها في نماذجَ مُختارةٍ مِن شِعرِ عليّ الفتَّالِ, أما مصطلح المرجعيات فهو مصطلح حديث, ولو بحثنا في كتب البلاغة القديمة سوف لن نجد مصطلح المرجعيات ولكن النص القرآني اسهم في أن "تزيد الكلام قوة وبلاغة كما تضفي عليه حسنا وجمالا إذ تبدو وسطه كالضياء اللامع والنور المشرق"[4], وكان تعامل الشاعر مع المرجعيات الدينية بما يتلاءم والمضمون الشعري الذي يوظف الآية القرآنية؛ لتدل على رغبة الشاعر ومغزاه في ايصال المعنى والصورة المبتغاة لجذب انتباه القارئ.

---

[1]) الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي، القول البديع في علم البديع، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2013 , 70.

[2]) المصدر نفسه، 71 .

[3]) ينظر: الايضاح :342, و محمد احمد قاسم , علوم البلاغة البيان والبديع والمعاني :133, وبدوي طبانة, معجم البلاغة العربية , دار الجيل, لبنان, 1987,519,و احمد مطلوب , معجم مصطلحات البلاغة , مطبعة المعجم العلمي العراقي , بغداد, 1983, مادة اقتبس, ج1/279-274.

[4]) بسيوني عبد الفتاح فيود , علم البديع (دراسة تأريخية وفنية لاصول البلاغة ومسائل البديع) ط3, مؤسسة المختار للنشر والتوزيع , القاهرة , 2010م:261.

ثالثا: براعةُ توظيفِ النصِّ المُقتبسِ:

مِن عَواملِ الحُكمِ عَلَى المُبدعِ بِالإجادة في الاقتباسِ، وَفي إيرادِ المَرجعيّةِ أن يُغيّرَ فِي نَمطِ النصِّ المُقتبسِ مِن أحدِ جِهتَينِ: الأُولَى: إمَّا فِي الشّكلِ، فَلا يُوردِهُ عَلَى صورتِهِ المُنقولَةِ، والثَّانيةُ: بِجَودةِ اختيارِ الموضعِ الّذي يَوظِّفُه فيهِ، لِيُحكمَ لَهُ بِالطّرافةِ وحُسنِ النَقلِ، وعلَى الشُّعراءِ "إذا أخذوها- شيئًا ممَّن تقدَّمهم- أن يكسُوهُ ألفاظًا من عندِهم، ويُبرزُوها في معارضَ من تأليفِهم، ويُوردُوها في غيرِ حِليَتِها الأُولَى"[1] وذلكَ مَا سَنِقفُ عليهِ بِشيءٍ مِن التّفصيلِ فِي تَحليلِ نَماذجَ مِن شِعرِ الفتالِ، فَي معرضِ المَرجعيّاتِ الدّينيّةِ، عَلى وفقِ مَا تُنتِجُه تلكَ المرجعيّاتُ مِن آثارٍ بَلاغيّةٍ تَنعكسُ بِدلالاتِهَا عَلى فَهمِ مغازِي الخِطابِ الشِّعريِّ لَدَيهِ فِي كلِّ غَرضٍ مِن أغراضِهِ عَلَى حِدتِهِ.

[1]) كتاب الصناعتين، 202.

الفصل الاول

المرجعيات القرآنية في شعر الفتال

المَبحثُ الأوَّلُ: الاقتِباسُ القُرآنيُّ المُباشِرُ

وشَأنُ الفَتّالِ فِي شعره شَأنُ كلِّ مُسلمٍ حَريصٍ عَلَى الحِفاظِ عَلَى علاقتِه بِآلِ بيتِ النبيِّ الكِرامِ؛ وذلكَ ممّا يُجلّي عَن دوافعِ النّظمِ في حُبِّهم والتقرُّبِ بِهم إلَى اللهِ تعالَى، ولِمزيدِ صيانةٍ لَهُم، وَطمعٍ فِي أن يَجِدُ بِهِم الزُّلفَى مِن اللهِ تعالَى، يَربطُ بينَ مَا يَقولُه فِيهم ومَا يَعرِضُ لَهُ مِن آياتِ الكِتابِ العزيزِ، فيوظِّفُ الخِطابَ القُرآنيَّ المُباشرَ المُعزِّزَ لِقدرةِ النّظمِ عَلى خَلْقِ مَشهدٍ تَجسيديٍّ لِواقعةٍ بِعينِهَا، في تَحفيزِ الدّلالةِ، وَاستثارةِ المُخاطبينَ وحثِّهم عَلَى التّفاعلِ مَعَ خِطابِه المَدحيِّ في آلِ بيتِ النبيِّ (صلى الله عليه واله وسلم) ومِمّا جاءَ بِه سَعيُه فِي هذا الصّددِ قَولُه في (ملحمة كربلاء)[1]: {بحر الرمل}

وَكـــــــذَا الأَرْذَلُ يَلقَـــــــىَ الأَرْذَلاَ كَـــــرْبِلَا يَـــــا كَـــــرْبِلَا يَـــــا كَـــــرْبِلَا

وَلِهَـــذَا جَمَـــعَ الأَرْذَالُ أَرْذَالَ الرِّجَـــالِ كَـي بِهِـم يُطفِئـوا نُـورَ اللهِ فِـي أَمْـرٍ مُحَـالِ

ففي إطارِ تخصيصِه لِهذا المقطع لحديثِهِ عَن مَقتلِ الإمامِ الحُسينِ (عَليهِ السّلامُ) يُعاقِبُ في المعنَى بينَ دلالةِ خُطابِه الكُليِّ الذي جَعلَ مِنهُ غَلافًا أو إطارًا عَامًّا يَشتملُ عَلَى مَا تحتَهُ، وبعضِ نصٍّ مِن آيةٍ كَريمةٍ مِن سُورةِ التَّوبةِ، من قولِ الله عزَّ مِن قائلٍ: **{ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ }**[2]

فانتظَمَتِ الدّلالةُ التي اختطَّهَا الشّاعرُ لِنفسِهِ فِي مدحِ الحُسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طَالبٍ (عَليهِما السّلامُ) مَعنَيينِ، أحدُهَما عَامٌّ، وهو مَا تمثَّله بِقولِه: "وَلِهذا جَمَعَ الأَرْذالُ أَرْذَالَ الرِّجال" فدلالةُ المعنَى هُنا وَإن كَانتْ جُزئيّةً إلّا أنّهَا اشتملَتْ عَلى مَعنًى كُليٍّ بِمُجاورتِهَا لِهذا النّصِّ المُقتبسِ، والآخرُ: خاصٌّ، أسهمَ بِه الشّاعرُ في إعادةِ تَشكيلِ البنيةِ الدلاليّةِ لِهذا المعنَى العامِّ، وقد اَنبثقت خُصوصيّةُ هذا المعنَى مِن ذلكَ الاقتباسِ الذي آثرَ الشّاعرُ اقتباسه فِي خِطابِهِ، لِقولِ اللهِ (تَبارَك وعلَا): "يُرِيدُونَ أَنْ يُطفِئُوا... الآية"، والحاملُ عَلَى هذا الاقتباسِ طلَبُ الإخبارِ بِأنَّ مَقتلَ الحُسينِ (عليه السلام) كَانَ مُزمعًا عَندَ قاتِليهِ مُسبقًا، وَأنَّهُ كانَ مُتعمَدًا لَا خَطَأً فِيهِ، والقَصدُ مِن وَرائِهِ رغبةُ استئثارِ قَاتِليهِ بِالخلافةِ فِي طَائفةٍ بِعَينِهَا، وحجبِها عَن مُستحقِّيهَا مِن آلِ بيتِ النبيِّ (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) .

---

[1]) عليّ الفتّال، الأعمال الشعريّة الكاملة، 8/29-28

[2]) سورة التوبة، آية: 32

وكانَ فيمَا رويَ عن الإمامِ عليّ بنِ طالبٍ (عليه السلام) أنَّهُ استشرَفَ بأنَّ أرضَ كربلاءَ سيقعُ عليها من الاقتتالِ ما ستكونُ عُقباهُ شهادةَ كثيرٍ من المُسلمينَ فِيها، ودخولُهم الجَّنَّةَ بغيرِ حِسابٍ، وقد أخرجَ بنُ مزاحمٍ المنقري ما نصُّهُ: "غزونا مع عليّ بنِ أبي طالبٍ (عليه السلام) غزوةَ صِفِّينَ، فلمَّا نزلَنا بكربلاءَ صلَّى بِنا صلاةً، فلمَّا سلَّمَ رفعَ إليهِ مِن تُربتِها فشَمَّها، ثمَّ قالَ: واهًا لكِ أيّتُها التُّربةُ، ليُحشَرنَّ منكِ قومٌ يدخلونَ الجنَّةَ بِغيرِ حِسابٍ"[1]

وهذا النصُّ أدلُّ عَلَى المقصودِ مِن الذِّهابِ فِي مُحاولةِ تَفسيرِ مَا ذكرتُه مِن أنَّ حجبَ الخلافةِ عَن آلِ بيتِ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) كانَ أبرزَ مَظاهرِ الفِتنةِ في ذلكَ الوقتِ، ومِن ثمَّةَ جاءَ اجتهادُ الشّاعرِ بالرّبطِ بينَ مَا حدَثَ للحُسينِ (عَليهِ السّلامُ)، ونصِّ الآيةِ سالفةِ الذِّكرِ، باقتباسه لَهَا اقتِباسًا حَرفيًّا يَدعُ القارئَ بِالحُكمِ عَلى أنَّ قتلَ الحُسينِ(عليه السلام) كان مُصاحبًا لِرغبةِ قَاتِليهِ فِي إطفاءِ نُورِ اللهِ، ويعنِي بِهذا النُّورِ مَصدَرَه الذي أنتجَهُ وكانَ مِشكاتَهُ الّتي اَنبثَقَ مِنهَا، وهو النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

وذلكَ تَعلِيقٌ لِلمَعانِي بِمَناطَاتِهَا الّتي هِيَ بِهَا أولَى وَعلىَ أداءِ المقصودِ بِهَا أقدرُ، فنُورُ اللهِ الذي تَجسَّدَ في شَخصِ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) لَمَ يَزل مُمتدًّا في آلِ بيتِه مِن بَعدِه، وَالخِلافُ عَلَى ذلكَ مُؤدٍّ لِاشتعالِ فَتيلِ الفِتنةِ، وَكانَ أوَّلُ اشتعالِهَا مُحاولةَ إطفاءِ هذا النُّورِ، بِمقتلِ الحُسينِ فِي كَربلاءَ، غيرَ أنَّ مَا أرادُوه لَم يَكُن ليتحقَّق لَهُم؛ لِأنَّ إرادةَ اللهِ قَضَتْ بِغيرِ ذلكَ، فظلَّ الحُسينُ (عليه السلام) عَالِقًا بِكلِّ نَفسٍ وكُلِّ قَلبٍ.

ولِمُناسبةِ هذه الآيةِ لِخطابِ الفتَّالِ، عَمدَ إلَى إيرادِهَا عَلَى الصُّورةِ الّتي سِيقتْ بِهَا فِي مَوضِعِهَا مِن سُورةِ التّوبةِ، لَم يُجرِ فِيهَا إبداَعَه الشِّعريَّ؛ مِن أجلِ إحكامِ الغايةِ المُتوَصَّلِ إلَيهَا مِن وراءِ تَوظيفِهَا فِي هذا النصِّ، فالغرضُ هُنا فِي هذا الخِطابِ لَا يَحتملُ: تَداعياتِ الأفكارِ الّتي قَد تَجمحُ بِالمُتلقِّي إلَى تَأمُّلِ نَوعِ الاقتباسِ وَمَدَى توافقِهِ مَعَ الوَاقعةِ الّتي وَظَّفَه الشّاعرُ فِيهَا، بَل يَحتاجُ إلَى الوقوفِ عَلى الحَدَثِ فِي جَلاءٍ، فَلم يَستحدِثِ الفَتَّالُ فِي اللّفظِ تحويرًا جَاذبًا لِتَراكُماتٍ مُعيَّنةٍ قَد تَحيدُ بِالخِطابِ عَن حَقيقةِ المعنيّ بِهِ، فَآثَرَ النّقلَ المُباشرَ وَالاستدلالَ الصّريحَ.

[1]) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، مصر، ط3، 1981 ،140.

1- اقتِباسَاتُ الشّاعرِ القُرآنيَّةُ المُباشرةِ فِي القوميَّةِ.

واستلهم الشاعر الفتّالِ آيات الكتاب الكريم في اثناء الاشادة بالقضايا الوطنية التي يؤمن بها , وبين بَعضِ مَظاهرِ انتمائِهِ لِوطَنِه وشَغفِهِ بِقضايا بِلادِهِ وشِدّةِ انشغالِهِ بِهَا، يَسُوق شعرهُ مُستصحَبًا بِبعضٍ مِن آيَاتِ الذِّكرِ الحكِيمِ، مُعوّلًا عليهَا في إبرازِ المَقصدِ، وتَمكينِ المعنَى فِي ذهنِ مُتلقّيه، مُعالِقًا بينَ مَا هو آخِذٌ فيهِ مِن النّظمِ، ومَا يقوّي بِهِ مِن دلالةِ هذا المعنَى؛ فيقولُ في قصيدته (فتح الفتوح) [1]:{البحر البسيط}

إِنَّـــا فَتَحْنَـــا لَكَـــ الأَبْـــوَابَ مُشْـــرَعَةً فَتْحًـــا مُبينًـــا فَحُـــزتَ النّصـــرَ عُنوانَـــا
فَأنـــتَ فِـــي زَحْمَـــةِ الأيَّـــامِ نَخْوَتُنَـــا وَأَنـــــتَ فِـــي زَحْمَـــةِ الأيَّـــامِ تَرعَانَـــا

وهُنا يُحيلُ الفتّالُ بِضميرِ الخِطابِ الذي توجَّهَ بِهِ إلَى حَاضرٍ فِي ذهنِه، عَلَى العِراقِ، مُجليًّا بِهذا الضّميرِ المَجرورِ باللّامِ الجارَّةِ مِن قولِهِ(لَكَ) عَن خَبيئةِ نَفسِهِ تِجاهَ ذلِكَ الوطنَ الذي أحسَّ بِمدَى مَا امتلكَهُ مِن نفسِهِ، فعبَّرَ عن طويّتِه تِجاهَهُ بِمَا عبَّرَ به القُرآنُ الكريمُ عَن حادثةٍ لَهَا فِي مجرَى تَاريخِ نَشْأةِ دَولَةِ الإسلامِ وتوطيدِ دَعائِمِها وَقعٌ ظاهرٌ، وَقد امتنَّ فيهَا اللهُ تعالَى عَلى الرّسولِ الكريمِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِالفتحِ المُبينِ، وقد نَزلَتْ فِي صُلحِ الحُديبيةِ، وانطلاقًا مِمّا نزلَتْ فيهِ الآيةُ يَسْعَى الفّتالُ إلَى التّوفيقِ بينَ الماضِي والحاضرِ، كمِن خلالِ تَضمينِهِ لِهذه الآيةِ بِلفظِهَا ومعنَاهَا فِي قَولِهِ: "إنَّا فَتَحْنَا لَكَ الأَبْوَابَ مُشْرَعَةً"، مُعالِقًا بينَ نصِّهِ ونصِّ اليةِ الكريمةِ مِن سُورةِ الفَتحِ، مِن قولِ اللهِ تَعالَى: **{ إِنَّـا فَتَحْنَـا لَـكَ فَتْحًـا مُّبِينًـا }**[2]، مُؤطِّرًا لِعلاقةِ خِطابِه بِمَا جاءَ في كلامِ اللهِ تعالَى.

وما ذلِكَ إلّا للإشادَةِ بِالقوَّةِ المُستمدّةِ مِن اللهِ تعالَى، الّتي كَتبَ بِهَا لهذا الوطنَ الفتحَ المُبينَ عَلَى يدِ جُنودِهِ الأبطالِ الذينَ استعارَ لهُم صُورةَ عليٍّ الكرارِ (عليهِ السّلامُ) فِي صَنِيعِه بِالمُشركينَ، وقد استعارَ لقُوَّتِهِم في الفَتْكِ بِأعدائِهِم صُورةَ ذِي الفِقار، وهو سَيفُ الإمامِ عليٍّ (كرَّمَ اللهُ تعالَى وَجهَهُ) مُعبِرًا عَن ذلِكَ بِقولِهِ في القصيدة نفسها[3]:{البحر البسيط}

---

1) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 186/2.

2) سورة الفتح: 1.

3) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 189 .

فَكُلُّنَـــا فِـــي دُرُوبِ المَجْـــدِ حَيـــدَرَةٌ وَذُوا الفِقَـــارِ سَـــتَلْظَى مِنـــهُ يُمْنَانَـــا

لتكتمِلُ لَديهِ مَلامحُ القوَّةُ فِي معناهَا التّامّ، قوَّةِ البُنيانِ والعزيمةِ، وقوَّةُ الآلَةِ المستعملةِ في الفتحِ، ومِن ثمَّ فإنَّ مَرجعيَّةَ التّعالقِ الدّينيّ المُباشرِ الذي ربطَ فيهِ الشّاعرُ بينَ كلامِهِ هو، وما عَرَضَ لهُ مِن كَلامِ اللهِ تَعالَى، مِن قولِهِ (عزَّ وجلَّ): **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا}** متعلِّقةٌ برغبةِ الشّاعرِ فِي تَحريرِ المعنَى بالاتِّكاءِ عَلَى مَا يُقوّيهِ وَيغرسُ في نفوسِ مُخاطبيهِ بِهِ التشوُّفَ لِأن يَكونَ كلٌّ منهُم وَاحدًا مِن هؤلاءِ الذين شَابهوا عليًّا (عليهِ السّلامُ).

وحيثُ كانَ انتقالُ الشّاعرِ مِن مَصدرِه الدّينيّ الذي وَظَّفَ فيهِ جُزءًا مِن آيةٍ قرآنيّةٍ مِن سُورةِ الفَتحِ، تَوظيفًا لَفظيًّا ودلاليًّا مُباشرًا، إلَى هذا النَّصرِ الذي يَأملُ فِي تَحقيقِه، يُعزّزُ مِن القيمةِ البَلاغيةِ المُستمدَّةِ مِن اللفظِ القُرآنيّ بِهذا الاقتباسِ، وَيحقّقُ بِهذه المَرجعيّةِ المُباشرةِ مُعادلةً بينَ نَسَقَينِ مَعرفيينِ مُختلفينِ من أنساقِ الدلالةِ، فَمسَاقُ الآيةِ وإن تشابَه في قليلِه معَ خِطاب الشَّاعرِ، إلَّا أنَّه يختلفُ عنهُ في أكثرِه، فإنَّ استحضَارَ الفَتَّالِ لهذا النصِّ القُرآنيّ هُنا لمَ يَكُن لمُجرَّدِ الاستئناسِ بِهِ، وإنَّما لرغبةِ التأكيدِ على أنَّ النَّصرَ والفتحَ المُبينَ الذي كتبَه الله لبعضِ عبادِه، مِن مُحصِّلاتِ إيمانِهم به، ويقينِهم في أنَّ النَّصرَ لا يكونُ إلَّا مِن عِنده.

ومِن سِماتِ التّعزيزِ المَعنويّ المُنعكسةِ بِأثرِهَا عَلَى الدّلالةِ المُرادةِ مِن الخِطابِ الشّعريّ لَدَى الفتالِ، فِي إبرازِ ملامحِ الانتصارِ الرّبانيّ عَلَى القُوَى البَشريّةِ المُتضَائلةِ في مُقابِل هذِه القُوَى الإلهيّةِ، قَولُه تَأييدًا للقضيّةِ الفلسطينيّةِ، عَبْرَ تَوظيفِ المَرجعيَّةِ القُرآنيّةِ المُباشرةِ في قصيدته (حجر من سجيل)[1]:{البحر المتدارك}

حَجَـــرٌ حَجَـــرٌ مِـــن سِـــجِّيلْ نَحْمِلُـــه جِـــيلًا عَـــن جِيـــلْ
حَتَّـــى نَجعَلَهُـــم مِـــن هَلَـــعٍ يَمضُـــونَ كَعصْـــفٍ مَأْكُـــولْ

فليسَ ثمَّةَ مَا يحصرُ دلالةَ التَّعالقِ التّناصيّ بينَ آياتِ سُورةِ الفِيلِ وقولِ الفتّالِ هُنا، ونجد تنغيما جميلا فقد ورد لإظهار جمال الاقتباس وليس لمُجرَّدِ حرصِ الشّاعرِ عَلَى إثراءِ المعنَى وَتَعزيزِهِ وحسبُ، بل إنّ وراءَ هذه المرجعيّةِ مظهَرًا مِن مظاهرِ الحملِ والإكراهِ، فالفتّالُ هُنا يُكرِهُ الخِطابَ عَلى أن يَنطقَ بِمضمونِه دونَ أدنَى مُحاولةٍ من المُتلقّي لذلك، وقد تمثَّلَ فِي هذا

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 325 .

النّصّ صُورةَ الشّعبِ الفلسطينيّ حيالَ قضيّتِه الّتي لَا يَجدُ مِن الانظمة العَربِية مَن يُعينُه عَلَى حَلِّهَا، أوَ إثباتِ حقّهِم في مُناقشتِهَا عَلى حَدٍّ سَواءٍ كما يفعلونَ مَعَ الطّرفِ البَغيضِ الكِيانِ الصّهيونيّ.

وقد استغلَّ الفتالُ مظاهرَ العدوانِ الّتي يَلجأُ إليهَا هذا الكِيانُ عَلى الشّعبِ الفلسطينيّ الأعزلِ، الذي لَا يملكُ إلَّا أن يقفَ في مواجهةِ قاتِليهِ صامدًا مُتدَرّعًا بِالأحجارِ في مَقابلِ مَا يستعملُه الطّرفُ الآخرُ مِن الرصاصِ والصّواريخِ ووسائلِ القتلِ الحديثةِ، لِكي يُرغموهم عَلى التّخلّي عَن أرضِهم وَتركِ أوطانِهم لَهُم رَاغِمينَ، في تَجسيدِ المشهدِ الدّراميّ بِحملِ المُتلقّي عَلى تَمثُّلِ المَشهدِ كأنّهُ يَراهُ شَاخصًا لِعينَيهِ، فضمَّ إلَى كلامِهِ شيئاً من كلامَ العليّ القديرِ سُبحانَهُ مِن سُورةِ الفِيلِ: **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ }** [1]

فَإنَّ فِي تلكَ الآياتِ مِن مَظاهرِ الدّفاعِ الإلهيّ عَن عِبادِه المُؤمنينِ، وعَن مُقدَّساتِهِم، مَا هو مَعلومٌ مِن خُصوصيّةِ إنزالِهَا، حيثُ نَزلَتْ تذكيرًا للنبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) ولِقُريشٍ بِنعمتِه الّتي أنعمَها عليهِم بِأن دَفَعَ عَنهُم يَدَ البَغيِ، بِمَا أرسلَهُ عَلَى المُعتدَينَ مِن طَيرٍ أبابِيلَ تَحملُ أحجارًا صِغارًا دمَّرَ اللهُ بِهَا أبرهَةَ وجيشَهُ ورَفعَ عَن الكعبةِ البلاءِ[2]؛ ولِمُضاهاةِ تلكَ القصّةِ فِي شيءٍ مِن عمومِ دَلالتِها عمِلَ الفتّالُ عَلَى تَضمينِهَا في خِطابِه هذا، استدلالًا بِهَا عَلَى أنَّ مَا يُستهانُ بِهِ مِن سِلاحِ الفَلسطينيينَ الذي لَا يُجاوزُ الأحجارَ، سيكونُ أحرُّ عَلى عدوّهم مِن قَنابِلِهم وَأسلحتِهم؛ لِأنَّ هذه الأحجارَ مُرسلةٌ عليهم بِتأييدٍ مِن السّماءِ.

وفي ذهابِهِ إلَى تَأييدِ مدلولِ الآياتِ لِهذا الغرضِ الذي أوردَهَا فيهِ عَلَى سبيلِ التّضمينِ والاقتِباسِ , إذ يقتبس شيئاً من الآياتِ مِن قولِهِ: "كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ" بِقضّهَا وقَضِيضِهَا بينَ مُفرداتِهِ الشّعريّةِ، ويسوقُهَا عَلى وجهِهَا الذي نَزلَتْ بِهِ مِن غيرِ تَحويرٍ مِنهُ للمعنَى أو تغييرٍ مِنهُ في اللّفظِ؛ استدلالًا بِهَا عَلى أنَّ حوادثَ الدّهرِ لَا تَنقضِي مَهما انقضَتْ أزمنةُ النّاسِ، وأنَّ الآياتِ وإن كانت مخصوصةً بِحدثٍ مَا نزلَتْ فيهِ، إلّا أنَّهَا تَظلُّ تُفرِزُ تَأثيرَهَا فِي كلِّ قضيّةٍ مِن قَضَايَا الإسلامِ تشبِه وقائِعَ نزولِهَا، فيبقَى دورُها مَا بَقِيَ القُرآنُ.

---

[1]) سورة الفيل: آية/ 1 -2-3 .

[2]) ينظر: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001 ,523/5.

2- اقتِباساتُ الشّاعرِ القرآنية المُباشرةُ فِي الحِكمَةِ:

ومِن مُجليَّاتِ هذا النّوعِ مِن الاقتباساتِ الّتي بَاشرَ فيهَا الشّاعرُ علي الفتّالُ إيرادَ بَعضٍ مِن آيةٍ في كِلامِهِ عَلَى سبيلِ التّأطيرِ بِه للمعنَى المنشودِ من النّظمِ، وَتعزيزِ الغايةِ المرجُوَّةِ ودعمِ رَكائزِ بِناءِ الخطابِ الشّعريّ، قولُهُ فِي الحِكمةِ من قصيدة (الدنيا) [1] :(بحر الخفيف)

تِلْـــكَ دُنيـــاكَ لَـــمْ تَكُـــن لِبَقَـــاءِ إنّمَـــا لامتِحـــانِ يَـــومٍ رَهِيـــبْ

إنَّ هـــذا مُسَـــطّرٌ فِـــي كِتـــابٍ وَهْـوَ فِـي سِـدْرَةٍ سَـمَتْ مَحْسُـوبْ

إنّما أرادَ الشّاعرُ تَنبيهَ الغافلينَ عَن اليومِ الآخرِ، بِحكمةٍ فلّما تجاوزَ المُتكلّمُ فيهَا الاستدلالَ بشيءٍ مِن القُرآنِ الكريم ، إلَى أنَّ كلَّ مَا تخطُّه الأيدِي وَتسيرُ إليهِ الأرجلُ ويفعلُه الفاعلُونَ مَحسوبٌ عليهم مَسطورٌ في كِتابِهِم الذي يشهدُ عليهِم يومَ القيامةِ، ولكنّهُ تعرَّضَ هُنا لذلِكَ المعنَى الذي أرادَ إحالةَ القارئَ بِهِ عَلَى مَدَى مَا يحفُّه مِن خطورةٍ بِتضمينِهِ بعضَ آيتَينِ مِن الكِتابِ العزيزِ، فَمظهرُ التّشابكِ بَينَ قولِهِ: "إنَّ هذه مُسَطَّرٌ فِي كِتابٍ" وبينَ قولِه عزَّ وجلَّ: {وَٱلطُّورِ (1) وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ (2) فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ (3)} [2] أظهَرُ مِن أن يتأوَّلُه مُتأوّلٌ، فالمعنَى عَلَى أنَّ مَا يَقترفُه الإنسانُ مِن فِعالٍ سَيُكتَبُ عليهِ وَيُحاسَبُ بِه يَومَ تَشهدُ الكُتُبُ عَلَى أصاحبِهَا فَلا تُقامُ لهُم عِندئذٍ حُجَّةٌ.

ومدلولُ هذا الاقتباس المُباشرِ بينَ ما ذهبَ الشّاعرُ إلَيهِ فِي مَقالِتِه، ومَا سَاقَهُ مِن القُرآنِ الكَريم يَدورُ حولَ التّحذيرِ والوعظِ، وَكانَ استدلالُه بِهذه الآيةِ مِن الكِتابِ العزيزِ أشبه بِمقامِ التّحذيرِ والوعظِ؛ لِمَا فِي القُرآنِ مِن قُوَّةِ البُرهانِ وشِدَّةِ الصّدقِ الّتي لَا تتوفَّرُ في كلامِ البَشَرِ، فَألجأته هذه الدّلالةُ المُتوخَّاةُ مِن الحِكمةِ إلَى الاقتباسِ المُباشرِ مِن كلامِ ربِّ العِبادِ دَعمًا للغايةِ وتعزيزًا للمعنَى.

والكتابُ المَسطورُ المُشارُ إليهِ في الآيةِ الكريمةِ، وفي قولِ الفتَّالِ، هو "الكتابُ المُنتسخُ من اللَّوحِ المحفوظِ للملائكةِ؛ لتعرفَ منهُ جميعَ ما يفعلُه وتصرُّفَه في العالمِ"[3]، وهذا مَا عليهِ دورانُ الدلالةِ ومناطُ الحديثِ، فكلُّ إنسانٍ مُحاسبٌ عَلَى اختيارِهِ الذي يَعلمُه المولَى عنهُ سَلفًا، ويُؤيّد ذلك ذهابُ الأئمةِ إلى أنَّ معنَى المسطورِ "الكتابُ الذي فيهِ أعمالُ

---

[1]) علي الفتال، ديوانه، 7/8 .

[2]) سورة الطور: 1 :3 .

[3]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص1770.

الخلقِ"[1]، فهاتَانِ الدّلالتَانِ تُفعِمانِ الخِطابَ وتُثريانِه بِما لَو حرصَ الفتّالُ عَلى استرفادِه مِن كَلامٍ سِوَى القُرآنِ الكريم لَم يَقدرِ عَلى التّعبيرِ عن مطلوبِه بِهذه القوَةِ.

ومَظهَرُ استرفادِ الفتّالِ لِهذا المعنَى مِن الاقتباسِ القَرآنيّ المُباشرِ، قَدَ يُدخِلُه مِن لَا وسْعَ لهُ بِجمعيّةِ مُرادِه تَحتَ الاقتِباسِ غيرِ المُباشرِ لِتحريكِ الشّاعرِ للألفاظِ عَن مواضِعِها، وَالقولُ أنّهُ لا اختيارَ لهُ في ذلِكَ، بَل إنَّ الوزنَ العروضيَّ والقَافيةَ هُما مَا أملِيَا عَليهِ تَحريكَ بعضِ هذه الألفاظِ مِن أماكِنِها التي استحقَتْهَا في الآيةِ إلَى مَا يَجعلُ مِنهَا كَلامًا بشريًّا مُنصرفًا عَن قُرآنيَتِه فِي اللّفظِ دونَ المعنَى، وهو معَ ذلِكَ نصَّ عَلى مَا تنصُّ عليهِ الآيةُ دونَ تحويلٍ أو تحويرٍ إلّا مَا ليسَ يَذهبُ بِاللفظِ ولا بِالمعنَى.

أمّا استدلالُه الثّانِي فَليسَ ذلِكَ محلَّه؛ لِأنّهُ مِن الاقتباساتِ الّتي تَلوحُ فِيهَا مَعانِي القُرآنِ، غَيرَ أنَّ الحِيادَ بِألفاظِهَا عَن جَادَّةِ اللفظِ القُرآنيّ جَعلَتْ مِنهُ اقتباسًا غيرَ مُباشرٍ، وهو مُسْتَلٌّ مِن قولِ المَولَى تَعالَى: **{وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ }** [2]، حيثُ ضَمَّنَ قولَهُ: "وَهوَ فِي سِدْرَةٍ سَمَتْ مَحْسُوبُ"، والظّاهرُ مِن قِرانِ الشّاعرِ بينَ هذين المَعنيين أنّهُ تَعمَّدَ ذلِكَ، فَالسُّورتانِ اللّتانِ سَاقَ مِنهُما التّناصَّ القُرآنيَّ مُتتابِعتَانِ، فسُورةُ النّجمِ تَابعةٌ في التّرتيبِ للطُّورِ؛ وذلِكَ بُرهانُ صِدقٍ عَلى اتّساعِ ثَقافةِ عليّ الفتّال القُرآنيّةِ.

غيرَ أنّ الشّاعرَ لَم يَلبث إلّا قَليلًا حتّى سَاقَ مَا يُرشِدُ إلَى احتكامِه فِي الاستدلالِ عَلى غايتِه مِن هذا الخِطابِ إلَى الاقتِباسِ المُباشرِ مِن القُرآنِ الكريمِ، حينَ قالَ مِن البيت الثّالثةَ عشرةَ مِن القصيدةِ نَفسِهَا[3]:

سِــدرَةُ المُنتَهَــى تَسَــامَتْ، وإنَّــا لَــمْ نَــرَ الأمْــرَ غيــرَ وَهْــمٍ غَريــبِ!

لِيجعَل بِملكَتِه الشّعريَّةِ البَاذخةِ، الاقتباسَ غيرَ المُباشرِ الّذي بدَأَ بِه إطارًا لِهذا الاقتباسِ المُباشرِ، ودليلًا عليهِ يتوصَّلُ بِهِ إلَيهِ.

---

[1]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، 1770 .

[2]) سورة النجم، 13:14.

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 8/8 .

وَمِن الحِكمةِ التي أثرّت في النُّفوسِ، قولُ الشاعر عليّ الفتّال، الّذي طابقَ بِهِ بَعضَ مَا أقرَّهُ القُرآنُ الكريمُ، فِي الدّلالةِ عَلَى أنَّ الإنسانَ مَتى حَضَرَهُ الموتُ فَإنَّه لَا يدري متَى ولا أينَ سَيكونُ ذلِكَ؛ فقال في قصيدته بعنوان الفقر والغنى[1]: (بحر الوافر)

فَــلَا تَــدْرِي النُّفُــوسُ بِــأيِّ أرْضٍ غَــدًا تَفنَــى، فَتُحــرَمُ مِــن أَنِــيسِ!

وذلِكَ في إطارِ دَعوتِه إلَى بَسطِ اليدِ بِمَا فِيهَا مِن مالٍ عَلَى مُستحقّيهِ مِن الفُقراءِ والمَساكِينِ، يَأتِي تذكيرُه لَذوي الأموالِ بِالموتِ الذي يَفاجئُهُم دونَ مَوعدٍ مُحدَّدٍ ولا إنذارٍ، فَيحلُّ بِهِم عَلى أيِّ حالَةٍ كانوا وَفي أيِّ منزلٍ نَزلوا، مُقتَبِسًا ذلِكَ المعنَى العَمِيقِ مِن كِتابِ اللهِ (عزَّ وجلَّ)، مُعالِقًا بينَ كلامِهِ هو وكلامِ رَبِّ العِبادِ؛ لِيُعطِي الحَدِيثَ قوَّةً وحُجِيَّةً تَنهضُ بِهَا الدّلالةُ، فَإنَّ في قَولِه هذا مَا يُلمِحُ بِهِ إلَى المَعنَى نَفسِه الذي وَردَ في قولِ الله تبارك وعلَا:

{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ }[2], هذا وإنَّ مُطابقةَ الشّاعرِ بينَ معنَاهُ ومعنَى الآيَةِ لَم يَكُن بِغرضِ التّنويهِ بِهذه الحالةِ الّتي قَد يُقبَضُ عَليهَا المرءُ مِن عدمِ العِلمِ بِالمَكانِ الذي يَحلُّ فِيهِ أجلُه وحسبُ، فهو دلالةٌ فرعيَّةٌ أنتجَهَا الخِطابُ مُترتِّبةً عَلى تلكَ الأصيلَةِ الّتي عمَدَ إلَيهَا الشّاعرُ، ونصَّ عليهَا في قصيدة الفقر والغنى ؛بِقولِهِ[3]:(بحر الوافر)

إِذَا لَــمْ تَبسُــطِ الأَيْــدِي بِجُــودٍ سَــتَبْقَى رَهْــنَ مَحْبَسِــكَ الرَّسِــيسِ

فهو هُنا يَرغبُ في مُكاشفةِ المُمسِكينَ بِأنّ إمسَاكَهُم سَيكونُ وبالًا عَليهم فِي حَالِ وافتْهُم المنيَّةُ وهُم عَلى تِلك الحالِ، فهذا الامساك سيحرمهم من الجنَّةِ وَنعيمِهَا، ومِن ثَمَّ جاءَ المعنَى مُضمَّنًا دلالَتَينِ، إحداهما: الّتي دلَّ عليهَا بِقولِهِ المُتعالقِ مَع نصِّ الآيةِ الكريمةِ تعالقًا غيرَ مُباشرٍ، والثّانيةُ: الّتي نصَّ عَليهَا الشّاعرُ بِخِطابِهِ مِن البيتِ السّالفِ، وهو تَحريضُ وحثُّ المُسلِمينَ عَلى الإنفاقِ ابتغاءً لمرضاتِ اللهِ تعالَى، فَأفادَ مِن هذا الاقتباسِ بِأن نَسَجَ بينَ الفِكرتَينِ الفرعيَّتينِ مِن هذا النّصِّ، وَعوَّضَ النقصَ الذي عساهُ يَعتورُ كلامَهُ بِكلامِ المولَى جلَّ شَأنُه، فَاكتملَ لديهِ مِن الدلالاتِ مَا يَتثبَّتُ بِه المُتلقِّي مِن يقينيّةِ حديثِ الشّاعرِ إليهِ؛ فيحمِلُه ذلِكَ عَلَى الإذعانِ والتّصديقِ، ويشجّعُه عَلَى السّعي في الإنفاقِ والعملِ علَى ذلِكَ.

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 6/3

[2]) سورة لقمان:34.

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية لكاملة، 7/3

3- اقتِباساتُ الشّاعرِ القُرآنيّةُ المُباشرةُ في الدّعوةِ للسّلامِ

إنَّ دعـوةَ الفتّـالِ للحـربِ والجِهـادِ فـي كَثيـرٍ مِـن قَصـائدِهِ؛ طَلَبًـا لِإرجـاعِ الحقـوقِ إلَـى أصَحابِهَا، تُقابِلُها دعوةٌ أُخرَى، تَقعُ مِنهَا علـىَ قدَمِ المُساواةِ، يُحرّضُ فيهَا الشّاعرُ عَلى إقرار السّلامِ العـادلِ بينَ الشُّعوبِ، وفِـي كُلٍّ يَسعَى إلَـى تَعزيـزِ مضمونِ خِطابِـه بِبعضِ المرجعيّـاتِ الدّينيّةِ الّتي تَجعلُ لَهُ قوَّةً دلاليَّةً، وتُضفِي عَليهِ شَرعيَّةً في المُطالبةِ بِهِ، ومِن هذا المُنطلَقِ، يَقولُ في قصيدته (بغداد قلعة المجد) داعيًا للسّلمِ مُشجّعًا عَليهِ[1]:{ بحر الرمل}

قَلْعَـــةُ المَجـــدِ وَعُنـــوانُ الإبَـــا إنَّهَـــا بَغـــدَادُنا عَبْـــرَ السِّـــنِينْ
لَكُـــمُ أَبْوَابُهـــا مُشـــرَّعَةٌ فَـــ(ادخُلُوهَا بِسَـــلَامٍ آمِنِـــينْ)

مُسبِغًا عَلى بَغدادَ صِفَةَ السّلامِ، تلكَ الصّفةُ الّتي عَرضَ للخطيبِ البغداديّ أن يُلحِقَهَا بِهذه المَدينةِ جَاعِلًا مِنهَا عنوانًا عَليهَا[2]؛ لِأنّها كَانت وَلَم تَزل أحقَّ المُدنِ بهذه التّسميةِ، وقد عَالقَ بينَ مَا جاءَ مِن نِعتِ بَغدادَ بِهذهِ الصِّفةِ تَيمُّنًا وتبرُّكًا بِهذا النعتِ، ولِأنّـهُ يَنشُدُ حقّـهُ هوَ وغيرُهُ في السّلامِ اذي يَفتقدُ العـالمُ إليـهِ، لَاسيّمَا مَن تَجرَّعُوا وَيلاتِ الحُروبِ، وَاعتـاشَ الغربُ أقواتِهم ودِمائِهِم، وسَلبُوا خيراتِ أوطانِهم، مُتوجّهًا إليهِم بِما لَا بُدَّ لَهُ مِن مُناشدتِهم بِـه؛ لِكـي يَحلَّ السّلامُ على البِلادِ والعِبادِ، ويعيشَ النّاسُ في رخاءٍ مُتحابّينَ، ولِبراعةِ اللُّغةِ الشّعريّةِ الّتي تُحيلُ المَعـانِي مِن أشكالِهَا التّقريريّةِ وَصِفاتِهَا المَألوفةِ، إلَى قوالِبَ أخَّـاذةٍ ذاتِ دلالاتٍ ثُنائيّـةٍ تَجمـعُ تَحتَهَا القِيَمَ الجَماليَّةَ والقِيَمَ الدّلاليَّةَ، يجتهدُ الفتّالُ في صِـوغِ قضيّةِ الدّعوةِ للسّلامِ بِهذه اللُّغـةِ الفنيّـةِ، لِيُخرِجَ الخِطابَ لَنَا عَلى الصُّورةِ المُشَكِّلَةِ لِملامِحِ لِهذهِ الدّلالـةِ بِمَـا يَقومُ مقامَ الحُجَّـةِ؛ وذلكَ مِن خِلالِ تَوظيفِـــه للمرجعيّـــةِ القُرآنيّـــةِ المُباشـــرةِ، مِـــن قـــولِ المـــولَى تبـــارَك وَتعـــالَى: **{ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ }**[3] وهو مِن الاقتبـاسِ المُباشرِ الّذي لَا يَمترِي باحثٌ في أنّهُ مِن القُرآنِ بِلفظِهِ ومعنَاهُ، غيرَ أنَّ استحضارَهُ في الشّعرِ لَا يُؤدّي إلَى كونِـه قُرآنًا عَلى الحقيقةِ.

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 357

[2]) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام، 3/1، حيثُ قالَ: "هذا كتاب تاريخ بغداد (مدينة السلام)، وخبر بنائها، وذكر كبراء نزّالها، وذكر وارديها وتسمية علمائها...إلخ"

[3]) سورة الحجر: آية 45 – 46

وإنَ الانعكاسَ الدّلاليَّ لِاستحضَارِ هذه الآيـةِ فـي هذا الموقـعِ، يُؤذنُ بِرغبـةِ استحضـارِ الشّاعرِ لصورةِ الجنَّةِ الّتي هِيَ دارُ السّلامِ في هذه المُناسبةِ الداعمةِ لإقرارِ السّلامِ بينَ الشُّعوبِ؛ فِلأنَّ الجنَّةَ دارٌ لا خِلافَ فيهَا بينَ أحدٍ، وَلا صِـراعَ عَلـى أرضٍ ولا وَطـنٍ، شبَّهَ الشّـاعرُ بغدادَ بِهَا، تَلويحًا بِأنَّ مطلبَهُ قد لَا يَجِدُ سبيلَهُ إلَى التّحقُّقِ؛ لِأنَّ تَحقُّقَه يَقرِنُ بينَ حيـاةِ النّـاسِ فـي الـدُّنيا وَحياتِهم في الجّنَّةِ في الآخرَةِ، ولِأنّهُ مِن جَانبٍ آخرَ أرَادَ بِهذه المُشـابهةِ أن يجعلَ بَغدَادَ بمنزلـةِ الجّنَّةِ.

4- اقتِبَاسَاتُ الشّاعرِ القُرآنيَّةُ المُباشرةُ فِي الغَزَلِ والنَّسيبِ

ومِمّا ألْجَأَ الفَتّالَ إلَى الاقتبَاسِ القُرآنيّ المُباشرِ، طَلَبُ الدُّعاءِ عَلَى السّارقينَ، والتّعريضُ بِفعلِهِم الشّنيعِ فِي غَزليَّتِهِ الّتي اتّخذ منهَا مَناطًا لِتعليقِ بَعضِ كَلامِه بِبعضِ كَلامٍ للهِ (عزَّ وجلَّ)؛ وذلكَ مِن قولِهِ مِن قصَيدتِه الّتي عنونَ لَهَا بِـ-الزَّهرةِ المَسرُوقةِ-[1]:{ مجزوء الخفيف}

ظَلَمُوكِ إذْ سَرَقُوكِ مِنّي

وَيْلَهُم مِن أَغْبَياءِ!
تَبَّتْ يَدٌ مُدَّتْ إلَيكِ

فَأنتِ لِي زَادِي وَمَائِي

إنَّ النّظرةَ الأولَى لِهذه الغَزليَّةِ تُحيلُ عَلَى مَعانٍ مشتَّتةٍ لَا يتضمنها كَلامُ وَاحدٌ، فَليسَ يَجمعُ الغزلُ والدُّعاءُ عَلى السّارقينِ جَامعٌ، وَلكنَّ الفتّال ينسجُ هذين العُنصرينِ في مِنوالٍ وَاحدٍ ببراعةِ الشّاعرِ المُتفنّنِ، فقد جعلَ الدُّعاءَ عَلَى السّارقينَ بتَبابِ الأيادِي امتدادًا لتغزُّلِه فِي مَحبوبتِه الّتي فَارقتْهُ وَنأتْ عَنهُ، معتمدًا فَي ذلكَ عَلَى أنَّ لِهذا النّأي أسبابًا مَعلومةً، جرَّهَا عليهِ بِمَا أدَّى إلَى الفراقِ بينَهُ وبينَهَا أيادٍ كانَ مِن شَأنِهَا مَعهما أن تُفرّقَ بينَهُما.

لقد عبَّرَ عَن سَعي السّاعينَ في فرقتِهما بَالسَّرقةِ، ومِن ثمَّ دَعَا عَليهم بَالتَّبابِ، وقد مرَّرَ المعنَى هُنا عَبرَ بوَّابةِ القرآنِ، فَاقتبسَ شيئاً من نَصَّ الآيةِ الكريمةِ القائلةِ: **{تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ }**[2]، ليكونَ الدُّعاءُ أثبتَ وَأوثقَ مِن لَو دَعَا عَليهِم بِدُعائِه هو، ولبيانِ أنَّ مَا قَاموا بِهِ جُرمٌ عظيمٌ يَستحقُّونَ مَعه الدُّعاءَ عليهم بِدُعاءِ القُرآنِ عَلَى أبِي لَهَبٍ بَالهلاكِ؛ لِكُفرِهِ وعِنادِهِ وتعنُّتِه مَع الرُّسولِ فِي قَبولِ دَعوتِهِ.

كانتْ مُباشرةُ الشّاعرِ الأخذَ والاقتِباسَ مِن القُرآنِ الكريم دليلًا عَلىَ فداحةِ هذا الجُرمِ، وبُرهانًا عَلَى مدَى مَا ألحقَهُ بِهِ سَعيُهم بِهِ وبمحبوبتِهِ مِن آثارٍ جَلَّتْ عَن امتعاضِهِ لفعلِهِم، فَساقَ النصَّ المُقتبسَ مِن سُورةِ المَسدِ بِلفظِهِ وَمعناهُ، مِن قولِهِ: "تَبَّتْ يَدٌ..." لِمُناسبةِ الاقتباسِ المُباشرِ لِهذا الأسَى الذي يُحسُّهُ وَيملكُ عَليهِ خَطراتِهِ، إذ لَو كَانَ الشّأنُ فِيما قَائلٌ فيهِ مِمّا لَا يُشكّلُ لهُ عِنايةً وَلا يُمثّلُ لهُ اهتمامًا إلَّا قَليلًا، لَكَانَ سَعَى فِي أدائِهِ عَلى الصُّورةِ الّتي تُشاكِلُه فِي الدّلالةِ ,

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 76/1

[2]) سورة المسد، آية: 1

ولعل الشاعر عبر في هذا النص عن رفضه للفساد الاداري الذي يكثر عنه الحديث ولاسيما بعد سنة 2003م.

فَاغتِناءُ الخِطابِ الشّعريّ بِنَوعٍ مِن الأدعيةِ القُرآنيّةِ في مَقاماتِ الدُّعاءِ التي تَطلبُه أدعَى لِتساوقِ الاقتباسِ عَلَى وَفقِ مَا تَقضِي بِهِ، وأولَى أنْ تُلحِقَ هذا الاقتباسَ القُرآنيَّ المُباشرَ بِهِ، لِأنّهُ الأدلُّ عَلَى القصدِ، والأشْكَلُ بِمضمونِ الخِطابِ، وَهذا نَوع مِن البلاغةِ البديعيّةِ الّتي يُكثرُ الفتّالُ مِن إيرادِهَا في أعمالِه الشّعريّةِ فِي مُختلفِ الأغراضِ؛ لِتقويةِ المعنَى الذي يُعَرّضُ بِهِ خِطابَهُ، مُشكِّلًا بِهِ حِليةً أدبيّةً يَسبحُ مَعَها خَاطرُ المُتلقّي فِي كلّ اتّجاهٍ، كَما يُضفِي عَلَى النّصّ نَزعةً مِن القوّةِ المُحيلَةِ عَلَى فهمِ المقصودِ فِي إطارِهِ الخَاصّ بِهِ.

أما في إطارِ تَضمينِ الفتّالِ لِخِطابِه نصًّا مِن القُرآنِ بِصورتِه المُباشرةِ، يَجمعُ عَلَى المُتلقِي عِدَّةَ مَعانٍ، يَسعَى مِن خِلالِ نَظرِهَا إلَى فَهمِ المُرادِ بِمُحاولةِ إعادةِ إنتاجِ دَلالةِ الخِطابِ الشّعريّ الذي وظَّفَ فيهِ الفتّالُ هذا الاقتباسَ؛ ليرَى مَا إن كَانَ بينَ النَصّ الأصيلِ وَالنّصّ المُقتبسِ نَوعًا مِن الانسجامِ أو أنّهُما مُتباينانِ في الدّالّ وَالمَدلولِ؟ ومن هذا المُنطلقِ يستطيعُ الشّاعرُ تشكيلَ العُمقِ الأدبي لبنيةِ الخطابِ الشّعريّ لهذا النصّ، "حيثُ يقتضي بذلك تأويلاً مستمرًّا ومُتغيّرًا عندَ كلّ قراءةٍ"[1]، وبالنّظرِ إلَى قولِ اللهِ تعالَى: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ..." وَإسقاطِهِ عَلَى خِطابِ الفتّالِ في هذا النصّ لَا نَقِفُ عَلَى وجهٍ نَلتمسُ فيهِ مُشابهةً بينَ النّصينِ، وبِمُعاودةِ قَراءةِ النّصّ، وهذا مَغزَى اقتباسِ الشّاعرِ لِلنّصّ القُرآنيّ وَتضمينِهِ لقَصيدتِه عَلَى شَاكلةِ مَا قرأنَاهُ.

[1]) حصة عبد الله البادي، التناص في الشعر العربي الحديث، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2009 , 19.

المَبحَثُ الثّانِي

الاقتباسُ القُرآنيُّ غَيرُ المُباشِرِ فِي شِعرِ الفتّال

1- اقتبَاساتُ الشّاعرِ القُرآنيَّةُ:

ممّا يشغفُ القلبَ فِيمَا نَظمَهُ الشّاعرُ المرحوم عليّ الفتّالِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ مُثنيًا عليهِ، ومُوبّخًا مَن اتّخذَهُ مَهجورًا يُزَيّنُ بِهِ أرففَ مَكتبتِه دُونَ قراءتِه والانتفاعِ بِمَا جاءَ فيهِ مِن الحِكَمِ والقِيَمِ والتّشريعَاتِ، قَولُه في قصيدة (مولد النور)[1]:{بحر الكامل}

لِنَصُــــن كِتَــــابَ اللهِ مِـــن كَيــدِ العِــدَى فَلَقَــــــــــــد غَزَتْــــهُ زعَــــانِفٌ وَطَغَــــامُ
وَلَقَــــد غَــــدَا فَــــوقَ الرُّفــــوفِ مُوسَّــــدًا ولَقَــــد عَــــلَاهُ مِــــن التُّــــرابِ رُكــــامُ

ظاهرٌ مِن معنَى هذينِ البَيتَينِ حقيقةُ مَا تعلَّقا بِهِ مِن نصوصِ الكِتابِ العَزيزِ، فَقضيَّةُ التّناصِّ هُنا مَحسومةٌ، فَهِيَ أظهرُ مِن أن نذهبَ فيهَا كلَّ مذهبٍ؛ لِشدَّةِ وضُوحِهَا وَمعرفةِ جوهر المعنَى الذي تعلَّقَت بِهِ دلالةُ البيتَينِ، ذلكَ أنَّ اللهَ تعالَى أجرَى عَلَى لِسانِ نبيّه الكريمِ **قوله { وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا }**[2].

فَإشارةُ الشّاعرِ في هذا الخِطابِ الشِّعريِّ جليَّةٌ تَحملُ دَلالةً ثُنائيَّةً، تَقومُ عَلَى أداءِ مَعانٍ كثيرة تَوفَّرَ جُهدُ الفَتَّالِ عَلَى الإفصَاحِ عَنهَا، طَلَبًا لِتحديدِ معيارِ التَمايزِ بينَ كلٍّ مِن الفَريقَينِ، مُتَّخذ القُرآنِ مُهجورًا، ومُتعاطِيهِ قراءةً وتِلاوةً وفهمًا وتَدبُّرًا، وقدَ لَوَّحَ الإمامُ الشَّوكاني بِخصوصيَّةِ هذا المعنَى الذي تَضمَّنتْهُ الآيةُ الآنِفةُ، فَقسَّمَ آراءَ العُلماءِ فيهَا على قِسمَينِ، أحَدُهما: الذي ذهبَ إلَى أنَّ هجرَ القُرآنِ مُمَثَّلٌ فِي تركِ القومِ لهُ وعدمِ الإقبالِ عليهِ بوجهٍ من الوجوهِ، والثَّاني: بمعنَى مهجورًا فيهِ معَ حذفِ الجارّ والمجرورِ، وهو بتقديرِ: أنَّهم جعلوه تارةً سِحرًا وأُخرَى شِعرًا، وثالثةً أساطيرَ الأوَّلينَ[3].

إنَّ ما يَبدو مِن ظاهرِ استعمالِ الشّاعرِ لِهذا المعنَى القُرآنيِّ الذي ضمَّنهُ أبياتِه، مَحصورًا فِي أحدِ شِقَّي التَفسير، إذ إنّهُ لَم يَتطرَّق للرأي القَائلِ بِأنّ هجرَهُ محمولٌ عَلى السّحرِ والأسطورةِ

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 5/ 45.

[2]) سورة الفرقان، آية: 30 .

[3]) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007 , 103.

وَالشِّعرِ، وأدلُّ عَلَى ذلكَ بِأنّهُ قصرَ الدلالةَ عَلَى (الرّفوفِ)، ولا أقولُ بِأنّـهُ معنًـى قاصـرٌ، بَل إنّ الشّاعرَ استوفَى بِهِ رُكنًا مِن أركانِ الدلالةِ الثُّنائيّةِ المُشارِ إليهَا سَابقًا، فَهو يُؤكِّدُ عَلَى أنَّ المُسلِمينَ تَخلَّوا عَن العملِ بِالقُرآنِ الكريم والوقوف عندَ أوامره ونواهيهِ، فَعبَّر عَن ذلكَ بِتلكَ الاستعارةِ الّتي جَعلَ فيهَا رفوف علَمًا بَارزًا عَلَى هذا التّخلُّفِ عَن رِكابِ أوامرِ القرآنِ ونَواهيهِ.

ثمَّ إنَّهُ يُؤذنُ بِعلوِّ التُّرابِ لِكِتابِ اللهِ بِتوسُّدِه عَلَى هذه الرفوف بِأنَّهُم تَقاصروا عَن إعطائِه حقَّهُ في العمَلِ بِه فِي جَانبٍ هو الأهمُّ في جَوانبِ وَمطالبِ الدّينِ الحَنيفِ؛ ذلكَ لِأنّهُم بِتقاصُرهم عَنهُ وَتخاذلِهم عَن العملِ بِمَا تَضمَّنهُ بينَ دِفَّتي المُصحفِ ضَعفوا واستكانوا وتهاوتْ كواكبُهم، فَاستسهلَ عدوُّهم الوثوبَ عليهم وَكسرَ شَوكتِهِم، وهذا التُّرابُ أحدُ أوجهِ البلاغةِ البَيانيّةِ الّتي حَقَقهَا الفَتَّالُ بِإعمالِ هذا التّعالقِ النصيّ بينَ قولِه وَقولِ اللهِ تعالَى مِن الآيةِ السّالفةِ، مِمّا أنتجَ إزاحةً بديعيّةً رتَّبتْ إزاحةً بيانيّةً استعاريّةً، جعلَ فيهَا مِن التُّرابِ بابًا للوصولِ إلَى حقيقةِ التّقاعسِ الإسلاميّ عَن استردادِ الحقوقِ نَتيجةَ ميلِ المُسلمينَ عَن كتابِ اللهِ وإعراضِهِم عَنهُ.

2- اقتِباساتُ الشّاعرِ القُرآنيّةُ غيرُ المُباشرةِ في مَدائحِ النبيّ وَآلِ البيتِ(عليهم السلام).

ومِن بينِ مُناوراتِ الفتّالِ الشّعريّةِ، ومزجِه بينَ الواقعِ القائمِ والمَاضِي، مَا استحضرَ فيهِ معنًى آيةٍ مِن كِتابِ اللهِ العزيزِ، مُضمِّنًة فحواهَا في خِطابِه الشّعريّ، تَعزيزًا مِن قوَةِ هذا الخِطابِ، واستشهادًا عَلى سِلامةِ تأسِّيهِ بِالنبيّ(صل الله عليه وآله وسلم)، فقال في قصيدته (توبة)[1]:{البحر الكامل}

أَنَا مَن أَكُونُ وَمَا عَقِيدَةُ مَنهَجِي أَنَا مُسْلِمٌ مِنْ صُلْبِ جَدِّ مُسْلِمِ
اللهُ رَبِّي والحَبيبُ المُصْطفَى هُوَ مُقتَدَاي بِهِ أَلُوذُ وَأحْتَمِي

فوقوفُه بِنَا عَلَى المَنهجِ الذي يَتبعُه وَالطريقةِ العقديّةِ التي يسلُكُها يُجلِّي عَن تمسكه بلإسلامِ كَابرًا عَن كَابرٍ، مِن أبيهِ لِجدِّهِ، ثمَّ يُبيّنُ لَنا كيفَ أنَّ لِاقتدائِه وَتأسِّيهِ بالنبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) مِن الأثَرِ ما يَظهرُ في سُلوكِهِ، ويؤذنُ بِمدَى مَا يَصِلُ بِهِ إلَيهِ تَأسِّيهِ وَاقتدائِهِ بالنبيّ (صلى

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 5/ 7.

الله عليه واله وسلم)، بعلاقةٍ قويّةٍ بينَ ما هو عليهِ مِن صحّةِ المذهبِ وكلامِ اللهِ تباركَ وعلَا، مِن قولِهِ سُبحَانَه: **{ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا }** [1].

فذلكَ التّناصُّ القُرآنيُّ ممّا يُعيدُ إنتاجَ دلالةِ الخِطابِ الشّعريّ، بمَا يُحقِّقُه فِيهِ مِن الدّلالاتِ الزّائدةِ عَلى قدرِ مَا يَنبغِي أن يُحمِلَهُ مِن مُجرَّدِ التّنبيهِ عَلَى أنَّ القُدوةَ مَحصورةٌ في الرّسولِ الكريمِ (صلى الله عليه واله وسلم)، مُتخطِّيًا هذا المعنَى إلَى إثباتِ أنَّ سلامَةَ المُعتقدِ وَصحّةَ الدّينِ في انتسابِ كلِّ مُسلمٍ للنبيّ وَآلِ بيتِه الكرامِ، ولِذا يُتبِعُ الفتّالُ هذا البيتَ الذي ضمَّنهُ جانِبًا مِن معنَى هذه الآيةِ المُشارِ إلَيهَا بِبَيتٍ يُنوِّهُ بِضرورةِ اتّباعِ آلِ بيتِ النبيّ الكريمِ، فقالَ في القصيدة نفسها [2]:{ بحر الكامل}

والمَرتَضَى الكَرَّارُ – جَلَّ مَقامُهُ - لِي خَيرُ مُؤتَمنٍ وَخَيرُ مُعَلِّمِ

فشكَّل الفتَّال بهذا الحضورِ الوظيفيّ للمرجعيَّة التُّراثيَّة الدينيَّةِ، المُمثَّلةِ في الاقتباسِ القرآنيّ غيرِ المباشرِ بينَ مضمونِ خطابِه ومعنَى الآيةِ الآنفةِ من سُورةِ الأحزابِ، حضورًا تراثيًا "للسَّابقِ في الحاضرِ يعني بهِ وجودَ امتزاجٍ حتميّ بينَ الذَّاكرتينِ العامَّةِ والخاصَّةِ...؛ ليستحيلَ الدخيلُ عنصرًا أصيلًا بفعلِ الهيئاتِ المُصاحبةِ التي تمنعُ لفظَه"[3]، فكانَ مِن أثرِ استحضَارِ المَعنَى القُرآنيّ الذي تضمَّنتْه تلك الآيةُ أن اَنصهرَ الخِطابُ القَرآنيُّ فِي الخِطابِ الشّعريّ، فَأدَّى مَعنى أعمقُ مِمّا يمكنُ أن يَتأدَّى بِغيرِهَا، وَهذا أحدُ أبرزِ دَوافعِ المَرجعّياتِ التُّراثيَّةِ، خَاصةً القُرآنيةُ؛ لِأنّهَا تُضفِي عَلى النصّ خصوصيّةً، فَليسَ يَعمدُ شاعرٌ إلى استحضَارِ شيءٍ مِن القُرآنِ الكريم في خِطابِه مَا لَم يَكُن مناطُ خِطابِه الشّعريّ بِمَسألةٍ أو قَضيَّةٍ عَلى قَدرٍ مِن الوعورةِ وَالأهميّةِ في آنٍ معًا.

لِأنَّ قَضيَّةَ الالتزامِ الدّينيّ وَالدِفاعِ عَن قضَايَا العقيدةِ تُعوزُ صَاحبَهَا إلَى حُجَّةٍ يقومُ عَليهَا خِطابُه، يَلجأُ الفّتالُ في نِهايةِ هذه القَصيدةِ إلَى القُرآنِ ذلكَ المَعينِ الذي لَا يَنضبُ، وَالمَسيلِ الذي

---

[1]) سورة الأحزاب، آية: 21.

[2]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 7/5 .

[3]) محمد عبد المطلب، مناورات الشعرية ، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 1996 ،50.

لَا يَنقطعُ جريانُه، مِن أجلِ إثْباتِ دَافعِ تَمسُّكِه بِدينِهِ، وَإقرارِه بِصدقِ نِيَّتِه فِي الذَّبِّ عَنهُ؛ فيقولُ في ختام قصيدته (توبة)[1]:{ بحر الكامل }

خَسِئَ البُغاةُ فَإنَّ دِينَ مُحمَّدٍ دَيـــــنُ العَدالَةِ والطَّريقُ الأَقـــوَمِ

يَأخذُ عَلَى البُغاةِ - مِمّن لَم يُكتَبْ لَهُم حظٌّ فِي أن يَدينوا بِهذا الدّينِ – أنّهُم تَجاوزوا حُدودَ الاعتقادِ السّلِيم، بِرَكونِهِم إلَى الدُّنيا وَعدمِ اعتدادِهم بِرسالةِ النبيّ الأكرمِ (صلى الله عليه واله وسلم)، ويدعو عليهم بِالخُسوءِ[2] والصّغارِ، وهو هُنا يَمنحُ الخِطابَ كذلكَ قوَّةً مُعزِّزةً مِن دوافعِ اختيارِ الشّاعرِ لهذا الدّينِ، ومُؤكِّدةً عَلَى سببِ اختيارِه هذا، فيسوقُ في البيتِ معنًى جزئيًّا مُسْتَلًّا مِن الآيةِ الحَاديةِ والسِّتينَ بعدَ المَائةِ مِن سُورةِ الأنعامِ، الّتي يُثنِي فيهَا ربُّ العزَّةِ عَلى هذا الدّينِ بقولِهِ: **{ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ }** [3]

وذلكَ قبيلٌ من تمثُّلاتِ الشُّعراءِ للأخلاقِ والثَّقافةِ والعقيدةِ في خطاباتِهم الشِّعريةِ، بوصف الشِّعرِ مؤسسةً تتضمَّنُ "توظيفًا للجماليَّاتِ الاستعاريَّةِ والمجازيةِ بوصفِها تشكيلاتٍ أو بُنًى زائفةً تُضمرُ وراءَها شيفراتٍ لا متناهيةٍ من الدلالاتِ والمعاني"[4]؛ وهذا يدلُّنَا عَلى أنَّ إبرازَ القّتالِ لِمُضمراتِ الأنساقِ الخطابيّةِ لَديهِ بتوظيفِه لِلمرجعيّاتِ القُرآنيّةِ، لاسيّمَا في خِطابٍ كهذا، لَيسَ مِن بَابِ التّقليدِ وحسبُ، إنَّما لِرغبةِ صَقلِ مَادّةِ الخَطابِ، وَلإقامةِ الحُجَّةِ فيهِ عَلى مَا يَنشدُه مِنهُ مِن سلطويّةِ الدّينِ بِالدّليلِ، ذلكَ أنَّ الاستشهادَ بالنُصوصِ الدينيَّةِ في الخطابِ الشّعريّ مِن أشدِّ أنواعِ التناصّ قمعًا للمُخاطبِ وأجدرها حملًا لهُ على الإذعانِ لرغبةِ الشّاعرِ[5].

3- اقِتباسَاتُ الشّاعرِ القُرآنِيّةُ غيرُ المُباشرَةِ فِي القوميَّةِ:

مّما تَمثَّلَ فيه عليّ الفتّال، بضعَ آيةٍ مِن القُرآنِ الكريمِ، في مَعرضِ التّمثيلِ لِهذا الحُلمِ الذي يُراودُ العِراقَ , فالحبيبة وهِي في أسرِهَا يَجرُّهَا القَيدُ الدّامِي الذي يُقيِّدُ مَعصَمَيهَا إلَى مَصيرٍ

---

1) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 9/5 .

2) قالَ صَاحبُ القَاموسِ المُحيطِ: خَسَأَ – يَخْسَأُ، خَسْأً، وخُسُوءًا، طَرَدَ، ومنعَ، 465 .

3) سورة الأنعام، آية: 161 .

4) جون برانيغان، السلطة وتمثيلها (قراءة تاريخانية في قصة أثلجت لريتشارد جيفري)، ترجمة: يوسف عليمات، نوافذ، النادي الأدبي الثقافي بجدة، عدد/ 38، 2007 ,110.

5) ينظر: إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، بلاغة الحجاج في الشعر العربي(شعر ابن الرومي نموذجًا)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2007 , 78.

مَجهولٍ، فَتضمُّ معَهُ ذلكَ الحُلمَ إلَى ثَديِها معَ ما يُعانِيه ذلكَ الثديُّ الذي يُرضِعُ الحُلمَ حَياةً، مِن الجَراحاتِ الّتي تُرضِعُه مَوتًا؛ فَيقوُل في قصيدة (جُرْحُ الثدي)[1]:{بحر المتقارب}

إلَى الأُفْقِ تَرْنُو وَطَيْفُ الدُّجَى يَجُـرُّ خُطَـــــــاهُ إلَـــــى هَاوِيَهْ

تَوصيفِ جميل لِلأملِ الذي يَحدو بِالعراقِ نَحوَ التّطلُّعِ للمُستقبِل الذي أشبَه مَاضَيهَا السّحيقَ, بين فن الشاعر وابداعه، فِي أن تَكونَ لَهَ القَيادةُ والرّيادةُ في كَلِّ شَأنٍ، لَاسيّمَا في العُلومِ والإبداعِ، يَستعيرُ لَهَا صِفةَ العُقلاءِ؛ فَيجعلُ لَهَا عَينًا تنظرُ بِهَا إلَى الأُفقِ؛ أملًا فِي إعادةِ صِياغةِ المَصيرِ، وَتحديدِ مَلامِح المُستقبلِ عَلى وَفقِ مَا ترضَاهُ لَهَا ولِأبنائِهَا مِن العزَّةِ والكرامِة والكِبرياءِ، مَعَ مَا تَعلمُه مِن أنَّ خُطا حُلمِهَا لَم تَزل مُتثاقلةً يُحيطُ بِهَا الدُّجَى – ولعلَّه يَعنِي بِهِ لَيلَ الصَّراعَاتِ الّذي دَاهمَها مِن كلِّ صَوبٍ -، مِن كلِّ اتّجاهٍ، دَافعًا بِذلكَ الحُلمِ إلَى الهاويةِ.

استعانَ هُنا الشّاعرُ بمفردة مِن سُورةِ القارعةِ، جَرَتْ عَلَى تَقسيمِ النّاسِ علَى فِرقتَينِ في الآخرَةِ، الفِرقةُ الأُولَى: النّاجيةُ وهي الّتي ثَقُلَتْ مَوازِينُها، والهَالِكةُ، وهِي الّتي خفَّت مَوازينُها، فَرامَ المُوازنةَ بينَ مَا تَأمَلُه العراقُ وهِيَ عَلَى تلكَ الحَالةِ مِن الإجهادِ والعَنَتِ والضّياعِ، وَما هو كَائنٌ في الحالِ مِن الظُّلمِ والهَوانِ، فَكانَ أمثلَ ما يَدلُّ عَلى ذلكَ توظيفُه لِهذه المَرجعيَّةِ القُرآنيّةِ مِن قولِ اللهِ تَعالَى: **{ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ }**[2]،

استحضر الشَاعرُ في نصّهِ كلمةَ (هاويةٍ) ليمثِّلَ بها موقِفًا دراميًّا تعرَّضت لهُ البلادُ، فأدَّى إلى سُقوطِها سُقوطَ مَن كُتِبَ عليهِ الهلاكُ في الآخرةِ، مِمَّا جعلَ النَّارَ مثوًى لهُ فيهَا، والمعنيانِ متقاربانِ، إذ إنَّ ما تعيشُه البلادُ من مذلَّةٍ وهوانٍ إثرَ الصِّراعاتِ الداميَةِ التي تخوضُها الطوائفُ المُتناحرةِ فيها زجَّ بِها في تنُّورٍ مُتلظٍّ من النَّارِ المُتأجّجةِ، فَمعنَى (أمُّهُ هاويةٌ) مِن الآيَةِ "أي هالكةٌ، وهذا مثلٌ يَقولُونَه لِمَن هَلَك (هَوَتْ أُمُّهُ)؛ لأنَّه إذا هلَكَ سقطتْ أُمُّه ثَكلًا وحُزنًا"[3]، ومِن ثَمَّ فإنّ الفتّال قدَ استعانَ بِجُزءِ الآيَةِ وُجزءِ مَعناهَا ؛لِيدعمَ فِكرَةَ النّصِّ وَمغزَى التّوظيفِ في الخطابِ، فَما وصَلَة إلَيهِ العراقُ مِن الهَلاكِ والضّياعِ، أشبَهُ بِمَا قَد يَصِلُ إلَيهِ العَاصِي فِي الآخرةِ مِن الهلاكِ كذلكَ.

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 11.

[2]) سورة القارعة، آية 8 – 9 .

[3]) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق/ د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1406 هـ , 11/ 96.

وقد أدّى تَوظيفُ الشّاعرِ لِهذه المَرجعيّةِ القَرآنيّةِ في هذا الصّددِ إلَى إثباتِ مَحجَّتِه عَلى مَدَى مَا تَتَّصِفُ بِهِ العِراقُ مِن قوَّةٍ تُمكِّنُها مِن مَواصلةِ الحُلمِ وَمُطاوعةِ الأَمَلِ، فِي الوقتِ الذي تَعلمُ فيهِ أنَّهَا لَن تَحظَى بِالحُصولِ عَليهِ وَلا بِالقُدرةِ عَلَى تَحقيقِه؛ لِأنَّهَا تَرَى العوائقَ – الّتي استَعارَ لَهَا الشّاعرُ هُنا صُورَ الدُّجَى الذي يَجرُّ خُطاهُ بِهَا إلَى الهَاويةِ – مَانعةً لَهَا مِن أن تَقِفَ عَلى قَممٍ رَاسخةٍ تُساعِدُها عَلى استِعادةِ أمجادِهَا.

وَمِن تَمثَلاتِهِ المَعنويّةِ الّتي استَحضَر فيهَا بعضَ آيةٍ مِن الذّكرِ الحكيمِ، بِغرضِ تَقويةِ المرجعيّةِ القَوميّةِ، والتّأكيدِ علَى دعمِه لِوطنِه وُمساندتِه لِأبنائِهِ، قولُه في قصيدة(تموز غنوة المتعبين)[1]:{ بحر البسيط }

كَمْ سَامَنَا البَغْيُ خَسْفًا يَومَ لَا قَمَرٌ فِي أُفْقِنَا يَحضُنُ الدّاعِينَ للفَرَجِ!

فهو هُنا إذ يُريدُ التّأكيدَ على حقيقةِ انتمائِهِ للوطنِ الذي لَم يَعُد مملوكًا لَهُ، وَمدَى مَا انعكسَ عليهِ بِهِ وقوعُه في بَراثنِ الاحتلالِ، يَعمَدُ إلى تَقويةِ هذا المعنَى، ورصدِ حَركةِ توغُّلِهِ في رُوحِهِ وقلبِهِ، إلَى شيءٍ مِن القُرآنِ، مُشيرًا إلَى مَا لَقِيهُ مِن التّركِ والتّخلّي عنهُ، ساعته كانَ أحوجَ ما يكونُ إلى مَن يَمدُّ لهُ يدَ العونِ والمُساعدةِ؛ لِانتشالِه مِن الهوانِ الذي أوضَعَهُ فيهِ الاحتلالُ، وَأوقعَهُ فيهِ مَن خَانُوه مِن أبناءِ جِلدتِه، فَأشبَهُ تَخلّيهم عنهُ وتركُهم لَهُ في غيباتِ المصيرِ المجهولِ اللّيلَ الذي لَا سبيلَ فيهِ لأن يَرَى أحدُنا الآخرَ؛ لافتقادِ الدّاعِينَ للفَرجِ فيهِ القمرَ.

فرأى أنّهُ مِن الأشكلِ بِمقامِ هذا الخِطابِ أن يُعالِقَ بينَ هذا المعنَى، ومَا عساهُ ينتجُ مِن خسوفِ القمرِ يومَ السّاعةِ، مِن علْمِ النّاسِ باقترابِ القيامةِ بِحلولِ أشراطِهَا؛ لِمُشابهةٍ بينَ ما حلَّ بالبلادِ مِن الضّيمِ الذي جعلَهَا خرابًا كَأنَّهَا قد قَامتْ قيامتُها، وما تُحدِثُه أشراطُ السّاعةِ بالأرضِ مِن الخرابِ والدّمارِ، لاسيّما عندَ حدوثِ هذا الخُسوفِ، غيرَ أنَّ المرجعيّةَ القُرآنيّةَ الّتي عمدَ إليهَا الفتّال في هذا الخِطابِ كانَ اعتمادُه فيهَا على المعنَى المُجرّدِ إلّا مِن لَفظِ (الخُسوفِ)، الذي جاءَ في قولِهِ عزَّ مِن قائلٍ:**{ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ }** [2]

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 20/2 .

[2]) سورة القيامة: آية 7:10 .

وَمِن المُفارقةِ الّتي أدَّتْ إلَى حملِ هذه المَرجعيّةِ القُرآنيّةِ فِي هذا البيتِ عَلَى المعنَى المُجرَّدِ، أنَّهُ أعادَ (الخَسفَ) عَلى الشّعبِ العراقيّ، بِنصبِهِ تَمييزًا لِلفعلِ (سَامَنَا) مِن عمومِ قولِه:

كَــمْ سَــامَنَا البَغْــيُ خَسْــفًا يَــومَ لَا قَمَــرٌ .....

وهو تفنن في استعمال الاقتباس من المرجعيات هنا ؛ حِيث أنّ الـ(خَسْفَ) في الآيةِ الكَريمةِ يُباشرُ(القمرَ) فَالقمرُ فاعلٌ للفعلِ (خَسَفَ)، وبينَهُما فرقٌ في الدّلالةِ، غيرَ أنَّ المآلَ واحدٌ، فَالتّعبيرُ بِـ(سَامَنَا البَغْيُ خَسْفًا) دليلُ تهوينِ رفقاءِ الدّربِ للعراقِ وتَخاذلهم عَن نصرتِهِ، بِمَا أدَّى بِه إلَى الذِّلَّةِ والامتهانِ، وهو أشبَهُ بِمَا يَقعُ للخَلْقِ يَومَ القِيامةِ، مِن الصّغارِ وَالخوفِ، والمعنَى في قولِه المَولَى تَعالَى، عَلى أنَّ ذِهابَ كلِّ ضَوءِ القمرِ معَ استمرارِ ذلكَ من علاماتِ السَّاعةِ[1]، والاقتباسُ مُحيلٌ عَلَى أنّ مَا وقعَ لأبناءِ العراقِ منِ التّحدياتِ التي نتجتْ عن تَخلِّي بَعضِهم عَنهَا وَعن قضيَّتِها كَالذي يَقعُ للنّاسِ مِن هولِ عَلاماتِ السّاعةِ.

4- اقتباسَاتُ الشّاعرِ القُرآنيّةُ غيرُ المُباشرةِ في الحِكمةِ:

وقد جرى الفتال على سنة من سبقه من الشعراء العرب [2] بافتتاح عدد من قصائده بالحكمة , حيثُ جَرَتْ سِنةُ الشُّعراءِ بِالحكمةِ منذُ عهدِ الشّعرِ الأوَّلِ، لَم يخل شَاعرُنا الفتالُ عَملَهُ الشِّعريَّ مِن هذه الحِكَمِ الّتي حكمَهَا الشّعرُ بِقيدِ المُوسيقَى والجَرسِ الطَّروبِ، ولَيسَ أبدعَ قولًا مِن أن يَصوغَ الشّاعرُ حِكمتَهُ في قَالبٍ لِفظيٍّ مُستوحًى مِن القُرآنِ؛ فإنَّ ذلكَ بِهِ أليقُ وإلَى إدراكِهِ أسرعُ، وإلَى تأمُّلِهِ أدعَى، ومِن حِكمةِ الفتّالِ المصُوغةِ علَى مُقتَضَى مَا جاءَ بِهِ القُرآنُ، قولُه من قصيدة (حِكَم تُراثيَّة بمنطق معاصر)[3]:{ بحر البسيط-و الوافر}

والخطوُ إن لَّم يَلتَحِمْ بِالخطوِ فِي ألَقٍ

وَفِي حَلَكٍ تَناوَشَهُ الذُّبُولُ

والعِزُّ إن لَّم يَعتَصِمْ بِالشَّمْسِ فِي صَوْلَاتِهِ

---

[1]) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، 8/ 376-377 .

[2]) ينظر: ابو الفضل رضائي, الحكمة في معلقة زهير بن ابي سلمى , مجلة اللغة العربية وآدابها, سنة الثانية , العدد الرابع, 2006م, 37.

[3]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 145 -144.

أَزْرَتْ بِه الدُّنَيا وَمرْتَعُه ذَلِيلُ

وَالصَّافِنَاتُ إِذَا كَبَتْ يَومًا

سَيُنهِضُهَا الفَوارِسُ والصَّهِيلُ

وقد تَجلَّتْ حِكمةُ الشّاعرُ هُنَا في هذه الأبياتِ الّتي ابتناهَا عَلَى شَطرِ بيتٍ لِلشّاعرِ العبّاسيّ المُتنبي، يَقولُ فِيهِ: لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى ..." مُستكِملًا شَطرَهُ الآخرَ مِن عندِه، عَلى دافعيَّةٍ قويَّةٍ قَضَتْ عَليهِ صَياغةُ هذه الحِكمةِ فِي صُورةٍ مَرجعيَّةٍ استقى عنصرا من عناصر مُكوّناتهَا مِن قَولِ المَتنبّي السالِفِ، وعُنصرَهَا الآخَرَ – وهو العُنصرُ الأُمُّ – مِن قولِ اللهِ تبارك وتَعالَى: **{ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ }**[1]؛ ولهذا وردت القصيدة على بحرين .

والصّفنُ "الجمعُ بينَ الشَّيئينِ"[2] والصَّافناتُ الخَيلُ التي تجمعُ قوائمَها جنبًا إلى جنبٍ، أو

هو "الَّذي يقِفُ علَى ثلاثِ قوائمَ، وقد أقامَ الرَّابعةَ طرفِ الحافرِ"[3]، وما ذلكَ إلّا للدّلالةِ بِهِ عَلَى تأهُّبِ الفَرسِ للجَري، ولا يَكونُ الفرسُ قادرًا عَلَى العدوِ مَا لَم يَكُن قَويًّا مُعَدًّا للحَربِ، وقدَ أخذا الشّاعرُ هذا المَعنَى؛ ليُبرزَ بِهِ كيفَ أنَّ الجَيادَ القويّةَ لَا تُطيلُ الوقوعَ، فسريعًا من تَستجيبُ لِنداءَاتِ الخيولِ الأُخرَى إذا صَاحَتْ بِهَا في صَهيلِهَا، وَأصواتِ الفُرسانِ الذين يَمتطونَ صَهواتِهَا؛ حينَ تشعرُ بِمدَى حَاجتِهِم إلَيهَا.

وهو إذ يُجلّي بِحكمتِهِ تلكَ عَن شدَّةِ الخَيلِ، وقُدرَتِهَا عَلَى خوضِ المعاركِ مهما بلغَ بِهَا النصبُ، مُعلّقًا ذلكَ المعنَى بِمَا استلَّهُ مِن القُرآنِ الكريمِ، يُحرّكُ بِهذا الاقتباسِ غيرِ المُباشرِ فِي نُفوسِ الجُنودِ الصّامدينَ في مَيادِينِ القِتالِ ضِدَّ الغُزاةِ والاحساس بالعزَّةَ والأنَفَةَ؛ لِكي لَا يَتأثَّروا بِجوِّ الهزائِمِ الّتي لَحِقَتْ بِهِ، فضَاربًا لَهُم المَثلَ بِالفرسِ الصّافنِ، الذي لَا يَفتأُ في سَاحاتِ النِّزالِ قويًّا مُكافِحًا حتّى مَا معَ قد يَنتابُه مِن الجروحِ الّتي تُؤدِّي بِهِ إلَاّ الوقوعِ أرضًا، فَإنَّ في التّمثيلِ لِأهلِ الحقِّ بِهذه الجَيادِ الصّافنةِ مَا يَحملُهم عَلَى الجَلَدِ والصّبرِ، ويدفَعُ بِهم إلَى مواصلةِ الحَربِ

---

[1]) سورة ص: آية 31.

[2]) الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن، ، 365 .

[3]) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق/ نخبة من المختصين، ، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2002 , 359/5.

حتّى تَحقيقِ النّصرِ والظّفَرِ بِالأعداءِ، لا سيما وَأنّهُ قد استحضَر فِي أذهانِهِم صُورةً مِن القُرآنِ، تَبثُّ فيهم رُوحَ القوَّةِ.

وفِيمَا نَظمَهُ الشّاعرُ دعوةً لِحُسنِ التوكُّلِ عَلَى اللهِ تعالَى، في رُباعيّاتِهِ، من حِكمةٍ مُحكمةِ النّسجِ، جمعَ فِيهِ بِعلاقةٍ دلاليَّةٍ غيرِ مُباشرةٍ بينَ خِطابِه الدّاعِي للتّوكُّلِ عَلَى اللهِ تعالَى، وَدعوةِ القُرآنِ إلَى ذلكَ مِن طَريقِ التّضمينِ، قولُهُ مما سطره الشاعر تحت عنوان (الكلمات أو العبارات القصار)[1]:{ مجزوء الرمل }

فالنّقيضَانِ هُما فِي كُلِّ نَفسٍ عَشَّشَا

فَتَرَى الحَقَّ كَما الباطلُ فِيهَا عَرَّشَا

فَادحرِ البَاطِلَ فِي النَّفْسِ، كَما اللهُ يَشَا

إنَّهُ الحَقُّ يَقينًا، وعَلَى اللهِ تَوكَّلْ

فهو هُنا يَعمدُ إلَى شيءٍ مِن القُرآنِ، عَلَى سبيلِ الإشارةِ المُلمِحَةِ، لا بِالعبَارةِ الصّريحةِ أو بِاللّفظِ الذي جاءَ بِهِ القُرآنُ والمعنَى الذي انطوَى تحتَ هذا اللّفظِ، فتحتَ ظِلالِ دعوتِه النّاسَ لِحُسنِ التوكُّلِ عَلَى المولَى تَعالَى، يُؤذنُ مُتلقِّيهِ بِأنَّ مِن أسبابِ مُدافعةِ النّفسِ البَشريّةِ لِلتوكُّلِ عَلَى اللهِ، والانصياعِ لرغباتِهَا بِالخضوعِ لِهوَى النّفسِ اتّباعُه للباطلِ المُشوبِ بِنوعٍ مِن الحقّ، فالحقُّ والباطلُ عِندَ الفتّالِ مُتمازِجانِ في نِفسِ الإنسانِ لَا يَسهلُ التّعرُّفُ عَلى أيٍّ مِنهُما بعيدًا عَن الآخرِ، مَا لم يَكُن الإنسانُ قويًّا قَادرًا عَلَى تَوجيهِ نفسهِ وامتلاكِ قيادِهَا مِن الشّيطانِ.

وقد ربطَ بينَ شعرِه الذي يَعملُ بِوصفِهِ أحدَ الدّعاماتِ المُعزّزةِ لنزعة الخيرِ في نفسِ مُخاطبيهِ، والقُرآنِ الكريمِ؛ ليكونَ ذلكَ أدعَى لِتصديقِه وَإقامةِ الحُجّةِ عَلَى مُخاطبِهِ، فَيقبلَ منهُ مَنطقَهُ في هذا الاتّجاهِ بِلا مُراجعةٍ أو نِزاعٍ، فكانَ مِمّا عوَّلَ عليهِ فِي إثباتِ قوَّةِ مَحجَّتِهِ في ضَرورةِ اتّباعِ الحقّ قولُ اللهِ تعالَى: **{ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا }** [2]

ووجهُ الاقتباسِ يُلمحُ لَمحًا فِي قولِ الشّاعرِ: "فَادحَرِ البَاطِلَ كَمَا اللهُ يَشَا"، ذلكَ أنَّ إرادةَ اللهِ تعالَى قَاضيةٌ بِأن يَندحِرَ الباطلُ؛ لِأنّهُ زَهوقٌ بِطبيعةِ خِلقتِهِ، فعلَّقَ الشّاعرُ معناهُ بِمعنَى قولِ اللهِ تَعالَى، وبذلِكَ يُمكنُ أن يَتهيَّأَ المُخاطبُ لاستقبالِ مَدلولِ الخِطابِ بِلا أدنىَ مشاحةٍ فيهِ، وذلكَ هو

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 7/ 324

[2]) سورة الإسراء، آيه: 81 .

الهَدفُ الأسمَى مِن وراءِ هذا التّناصِّ القُرآنيّ غَيرِ المُباشرِ، فَمِن تَجلّياتِ الحِكمةِ فِي خِطابِ الشّاعرِ احتكامُه فِي أداءِ النّصيحةِ بِطلَب التوكُّلِ عَلى اللهِ مِن طريقِ تَضمِينِ خِطابِهِ خِطابًا إلْهِيًّا دَاعمًا ومُؤطِرًا لِدلالةِ خِطابِه.

ثمَّ إنَّ في قَولِ الفتّالِ: "إنَّهُ الحَقُّ يَقينًا، وعَلَى اللهِ تَوكَّلْ"، ما يبين سَببَ اقتباسِه لِهذا المعنَى مِن القُرآنِ الكَريمِ، فَيقينيَّةُ الحقِّ، وإدراكُ أنَّ ذلكَ مِن كُنهِهِ ومُركِّبَاتِ حَقيقتِهِ هو مَا تضمَنتْهُ آيةُ سُورةِ الإسراءِ بِمَعناهُ الإجماليّ، وهو مَا رَغبَ الفتّالُ في تَوثيقِ مدلولِه وتَقريرِه عندَ سَامعِيهِ.

وهذا الذي تقرَّرَ لديهِ هو مَا يُمثِّلُ مظهرَ القوَّةِ الذي يَخلقُ دَافعيَّةً لدَى صاحبِه تقودُه نحوَ التوكُّلِ على اللهِ؛ لِعلمِه بِأنَّ انكشافَ الحقِّ وجلاءَهُ مِن موجباتِ التّعاملِ معَهُ، وَالرُّكونِ إليهِ، وَعدمِ الاستِجابةِ للباطلِ الذي يُبعدُه مِن اتّباعِ مَا يَختلطُ عليهِ في نَفسِهِ؛ بِسببِ احتكامِه لِهوَى نَفسِهِ.

وفِي إطارِ حَديثِهِ عمَّا يَجعلُ مِن الحكمةِ غُلافًا معنويًّا لَهُ، في مَناطِ النُّصحِ والإرشادِ والوعظِ، يَقولُ مِن قصيدة (الدنيا) [1]: (بحر الخفيف)

بيـــدَ أنَّ المُـــدَبِّرَ الأمـــرَ يَـــدرِي وَهـــوَ مِنـــهُ كلَمْـــحِ بَـــرقٍ قَريـــبِ
نَحْـــنُ لَا نُـــدرِكُ المَجاهِيـــلَ بَيْنَنـــا هُـــوَ يَـــدرِي بِوَضَحِهَـــــــا والغُيُـــوبِ!

مُراعِيًا فِي إثباتِ الغايةِ مِن حكمتِه مُحكمَةِ النّسجِ فِي قولِهِ: "وَهُوَ مِنهُ كَلَمْحِ بَرْقٍ قَرِيبٍ..." أن تَتسانَدَ معَ قولِه تَعالَى: **{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ }** [2]، فَجعلَ مِن هذِه الآيةِ دعامةً تُتلقَّى مِن خلالِهَا المَعانِي الكّثيرةِ الّتي أجملَهَا الشّاعرُ ببراعتِهِ في ألفاظٍ يَسيرةٍ مُرتكِزًا عَلَى كَلامِ اللهِ، ومِن مُنطلَقِ رَغبتِه فِي إشَباعِ المعنَى وَتعزيزِ بِنائِهِ بِمَا هو مُستوحًى مِن القُرآنِ الكَريمِ أتَى بِبَعضِ مَا يَنِمُّ عَن غَرضِهِ بِالمعنَى دونَ اللفظِ، فكانَ اقتِباسُه في البيتِ مِن نَوعِ الاقتباسَاتِ غيرِ المُباشرةِ لِمُفارقةِ كَلامِهِ لِكَلامِ اللهِ (عزَّ وجلَ) في الآيةِ الآنفةِ.

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 8/8.

[2]) سورة القمر، آية: 49:50 .

ثُمَّ إنَّهُ يَعمدُ إلَى استنطاقِ المعنَى وَأداءِ المَقصودِ بِهِ فِي البيتِ التّالِي، مُوجِّهًا النُّصحَ للنّاسِ بِضرورةِ مُراقبةِ اللهِ في الأقوالِ والأفعالِ، وُمنَبِّهًا عَلَى أنَّ مَا غابَ عَنهُم لَا يَغيبُ عَن اللهِ؛ لِأنّهُ مُحيطٌ مُطَّلِعٌ عَلَى كلِّ شيءٍ، فَيَقرنُ بينَ هذا المعنىَ مِن أجلِ تذلِيلِه وَإخضَاعِ المُخاطَبِينَ بِهِ لِسُلطانِهِ، وبينَ قولِه تَعالَى: { ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ }[1]، وعلَى شَاكلَةِ استعمالِ الشّاعرِ للاقتباسِ القُرآنيّ فِي البَيتِ الذي سَبَقَ هذا، يَستأنِسُ بِالمَعانِي القُرآنيّةِ الّتي تُحيلُ عَلَى مفهومٍ إدراكيٍّ إثباتُه لَهُ مِمّا يُثبتُ صِحَّةَ وسلامةَ عقيدتِهِ؛ فيُوردُ قولَهُ من القصيدة نفسها:

نَحْـــنُ لَا نُـــدرِكُ المَجاهِيـــلَ بَيْنَنَـــا هُـــوَ يَـــدرِي بِوَضَحِهَـــــــــا والغُيُـــوبِ

مُعالِقًا بينَهُ وبينَ مَا يُفهَمُ مِن نصِّ الآيَةِ ضِمنًا؛ وهذا مَا يُلوِّحُ بِهذه القِيمةِ الاقتباسيَّةِ في صُورتِها غيرِ المباشرة؛ فيعمَلُ عَلَى تحقيقِ المعنَى فِي ذِهنِ مُتلقِّيهِ والتّأكيدِ عَلى ضَرورةِ الإصغَاءِ لهُ، وقد ربطَ الفتّال بينَ هذا البيتِ وما يُفهَمُ من تلكَ الآيةِ بالضَميرِ الذي ضمَّنهُ لقولِه: "هُوَ يَدرِي ..."، فمعَ كونُ الضَّميرِ هنا لا ينصرفُ إلَّا إلى الغائبِ، إلَّا أنَّه لا يُمكنُ حملُ المرادِ منهُ على أنَّه لغيرِ ذي الجلالِ سُبحانَه وتعالَى، فتعرُّضُ الشاعرِ لهذا الضميرِ في البيتِ السّالفِ مُتضمِّنٌ لِقضيَّةٍ اعتقاديّةٍ لَا تَثبتُ بِغيرِ عَودِ الضّميرِ عَلَى اللهِ تعالَى بَل قَد يَثبتُ نقيضُ المُرادِ منهَا إذا حَاولنَا ذلِكَ[2].

5- اقتباسَاتُ الشّاعرِ القُرآنيّةُ غيرُ المُباشرةِ في الغزَلِ

وفِيمَا ضمَّنَهُ الفتّالُ هُنا شيئًا مِن القُرآنِ لَا على سَبيلِ أنّهُ مِنهُ، مُستغنيًا باللَّفظِ عَن إيرادِ المعنَى الكُلِّيِّ، قولُه، يَتغزَّلُ في تَلكَ المحبوبةِ الّتي لَم يَسعَ في أيٍّ مِن أبياتِ خِطابِه الشِّعريِّ لِذِكرِ اسمِها، مُكتفيًا عَن ذلكَ بِالتّصريحِ بِصفاتِها الّتي دَعتْهُ لِلتغزُّلِ فيهَا ,من قصيدة (في الطريق)[3]:{ بحر المتقارب}

---

[1]) سورة الأنعام، 102:103 .

[2]) ينظر: محمد حسنين صبري، مرجع الضمير في القرآن الكريم (مواضعه وأحكامه، وأثره في لمعنى والأسلوب)، دار غريب، القاهرة، مصر، ط 1، 2001، 12:14 .

[3]) علي الفتال، الأعمالُ الشعرية الكاملة، 1/ 6-7 .

وَنهْـــــدَاكِ يَـــــا مُنيَـــــةَ الـــــوَالِهِينَ لِقَلْـــــبِ المُتَـــــيَّمِ أشْـــــهَى ثَمَـــــرْ
وَخَصْـــــرُكَ وَاهًـــــا لِـــــوَاهٍ ضَـــــعِيفٌ يَنُـــــوءُ بِمَـــــا لَا يُطِيـــــقُ البَشَـــــرْ

فهوَ هُنا اعتمد الإتيانِ على أكثرِ مَا تمتّعتْ بِه تَلكَ المُتغزَّلُ فيهَا من نَعوتِ الكَمالِ البَشريّ الّتي اتّصفَتْ بِهَا أُنثَى، يُجاوزُ بِمَضمونِ الخطابِ كَلامَهُ إلَى كَلامِ رَبِّ العِبادِ سُبحانَهُ، مُتَّخذًا مِنهُ سبيلًا لَتقويةِ المَعنىَ وَتوكيدِ الغايةِ، وَإبرازِ مَدَى مَا وصلَ إليهِ بِه الافتِتانُ بِها، فاقتبسَ معنَى الضّعفِ لِخصرِهَا حتَّى إنّهُ لَيَنُوءُ بِمَا لَا طاقَةَ لِبشريٍّ عَلى احتمالِه بسببِ ولَهِهم بِنَهدَيهَا؛ لِحُسنِهِما وثقَلِهما في آنٍ، عَن أن يَحتمِلَهُ خصرُها؛ لِدقّتِه وَنحولِهِ، وذلكَ مِن النّعوتِ الحَسنَةِ الّتي تُرغِّبُ بَعضَ الرّجالَ فِي المرأةِ.

وانطلاقًا مِن تلكَ الرّغبةِ في عكسِ هذا الأثرِ الدّلاليّ، يُقيمُ بينَهُ وبينَ قولِ اللهِ تَعالَى: **{ ۞إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ }** [1]، وذلكَ عَلى سبيلِ الاقتباس غيرِ المُباشرِ، وقد أشارَ صاحبُ العُمدةِ إلى تمثُّلاتِ عدمِ المُباشرة في الاقتباس، بقولِه: "ومِن التّضمِينِ مَا يُحيلُ الشّاعرُ فيهِ إحالةً، ويُشيرُ بِه إشَارةً، فَيأتِي بِه كَأنَّهُ نَظمُ الأخبارِ، أو شبيهٌ بِه"[2]، إذ إنّهُ لو بَاشرَ الاقتباسَ لأتَى بِالآيةِ هُنا صَريحةً فِي مَعرضِ التّدليلِ بِهَا عَلى شيءٍ شَبيهٍ بِمعناهَا، طالبٍ لِمبنَاهَا.

فإحالتُه بِكلمَةِ (يَنُوءُ) مِن البيتِ الثّانِي مِن هذين البَيتَينِ، نوعٌ مِن الاقتباسِ، الذي أطلَقَ عليهِ كلٌّ مِن ابنِ أبِي الإصبعِ، وابنِ مُنقذٍ مفهومَ التّضمينِ[3]، وعَلى أيٍّ مِن المَفهومَينِ، فَإنّهُ هُنا في هذا البيتِ مِن نوعِ الاقتباسِ غيرِ المُباشرِ؛ لِأنّهُ لَم يُحِل – كَما أسلفتُ – عَلى تَضَمُّنِ البيتِ للآيةِ بِلفظِهَا وَمعنَاهَا، بل استعانَ بِبَعضِ مَا فيهَا مِن كَلِماتٍ، كما أجرَى عَلى البيتِ كذلِكَ جُزءَ المَعنَى.

---

[1]) سورة القصص، آية 76 .

[2]) أبو عليّ الحسن ابن رشيق القيروانيّ، العمدةُ في محاسنِ الشّعر وآدابِه ونقدِه، تحقيق/ محمد بن عليّ الجيلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط1، 2013 ، 33/2.

[3]) انظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحريرُ التّحبيرِ، ص140 , و أسامة ابن منقذ، البديع في البديع في نقد الشعر، 350 .

ومِن بديعِ اقتِباسَاتِهِ الّتي استرجعَ فِيها شيئًا مِن القُرآنِ مُحيلًا بِه عَلى دلالةِ الرّخاءِ والبذلِ وكثرةِ العطَاءِ، مَا ضَمَّنَهُ لِقولِه في قصيدة (جرح الثدي) [1]:{ مجزوء الرمل}

أَنــتِ كَالنَّخلَــةِ وَالنَّحلَــةِ فِــي شُــغلٍ دَؤوبَــهْ تَحمِلِــينَ الطَّــلَّ والطَّلْــعَ لِأَيَّــامٍ عَصِــيبَهْ

فِي زَوجتِهِ، يَمتدَّحُها ويُثنِي عَلى حُسْنِ فِعالِهَا مَعَهُ، ويُسبِغُ عَليهَا مِن صَفاتِ الحُسنِ والإدلالِ مَا رَأى أنَّها خليقةٌ بِهِ؛ لِحسْنِ مَعشرِهَا، وقوَّةِ احتمالِهَا، وكثرةِ نَوالِهَا لَهُ، حتَّى كانَ مِنهُ أنّهُ شبَّهَا بالنَّخلَةِ ذاتِ الظّلالِ الوارفةِ، الّتي لَا يَنقطِعُ خيرُها وَلا يَفضُلُها غَيرُها، فالنّاسُ مُتَّفِقونَ عَلَى أنَّ النّخلَةَ خيرُ الشّجرِ، وَأنَّ ثَمرَهَا خيرُ الثَّمرِ، ولعلَّه استندَ في هذا المعنَى إلَى كلامِ النبيِّ (صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) عن النَّخلةِ: "أَكرِمُوا عَمَّتَكُمُ النّخلَةَ..."[2]، ومِن ثمَّ راحَ يُعالِقُ بينَ قولِ اللهِ تَبارَك وعلَا: **{ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ }**[3] وقولِهِ هُوَ: " تَحمِلِينَ الطَّلَّ..."، فيكونُ قد وفَّقَ بينَ المَاءِ والطّعامِ، الماء المُستهَلِّ مِن المَطرِ الخَفيفِ المُعبَّرِ عَنهُ في قَولِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالَى، وفِي قَولِهِ مِن بَعدِهِ، بِالـ(طَّلّ)، وَهذا أجمعُ التّعبيراتِ التي يُمكنُ أن يتغزّلَ بِهَا رجلٌ فِي زَوجتِهِ، حيثُ جَمعَ عليَهَا مِن الصّفاتِ مَا لا يحتاجُ الإنسانُ لاستمرارِ دَورةِ حَياتِهِ لِأكثرَ مِنهُما.

والطلُّ، هو المَطرُ الخفيفُ، أو قيلَ "هو أضعفُ المطر"[4] وبينَ اقتباسِ الفتَّال لكلمةِ (الطَّلّ) من آيةِ سورة البقرةِ السَّالفةِ، وتوظيفِها لها هُنا في البيتِ مُناسبةٌ ظاهرةٌ، حيثُ أرادَ القولَ بأنَّها على ضعفِها، إلَّا أنَّا لا تدخرُ وسعًا في العطاءِ.

ثمَّ يُسبِغُ عليها وصفًا آخرَ من صِفاتِ الحُسنِ، فيلائمُ بينَ ما يُوردُه في البيتِ وما يشعرُ به تجاهَ زوجتِه، فيُخبرُ – إلَى جانبِ حمْلِها للطَّلّ – بأنَّها تحملُ كذلكَ (الطَّلْعَ) من قولِه: " تَحْمِلِينَ الطَّلَّ والطَّلْعَ..."، مُقتبِسًا هذا اللفظَ من القُرآنِ الكريمِ، وهو ممَّا وردَ ذِكرُه في عدَّةِ

---

1) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 17 –16.

2) جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطيّ، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق: د. محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، بدون سنة نشر , رقم الحديث/ 97، /75.

3) سورة البقرة: 265 .

4) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق/ الشيخ مصطفى العدوي، مكتبة فياض، القاهرة، مصر، ط1، 2009 , 390.

مواضعَ من الذِّكرِ الحكيمِ، ومِن هذه المَواضِعِ قولُه سُبحانَهُ: **{ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ... }** [1], فناسبَ مَا تَوظيفِه (لِلنّخلَةِ) فِي هذا الموضعِ وَ(الطَّلْعِ)، فَقدَ وردَ هُنا فِي تِلكَ الآيةِ (الطّلعُ) فِي صُحبةِ (النّخلِ)، ولعلَّ ذلكَ مِا دَفَعَ بِالشاعرِ إلَى اقتباسِ معنَى وبعضِ لَفظِ هذه الآيةِ، مِن أجلِ الإحالةِ بِهذا الاقتباسِ عَلَى المعنَى المُشارِ إلَيهِ سَالِفًا, نلاحظ هنا جمال الجناس ايضا.

والطَّلْعُ: ما طلعَ من النَّخلِ[2]، وفي قولِ الشّاعرِ: "تَحمِلِينَ الظَّلَّ" تَشبيهٌ لِزوجتِه بالسّحابةِ الّتي تَحملُ المَطرَ الخَفيفَ، وفِي قولِه: " تَحمِلِينَ... الطَّلْعَ" تَشبيهٌ لِزوجتِهِ بِالنّخلَةِ ذاتِ الثّمارِ، وذلكَ وإن دلَّ عَلَ شَيءٍ فَإنَّمَا يَدلُّ عَلى قُدرةٍ فَريدةٍ مِن الشّاعرِ عَلَ تَصريفِ المَعانِي القُرآنيّةِ في وُجوهِهَا التّي يَرتضِيهَا لَهَا، وتُعينُه عَلَى تَعزيزِ فَحوَى خِطابِهِ، ومقاصدِ نَظمِهِ.

وَمِن بَراعتِه فِي توظيفِ المَرجعّياتِ الدينيةِ القُرآنيّةِ بِمعناهَا دونَ اللُّجوءِ إلَى استرجاعِ المُفرداتِ الواردةِ في الآياتِ، قولُه مُتغزّلًا فِي إحداهُنَّ من قصيدة (الجفاء)[3]: { بحر الرمل}

أَزِفَ اللَّيْـــلُ وَغَـــــــــابَ القَمَـــــــــــرُ وَأنَـــاَ لَـــمْ يـــدنُ مِنّـــي بَشَـــرُ

فِلإرادةِ إثْباتِ أنّهُ لَم يَزل عَلَى عهدِه لَا يَنقضُه وَلم يَرجِع فيهِ، حتَّى مَعَ انقطاعِ حبيتِه عنهُ وافتقادِه لَهَا بعدَ نَأيِهَا عَنهُ، يُشيرُ إلَى أنَ الذِّكرَى الّتي تُراودِهُ فِي لَياليهِ الحَالكةِ السّوادِ؛ لِغيابِ القمَرِ وزوالِ أسبابِ الاستنارةِ في هذه اللّيالِي، تَظلُّ عَلَى حالِهَا، وَأنّهُ مُكتفٍ بِهذه الذِّكرَى عَن أنْ يستبدِلَ الحبيبةَ بِأُخرَى في محلِّهَا، وقد احتجَّ عَلَى إثباتِ ذلكَ بِإقرارِهِ أنّهُ لَم يَزل وَحِيدًا يَتجنَّبُ النَّاسَ، خَالِيًا بِنفسِهِ بَعيدًا عنهم، مُستلهِمًا هذا المعنَى مِن قولِ المَلِكِ سُبحانَهُ وتَعالَى: **{ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا }**[4]

وقد رَبطَ الشّاعرُ بينَ هذه الآيةِ وَجعلَهَا إطارًا للمعنَى الذي يَرغبُ فِي أدائِهِ والدّلالةِ الّتي يُلمِحُ إلَيهَا، وَبينَ قولِهِ: "وَأنَا لَمْ يَدنُو مِنّي بَشَرْ"، فَملامحُ البَغي بِالنِّسبةِ لَهُ مُتجليَّةٌ فِي عدمِ وَفائِهِ بِعهدِه لمُحبوبتِه، وَاستبدالهَا بِأُخرَى فَي مَكانِهَا، ولِأنّهُ لَم يَكُن كذلكَ، جَارَى المَعنَى الذي قصدَهُ

---

[1]) سورة الأنعام: آية 99 .

[2]) الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن الكريم, 391 .

[3]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 24

[4]) سورة مريم :20

هُنا معنَى الآيةِ، فَلم تَكُن مَريمُ عَلى هذه الصُّورةِ حينَ حَمَلتْ وَلمَ يَمسسْهَا بَشرٌ، كَما أنّهُ لَم يَبغِ بِتَجاوزِ هوَى مَحبوبِتِه إلَى غَيرِهَا، فَلم يَقرَب هو بَشرًا وَلَم يَدنُ مِن أحدٍ.

وذلكَ الذي دلَّ عَليهِ حوام شعره بِهذا التّعالقِ النّصيّ بينَ قولِهِ وَما أجراهُ مِنهُ مجرَى الاقتباسِ مِن كلامِ اللهِ جلَّ وعلَا، أسمَى غاياتِ الوَفاءِ، وهو مِن المعانِي العميقةِ الّتي تَحتاجُ في اَستبطانِهَا إلَى قوَّةٍ ومِراسٍ في مَعانِي العربيّةِ، ودراسةٍ واعيةٍ لِتأويلاتِ المُفسّرينَ في هذه الآيةِ تَحديدًا، فإنتاجُ الدّلالةِ في هذا النَّمطِ الخِطابيّ الشّعريّ يَحتاجُ إلَى إطارٍ عامٍّ يُغطّي السّياقَ وَيُحيلُ عَلَى المفهومِ مِن تَفسيرِ قولِه سُبحانَهُ: "لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ"، إذ إنَّهَا عليهَا السّلامُ تُريدُ الإخبارَ هُنا بِأنَّ انتفاءَ المَساسِ بِهَا مِن طَرَفِ مَن عَساهُ يَحلُّ لَهُ وطأُهَا، وَليسَ لنفي المَساسِ عَلَى إطلاقِه مِن قِبَلِ مَن تَحلُّ لَهُ أو مَن لَا تَحلُّ لَهُ، ذلكَ "أنَّ المساسَ يُعبَّرُ به عن النكاحِ الحلالِ...، والزّنا ليسَ كذلكَ، إنّما يُقالُ: فجرَ بِها وخبُثَ بِها وما أشبَه ذلك" [1]، وهذا مَحملُ كلامِ الفتّالِ في هذا النّصِّ، أعنِي إرادة التّدليلِ عَلى أنَّ حُبَّهُ فيهَا هو مَا دفَعُه إلَى احتِسابِ نَقضِ هواهُ مَنقصةً وَبغيًا.

6- اقتِباساتُ الشّاعرِ القُرآنيَّةُ غيرُ المُباشرةِ فِي الدُّعاءُ والمُناجاةُ:

يُعرّجُ الشّاعرُ كثيرًا عَلَى الاقتباساتِ القُرآنيّةِ بِنَوعَيهَا المُباشرةِ وَغيرِ المُباشرةِ، في مَواقعَ مِن شعره تَكادُ لا تنحصرُ عَدًّا، وإنَّ ذلِكَ يعكسُ صورةً ظاهرةً عَن مَدَى حرصِهِ علَى مَزجِ بيانِه بِبَيانِ القُرآنِ الكريمِ، بِلفظِهِ ومَعناهُ معًا، أو بِلفظِهِ فقط، وَحقيقةِ تَأثُّرِهِ بِنَظمِ الكِتابِ العَزِيزِ، وهُنا يُفرِزُ لَنَا حِرصُ الفتّالِ عَلَى سَوقِ نُصوصٍ مِن القُرآنِ الكريمِ فِي تَضَاعيفِ أبياتِهِ، أثَرَهُ فِي جَانبِ الدُّعاءِ والمُناجاةِ الّتي يتّوجَّهُ بِهَا الشّاعرُ إلَى اللهِ تعالَى طَلَبًا لِعفوِه ومَغفرتِهِ، وثَناءً عَلى ذاتِهِ وصِفاتِهِ سُبحانَهُ وتَعَالَى.

ومِن تمثُّلاتِ الفّتالِ بِالقُرآنِ الكريمِ فِي تَضَاعيفِ نَصّهِ الشّعريّ، تَمثُّلًا حُرًّا لَا يَحتاجُ فيهِ لِأكثرَ مِن إيرادِ المعنَى الذي هو محلُّ ارتكازِ الدلالةِ ومَوضعُ دورانِهَا، مَا نظمَهُ في مُناجاتِه رَبَّهُ سُبحانَهُ وتعالَى مُتوسّلًا إلَيهِ بِصفاتِه وَأسمائِه الّتي بِمُوجبِهَا كَتبَ اللهُ عَلَى نِفسِه الرّحمةَ والعَفوَ والمَغفرةَ عَن عِبادِه العَاصين ومن (مناجاة) [2]:{ بحر المتقارب}

فَإنَّكَ مَنْ قُلْتَ - قَولَ القَدِيرِ-

---

[1]) ينظر: أثير الدين أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد المودود – الشيخ علي محمد معوض، داتر الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993 , 170/6.

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 72/8 .

فَمَنْ يَدْعُ مِن كُلِّ ذَنبٍ لَنَاجِ

فَهَا أَنَا ذَا اليَومَ أَدعُوكَ أَنْ

تُجِيبَ دُعَائِي، فَإِنِّي أُنَاجِي

ففي هذه المُناجاةِ حركةٌ نِفسيّةٌ تُعوزُ الشّاعرَ إلَى اللُّجوءِ إلَى المَصدرِ الذي تَنبثقُ مِنهُ الطّاقاتُ الخفيَّةُ التي تَمدُّه بِالقوَّةِ المُمكِّنةِ مِن الدُّعاءِ والمُناجاةِ، وهذا لَا يَكونُ لِعبدٍ مِن العِبادِ مَا لَم يَكن بينَهُ وبينَ هذا المَصدرِ اتّصالٌ رُوحيٌّ، ذلك الاتّصالُ الذي يفتحُ لهُ آفاقَ التّوسُّلِ ويُتيحُ لهُ التّنقُّلَ في رِحابِهَا الفسيحةِ مُستعِينًا بِمَا استمدَّهُ مِن كِلامِ الله (عزَّ وجلَّ)، مِمّا يجعلُه قادرًا عَلَى الحُكمِ بِنسبةِ المَغفرةِ للهِ فِي حالةِ الرُّجوعِ عَن الذنبِ والتّوبةِ مِن المعصيةِ.

فَمُزاولَةُ الأحكامِ وَإسقاطُها عَلى الأشياءِ لَا بُدَّ لَهَا مِن سَنَدٍ، وهذا هو الذي بَعَثَ الفتَّالَ هُنا عَلَى الاستنادِ إلَى القُرآنِ الكريم في اَستمدادِ حُكمِهِ بِأنَّ اللهَ هو مَن كَتَبَ عَلَى نَفسِهِ أنَّه تَوابٌّ وَرحيمٌ وَغفورٌ، وإنَّ الآياتِ الّتي تنسجُ معَهَا هذا المعنَى فِي مِنوالٍ وَاحدٍ أكثرُ مِن أن نسوقَهَا حصرًا هُنا، ولكنَ الأقربَ إلَى المَعنَى الذي رَكَنَ إلَيهِ الفتّالُ في هذينِ البَيتَينِ، قَولُ المولَى تَعالَى: **{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ }** [1].

ذلكَ أنَّ الآيةَ تَضمَنتْ معنَى القولِ الذي سَاقَهُ الفتّالُ صَراحةً فِي قَولِهِ: "قُلْتَ قَولَ القَدِيرِ"، فَخِطابُ اللهِ تعالَى للنبيّ (صلى الله عليه واله وسلم)، بِقولِهِ: "إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي.." مُؤذِنٌ بِهذا المعنَى، ونعضد قولنا هذا بقولُ صَاحبِ الكشّافِ في تَأويلِهِ (إنّي قريبٌ): "تمثيلٌ لحالِه في سهولةِ إجابتِه لِمن دعاهُ، وسرعةِ إنجاحِه حاجةَ مَن سألَه"[2]، فتقاربُ الدَّالتَينِ هو ما أنجحَ مَقصَدَ الشّاعرِ فِي تَحدِيدِ الغايةِ المَرجوَّةِ مِن هذه المُناجاةِ المُستلَّةِ مِن بَعضِ آيةٍ مِن كِتابِ اللهِ (عزَّ وجلَّ)، وَهو مَا عزَّزَ مِن القيمةِ البَلاغيّةِ هذا الدُّعاءِ ا، فَليسَ أدلَّ عَلَى قصدِ الإنسانِ مِن كلامٍ بَلغَ الغَايةَ في اَلاختصارِ والإفادةِ، وَلسنَا نَقِفُ عَلَى كَلامٍ بَلغَ أقاصِي مَبالِغَهُ فِي البيانِ وَالاختِصارِ والإفادةِ مِن كلامِ اللهِ، ولِذا كانَ في اَسترجاعِ الفتالِ لهذه الآيةِ هُنا في هذا النّصِّ مِن مُلامحِ القوَّةِ الّتي بَنَى مِنهَا مَعنًى واحدًا مِن كِلامَينِ مُتفاوتيَنِ في القيمةِ البَلاغيّةِ.

---

[1]) سورة البقرة، آية: 186.

[2]) أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009 , 114.

وهُنا يُجلِّي لَنَا الفتَّالُ عَن تَعالقٍ آخرَ، اَستحضَرَ فيهِ جُزءِ الآيةِ المذكورةِ سَابقًا مِن سَورةِ البّقرةِ، ولكن فِي مَعنًى آخرَ، سِوَى هذا الذي عرضتُ لَهُ بالتّحلِيلِ؛ لِتُسفِرَ لَنَا تَلكَ المَرجعيَّةُ القُرآنيّةُ غيرُ المُباشرةِ عَن بِراعةِ الشّاعرِ فِي تَوظيفِ الدَلالاتِ بِحَسبِ المُقتَضِي وَدواعِي الحَاجةِ، فَلمَّا كَانَ الشّأنُ هُنا فِي هذا المَوضعِ مِن هذه المناجاة[1]:{ بحر المتقارب}

وَإنَّكَ أَهْلٌ لِهذا الدُعاءِ وَأَهْلٌ لِتُفرِجَ عَنِّي الدَّياجِي

أنَّ ثِقَتَه فِي اللهِ هِيَ عُنصرُ النَجوَى الذي بُنِيَتْ عَليهِ، رَاحَ يَتوسَّلُ إلَى اللهِ بِهذه الثّقةِ التي لا مُنتهَىَ لَهَا فيهِ، وَهذا يَتجاوبُ معَ نصِّ الآية الكَريمةِ **"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ"**[2] فمبلغُ إدراكِ الشّاعرِ مِن الآيةِ أنّ قُربَ اللهِ مِن عبدِه الذي يُناجِيهِ، أنّهُ سُبحانَهُ أهلٌ لِأن يُستعانَ بِهِ ويُستجارَ بِهِ، ويُلاذَ بِحماهُ مِن كلِّ ظُلمٍ، وفي كَلِّ نَزلةٍ.

ومِن صِدقِ إقرارِ الفتّالِ بِصدقِ دِينِهِ وسلامةِ اعتقادِهِ، وحرصِهِ عَلى التّزامِ مِلّةِ النبيِّ الكريمِ (صلى الله عليه واله وسلم)، مَا أوردَهُ فِي مُناجاتِهِ لِربِّه أملًا في أن يَختِمَ له بِخاتمةِ الحُسنَى، مِن قولِهِ في (خاتمة المطاف) وهو من الشعر التقريري[3]:(بحر الطويل)

فَيَمَّمْتُ وَجْهِيَ صَوبَ دِينِ مُحمَّدٍ وَنفْسِي غَدَتْ تَرنُو لِشَمْسِ أَصِيلِهَا!

وَتَاقَتْ إلَى اَسْتِقرارِهَا فِي رِحابِهِ فَحَطَّتْ بِوَعيٍ فِي فِناءِ أَثِيلِهَا

فالخِطابُ هُنا مُتضَمِّنٌ لمعنًى ظَاهرٍ جاءَ بِه القُرآنُ الكريمُ، مِن قولِه سُبحانَهُ وتعالَى:

{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا۟ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ } [4] رغبةَ إبرازِ المعنَى فِي هَيأةٍ مُجليَّةٍ عَن حقيقةِ القصدِ وانعكاساتِه النفسيّةِ علَى مُتلقِيهِ، فَيستقبلُه مُذعنًا لَهُ رَاضيًا بِمَا تضمَّنهُ مِن أحكامٍ، تَبعًا لِاستجابةِ الشّاعرِ لِقولِ ربِّه سُبحانَهُ وتعالَى، فالاقتباسُ غيرُ المُباشرِ الحَقيقُ بِالوقوفِ عندَه، هو مَا يَحمِلُ المُتلقِّي طَواعيةً عَلى صرْفِ ذِهنِه إلَى موقِعِه مِن الآيةِ التي وردَ فيهَا، علَى شاكلةِ هذا الاقتباسِ الذي وظَّفَه الفتّالُ في الإقرارِ بحقيقةٍ عقديّةٍ مَلكَتْ عليهِ أمرَهُ، فَلَم يَلبث أَنْ عَبَّر عنهَا بِمَا تَراءَى لَهُ مِن آياتِ الذّكرِ الحَكيمِ.

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 8/ 73 .

[2]) سورة البقرة، آية: 186.

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 66/8 .

[4]) سورة الأنعام، آية 79 .

فقولُه: "فَيَمَّمَتُ وجْهِيَ صَوبَ دِينِ مُحمَّدٍ..." مِمّا لَا يَحتملُ صَرفَهُ لِغيرِ هذه الآيةِ، ولَا حَملُه عَلَى غيرِ مَا جاءَتْ بِه مِن معنَى الإقرارِ بِأنَ الدّينَ الحقَّ والمِلَّةَ الصَّادقةَ، هو مَا كانَ عليهِ النبيُّ (صلى الله عليه واله وسلم) وأصحابُه، ومِن ثَمَّةَ نراهُ يتَّخذُ مِن الآيةِ سقفًا يُحلِّقُ تحتَهُ، حينَ ساقَ في النصِّ سَببَ اعتناقِه وإيمانِه بِقضيَّةِ الاعتقادِ الّتي رَسَّخَ لَهَا بَالاقتباسِ المعنويّ – غَيرِ المُباشرِ - مِن الآيةِ سالفةِ الذّكرِ، حيثُ جعلَ غُدوَّ نفسِهِ للاستِبصارِ بِشمسِ الأصيلِ عِلَّةً في استقرارِهِ النفسيّ، وَإنَّما يَعني بقولِهِ (شمسِ أصِيلِهَا) دنوّ نفسِه مِن الرّحيلِ، وهو مَا عبَّرَ بِالعتَبَةِ الأولَى الّتي عَنونَ بِهَا لِهذا النّصِّ، فقدَ أسماهُ بِـ(خَاتمةِ المطاف)، ولِأنّهُ لَم يَسْعَ إلَى نقلِ الآيةِ أو جزءٍ مِنهَا عَلى شَاكلةِ مَا يفعلُه فِي كَثيرٍ مِن خِطاباتِه، عُدَّ هذا النّوعُ مِن الاقتباسِ اقتباسًا غيرَ مُباشـــرٍ.

الفصل الثاني

المرجعيات من الحديثُ النَّبوِيُّ الشَّريفُ

المبحث الاول: الاقتِباسُ المُباشِرِ مِن الحَدِيثِ النَّبَوِيّ

المبحث الثاني: الاقتِباسُ غَيرُ المُباشِرِ مِن الحَدِيثِ النَّبَوِيّ

المرجعيات من الحديثُ النَّبويُّ الشَّريفُ

المَبحَثُ الأوَّلُ: الاقتِباسُ المُباشِرُ مِن الحَدِيثِ النّبوِيّ

تُعدُّ السنةُ النبويةُ علَى صاحبِهَا أفضلُ الصّلواتِ وأزكَى التّسليماتِ، أصلًا مِن الأصولِ التّشريعيّةِ التي يُرجعُ إليهَا في استنباطِ القواعدِ والأحكامِ التشريعيّةِ، وَالتعويلُ علَيهَا في تعلُّمِ الفضائلِ والقيمِ السُّلوكيّةِ، ومِن ثَمَّ فإنّ للأدباءِ اعتمادًا عليهَا ونَهْلًا مِنهَا اقتباسًا وتضمينًا في أشعارِهم يعدّها مصدرًا تشريعيًّا مِن الثّوابتِ التي يُمكنُ أن يَركنَ إليهَا المُبدعونَ؛ لِإظهارِ تجلّياتٍ جديدةٍ مِن الإبداعِ الفنيّ والدّلاليّ في شِعرِهم وَنثرِهِم، بِوصفِهَا مصدرًا ثَانيًا مِن مصادرِ التّشريعِ بعدَ القُرآنِ.

وَقد احتلَّتْ السُّنَّةُ في الأعمالِ الإبداعيّةِ – مِن ناحيةِ الاقتباسِ منها- المَرتبةَ الثّانيةَ، حيثُ جاءَ حرصُ المُبدعينَ علَى الاقتباسِ والنّهلِ مِن مَعِينِها في الرُّتبةِ التّاليةِ للقُرآنِ الكريم ؛ لأنَّ ثقافتهم اسلامية والسنة النبوية مصدر من مصادر الثقافة الاسلامية ؛ وذلكَ راجعٌ لِيَقينِ المُسلمينَ في أنَّ النبيَّ (صلَّى اللهُ عليهِ واله وسلّمَ) مَصدرُ التّعاليمِ الإلهِيّةِ، ومبعثُ النُّورِ الهادِي لسُبُلِ الحقّ والسّلامِ، فجاءَ تعريجُ الأُدباءِ عَليهَا وتَوظيفُهم لَهَا في كِتابَاتِهم الإبداعيَّةِ بِغرضِ دَعمِ وَتعزيزِ مُراداتِهِم، وتَقويَةِ مقاصدِهِم الّتي تَستهدفُ إبلاغَ معانيَ مُعيَّنةً لمُتلقّيهَا؛ استعمال الأدباءِ لِبعضِ كلامِ النبيّ الكريمِ (صلَّى اللهُ عَليهِ واله وَسَلَّمَ) فِي نَظمِهم وَنثرِهِم جاءَ احتذاءً لطريقةِ النبيّ في نظمِه وكلامِهِ، وَتشريفًا لخطابِهِم بِكلامِهِ (عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ)، واسترفادًا مِن ثَقافتِهِ الّتي تمدُّهم بِالمعانِي والصُّورِ الّتي تُمكّنُهم مِن إيصالِ المَفهومِ الجمعيّ للمُجتمعِ.

ومِن حيثُ كَانتِ السُّنَّةُ مصدرَ استلهامِ واستمدادِ الأدباءِ بوصفِهَا وحيًا أو إلهامًا مِن اللهِ تعالَى، منشأهُ كلُّ قولٍ أو فِعلٍ صَادرٍ عَن الرّسولِ مُحمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ واله وسَلَّمَ)[1]، توجّهت إليهَا عنايةُ هؤلاءِ استقاءً منهَا ووقوفًا على تعاليمِها، بيدَ أنّ مِن المُلاحظِ أنّ اقتباسَهُم مِنهَا أندرُ من اقتباسِهم مِن القُرآنِ الكريمِ، وذَلكَ لعلوّ شَأنِ القُرآنِ عَلَى السُّنّةِ، ولاشتمالِه عَلَى مَا لَم تَشتمل عَليهِ السُّنةُ مِن رَوعةِ الرّونقِ، وجلالِ الإيقاعِ الذي تُنتِجُه فواصلُه، وذلَك مَا يجعلُ مِنهُ أكثرَ انسجامًا معَ الشّعرِ خاصّةً، ولقطعيّةِ نَسبةِ القُرآنِ إلَى اللهِ بوصف أنَّ كلامُه الحقُّ، عَلى حينِ اختلفَ عُلماءُ المُسلمينَ في كثيرٍ مِمّا نُسِبَ مِن الحديثِ إلَى النبيّ (صَلَّى اللهُ عَليهِ واله وَسَلَّم)، إلى جانبِ تجويزِهم لِروايةِ كلامِه بِالمعنَى، معَ اتِفاقِهِم عَلَى أنَّ روايةَ حديثِ النبيّ بِالمعنَى لَيستْ

[1]) ينظر: الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، كتاب التعريفات، 84.

مِن الكذبِ عَلَيهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ واله وسَلَّمَ) مَا دام مُوافقًا لِكلامِهِ صحيحَ النّسبةِ إلَيهِ، وهم العالِمونَ بِقولِهِ :"مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" [1] والكذبُ عليهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ واله وسَلَّمَ) بِنسبةِ مَا لَم يَقُله أو يَفعله إليهِ عَلَى سبيلِ التعمُّدِ، وجزاءُ فَاعلِ ذلِكَ النّارُ، أمَّا مَن قالَهُ سهوًا أو خَطأً أو نِسيانًا، فَإنَّ مَقالَ العُلماءِ فيهِ أنَّهُ غَيرُ آثِمٍ[2].

1- الاقتِباسُ الحَديثيُّ المُباشِرُ فِي حُبِّ النبيِّ وآلِ البَيتِ الكِرامِ (عَلَيهِمُ السَّلَامُ)

سبب نشأة الشاعر في مدينة كربلاء المقدسة وتأثره ببيئتها ذات الطابع الديني، فأنّهُ لَم يَزل في كلِّ سَانحةٍ يَذكرُ آلَ بيتِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ويُخصِّصُ لِذكرِ الحَسنِ والحسينِ (عليهما السلام) مَكانًا كبيرًا مِن هذا المَيدانِ، فَلا يَأتِي عَلى ذِكرِهما إلّا مُجِلًّا مُعظّمًا لَهما، وذلكَ التّبجيلُ والأجلالُ دليلُ محبّةِ الشّاعرِ لِآلِ بيتِ النبيِّ الكريمِ (صلى الله عليه وآله وسلم) خصوصًا الحسنُ والحُسينُ (عليهما السلام) ، ومِن مَقالِه فيهما (السبطان)[3]:{ بحر البسيط}

قَالَ الرَّسُولُ عَنِ السِّبْطَينِ مُفْتَخِرَا هُمَا إِمَامَانِ إن قَامَا وَإنْ قَعَدَا

وما فخارُ النبيِّ بِسبطَيه الكريمَينِ الحسنِ والحُسينِ (عليهما السّلامُ) بعدَ مَا امتنَّ اللهُ عليهِ بِه مِن النبوَّةِ إلّا لِأنّهُما سَادةٌ مِن سَادةٍ، عَظُم في المُسلِمينَ شَأنُهما، فَأجلَّهما المُسلِمُونَ لِإجلالِ النبيِّ لَهُما، ولِمَا لَهُما بعدَ ذلكَ مِن تَأثيرٍ فِي تَغييرِ مَسارِ الخِلافةِ إثْرَ مَا وقعَ بينَ المُسلِمينَ من فِتَنٍ عَليهَا، وَمِن أقوالِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) التي استندَ إليهَا الفتّالُ في تَحقيقِ الغايةِ مِن مقصدِه ما عاد عليه، من قولُه (صلى الله عليه واله وسلم): "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا"[4] , و ("حُسَينٌ مِنِي وَأَنَا مِن حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللهُ مَن أَحَبَّ حُسَينًا، حُسَينُ سِبطٌ مِن الأَسْبَاطِ"[5]، ومما يُبرزُ حبَّ النبيِّ فيهما ويشتملُ على المعنَى الذي أدرجَه الفتَّال ضِمنًا في بيتِه

---

[1]) صحيح البخاري :1\33, صحيح مسلم :1\10, شرح مقدمة سنن ابن ماجة :5\8.

[2]) ينظر: شرح مقدمة سنن ابن ماجة :5\8.

[3]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 5/ 16 .

[4]) ابن شهراشوب (588هـ) ,مناقب آل أبي طالب, مطبعة الحيدرية , النجف, 1956م.ج2\138.

[5]) أبو عيسى الترمذي، الجامع الكبير، 118/6، حديث رقم: 3775، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المسند، 4/ 172، وفي الفضائل برقم، 1361، وابن حبان، السنن، برقم 6971، وتحفة الأشراف برقم 11850، والألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة 1227.

الآنـفِ قولُـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) حـينَ أبصـرَ حسـنًا وحُسـينًا: "اللَّهُـمَّ إِنِّـي أُحِبُّهُمَـا فَأَحِبَّهُمَا"[1].

وما إلَي ذلكَ مِن الآثـارِ الدّالَّـةِ عَلَـى إيثـارِ النبـيّ لِلحَسَنِ والحُسينِ(عليهم السلام) وَحُبِّـه فِيهما، مِما يُظهرُ لَنَا كيفَ أنَّ لِسِبطَيهِ (عَليهَما السّلامُ) في نَفسِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مِن صَادقِ المودَّةِ مَا يُلزِمُ كلَ مُسلمٍ بِحُبّهَا والتمسُّكِ بِذلكَ الحُبِّ واتباعهما، فإنَّ لَهُما مِن المنزلـةِ مَا يَدعو الشُعراءَ للنّظمِ فيهَما، والتّحريضِ عَلَى الالتزامِ بِأمرِ النبيّ بِالتَمسُّكِ بتباعَهما، فمحبَّتُهما مِن حبِّ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وبغضُهما مِن بُغضِهِ – حاشاهُ ذلك -.

وهُنا يتسَلَّمُ الفَتَّالُ طَريقَهُ نَحوَ استَعارةِ لَفظِ الفخرِ لِلمّحبَّةِ المُوجبةِ لَهُ، فالفخرُ بِالشيءِ مِن موجباتِ محبّتِه، إذ لَو لَم يَكُن الإنسانُ مُحبًّا لِمَا يُثيرُ في نِفسِه الفَخارَ بِهِ، مَا وجدَ لِهذا الفَخرِ دَافعًا، فَليسَ للنبيّ أو الرّسولِ مِن مقامَاتِ الرّفعةِ مَا يدعوهُم إلَى الفخرِ بعدَ الرّسالةِ أو النبوَّةِ، وعَلى ذلك فِالتّعبيرُ بالفخرِ هُنا مِن بَابِ التضمينِ اللفظيّ بأن يُستعارَ أحدُ اللفظينِ لأداءِ معنى اللفظِ الآخرِ، وفِي البلاغةِ العربيّةِ منادحُ تُجيزُ هذا، والمعنَى عَلى شَاكلَةِ مَا قدَّمتُ مِن بَابِ المَجازِ الاستعارةِ.

وقد عوَّلَ الشّاعرُ فِي الكَشفِ عَن غَوامضِ حبِّ النبيّ لسِبَطيهِ الكَريمَينِ، عَلَى الآثارِ الواردةِ فيهما مِن كلامِه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمعنَى دونَ اللُّجوءِ للتّصريحِ بِذكرِ هذه الآثارِ، بِل بِإيرادِه بعضَ اللفظِ وَجزءَ المعنَى، فيتَسنَّى للمُتلقّي الوقوفُ عَلى الفائدةِ المُرادةِ مِن هذه المَرجعيّةِ لِمَامًا مَعَ رَبطِه بينَ ما جاءَ في الأثرِ وما حَدَّهُ الفَتَّالُ مِن حُدودِ تلكَ المَحبَّةِ الّتي يَكنُها الرّسُولُ لهَمُا، ولذا فإنَّنا نَقِفُ مِن مَساقاتِ الخِطابِ عَلى نَوعٍ مِن المرجعيَّاتِ الحَدِيثِيَّةِ، التي عَمدَ فيهَا إلَى الاقتباسِ غيرِ المُباشرِ، إذ إنّهُ لَم يُورِد مِن نصوصِ النبيِ (صلى الله عليه وآله وسلم) في حُبِّ سِبطَيهِ مَا يُرفعُ إليهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِلفظِهِ ومَعناهُ.

وفي الاحتفاءِ بِابنِ بِنتِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَإعظامِ مَكانتِهِ فِي الخَلْقِ، ومدَى مَا وصلَ بِهِ استِنكارُه عَلَى نفسِهِ وعَلَى النّاسِ مِن عَدَمِ رَفعِهِم لِغَشْوةِ[1] الفِعلِ السيئِ الذي لَحِقَ بِه (عَلَيهِ السَّلامُ)، يَأتِي قَولُ الشّاعرُ عَليّ الفتّال في (ملحمة كربلاء)[2]:{ مجزوء الرمل}

[1]) الترمذي، الجامع الكبير، 122/6، برقم 3782، تحفة الأشراف، 34/2 برقم 1793، والألباني، صحيح الإمام الترمذي، 2976.

إنَّما اسْتذكارُ سِبطِ المُصطَفَى عَبْرَ السِّنِين

هُوَ أنْ نَرْفَعَ عَنَّا غَشْوَةَ الفِعلِ المَشِين

فَنَرَى فِي السِّبطِ فِكْرًا

- مِن هَدْيِ جَدِّهِ- حُرًّا

لا بأنْ نزرع فينا الخَطَلا

كربلا يا كربلا ياكربلا

فنِسبَةُ الفتّالِ الحُسينَ (عَليهِ السّلامُ) لِجدِّه المُصطَفَى (صلى الله عليه وآله وسلم) أشْكَلُ بِمقامِ المَديحِ، وَأليقُ بالثّناءِ عَليهِ، فَإنّهُ مِنهُ بِهذه المنزلةِ العَظِيمةِ الّتي لَا يَرقَى إليهَا دُونَهم بَشرٌ، مِمّا يَنسبُ إليهِ وَإلَى الحَسنِ أخيهِ (عَليهما السّلامُ) المَرتبةَ الرّفيعَةَ ويُثبِتُ لَهُما اَلمَكانةَ العَليَّةَ، وَقد استرْعَى ذلِكَ المعنَى الفتّالَ فَراحَ يُعبّرُ عنهُ بِمَا يَضمَنُ لَهُ عِندَ مُتلقّيهِ الصّدقَ وَالمَبالغةَ في الثّناءِ بِمَا يَستحقُّه الحُسينُ (عليهِ السّلامُ) فَقوَّى مِن دلالةِ هذا المَعنَى بِربطِهِ بِبَعضِ كلامِ للنبيّ الكَريمِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيثُ نصَّ عَلَى ذلِكَ صَراحةً فِي مَعرضِ الانتِسابِ وَالتّشديدِ عَلَى أنَّ لِهذين الغُلامَينِ مِن الخَصوصيَّةِ مَا ليسَ لَبشرٍ عَلى الأرضِ؛ إذ إنّ منزلتهما عنده منزلةِ الوَلَدِ.

غيرَ أنَّ هذا الاقتباسَ الحَديثيَّ المُباشَرَ بينَ قولِ الشّاعرِ فِي هذه القِطعةِ وكَلامِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يُعطِيهما مَكانَهما الحَقيقيَّ مِنهُ، حيثُ يقولُ النبيُّ الأكرمُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "حسينٌ منّي وأنَا مِن حُسَينٍ، أحبَّ اللهُ مَن أحبَّ حُسيْنًا، حُسَينٌ سِبطٌ مِن الأَسباطِ"[3]، فَإبرازُ الغايةِ مِن هذا النّوعِ مِن الاقتِباسِ لا تتّضحُ إلّا بِالموازنةِ بَين قولِ النبيّ وكلامِ الشّاعرِ، فَلَم يَكُن الفتّالُ لِينسِبَ للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) شَيئًا لَم يَقلْه، وانطلاقًا مِن هذه الغايةِ نَجِدُ أنّهُ عوَّلَ عَلى نصّ كلامِه (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أوردتُه سَلفًا مِن غيرِ تَحويرٍ لهُ،

---

[1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (غَشَوَ)، 132/6، الغشاءُ، والغشوةُ: الغطاءُ والحجابُ، والسترُ، وإنما يعني بها الشاعرُ – هنا – الحائلَ المانعَ من التأثرِ لمقتلِ الحسينِ (عليه السلامُ).

[2]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 8/ 46.

[3]) محمد بن عيسى الترمذي، السنن، حديث رقم/ 3775، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، حديث رقم، 144، أبو عبد الله أحمد ابن حنبل، حديث رقم/ 17795، الألباني، صحيح الجامع، حديث رقم/ 3146 , القمي, ابن قولويه :كامل الزيارات ,53 , النعمان المغربي(ت 363هـ): شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار.,ج3\112.

عَلى أنَّ بعضَ مَا أعوزَهُ إلَى التّقديمِ والتّأخيرِ أو تَغييرِ بعضِ أماكنِ الألفاظِ، لَم يَكُن بِالّذي يُحكَمُ معَهُ بِأنَّ لِهذا التّناصِّ وجهًا سِوَى الذي ذكرتُه، فهو نَصٌّ مُقتَبَسٌ بِلفظِهِ ومعنَاهُ مِن كلامِ النبيِّ (صلى الله عليه واله وسلم)، وكانت مُباشرةُ الشّاعرِ لِهذا الاقتِباسِ هُنا؛ لظهورِ إرادتِه فِي الإخبارِ بمدَى مَا تُحقِّقُه نِسبةِ الحُسَينِ(عليه السلام) مِن النبيِّ (صلى الله عليه واله وسلم)، ومَا تُلزِمُ بِهِ مَن اعترفَ بِهَا مِن حَتميَّةِ تَبجيلِهِ وإجلالِهِ (عَليهِ السّلامُ) وَضرورةِ العملِ عَلَى الأخذِ بَثأرِهِ حتّى بِمجرَّدِ الاستِنكارِ لِلفعلِ المَشينِ الذي لَحِقَ بِهِ (علَيهِ السّلامُ) بَراءةً أمامَ اللهِ تعالَى مِن وزرِ قتلِهِ.

فَكما يُلحَظُ فِي نَصِّ حَديثِهِ (صلى الله عليه واله وسلم)، تَسليطُ الضّوءِ عَلى العلاقةِ التي تربطُ بينَ النبيِّ الاكرم والحُسينِ (عليه السلام)، والتي تَحملُ في تَضاعِيفِهَا إشَفاقًا منهُ (صلى الله عليه وآله وسلم)على هذا الصبيِّ الذي ضمَّهُ إليهِ، وأخبرَ أنّهُ سِبطٌ مِن الأسباطِ، كَما تُوحِي تلكَ العبارةُ بِمدَى قُربِ الحُسينِ مِن النبيِّ، وهو مَا أرادَ الشّاعرُ العراقيُّ المُعبِّرِ بِلسانِ حَالِه وَلِسانِ مقالِه عَن قَضيَّةٍ مِن القَضَايَا القَديمةِ الحَادثةِ، أن يُقرَّ القارئَ عليهِ تَثبيتًا لفؤادِه وإيذانًا بِأنّهُ عَلى العهدِ معَ الحُسَينِ لَا يَنكثُه، فَكانَ مُرتكَزُه في التّعبيرِ عن هذه الدلالةِ الّتي جَمعَت عَليهِ مَا تَفرَّقَ مِن أشَلاءِ وجدانِهِ، أن يَصوغَهَا مُنسوجةً في منوالٍ واحدٍ معَ كلامِ النبيِّ عَن سِبطِه الحُسينِ (عليهما السلام).

2- الاقتِباسُ الحَديثيُّ المُباشِرُ فِي حُبِّ الوَالِدَينِ

وَإنَّنا لَنَقِفُ فِي شِعرِ الفتّالِ عَلَى ما يُظهرُ مدَى مَا يدّخِرُه لِوالدِه مِن مَحبَّةٍ غَامرةٍ بِأسلوبِه العذبِ الرّقيقِ، مُتَابِعًا فِي ذلِكَ سَيرَهُ في طَريقِ استِحضَارِ شيء من حديث النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، استِدلالًا عَلَى قوَّةِ هذه العَاطفةِ الّتي مَلَكتْ عَليهِ قلبَهُ، مِن قصيدة (أبي)[1]:{ مجزوء الرجز }

لَو لَمْ يَقُل مُحمّدٌ

مَقولَةً في العَرَبِ

فَلَا نبيٌّ بعْدَه

لَقُلتُ إنَّكَ النَّبي

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 84/4 .

مُستمسِكًا فِي إثباتِ قوّةِ هذه العَاطفةِ، ومدَى مَا يُكنّهُ لِأبيهِ مِن الحُبِّ بِحديثِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم): "لا تقومُ الساعةُ حتى تلْحقَ قبائلُ من أمَّتي بالمشركينَ، وحتَّى تُعبَدَ الأَوْثَانُ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابًا ، كُلُّهُم يَزعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي"[1]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث آخر: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ، أَلَا فَاعْبُدوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالَكُمْ طَيِّبَةً بِهَا أَنْفُسَكُمْ، وَأَطِيعُوا وُلاةَ أَمْرِكُمْ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ"[2]. فتعاضَدَت بِذلِكَ قوَّةُ العاطفةِ معَ قوَّةِ المعنَى الذي أدَى الشّاعرُ بِهَا مَا يدلُّ عليهَا بِهِ مِن كلامِ النبيِّ الذي نَقلَهُ عنهُ بلفظِهِ ومعناهُ، لِيكونَ عَلَى شَاكلةِ مَا يُطلَقُ عليهِ في أعرافِ النّقدِ الحَديثِ مَفهومَ الاقتباسِ المُباشر.

ولَم يَبغِ الشّاعرُ هُنا سَبيلَ المقارنةِ بينَ أبيهِ والنبيِّ في المرتبةِ والمكانةِ، وإلّا لَصَارَ إلَى مَا ليسَ إلَى الحُكمِ بِغيرِه سبيلٌ مِن الكُفرِ، وَلكنَّهُ لِمّا عَلِمَ مَا لِهذه المكانةِ التّي هِيَ مِن أرفعِ المَنازلِ الّتي يَمتنَّ بِهَا اللهُ عَلى إنسانٍ مِن الرّفعةِ والجلالِ، أرادَ أن يُحدِثَ ويُخبِرَ بِأنّهُ لَو لَم يَقلِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا القولَ قاطِعًا بِأنّ النبوَّةَ انقطعتْ عندَهُ، لكانَ أبوهُ خيرَ مَن يَحلُّ هذا المحلِّ؛ لِمَا يَراهُ فيهِ مِن العظمَةِ ورفعةِ المنزلةِ.

استعانَ الفتّالُ بِهَذا الاقتباسِ طَلَبًا للتوسُّعِ في المعنَى وتَجاوزِ حدودَ المنطقِ والمعقولِ في المعنَى، وهذا مِن المَعاني المَجازيَّةِ الّتي يؤتَى بِالتّناصِّ مِن أجلِهَا في شِعرِ أحدِهِم، تكونُ أقوَى ما تكونُ في الاقتباسِ المُباشرِ المُشاكلِ لِفعلِ الشّاعرِ هُنا في هذا الخطابِ، حيثُ قابَلَ بينَ مَا يُمكنُ أن يَكونَ عليهِ أبوه مِن جلالِ المكانةِ وكلامِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم): "لَا نَبِيَّ بَعْدِي"، وهو كلامٌ منقولٌ نقلًا مُباشرًا مِن حديثِه السّالِف (صلى الله عليه وآله وسلم).

وِممّا يَنبغي التّنبيهُ عليهِ هُنا أنّي قَد عرضَ لِي القولُ بِأنّ الغرضَ مِن الاقتباسِ المُباشرِ في هذا الخطِابِ التوسُّعُ في إيرادِ الدّلالةِ وإثباتِ المعنَى، بِمَا وقعَ لِي في كَلامِ الدّكتور أحمد الزغبي، حيثُ نصَّ علَى ما يُؤذنُ بِأنَّ مِن أغراضِ التّناصِّ المَجازُ بِقولِهِ: "ويَرى أنجينو أنَّ المقروءَ الثقافيَّ جزءٌ لا يتجزَّأ من تجليَّاتِ النصِّ، وأنَّ التناصَّ يتعلَّقُ بالاستعمال المجازيِّ الذي ينقل الدليلَ المعنويَّ إلى دليلٍ سيميائيٍّ"[3]، ولعلَّهُ يعنِي بِنقلِ الدّليلِ المعنويِّ إلَى سِميائيٍّ، تلكَ

---

[1]) أخرجهُ الألباني، صحيح الترمذي، حديث رقم 2219 .

[2]) أخرجه: ابن أبي عاصم :السنة ,(1061)، والطبراني (7535)، وابن عساكر (24/ 51).

[3]) أحمد الزغبي، التناص نظريًا وتطبيقيًّا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2000، 14.

العلامَاتِ الكامنةِ الّتي تُهيمِنُ عَلَى المعنَى وتُعطيهِ مَرجعيَةً تُضفِي عَليه لَونًا مِن التّأكيدِ وَالقُوَّةِ الدلاليّةِ؛ بِسببِ الإزاحةِ البلاغيّةِ المُتوخّاةِ مِن استرجاعِ النّصِّ الدينيّ في الخَطابِ الشّعريّ.

ومِن ثمَّةَ يُمكنُ استبانةُ الغرضِ الذي دفعَ بالفتّالِ لِتوظيفِ هذا النّوعِ مِن الاقتباساتِ الحَدِيثيَّةِ المُباشرَةِ في خِطابِهِ الآنِفِ، فَهوَ لَم يُرِد المُوازنةَ ولا الُقارنةَ وَلا الامتِنانِ عَلَى أبيهِ بِمَا لَيسَ لبشرٍ حقٌّ فِي أن يُسبِغَهُ عَلَى بَشرٍ، فَالنبوُّةُ مِن أعلَى مَنازلِ البشَرِ الّتي يَمتنُّ بِهَا المولَى جلَّ شَأنُه عَلى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، ولكنّهُ رَغِبَ في إبرازِ هذا المكانةَ الّتي يَتبوَّأهَا أبوهُ في نِفسِهِ، فَراحَ يُدلِّلُ عَلى ذلِكَ بِاسترجاعِ قولِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في تَضاعيفِ نَصِّه.

3- اقتباساتُ الشّاعرِ الحَدِيثيَّةُ المُباشرةِ في المَواعظِ والحِكمَةِ:

وهُنا يُجلِّي لَنَا الشّاعرُ عَن مَقدرتِه في صَوْغِ مَوعظتِهِ للنّاسِ وَإرشَادِهِم نحوَ مَا يَنفَعُهم بِتركِ الخَوضِ في النميمةِ والغَيبةِ؛ لِمَا يَنتجُ عنها مِن آثارٍ سلبيَّةٍ تَجلبُ عَلى المُجتمعِ الفسادَ؛ فَيقولُ في (أنا)[1] وهو ليس من الشعر وانما يعد نظما:{ مجزوء الكامل }

وَدَعِ الذَّميمَةَ والشَّتيمةَ والنَّميمةَ في الذِّمَم

فالنَّاسُ كُلُّهمُ عِيالُ اللهِ مِن لَحْمٍ ودَمْ

وحيثُ لَم يَكُن مِن الدّينِ أن يَنسِبَ أحدُنا إلَى اللهِ مَا لَم يَقُل، عَرضَ للفتّال فِي خِطابِهِ للاقتِباسِ المُباشرِ مِن سُنَّةِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِقدرِ مَا يدلُّ بِهِ عَلَى سَلامةِ مَقصدِهِ وحقيقتِهِ ؛ ليكُونَ أجدرَ في الإذعانِ لَهُ والإنصاتِ إليهِ، وأخلقَ بِالتّصديقِ، فضَمَّنَ قولَهُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "الخَلْقُ عِيالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الخَلْقِ إلَى اللهِ مَن أَحسَنَ إلَى عِيالِه"[2]، وقد استقَى الشّاعرُ مِن هذا الحَديثِ ضَرورةَ التزامِ المَرءِ بالخُلُقِ الحَسَنِ، وَتَفكُّرِهِ فِي أنَّنا جَميعًا عِيالٌ على اللهِ تعالَى وَأنَّ اللهِ لَا يرضَى فِي أحدٍ مِن عِيالِهِ ما يَرضاهُ عيالُه في بَعضِهِم.

وذلِكَ مدعاةٌ لِأن يُراعيَ كلٌّ مِنَّا مَنطقَهُ وَيحفظَ لِسانَهُ، فَلا يَذمم أحدًا وَلا يقدحَ في عِرضِ أحَدٍ، فَإنَّ ذلِكَ مِمّا يعودُ عَلَى صَاحبِه بَالسُّوءِ، ويُنتِجُ بينَ النّاسِ المُشاحنةَ والبُغضَ، مِما يُوجِبُ للمُغتابِ والنّمّامِ عقوبةَ اللهِ تعالَى، في الدُّنيا والآخرةِ، وإنّ لِتمثُّلِ الشّاعرِ بقولِ النبيّ (صلى الله

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 4/ 152 .

[2]) البيهقي، شعب الإيمان، 454/6، حديث رقم/ 2528 .

عليه وآله وسلم) صِفةَ الاقتباسِ المُباشرِ، حتّى مَا نَراهُ مِن اختلافٍ ظَاهرٍ بينَ ألفاظِ الحديثِ ولفظِ النّصِّ الشّعريّ، فَالمُقتَبسُ مِن كلامِ النبيّ مُشاكِلٌ لِمَا أوردَهُ الشّاعرُ في عُنصرَي الدّلالَةِ وَاللّفظِ بِاستثناءِ مَا سَاقَهُ مُخالفًا مِن قولِهِ: "فالنَّاسُ كُلُّهمُ عِيالُ اللهِ"، عَلى أنَّ قولَ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يُخالِفُ ذلِكَ اللفظَ، فَأبدلَ الشّاعرُ كلَمِةَ (الخَلقِ) مِن كلامِ الرُّسولِ إلَى (النّاسِ) فِي كَلامِهِ، وهُما مُترادِفانِ في المعنَى والمدلولِ الحرفيّ لِكلٍّ مِنهُما.

وذلِكَ الاختلافُ الظّاهريُّ فِي جُزءٍ يَسيرٍ مِن الملفوظاتِ، غيرُ طَاعنٍ عَلى طَريقةِ الاستحضَارِ، وعَلى كَونِ هذه المَرجعيّةِ مِن الاقتباساتِ المُباشرةِ، إذ إنّ للاقتِباسِ غيرِ المُباشرِ طَريقًا يُوضِّحُه الدكتور فرهود بقولِه: " وهذا الحوارُ معَ اللُّغةِ القُرآنيَّةِ لا يقطعُ الكاتبَ عن صفةِ المرجعيَّةِ النَّصيَّة، وإنَّما يُنشئُ من ارتكازِه عليها وعيًا جديدًا ينسجمُ معَ ما يُؤمنُ بهِ المُبدعُ"[1]، فالتّكاملُ المعنويُّ أو اللّفظيُّ الذي يُنتِجُه تَعاملُ الشّاعرِ مَعَ المرجعيَّةِ الدّينيَّةِ نَاتجٌ مِن قُدرتِهِ عَلَى تَحويرِ بَعضِ ألفاظِ النّصِّ المُقتبَسِ تَحويرًا لَا يُؤثِّرُ في الحُكمِ عَليهِ بِأنّهُ مِن الاقتباساتِ المُباشرةِ.

وذلِك الذي فعلَه الفتّالُ من تَحويرِ لَفظِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)(الخَلْق) إلَى مَا يَقُومُ مَقامَهُ مِن ألفاظِهِ الخَاصَّةِ مع استبقاءِ سَائرِ ألفاظِ الحديثِ عَلى حالِها، مِمّا لَا يؤثِّرُ في نَوعِ الاقتِباسِ، ولعلَّ الدّافعَ إلَى هذا التّحوير أنّهُ أرادَ ضبطَ الدلالةِ علَى وَفقِ مَا يَعرضُ لهُ مِنهَا، وَما يُناسِبُ معناهُ هو، لَا أن يَقِفَ بالمتلقّي عَلَى مقصودِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِصورةٍ مُطابقةٍ بَحتَةٍ.

4- اقتباسَاتُ الشّاعرِ الحَدِيثيَّةُ المُباشرةُ في المودَّةِ والإخاءِ:

وهُنا حَيثُ يُجلّي الفتّالُ عَن نَزعةِ العاطفةِ الّتي حملتْهُ عَلَى الإسفارِ عَن عذبِ مَشاعرِهِ تِجاهِ أحدِ أصدقائِه المُقرّبينَ[2]، وكأنَ قدَ عادَ مِن رِحلَةِ الحجِ، يصبُّ هذا الإحسَاسَ الفيَّاضَ بِرُوحِ المودَّةِ لهُ فِي قالبٍ شِعريٍّ مُنبثقٍ عَن مصدر اصيل من مصادر الشريعة الاسلامية ، وهو السُّنَّةُ

[1]) أشرف مانع فرهود بمشاركة آخرين، المرجعيات الدينية في شعر أحمد خيال، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد/ 1، عدد/ 6، 2021، 4.

[2]) وهو الأديب: عودة ضاحي التميمي : شاعر كربلائي معاصر ولد(1948م), وله قصائد شعرية متنوعة.

النبويَّةُ، فَيعلَقُ بِبَعضِ مَا جاءَ عَن النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مِن كلامٍ فِي صِفَةِ الحجِّ الذي يُؤجَرُ عليه صَاحبُه، فيُعبِّرُ الفتّالُ عَن هذا المعنَى بقصيدة (حجُّ مبرور)[1]: { بحر السريع }

حَجُّكَ يَا عَودَةُ مَبرُورُ والسَّعيُ فِي سَعيِكَ مَشكُورُ

زُرنَاكَ فِي تَهنِئَةٍ قَد بَدَا مِن كَعْبَةِ اللهِ بِهَا النُّورُ

ولأنَّ هذه المَقامَاتِ مِمّا لَا يَقومُ فِيهَا حُجَةٌ لِمُتكلِّمٍ إلّا بِمَزجِهَا بشيءٍ مِن الكِتابِ أو سُنَّةِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، يُلاحظُ الفتّالُ ذلِكَ، فَيتطرَّقُ إلَى بعضِ حَديثٍ للنبيِّ الكريمِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويَضعُه بِلفظِهِ ومعناهُ فِي طَيَّاتِ كَلامِهِ، ليكونَ ذلِكَ الاقتباسَ أدلَّ عَلى مَقصدِهِ، وَأشدَّ التصاقًا بِالمعنَى الدّعائيِّ الذي أتَى الشّاعرُ فيهِ بِهِ، وذلِكَ بِإقرانِه بينَ خِطابِه وكلامِ النبيِّ المُباشرِ في هذا الشّأنِ، وَكانَ (صلى الله عليه وآله وسلم) قد سُئلَ عَن أيِّ الأعمالِ أحبُّ إلَى اللهِ تعالَى، فعدَّدَ مِن هذه الأعمالِ ثمَّ ثنَّى بِقولِهِ: "وحَجٌّ مَبرُورٌ"[2]، وقد سَاقَ الفتّالُ في تَهنئتِه لِصديقِه (عَودةَ) نَصَّ الحَدِيثِ مُباشرةً دونَ اجتراءٍ عَلى لَفظِهِ أو إجراءِ تَغييرٍ فِيهِ، سِوَى أنّهُ وَسَّطَ اسمَ صَاحبِ التّهنئةِ بَينَ (حَجُّك) وَ(مَبرُورٌ) فَقالَ" حَجُّكَ يَا (عَوْدَةُ) مَبْرُورٌ"، وهذا التّوسيطُ مِن غيرِ مَا يُؤثِّرُ فِي طَبيعةِ الاقتباسِ ونوعه.

وَعبرَ تَأثيرِ هذا الاقتباسِ يَنقلُ لَنا الفتّالُ صُورةً حيّةً عَن الرّابطةِ الّتي جمعتْ بينَهُ وبينَ صاحبِ هذا الاسمِ (عَودَةَ)، فَحرصُ الشّاعرِ عَلى بيان نَبعٌ مِن صِدقِ تَجربتِه الشّعريّةِ الّتي إن دلَّتْ فإنّما تدلُّ عَلَى إنسانيَّتِه وَسَعةِ عَلاقاتِه وَتعدُّدِ اتّصالاتِه بِالنّاسِ، لاسيّما لَو كانَ هذا النّظمُ مُتضمّنًا لِشيءٍ مِن كلامِ النبيِ المُباشرِ، فَإنَّ ذلِكَ مِمّا يَزيدُ فَي قُوَّةِ المعنَى ويؤكِّدُ عَلى حقيقةِ المَنشودِ مِنهُ، فَالاقتباسُ دَعمٌ للدلالةِ وَتقويةٌ للمعنَى وَتأكيدُ عَليهِ.

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 388/4 .

[2]) محمد ابن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، حديث رقم: 1567 .

المبحث الثاني

الاقتِباسُ غَيرُ المُباشِرِ مِن الحَدِيثِ النَّبَوِيّ

وفِيمَا سَلَفَ أشرتُ الى أقوالِ الأئمّةِ والبَلاغيينَ في اَلفرقِ بينَ الاقتِباسِ المُباشرِ وغيرِ المُباشرِ، ثمَّ إنَّ هذا المَبحثَ موضعُ حَديثِنَا عَن اقتباسَاتِ الشّاعرِ عليّ الفتّال غيرِ المُباشرةِ مِن سُنّةِ النبيّ الكَريمِ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي أغراضٍ شَتَّى، وُمناسباتٍ مُتباينةٍ، نأتِي عَلى ما اتّفقَ لِأيدِينَا أن تَصِلَ إليهِ من المجموعة الشعرية ، عَلَى نَحوِ مَا يَأتِي فِي مَواقِعِه.

1- اقتِباسَاتُ الفتّالِ غيرُ المُباشرةِ في مَديحِ النبيّ وَآلِ بيتِه الكِرامِ(صلى الله عليهم اجمعين)

يأتي سَعيُ الفتّالِ لِسَدِّ الفجوةِ التّاريخيّةِ بينَ زمنِهِ والزّمنِ المَاضِي، عن طريق التّأطيرِ لِخطابِه المَدحيّ في سيّدٍ مِن سَادَاتِ آلِ البيتِ الكِرامِ، وهو الشهيد علي الأكبر بن الحُسينُ بنُ عليّ بنِ أبِي طَالبٍ(عليهم السلام) ، فَيقولُ مُثنِيًا عَليهِ (عَليهِ السّلامُ) بِمَا بينَهُ وبينَ جَدِّهِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مِن الشّبهِ فقال في (الجرح المنتصر) [1]:{ بحر المتقارب }

وَهَـــذا العَـــريسُ وشـــبهُ الرَّسُـــولِ صَـــرِيعَانِ فَـــوقَ ثَـــرًى أَسْـــودِ

مُلوّحًا بِهذا الشّبهِ الذي جمعَ بينَهُ وبينَ جدِّه النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِعظيمِ منزلتِه وَرفعةِ مَقامِهِ، إذ إنَّ المُشابهةَ بينَ بعضِ النّاسِ وَبعضِهِم لَا بّدُ أن يَكونَ لهَا وجهٌ جامعٌ فِي الحُسْنِ أو السُّوءِ، وكونُ المَقامِ مَقامُ مدحٍ وَثناءٍ لَم يَجُز إخراجُ المُشابهةِ بينَ النبيّ وسِبطِه الحُسينِ وولده علي الاكبر عَلى الثّانيهِ ، ولِأنَّ مَقامَ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَآلِ بيتِه مِن المَقاماتِ الّتي لَا يُتصَوَّرُ فيهَا إلَا الكَمالُ والحُسنُ، كَانَت المُشابهةُ عَلى ذلكَ الوجهِ المَذكورِ، وَلِتأكيدِ هذه المُشابهةِ – فَالقولُ بِمَا يَتعلَّقُ بِالنبيّ وَآلِ بيتِه وصِفاتُهما الخَلْقيَّةِ والخُلُقيَّةِ لا يَنبغي أن يَكونَ إلّا بِدَليلٍ – يَربطُ الشّاعرُ بينَ قولِه هذا، ونصٍّ حَديثيٍّ مِن طريقٍ غَيرِ مُباشرٍ، لَم تُغفِل كُتُبُ السُّننِ والحَديثِ إيرادَهُ لِتحقُّقِ أصحابِ الحَديثِ مِن صِحّةِ وَسلامةِ هذا النصّ وَنسبتِه إلَى النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 24/5 .

وقدَ ثبتَ في الأثرِ عَن الإمامِ الحُسينِ (علَيهِ السّلامُ) أنّهُ قالَ: كُنَّا إذا اشتقْنَا إلَى النبيّ (صلّى اللهُ عَلَيهِ وآلـه وسَلَّمَ) نَظرْنَا إلَيهِ، "وَكانَ عليُّ بنُ الحُسينِ الأكبرِ، كما وصَفَهُ أبو الحسنِ (عَليهِ السّلامُ) أشبَهُ النّاسِ خَلْقًا وخُلُقًا وَمنطِقًا بِالرّسولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ)، وكُنّا إذا اشتَقنَا إلَى نَبِيّنا نَظَرْنَا إلَيهِ"[1]

وفي الأثرِ عن عليٍّ (عليه السلام)، أنَّهُ قالَ: " الحسَنُ أشبَهُ بِرَسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بينَ الصَّدرِ إلى الرَّأسِ، والحُسَينُ أشبَهُ بِرَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كانَ أسْفلَ مِن ذلِكَ"[2]، وإنّما لِإيرادِ الفتّالِ قضيّةَ مُشابهةِ الحُسينِ بنِ عليٍّ عليهَما السّلامُ للنبيّ الكريمِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مُناسبةً ظاهرةً في هذا النّصّ، فَسَعيُ قاتِليهِ في قِتلِهِ علمِهِم بِهذا الشّبهِ القويّ الذي يُعِيدُهم إلى ذِكرَى النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ويُذهِبُ عَن التّقيّ مَا يُخالِجُ قلبَهُ مِن رِيبةِ غمسِ يَدِه فِي دَمِ أقربِ النّاسِ إلَى قلبِ النبيِ، دليلُ كُفرانٍ بِمُبشّراتِ النبوّةِ، وحرص عَلى اختِراق حَرَمِ آلِ بيتِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدمِ الاعتدادِ بِالرّجاءِ فِيهِم.

وقد شكَّلَ هذا التّوظيفُ المُرجعيُّ الدينيُّ مِن هذا البيتِ، دعم لحجة الشاعر في عرض الفكرة ,و قيمةً بلاغيَّةً تَمثّلَها الشّاعرُ أوَّلًا فِي إبداءِ استعدادِ النّصّ لِانفتاحِ عَلَى نُصوصٍ أُخرَى تقوّيه وَتُعزّزهُ مِن مَسالِك النّظرِ فيهِ، وتحقّقُ الدلالةَ المُنشودةَ مِنهُ فِي التأّكيدِ عَلى أنَّ صِيانةَ آلِ بيتِ النبيّ بِالكَلِمةِ وَحفظِ حُقوقِهم بِهَا وَاجبٌ مِن الواجباتِ الشّرعيّةِ الّتي يَحثُّ عَليهَا الدّينُ، وفِي عَدمِ التّصريحِ بِمَناطِ تَعلُّقِ الحُكمِ الشّرعيّ في البيتِ بِمَا وردَ عَن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)أو عَن عليّ بنِ أبِي طالبٍ (عليه السلام) فِي هذا الصّددِ، تَضمينٌ غيرُ مُباشرٍ غَرضُه بَديعيٌّ يَستهدفُ تزيينَ اللّفظِ بِذِكرِ بَعضِ آلِ بيتِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) و رَبطِ البُنَى الدّلاليّةِ في خِطابِ الشّاعرِ بِحَقائقَ تاريخيّةٍ ذاتِ مرجعٍ حَديثيٍّ مُحقّقٍ للغرضِ مِن النَظمِ.

وفي الإشادةِ بهذا اللّونِ البلاغِّي من التَّضمينِ المعنويّ، المُسمَّى في أعرافِ النقدِ الحديثِ باسمِ الاقتباسِ غيرِ المُباشرِ، يقولُ صاحبُ العمدةِ: "فأمَّا التضمينُ: فهو قصدُكَ إلى

---

[1]) عليّ بنُ موسَى بن جعفر، كتاب مقتل الحسين (ت664)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ .67,

[2]) أبو عبد الله أحمد ابن حنبل، المسند، 99/1 : 108، وفضائل الصحابة برقم 1366، أبو عيسى الترمذي، الجامع الكبير، 120/6، برقم 3779، تحفة الأشراف، 453/7، برقم 10302 .

البيت من الشِعرِ أو القسيمِ، فتأتي به في أواخرِ شِعرِك، أو وسْطِه كالمُتمثِّلِ"[1]، ويعنِي بقولِه: "كَالمُتمَثِّل" أنَّ الشّاعرَ يَسوقُه في كَلامِه لَا علَى جهةِ التّواردِ باللّفظِ والمعنَى، إنّما بِالمعنَى وحسبُ، وهذا أبلغُ عندَهُ مِن الاقتباسِ المُباشرِ؛ لِمَا في غيرِ المُباشرِ مِن المُحاكاةِ الّتي تُظهرُ مقدرةَ الشّاعرِ عَلى تَصريفِ الكلامِ في وجوهِه بِأسلوبِه الخاصِ بِهِ، ودلَّنا على ذلكَ بقولِه: "وأجودُ منه أن يصرفَ الشاعرُ المُضَمِّنُ البيتَ المُضمَّنَ عن معنَى قائلِه إلى معناهُ"[2].

ثمَّ إنَّهُ يُعالِقُ بينَ خِطابِه وَما تؤولُ إليهِ دَلالاتُه المُؤذنةُ بِمكانةِ الحُسينِ وولده (عليهم السلام) مِن رَسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وبينَ مَا وردَ في ذلكَ مِن صَحيحِ الآثارِ، فَأوردَ المعنَى الدّالَ عَلى هذا الّي أشرتُ إلَيهِ، مَع احتفاظِهِ بِلفظِه هو في التّوظيفِ، دونَ تعويلٍ عَلى لَفظِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)أو الرُّواةِ، وذلكَ مِن قولِهِ في (الجرح المنتصر)[3]:{ بحر المتقارب}

وَجِئَ بِهِ للرَّسُولِ العَظِيمِ فَغَذَّاهُ مِن ثَغرِهِ واليَدِ
هُوَ السِّبط والقُرَّةُ المُنتَقَاةُ وَمَن مِن بِفلْذتِهِ قَد فُدِي!

حيثُ يُشيرُ بِالبيتِ الأوَّلِ مِن هذينِ البَيتَينِ، إلَى قَولِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لَمَّا سُئلَ: "أيُّ أهلِ بيتِكَ أحبُّ إلَيْكَ؟ قالَ: الحَسَنُ والحُسَينُ، وكانَ يقولُ لِفاطمةَ: ادْعِي لِي ابْنَيَّ، فيشُمُّهُما ويَضُمُّهما إلَيهِ"[4]، كما أنّهُ ضمَّنَ البيتَ التَّالي لِهذا البيتِ معنَى الحَدِيثِ الذي روتْهُ أُمُّ سَلمَةَ (رَضِيَ اللهُ عنهَا): "قالَتْ: رأيتُ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تعني في المَنامِ، وعَلَى رَأسِه ولِحيَتِه التُّرابُ، فَقُلتُ: مالَكَ يا رسُولَ اللهِ؟ قالَ: شَهِدتُ قَتْلَ الحُسَينِ آنفا

كما يلمحُ إلى قولِ أبي هريرةَ : "رأيتُ رسولَ اللهِ (صلَّى الله عليه واله وسلمَ) يَمُصُّ لُعابَ الحسنِ والحُسينَ كما يَمُصُّ الرجلُ التَّمرةَ"[5].

---

[1]) ابن رشيق القيرواني، العمدة، 30/2.

[2]) ابن رشيق القيرواني، العمدة، 31/2 .

[3]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 5/ 26 .

[4]) البخاري، التاريخ الكبير، ترجمة/ 3388، وتحفة الأشراف 440/1، برقم 1706،و الترمذي, الجامع الكبير، 116/6، برقم 3772.

[5]) تاريخ دمشق، 13/ 223 , – السيد علي الأبطحي : الإمام الحسين في أحاديث الفريقين – ج ١٢ \ ٤٢.

ولا شكَّ فِي أنَّ لِهذا التّعالقِ انبعاثاتٍ نصيَّةً تَعودُ بِأثرِهَا عَلى فَهمِ المعنَى العامِّ لِمَقصدِ الفتّالِ مِنهُ، فلَم يَكُن اقتباسُه معنًا مِن المَعانِي الّتي وَردَت كثيرًا في أحاديثِ المُصطفَى (صلى الله عليه وآله وسلم)إلّا تَأكيدًا عليهَا، وربطًا بينَهَا وبينَ مَعانٍ أخرَى جُزئيَّةٍ وَردَتْ فِي صُحبةِ المعنَى الرّئيسِ المُؤذنِ بِحبِّ الرسولِ في ابنَي بِنتِه السيَّدةِ فَاطمةَ (عليها السلام)، كالتّنويهِ بِمنزلتِهَما في الجَنّةِ، وتحقيقِ عِلمِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِاستشهادِ الحُسينِ، والتّأكيدِ عَلى أنَّ تقبيلَ الأبناءِ مِن الفِطرةِ، ومن معالِمِ الرّحمةِ.

وحيثُ لم يشأ الفتَّالُ قطعَ الصِّلةِ بينَ الحديثِ والموروثِ، يُجاوزُ بهذينِ البيتينِ مراحلَ الزمنِ المُتشظيَّةِ، ليقِفَ بها على عتباتِ الماضِي الذي يتَّصلُ بحوادثِ الأيَامِ الرَّاهنةِ، علَى سبيلِ الترميز بهذا الاسترجاعِ إلى أنَّ ما وقعَ من النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من محبَّةٍ لابنِ بِنتِه الحُسينِ ملمحٌ من ملامحِ الخروجِ على نمطيَّةِ التعاملِ بينَ الآباءِ وأبنائِهم في ذلك العهدِ، صُورةٌ من صُورِ الحضارةِ الَّتي استقلَّ بها العراقُ وكربلاءُ منها على جهةِ الخُصوصِ، بهذهِ الواقعةِ التاريخيَّةِ، وذلك من خلالِ ما يُقرّرُه الاسترجاعُ التَّاريخيُّ للأحداثِ في صُورتِه الدينيَّةِ من"أهميَّةٍ للدَّورِ المعرفيِّ لِلشِّعرِ وقِيمتِه التَّاريخيَّةِ وأهميَّتِه المَضمونيَّةِ"[1]، فبلاغةُ الخِطابِ الشِعريِّ المنوطِ به استحضارُ المُقابساتِ النَّصيَةِ رهينةُ هذا القالبِ المضمونيِّ، لا تُحقِّقُ مُفرداتُ تكوينِه ثمرتَها إلَّا بِنظرِ الخِطابِ في مجموعِ ما أنبنى عليهِ من النصِّ الجديدِ والنصِّ الأسبقِ منهُ.

2- اقتِباسَاتُ الشّاعرِ الحَدِيثيَّةُ غيرُ المُباشرةِ في المَودَّةِ والإخاءِ:

ومِن الاقتِباساتِ الحَديثيّةِ غيرِ المُباشَرةِ، الّتي أوردَهَا الفتّالُ ضِمنًا في تَضاعيفِ خِطابِه الشّعريِّ، بِغرضِ مُداعبةِ أحدِ أصدقائِهِ[2]، وَوسمِهِ بِصِفَةِ الحُسنِ، بِمَ يُضفِي عَلَى نصِّهِ عُنصرَ القُوَةِ وَيعَيِّنُ فِيه المَقصدَ، قولُه في (دعابة)[3]:{ بحر الكامل }

فَتَسَلْسلَ النَّبعُ الكريمُ مُباركً (بِمُحمَّدٍ) وبِهِ (الجوادُ) تباهَى

الى قوله[1]:{بحر الكامل }

---

1) وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، الكويت، عدد/ 207، 1996 , 86.

[2]) ينظر: 238/4، والمشار إليه هو صديق له، اسمه محمد، وكان أحد منتسبي المنشأة العامة للتعليب، وكان احتفاؤه به بمناسبة التحاقه بخدمة العلم.

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 4/ 232.

فَورِثتَ يُوسُفَ صَورةً وَمَحاسِنًا وَغَزَوتَ أَفئِدَةً، وكُنتَ فَتَاهَا!

حيثُ يُلمِحُ بالبيتِ الثّانِي مِن هذا النّموذجِ المُنتقَى للتّحلِيلِ، إلَى مدَى ما تمتَّع بـه صـديقُه من صِفَةِ حُسْنِ الخِلقةِ وجمالِ الإطلالةِ وبَهاءِ المَنظَرِ، مُعالقًا بـينَ قولِـه السَـالفِ فـي صـديقِه (محمدٍ) المُصرَّحَ باسمِه في غيرِ موضعٍ من هذه القصيدةِ، وبينَ قولِ النبيّ (صلى الله عليه آالـه وسلم): "أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ شَطْرَ الحُسْنِ"[2]، وذلك حيث أراد الشّاعرُ أن يجعلَ محلَّ دورانِ المُفاضـلةِ بينَ محمدٍ هذا وبينَ مَن سواهُ من النَّاسِ – في هذين البيتينِ – حولَ حُسنِ الوجهِ وبهائِهِ، فلم يجد مثالًا للجمالِ خيرًا من يوسفَ (عليهِ السَّلامُ).

وقد استنبطَ حُكمَه بحُسنِ يوسفَ (عليهِ السَّلامُ) من كَلامِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)فِي وصفِ يُوسُفَ (عَليهِ السّلامُ)؛ كي لا يكونَ كغيرِه من النَّاسِ ممَّن يخبطونَ فـي هذه المسـألةِ - تحديدًا - خبطَ عشواءَ بلا سندٍ ولا دليلٍ، فَعمَدَ إلَى الدّليلِ مِن السُّنَّةِ النبويَّـةِ، لِبيـانِ إمكـانِ مُشـابهةِ بعضِ البَشرِ لِحُسنِ يُوسفَ (عليهِ السّلامُ) عَلَى سَبيلِ المُبالغـةِ فـي القَصـدِ، وبِـدافِعِ توقِيـفِ مُتلقِّيـهِ عَلىَ أنَّهُ مُحبٌّ لَهُ لِتلكَ الصّفاتِ الّتي فَصَّلَهَا في أبياتِه السّابقةِ واللاحقةِ لِهذا البيتِ، ومِنهَا حُسنُه، فَالحُسنُ مِن مظـاهرِ الجَـلالِ الّتـي تَأخذُ بِمجـامعِ القُلوبِ وَتُعلِّقُ بعضَ النّـاسِ بِبَعضـهم؛ لِأنّ اللهَ تَعالَى قد جَبَل النّاسَ عَلى حُبِّ الجَمالِ والتّباشرِ بِهِ.

ومدعاةُ القولِ بِأنّ هذا الاقتباسَ الّذي عَالقَ فِيهِ الفتّالُ بينَ قولِـه وَبـينَ قـولِ النبـيّ (صـلى الله عليه واله وسلم)، الذي ضمَّنَهُ لِكلامِه عَلَى سبيلِ الاستدلالِ، مِن نَوعِ الاقتِبـاسِ غيرِ المُباشرِ ظَاهرةٌ هُنا، فالاقتباسُ مَتى تَحوَّرَ بقدرة الشّاعرِ على نَقلِ بعضِ تَراكيبِه مِن أماكنِهَا لِإحلالِها في أماكنَ غيرِهَا بتقديمٍ وتأخيرٍ، أو بِحذفِ أو زيادةِ بعضِ الألفاظِ عليهِ لَم يَكُن إلّا مِن هذا الـوادِي، أعنِي وادِي الاقتباسِ غيرِ المُباشرِ، لِتَوظيفِ المُبدعِ لهُ عَلى صُورةٍ سِوَى الّتي نَصَّ عليهَـا النبـيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في كِلامِهِ، وتَتّضحُ مُخالفةُ الشّـاعرِ لِمَـا نـصَّ عَليـهِ النبـيُّ (صـلى الله عليه وآله وسلم)في كلامِـهِ الدالّ بِـهِ عَلَـى أنَّ يُوسفَ قَد أعطِـيَ شَـطْرَ الجمـالِ فِـي المُقارنـةِ بـينَ القَولَينِ، وبينَ الدّلالَتينِ المُرادَتَينِ مِن كلٍّ مِنهَما، فقولُ الشّاعرِ:

فَورِثتَ يُوسُفَ صَورةً وَمَحاسِنًا وَغَزَوتَ أَفئِدَةً، وكُنتَ فَتَاهَا!

---

[1]) المصدر نفسه، 234/4.

[2]) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 80/16، والحاكم، المستدرك، حديث رقم/ 4082، الألباني، صحيح الجامع، حديث رقم، 1063 .

مُستدعٍ لِدَلالةٍ مَخصوصةٍ، عُنيتْ بِبيانِ سببِ افتتانِ الناسِ بِهذا الشّخصِ الذي يَمتدحُه الشّاعرُ بِحُسنِه وجمالِهِ، فقولُه: "وَغَزَوتَ أفئِدَةً، وكُنتَ فَتاهَا" مُبرِزٌ لِأنَّ مَن غَزْوَ الممدوحِ لِأفئِدةِ هؤلاءِ الخَلْقِ، رَاجعٌ إلَى مَا اتّسمَ بِهِ مِن نُعوتِ الجَمالِ وصِفاتِ الحُسنِ الّي وَهبَهُ اللهُ لَهُ، عَلَى شَاكِلَةِ الحُسنِ الذي وَهبَهُ لِيُوسَفَ (عَليهِ السّلامُ) وما حدث للنسوة عند ما رأيْن يوسف -عليه السلام- اندهشنَ بشدَّة جماله، ومن شدَّة الانبهار قُمنَ بتقطيع أيديهنَّ، فقالت لهنَّ زليخة هذا الذي كنتم تلومنني بما فعلته معه، وهدَّدته بالسجن إن لم يستجِب لأمرها [1] ، فكانَ استرجاعُه لِمَضمُونِ هذا الحَدِيثِ فِي نَصِّهِ بَاعثًا عَلَى الاستِثباتِ مِن هذه الصِّفةِ فِي المَمدُوحِ، والّتي أرادَ الشّاعرُ أن يُضفِيَ عَليهَا صِفةَ الحَقيقةِ، فَجلَّى عنهَا مِن خلالِ مُلابسَةِ مَعناهُ لِمعنَى هذا الحَديثِ.

علَى حينَ نجِدُ حديثَ النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مُشكِّلًا لِمَنهجٍ كُليٍّ لَيسَ فيهِ تَخصيصٌ، فَالمُرادُ مِن قولِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): "أُعطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ شَطْرَ الحُسْنِ" تصريحٌ مِن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِنسبةِ صِفةِ الحُسنِ لِيُوسفَ، بِمَا لَا يَدعُ لِمدّعٍ معَ إقرارِه هذا كَلامًا مَطروحًا للنّقاشِ، وذلِكَ وجهٌ مِن أوجهِ المُخالفةِ الدلاليّةِ بينَ مَا سَاقَهُ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي كلامِهِ ذلِكَ، ومَا سَاقَهُ الفتّالُ في خِطابِه الشّعريّ المُرتكزِ فِي تَعزيزِ دلالتِه عَلى قولِ النبيّ السّالفِ، فَقولُ الفّتالِ مُحتمِلٌ للنّقاشِ، لِأنّ قَياساتِ الجَمالِ والحُسنِ الّتي تتراءَى لَهُ في صَاحبِه لَيستْ عَلى قدرِ التّساوي معَ نِسبةِ الحُسنِ الّتي فِي يُوسفَ (علَيهِ السّلامُ)، كَما أنَّها مِمّا لا يَتَّفقُ عليهِ معَهُ غيرُه فِيهَا، فالنّاسُ فيمَا يَعشقونَ مذاهبٌ.

وكانَ مِمّا برعَ الفتّالُ في نَسجِ صُورةِ التّكافلِ والإخاءِ بينَ النّاسِ عن طريق إحالتِه عَلَى الاقتباسِ غيرِ المُباشرِ مِن سُنَّةِ النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم)، قولُه مادحاً(حارث طه الراوي) في قصيدته (رسالة)[2]:{ بحر الكامل }

أَشعَارُه شَمَخَتْ بِمِثلِ شُمُوخِهِ وَشُمُوخُهُ مِن نَبعِ آلِ الراوي

مُتَدَفِّقًا تَلقاهُ رِيحًا زَعْزَعًا حِينًا وَحِينًا لِلوَدَاعَةِ هَاوِي

وَجِرَاحُهُ جُرحِي، وَقَد شَارَكْتُهُ فَكَانَ وَاحِدُنَا أَخَاهُ يُسَاوِي

---

[1]) ينظر: وهبة الزحيلي (1418هـ)، التفسير المنير للزحيلي ,(الطبعة 2)، دمشق :دار الفكر المعاصر,12\ 192.

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 4/328:327 .

وَقَد عَبَّر الشّاعرُ عَن قيمةِ المُشاركةِ المُنعكسةِ مِن هذا الشُّعُورِ الطيّبِ بِالإخاءِ والتوادِّ الّذي يُشكِّلُ رابطةً قويّةً تَخضعُ لَهَا علاقتُه بِهذا الصّديقِ المُشارِ إليهِ في أبياتِ قصيدتِه هذه ، بِمَعانٍ مُتباينةٍ، غيرَ أنَّهُ بِوقوفِنَا عَلَى تلكَ الدّلالةِ المُستقاةِ مِن قولِهِ: "قلبِي يَنِزُّ دَمًا، وكذلِكَ قلبُه"، وقولِهِ: "لكنَّنا سَنَظَلُّ" وقولُه: "ونَظَلُّ نَمضِي" من قولِه[1]:

قلبـــي ينـــزُّ دمًـــا كـــذلِكَ قلبُـــهُ وشـــراعُ مركبِنـــا غـــدَا مُتَهـــاوي
لكنَّنـــا ســـنظلُّ نُبحـــرُ لـــم نَلِـــن يومًـــا لـــريحٍ صرصـــرٍ مأســـاوي

وقولِه كذلك[2]:

ونظـــلُّ نمضـــي فـــي الطريـــقِ ولـــم نُعِـــر أذنًـــا لمســـعورٍ – بِـــدَربٍ – عـــاوي

نُدرِكُ حقيقةَ مَا أرادَ الشّاعرُ التّعبيرَ عنهُ مِن مقاصدِ الخِطابِ، ذلِكَ أنّ جميعَ الضّمائرِ فِي هذه الأمثلةِ مُشعِرةٌ بِأنَّهما -في نَظَرِهِ- شَخصٌ واحدٌ انفصَمَ في جَسَدَينِ.

ثمَّ لمَّا أرادَ تَعزيزَ هذهِ الغَايةَ، طَلَبَهَا مِن بَابِ اقتباسِ مَعناها مِن حديثِ النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم)، فَقرَنَ بينَ خِطابِهِ وخِطابِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مِن حدِيثِه الّذي نصَّ فيهِ بِقولِهِ (صلى الله عليه واله وسلم): "المُؤمِنُ للمُؤمِنِ كالبُنيانِ، يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا"[3] عَلَى ضَرورةِ تَشابكِ عِبادِ اللهِ المُؤمِنينَ والحَثِّ عَلَى تَماسكِهِم وَتوادِّهم وَتراحُمِهِم، وانتصَارِ بعضِهِم لِبَعضٍ وَتَعاضدِهِم علَى تَحصيلِ الغَاياتِ المرجوَّةِ مِن الحَياةِ، لاسيَّما لَو كَانت مِن الأمورِ الّتي تشتملُ على مطالبَ تكليفيةٍ يَنبغي على الإنسانِ القيامُ بها تجاهَ غيرِه.

فتَسانَدَ عِندَهُ هذا المعنَى بِمدلولِ حديثِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فَتحقَّق الغرضُ مِن خِطابِ الفتّالِ الشّعريّ مِن طَريقِ الاقتباسِ غيرِ المُباشرِ، إذ إنّهُ عمَدَ إلَى مَعنَى هذا الحدِيثِ فَنقلَهُ عَملًا بِهِ فِي تقَويةِ خَطابِهِ وَتعزيزِ دلالتِه، وَلَم يسْعَ إلَى استرفادِ المعنَى بِلفظِهِ الذي جَرَى فِي لِسانِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) صَراحةً، وبينَ مَا يَرغبُ المُبدعُ في إيداعِه خِطابَهُ مِن

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة ، 328/4 .

[2]) المصدر نفسه : 329/4 .

[3]) الشيخ حسن القبانجي :شرح رسالة الحقوق – الإمام زين العابدين (ع) –,الطبعة: الثانية ١٤٠٦هـ, 1\ ٦٣١,محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، حديث رقم: 6026، مسلم ابن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، حديث رقم: 2585، الألباني، صحيح الترمذي، حديث رقم: 1928.

المعانِي المُقتبسَةِ مِن السُّنَّةِ صَراحةً وَالمُقتبسةِ مِنهَا تَضمينًا فَرقًا كبيرًا، يَظهرُ أثرُه فِي اللفظِ المُعوَّلِ عليهِ في النّظمِ، وفِي تَوجيهِ مدلولِ مَا أرادَه الشّاعرُ مِنهُ.

وذلِكَ حيثُ جعلَ الفتّالُ مِن جِراحِ صديقِهِ هِي نَفسَهَا جِراحَهُ، مُؤكِّدًا بِهذا التّركيبِ عَلَى أنَّ مَا يَحلُّ بِأحدِهَما يَشعرُ بِهِ الآخرُ، فيَأسَى لهُ ويتجرَّعُ أوجاعَهُ في حالةِ الحُزنِ، ويَسعدُ لِسعادتِه وَيَتشوَّقُ لِهَا في حَالةِ فرحِهِ، ولعلَّ هذا المعنَى أقربُ لاقتباسه معَ قولِه (صلى الله عليه وآله وسلم): " المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه"[1]، ذلِكَ لِمَا في هذا الحديثِ مِن قوَّةٍ أدائيّةً مُعبّرةٍ عَن تَضامّن المُؤمنِينِ وَشدّةِ تَماسكِهِم وَتوادّهِم، وَاجتماعِهم عَلى قَلبِ رَجلٍ وَاحدٍ، وَقد نفثَ الشّاعرُ في خِطابِه مِن رُوحِهِ، فشكَّلَه بِألفاظِهِ الخاصَّةِ بِهِ، غيرَ أنَّ المعنَى مُعوَّلٌ فِيهِ عَلى هذين الحَديثَينِ، وَالسّياقُ مُقتَضٍ لِإيرادِ هذه الدلالةِ المُنبثقةِ مِن كَلامِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)فِي حَديثَيهِ السّالِفَينِ.

3- اقتِباسَاتُ الشّاعِرِ الحَدِيثِيَّةُ فِي الدُّعاءِ والمُناجَاةِ:

ومِمّا جَرَى بِهِ لِسانُ الشّاعرِ مُؤذِنًا بِحالِهِ مَعَ ربِّه وَمدَى مَا تَنطوِي عَليهِ سَريرتُه مِن حُبٍّ فِي لِقائِهِ سُبحانَهُ، يقولُ متأمِّلًا في فضلِه، مُسفرًا عن رغبتِه في مغفرتِه الَّتي تُشعِرُه بالارتقاءِ الرُّوحيّ إلَى العُلَا فقال في (خاتمة المطاف)[2]:{ بحر الطويل }

فَلِي أَمَلٌ أَنْ أقضِيَ العُمرَ فيِ الهُدَى وَإنَّ هُدَى رَبّي لَخَيرُ كَفِيلِها

وَغُفرانُ رَبّي يَرتَقِي بِي إلَى العُلَا وَمِن ذا تَثُوقُ النَّفسُ صَوبَ خَلِيلِهَا

ففي إطارِ إفصاحِ الشاعرِ عَن رَغبتِه فِي أن يَكونَ مِن بينِ هؤلاءِ الذين أنعمَ اللهُ عليهِم بِمغفرتِه ورضوانِه، يعمَدُ إلَى تقويةِ الآصِرَةِ الّتي تَربطُ هذا المعنَى بِالدّينِ الذي هو عمادُ حياتِه، فيَسُوقُ شيئًا مِن كلامِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) تَعضيدًا لِدلالاتِه النّصيَّةِ وَمُساندةً لِمعانيهِ الذّاتيّةِ النّابعةِ مِن وجدانِهِ الصّادقِ في أن يَكونَ عَلى تلكَ الحالةِ معَ المولَى جلَّ وعزَّ، فَيَقِفُ بِنَا عَلَى مَعنَى حَديثِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)عَن أُمِّ المُؤمِنينَ عائشةَ : "مَنْ أحَبَّ لِقاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقاءَه، ومَن كرِهَ لِقاءَ اللهِ كرِهَ اللهُ لِقاءَه، قالَتْ، فقلتُ: فَكُلُّنا يَكرهُ المَوتَ، قالَ ليسَ كذلكِ، ولكنَّ المُؤمِنَ إذَا بُشِّرَ بِرَحمةِ اللهِ ورضوَانِه وجَنَّتِهِ أحَبَّ لِقاءَ اللهِ وأحبَّ اللهُ لِقاءَه، وإنّ

---

[1]) أبو داوود، السنن، رقم الحديث: 4918، البزّار، رقم الحديث: 8109 .

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 68/8 .

الكَافِرَ إذَا بُشِّرَ بِعذَابِ اللهِ وسَخَطِه كَرِهَ لِقاءَ اللهِ وكَرِهَ اللهُ لِقَاءَه"[1]، وقَد شَمِلَ كلامُ الفتّالُ مَا نوَّهَ بِه الحديثُ عَلى الإجمالِ.

وحيثُ أرادَ توثيقَ مَقالِتِه، يُمعِنُ في اختيارِ الحَديثِ الّذي يَسعَى فِي تَضاعيفِ كَلامِه إلَى الاستِنادِ إليهِ واسترفادِ مَادَّتِه بِمعناهَا دونَ لِفظِهَا؛ لَيكونَ اقتِباسُه لَهَا غيرَ مُنحصَرٍ في دَائرةِ الرّوايةِ الّتي لَا يَعرفُها إلّا المُتخصِصونَ في مَيدانِ علومِ الحَديثِ، وذلِكَ لِعواملَ عِدَةٍ وَدوافعَ شَتَّى، مِن أبرزها دَعمُ وَتعزيزُ مَعانيهِ بِمَا هَو معلومٌ صِدقُه مِن كلامِ النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم)، وَجعلُ كَلامِهِ محلَّ عنايةِ قارئِه وسامِعِه، وَتيسيرُ تَناولِ مَادَّةِ هذا الدّعاءِ؛ فَبِتَضمِينِ الشّاعرِ كلامَهُ كلامًا للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمعنَى يَجِدُ سبيلَهُ إلَى القارئِ مهما اختلفَتْ ثَقافتُه في استِيعابِ كلامِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والامتِثالِ لَتكالِيفِهِ.

وَقد كَانَ لِبيانِ الفتّالِ في هذه الأبياتِ مَا يَجعلُ مِن معنَى الحديثِ - الذي أوردتُه دَليلًا عَلى استرفادِه منهُ مادَةَ النّظمِ - غَيرَ واضحٍ ولَا جَلِيٍّ، والحالُ أنّ لِقولِهِ: "ومِن ذَا تَتُوقُ النَفسُ صَوبَ خَلِيلِهَا" شَديدُ تَعلُّقٍ بِمعنَى حديثِ النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم): "مَن أحبَّ لِقاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقاءَه"[2] فَتَوَقَانُ نَفسِهِ هو الحُبُّ الذي تحدَّثَ عنهُ (صلى الله عليه واله وسلم)، و(خليلُها) هُوَ الرّحمنُ سُبحانَهُ وتعالَى، والذي عَبَّر عنهُ النبيُّ بِاسمِ الجلالةِ (الله) صَراحةً في حَدِيثِهِ، وقد انبنَى علَى هذا الاقتباسِ غيرِ المُباشرِ معنًى عَميقٌ شكَّلَ البنيةَ الدلاليّةَ المرجوَّةَ مِن النصّ، ذلكَ المعنَى هو الذي شَكَل لَدَى الشّاعرِ هُنا دَافعيَّةَ النَّظمِ ومقاصدَ الخِطابَ الشِّعريّ.

أمّا عَن البَشارةِ والنِّذارةِ اللّتينَ أخبَر بِهما النبيُ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي هذا الحديثِ، عَن حالِ المُؤمنِ في استقبالِ الموتِ مِن قولِهِ (صلى الله عليه واله وسلم): "ولكنَّ المُؤمِنَ إذَا بُشِّرَ بِرَحمةِ اللهِ ورضوَانِه وجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ وأحبَّ اللهُ لِقاءَه"[3]، وحالِ الكَافرِ في حَضرةِ المَوتِ أيضًا مِن قولِه (صلى الله عليه وآله وسلم): "وإنّ الكَافِرَ إذَا بُشِّرَ بِعذَابِ اللهِ وسَخَطِه كَرِهَ لِقاءَ اللهِ وكَرِهَ اللهُ لِقَاءَه" فَجاءَتا مُضمَّنتينِ في قولِ الشّاعر[4]:{ بحر الطويل }

---

[1]) ابن حبان، صحيح ابن حبان، مؤسسة رسالة، ط1، 2017، 213/3، حديث رقم/ 3010، وعن البخاري مثلُه باختلافٍ يسيرٍ في الروايةِ، من حديثِ عبادةَ بن الصامت، حديث رقم/ 6507.

[2]) العلامة المجلسي , بحار الأنوار – ج ٦ – الصفحة ١٢٩.

[3]) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق رقم ٦٥٠٧، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ١٥٧ وبرقم ٢٦٨٥، والترمذي في سننه كتاب الجنائز رقم ١٠٦٧.

[4]) الفتال: الاعمال الشعرية الكاملة :69/8-70.

فَيَمَّمتُ وجهِيَ صَوبَهُ عَبْرَ تَوبَةٍ بِلَا رَجعَةٍ عَنهَا إلَى سَلسبِيلِهَا
أَعُبُّ الهُدَى مِنهَا وَنفسِي مَشُوقَةٌ إلَى وَرْدِهَا، إذ وردُها مِن مَسِيلِهَا
عَسَى اللهُ يُنجِينِي بِفضلِ قَبُولِهَا مِنَ النّارِ إذْ نَلْظَى بِهَا أَو مَثِيلِهَا

ذلِكَ أنّهُ جعلَ مِن أسبابِ البِشَارةِ بِالجَنَّةِ والقَبولِ عندَ اللهِ تعالَى سَاعة إذْ يَحضرُه الموتُ، أن يَكونَ عَلَى التّوبةِ الّتي أزمعَ ألّا يَعودَ بعدَها لِمَا كَانَ عليهِ مِن الذُّنوبِ، وهذا هو عَينُ المعنَى الذي قَصدَه النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحديثِ السالفِ الذكرِ، والذي تضمَّنَ إشارةً صريحةً إلَى أنَّ حُبَّ لِقاءِ اللهِ رَهنٌ بِـ"البشارةِ الّتي يَتلقَّاهَا صَاحبُها عندَ حضرةِ الموتِ، والّتي تَبعثُ في نَفسِهِ حُبَّ لِقاءِ اللهِ تَعالَى وتَمَنِّيهِ"[1]، فَسَبِيلُ الشّاعرِ في هذا الاقتباسِ سبيلُ النبيِّ (صلى الله عليه واله وسلم) في التّرغيبِ في طَاعةِ اللهِ تعالَى، واجتنابِ مَعاصيهِ, فإنَ ذلِكَ مِمّا يَجعلُ عَملَ المرءِ نُصبَ عينيهِ عَندَ حلولِ الأجلِ، وقولُه: " أَعُبُّ الهُدَى مِنهَا وَنفسِي مَشُوقَةٌ إلَى وَرْدِهَا "، ممَّا يُبدِي "علاماتِ السُّرورِ الَّتي هي من البِشارةِ الَّتي نوَّه بها النبيُّ (صلى الله عليه واله وسلم)عندَ الموتِ"[2]، وإنَّ لِهذا الاقتباسِ مِن عَظيمِ التّأثيرِ فِي النّفسِ مَا لَا يَحتاجُ في ظهورِهِ إلَى تَحليلٍ أو تَعلِيلٍ، وَقد بَرَع الفتَّالُ في تَوظيفِ معنى الحديثِ عَلى شَاكلَةِ مَا أوردناَهُ في خِطابِهِ بِغيرِ إشَعارٍ بِأنّهُ لَهُ إليهِ مَيلٌ وَلا مِنهُ استرفادٌ، وذلِكَ وإن دلَّ فإنَّما يَدلُ عَلَى توسُعِ الفتَّالِ فِي علمِ الكِتابِ وسُنَةِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

4- اقِتبَاسَاتُ الشّاعرِ الحَدِيثِيَّةُ غيرُ المُباشرةِ فِي الحِكمَةِ

وكَما أنَّ الشّاعرَ قَد استَعانَ بِالمُقابساتِ القُرآنيَّةِ فِي تَقريرِ الحِكمةِ مِن ظهورِ وَجهِ الحقِّ وَجلائِهِ، والدّعوةِ إلَى التوكُّلِ عَلَى اللهِ تعالَى، لَم يَدَّخِر وَسعًا في تَجليةِ هذا الحِكمةِ بِالمعنَى المُقتَبسِ مِن نصٍّ حَدِيثِي مُجَلٍّ عَن ظواهِرَ مُتعدِّدةٍ تتواردُ في النّصينِ؛ مُستدعيةً فيهَا بليغَ حكمةِ

---

[1]) أبو زكريا يحي بن شرف النووي، المنهاج في شرحِ صحيح مسلم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط1، 1998، 196/4 .

[2]) أبو محمد زكي الدين عبد العظيم المنذري، الترغيب والترهيب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003، 254/4 .

النبيّ مِن الحثِّ عَلى حُسنِ التوكّلِ عَلى الله تَعالَى، فقالَ الفتّالُ ضمن العبارات القصار[1]:{ مجزوء الرمل }

وَإذا لَم تَتَّبِعْ ذلِكَ لَا شَكَّ سَتندَمْ

لَا يُفدْكَ الـ(لَّوُ) إنَّ الـ(لَّوَ) في الأفعالِ يهزِمْ

فَاحسِبَ الحالَ، وبِالحَالِ وبِالحَزمِ تَحزَّمْ

وَاستَعِذْ في كُلِّ أمرٍ، وعَلَى اللهِ توكَّلْ

وهو أيضًا مِن المُقابسَاتِ المَعنويَّةِ، أي غيرِ الصّريحةِ، فَلم يَنقل الفتّالُ هذا المعنَى مِن كلامِ النبيّ (صلى اللهُ عليه واله وسلم)، نقلًا صريحًا بلفظِهِ ومعنَاهُ، بَل أتى المعنَى فَحملَهُ إلَى نصِّهِ هذا حَملًا لَا يُخِلُّ بِمُرادِ النبيّ منهُ، بعدَ أن تصرَّفَ فيهِ تصرُّفًا مقبولًا يُؤيّدُ الدلالةَ، وَيقوّي المفهومَ المنشودَ مِن الغرضِ المنظومِ فيهِ، وعليهِ فَإنَّ هذا النّوعَ مِن المَقابساتِ يُعدُّ غيرَ مُباشرٍ؛ لِصنيعِ الشّاعرِ فيهِ وَتصرُّفِهِ فيمَا تَضمَّنتْهُ إجراءَاتُه النّحويّةِ والتّركيبيّةُ.

وإنَّ مَا يتبادرُ للذهنِ في مَثلِ هذا النّوعِ مِن الاقتباسِ، ضرورةُ التّساؤلِ عَن مَدَى العلاقةِ الّتي تربطُ بينَ حديثِ النبيّ الذي اتّخذ مِنهُ الفتّالُ مَثارًا لتعليقِ خِطابِه الشّعريّ بِهِ؛ بِغرضِ دَعمِ القيمةِ الجماليّةِ وَتعزيزِها وصيَاغةِ مَعنًى جديدٍ عن طريق هذا النّوعِ مِن الانزياحات الّتي تَفتحُ النّصَّ الشّعريَّ عَلى آفاقٍ بعيدةِ المَرامي، مِن قولِهِ (صلى اله عليه واله وسلم): "المُؤمِنُ القَوِيُّ خَيرُ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيرٌ، احْرِص عَلَى مَا يَنفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلَا تَقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِن قُل: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ (لَوْ) تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"[2].

إذ إنَّ التباينَ والخلافَ ظاهرٌ أيَّمَ ظهورٍ بينَ دعوةِ الشّاعرِ عليّ الفتّال لحُسنِ الظّنِ بِاللهِ وَضرورةِ التوكُّلِ عليهِ في صَغائرِ الأعمالِ وعَظائِمِهَا، وبينَ خِطابِ الرسولِ الكريمِ فِي هذا النّصِ للنّاسِ بِمُطلَقِ النّهي عَن قَولِ (لَو) لِمَا تُهيلُ عَليهِ مِن فَتحِهَا لِأبوابِ الفتنةِ التي يَجلبُها الشّيطانُ، وبِمُراجعةِ المعنَى قَليلًا نَقِفُ منهُ عَلَى رَغبةَ الفتّالِ فِي الدّعوةِ للتّوكلِ عَلى اللهِ تعالَى فِي هذه المقطوعةِ الرُّباعيّةِ، كَانت مَرهونةً بِمعنًى جزئيٍ مُحدَّدِ الغايةِ.

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشّعريّة الكاملة، 323/7.

[2]) مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، مؤسسة رسالة، 389/3، برقم/ 2664.

فثمرةُ النّهي عَن التّخاذلِ في اتّخاذِ إجراءٍ يُمكّنُ الإنسانَ مِن اللُّجوءِ إلَى اللهِ، مؤدَّاهَا إلَى استجابةِ الإنسانِ لِمَا يُلقَى عَلى سِمعِه مِن نُصحٍ في هذا الصّددِ، ولَم يَكُن الإنسانُ مُتحلّيًا بِالقوّةِ المُوجبةِ لِعدمِ النّدمِ عَلى مَا فاتِ، إلَى الدّرجةِ الّتي تَدعوهُ إلَى قَولِ (لَو أنّي فَعلتُ لكانَ كذا وكذا)، لتحرّكَ في نَفسِه الشّيطانُ وأثَّرَ عليهِ ،عمومَ الاستجابةِ للتوكُّلِ عَلى اللهِ، وهذانِ مُعنيانِ متراكِبانِ، نشؤ احدُها في النفس بموجباتِ نشأةِ الآخر,

فأسهمَ الشّاعرُ بِهذا التّراكبِ المعنويّ المُقتبس بِمعناهُ مِن حديثِ النبيّ فِي بَناءِ مَعنًى جديدٍ، تَكاملَتْ فيهِ أطرافُ الحكمةِ، بِنسيجٍ بلاغيٍّ تناصيٍّ ذِي مَرجعيّةٍ دينيّةٍ تستهدفُ الاحتجاجَ على صِحّةِ مَرامِي الفَتّالِ مِن هذا الخِطابِ "الرَّامي إلى تأكيدِ الفكرةِ وتقويةِ حُضورِها في الذِّهنِ، من خلالِ استرفادِها لهَا من معنًى دينيٍّ"[1]، مِن طريقِ إحداثِ مَا يُسمَّى بالمُفارقةِ الدّراميّةِ بينَ مَشهدينِ مُتفاوتينِ في الدّلالةِ والقيمةِ الأخلاقيَّةِ.

5- اقتِباساتُ الشّاعرِ الحَديثيَّةِ غيرُ المُباشرَةِ فِي الدّعوةِ للسّلامِ

لا شكَّ في أنّ الإسلامَ دعوةٌ ليست – وحسبُ – للعبادةِ المُجردةِ التي يتخلّصُ فيهَا العبدُ من آفاتِ الدنيا ويُلقِي بِها خلفَ ظهرِه حينَ يتمثّلُ قائمًا بينَ يدَي اللهِ تعالَى في صلاتِه أو دعائِه، بل إنّهَا دعوةٌ أعظمُ أثرًا لها انعكاساتُها الماديةُ على المجتمعِ الذي يَعيشُ فيهِ بأسرِه، ولذا نَجدُ الإسلامَ يدعو الخلقَ للسّلامِ ويُشجّعُ عليهِ وينشرُ هذه الدعوةَ ترفرفُ بأجنحتِها في سِماءِ البشرِ بِما يَنصُّ عليهِ القرآنُ والسُّنةُ المُطهَّرةُ[2]، وذلِكَ ملموسٌ في كثيرٍ من الآياتِ والأحاديثِ النبويّةِ، وإنّ ما اكتسبتْه الدعوةُ للسلامِ في الكِتابِ العزيزِ وسُنَّةِ النبيّ (صلى الله عليه وسلم) مِن الأهميةِ القُصوَى، أكثرُ ممّا اكتسبتْه آياتُ العبادةِ الخالصةِ للهِ كالصيامِ والصلاةِ وغيرِهما، ونُلاحظُ هذا في كثرةِ الآياتِ والأحاديثِ الّتي تناولتِ قضيّةِ السّلامِ[3].

وإنَّ لكلِّ مِنّا نَظرتَهُ فِي السّلامِ الذي يُريدُ أن يَعُمّ العالَمَ، ويُسهِمُ في نَشرِ الأمنِ والطُمأنينةَ عَلى أدِيمِ هذه الأرضِ الّتي نَعيشُ عَليهَا مَعًا شُعوبًا مُختلفةَ الدّياناتِ واللُّغاتِ والأجناسِ، وبِحسَبِ رُؤيةِ الشّاعرِ عَليّ الفتّال، نَجِدُ للسّلامِ إطارًا خَاصًّا يُحيطُ بِهِ، من واقعِ

---

[1]) إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، بلاغة الحجاج في الشعر العربي(شعر الرومي نموذجًا)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2007 , 84.

[2]) انظر: محمد طلعت الغنيمي، قانون السلام في الإسلام، 144–149، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ط1، 2001 .

[3]) المصدر نفسه، 120–121 .

نَظرتِه الخّاصَّةِ إلَيهِ، فَالسّلامُ عِندَهُ لَا يَختلِفُ كثيرًا عَن صَورةِ السّلامِ الّتي يُطالِبُ بِهَا أحرارُ الأرضِ، غَيرَ أنَّهُ اكثرَ بِالدّعوةِ لِإقرارِ السّلامِ مُستعينًا بِتقليدٍ نوعيٍّ يَسترعِي بِهِ انتباهَ المُتلقّي، مُستحضِرًا لَونًا مِن ألوانِ بَلاغةِ البَدِيعِ في تَحقيقِهِ عَلى الصُّورةِ الّتي نتبيَنُها في عَرضِنَا لِهذا النموذجِ مِن شِعرِه، والّذي عَوَّلَ فيهِ عَلى المَعانِي الحَديثيَّةِ الّتي أوردتُ جُملةً مِنهَا في غيرِ مَوضعٍ مِن هذا البَحثِ، تُشيرُ إلَى مدَى مَا بَلغتْهُ محبَّةُ النبيِّ(صلى الله عليه واله وسلم) لِلحَسَنِ والحُسينِ ابنَي عليٍّ وفاطمةَ (عليهم سلام اللهِ جَميعًا).

ومِن ذلكَ قولُ الشّاعرِ عليّ الفتال، وكانَ قد تعرّض للمسائلةِ من قِبَلِ أمنِ كربلاءَ تحفُّظًا على بعضِ ما أدرجَهُ في هذه القصيدةِ من كلماتٍ، فدفعَ به ذلِكَ إلى الاستغاثةِ وطلَبِ العونِ والمَددِ ممَّن أسئَ إليهِ بحُبِّه لهُ، وهو ابنُ بنتِ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم)، فقادَهُ أملُه فيهِ ورجاؤُه في تخليصِه مِن ذلكَ المأزقِ إلى نظمِه تلكَ الكلماتِ في (الجرح المنتصر)[1]:{ بحر المتقارب}

فَكُن غَوثَنَا يَا بنَ بِنتِ الرّسُولِ وجُرْنَا بِغَيرِكِ لَم نَسعَدِ
فَأنتَ المُغِيثُ وَأنتَ الرَّجاءُ وَأنتَ المُؤَمَّلُ فِي السُّؤدَدِ
سَلَامٌ، عَلَيكَ وَهَذِي الجُمُوعُ تُجَدِّدُ ذِكرَاكَ فِي المَوعِدِ
فَفِي كُلِّ عَامٍ تُمِيطُ اللِّثَامَ عَنِ الحَقِّ وَالأَمَلِ الأَوحَدِ

فليسَ ثمَّةَ مَا يُساورُ المُتلقّي فِي أنَّ غرضَ الشّاعرِ مِن قولِهِ: ""فَكُن غَوثَنَا" هو طَلَبُ النّجاةِ وَإحلالَ السّلمَ، وَإنَّ قولَهُ: "فَأنتَ المُغيثُ" حَاملٌ في طَيَّاتِه لِهذا الدّاعِي أيضًا، وَأنَّ سَوقَهُ لقولِهِ: ""وَأنتَ الرَّجاءُ: مُدِلٌّ بِهِ عَلى الأملِ المَنشودِ من التّمسُّكِ بِعتَبتِه، وصُولًا إلَى الدّعَةِ والسُّكونِ، إلَى أن يَنتهِيَ بِقولِهِ: ""سَلامٌ عَلَيكَ..." لِتحقيقِ مَعنى السّلامِ في إلقاءِ السّلامِ عَلى الحُسينِ(عليه السلام) في مَرقدِهِ، فَالسّلامُ أوَّلُه مِن عِندِه، وَآخرُه كذلكَ عِندَه، وهو المَعنىَ الذي قرَّبَ الشّاعرُ مِن أجلِه بينَ دلالاتِ الجُمَلِ المُتتابعةِ في هذه المُتواليّةِ النّصيّةِ.

ومعَ أنّ الأبياتِ نَاطقةٌ بِفحوَى دلالتِها ومضمونِ مقصدِهَا، إلّا أنَّ شيئًا لَم يَزل يَغيبُ عن وظائفِ البنيةِ السّطحيّةِ لِهذا الخِطابِ، لَا يَكادُ يُتَوصَّلُ إلَيهِ إلّا بِالتَّعويلِ عَلى مَا لِهذهِ المَرجعيّةِ الحديثيّةِ الّتي نصَّ فِيهَا النبيُّ الأعظمُ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِقولِهِ: "إنَّ ابنِي هَذا سَيّدٌ يُصلِحُ

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 5/ 34 – 35 .

اللهُ عَلَى يَدَيهِ بَينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ"[1]، عَلَى أنَّ السّلامَ دَعوةٌ مَرهونـةٌ بِـآلِ بيتِـه مَحصـورةٌ فيهِم، فقضيَّةُ الدّعوةِ للسّلامِ وَإقرارِ العدلِ والمُساواةِ لَم تَزل أمَلًا قَائمًا فِي نُفوسِ كلِّ مَن عَـانوا وَيـلاتِ الحُروبِ، وَتَقلَّبُوا عَلَى جَمرِهَا، وذَاقوا مَرارَ الثّكلِ والفَقدِ للمّالِ والأولادِ والأوطانِ، وهذا النّصُّ الذي استندَ إلَيهِ عليّ الفتّال، في تحقيقِ الغَايةِ المَأمولةِ مِن خِطابِه المُتَّخذِ مِن السّلامِ مَـادَّةً أصـيلةً يَتضمَنُ عدّةَ معانٍ، أبرَزُهـا السّلامُ المُقرَّرُ ضِمنًا فـي ثنيَّـاتِ تَحدِيدِ النبـيِّ (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم)لِأنَّ طَائفتَينِ عَظيمَتين سَيقعُ بينَهُما خِـلافٌ كبيرٌ لَا يَسعُهما فيـهِ إلّا التّفرُّقُ وَالتّنـاحرُ، وَأنَّ للحَسَينِ بنِ عَليٍّ (عليه السلامُ) في هذه الواقعةِ شَأنًا عَظيمًا بِالإصـلاحِ وَنشرِ أجنحـةِ السِّلمِ عَلـى العِبادِ.

ولَو أنَّ لهذِه الواقعةِ مَسردًا تَاريخيًّا أوسعَ مِمّـا وَردَ فـي كُتُـبِ السِّيَرِ، فَلنَ يَكونَ عَلـى القَدرِ الَّذي اَستوفاهُ بِهِ ذلكَ المعنَى الضّيّقِ في أبياتِ عليّ الفتّالِ سالفةِ الذِّكرِ؛ لِأنَّ رَغبةَ التّأريخِ لِحادثةٍ مِا مَن الحَوادثِ، تُباينُ رَغبةَ الشُعراءِ في رَصدِ ملامِحِ الجَلالِ الإبداعيِّ الذي يُودِعُه الشّاعرُ فِي طيّاتِ نَظمِهِ بِلُغةٍ تَخلبُ العقولَ وَتأخذُ بِمجامعِ النُّفوسِ، ذلكَ أنَ لُغةَ المُطالبةِ بالسّلامِ رَائعـةٌ عَلَـى كلِّ حَالٍ، غيرَ أنّهَا أروعُ مِنهَا فـي الشِّعرِ، خصوصًـا لَو كـانَ ذلك مُستصـحَبًا بِنمطٍ مِن أنمَـاطِ الاقتباس الدينيِّ المُحقِّق للمَسألةِ.

فإنَّ هذا مِما يَزيدُ في القيمةِ البلاغيّـةِ الناتجـةِ عَن استثمارِ الفتّـالِ لِمعيـارِ التزوُّدِ من حقولِ الانزياحاتِ البلاغيَّةِ البدِيعيّةِ في شِقّهَا الّتي جعلَ الفتّالُ مِنهَا فِي هذا النّصِّ مُعوَّلَهُ عَلـى الاقتبـاسِ غيرِ المُباشرِ، بِمَا عَرَضَ لَهُ مِنهُ في إيرادِ المعنَى مُستلهِمًا إيّاهُ مِن الحدِيثِ الشّريفِ المُشارِ إلَيـهِ آنفًا، والدّالِّ عَلَى رَبطِ مَسألةِ السّلامِ وَنَشرِهِ بِالدّينِ، لاسيّما فـي آلِ البيـتِ الكِرامِ، مُختصِّينَ فـي الحَسَنِ والحُسينِ (علَيهِما السلام)، ذلكَ أنَّه (صلى الله عليه وآله وسلم) حصرَ تـوازنَ تلكَ الأُمَّـةِ وعدمَ ضَلالِهَا فِي جَانبِ التمسُّكِ بِآلِ بيتِهِ الكِرامِ.

خصوصًـا وَإنَّ هَـذا النَّـوعَ مـن الاقتباسـاتِ مُقـرِّرٌ لـبعضِ الحقـائقِ التَاريخيـةِ الصَّـادقةِ المُنبثقةِ عن مظهرٍ مِن مظاهرِ النبوَّةِ، وتلكَ مسْألةٌ محَقِّقةٌ لنظريَّةِ الغِيـابِ والحُضـورِ بـينَ نَصَّـينِ مُتعالِقينِ بهدفِ ايجاد معانٍ جديـدةٍ ذاتِ دلالاتٍ متباينـةٍ تعكسُ بعضَ تقنيـاتِ الحداثـةِ فـي الشِـعرِ العربـيِّ "الذي لَم يَعد محصورًا فـي منظـورِ الشّـاعرِ الفرديِّ الفقيرِ، وإنَّمـا يمتدُّ فـي حركتِـه إلـى

[1]) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، 243/3، 249/4، 32/5، 71/9، الترمذي، الجامع الكبير، 117/6، بـرقم: 3774، وأبـو عبـد الله أحمـد بـن حنبـل، لمسـند، 5/ 37 – 44 – 47 – 49 – 51، وتحفـة الأشراف، 38/9، برقم 11658، الهيثمي، دلائل النبوة، 6/ 442 – 343.

تعمِيقِ وعي الشَّاعرِ واحتوائِه لمُقتضياتِ الوجودِ التَّاريخيّ"[1] لِقضيّةٍ مَا مِن القَضَـايَا ذاتِ البَـالِ والقِيمةِ التّاريخيّةِ بِمَا لَهَا مِن استرفادٍ حُضوريّ.

6- اقِتباسَاتُ الشّاعرِ الحَديثيّةِ غيرُ المُباشرَةِ فِي القوميَّةِ

لَا يَفتأُ الفتّالُ يُعملُ ثَقافتَه الدينيةَ في بَلورةِ ملامحِ الاستدلالِ على بعضِ أغراضِه، بِهدفِ تقويةِ المعنَى وإعطائِه شَرعيّةً دينيّةً لَدَى مُتلقّيه، فيستقبِلُه بِحفاوةٍ، ويُدعوه إلَـى التّأمُّلِ فيمَـا أرادَهُ منهُ، ومِن ذلكَ قولُه عَلى لِسانِ الاحتلالِ الذي ادّعَى أنّهُ قَدِمَ إلَـى العِراقِ مِن أجلِ تَحريرِهِ مِن الظلم، والأمرُ ليسَ كذلِك، بظاهرُ احتلالِهم وباطنُها مؤذنٌ بنواياهم السيئةِ تجاهَ العراقِ فقال في قصيدة (فضلة الدولار)[2]:{ بحر الكامل}

وَلَقَـدْ أَلِفْنَـا مَـا تَقُـولُ صَـحائِفٌ عَـن مَـوطِنٍ حُـرٍّ، وَعَـنْ أَحَـرارِ
لَكِنَّنَـا جِئنَـا نُحَـرِّرُ أرْضَـكُم مِـن غَاصِـبٍ أَو رَائِـغٍ غَـدَّارِ
فَـإِذَا بِصَـيْحَاتِ (الرِّعـاعِ)تَضِـجُّ مِـنْ جُـورٍ تَصَـوَّرَهُ مِـنَ اسْـتِعْمَارِ

ففي تَصويرِهِ لِاحتِجاجِ جُموعِ الغُزاةِ عَلَى دُخولِهِم للبِلادِ بِأنَّهم ما دخلوها محتلّينَ بل فاتحينَ طالبينَ الخيرَ لَهَا ولأهلِها، وَأنّهُم مَا دلَفوا إليهَا إلّا خَوفًا عَلَى مُقدَّراتِ العِراقِ، وتَخليصًا لَهَا مِن جُورِ الاستعمارِ الطّامعِ فِيهَا، يَأخذُنا فِي مَشهدٍ دِراميّ يَضعُنا بِهِ عَلَى أعتابِ هذه الرّؤيةِ الذِهنيّةِ الّتي صَاغَهَا بِالكلماتِ المُعبّرَةِ عَن مَدَى استخفافِ الاحتلالِ بِأهلِ تلكَ البِلادِ، مِمّا دَفعَ بِهِ إلى الدخولِ إلَيهِم مِن بَابِ الخَوفِ عَليهم والحرصِ عَلَى مِصلحتِهِم؛ كي يَقنَعَ بِدخولِهِ مَن ليسَ لهُ قناعةٌ بِذلك، بل ويُعِينُهم عَلَى الاستِيطانِ فِي العراقِ واحتلال ارضه ونهب ثرواتِهِ.

بذلِكِ يَرسمُ هذا المَشهدَ رسمًا مُجسّدًا لِحركةِ الأحداثِ الّتي جَرَتْ فيهِ، وما يُمكنُ أن تَعكسَهُ أصداءُ استيلاءِ المحتلِ عَلَى العِراقِ وغيرِه مِن بلادِ الإسلامِ، مِن نهبٍ لَهُ وقتلٍ لِأبنائِهِ، يَصِلُ ما بينَ معناهُ هُنا في تلكَ الأبياتِ، وما ذكرَهُ النبيُّ الأكرمُ (صلى الله عليه وآله وسلم) عَن الأُممِ المُتداعيةِ عَلَى المُسلمينَ بذريعةِ التّخليصِ، والحالُ أنّهُم يُريدونَ السَيطرةَ عليهم، والأخذَ بِنواصِيهِم إلَى العبوديَةِ ومُحاولاتِ إذلالِهِم، وذلِكَ مِن قولِه (صلى الله عليه وآله وسلم): " يُوشِكُ

---

[1]) صلاح فضل، شفرات النص، . بتصرفٍ يسير، 111.

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 125/2 .

أن تَدَاعَى عليكم الأممُ من كلِّ أُفُقٍ، كما تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها، قيل: يا رسولَ اللهِ ! فمِن قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ؟ قال لا، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، يُجْعَلُ الْوَهَنُ في قلوبِكم، ويُنْزَعُ الرُّعْبُ من قلوبِ عَدُوِّكم؛ لِحُبِّكُمُ الدنيا وكَرَاهِيَتِكُم الموتَ"[1].

فكانَ مَا صَنعَهُ الشّاعرُ عليّ الفتّال مِن تَأطيرٍ بينَ كلامِهِ وَكلامِ النبيّ بِمثابةِ المرجعيّةِ المعنويّةِ الّتي علَّقَ عليهَا الدلالةَ المُنشودةَ مِن الأبياتِ، خاصّةً في بَيتِهِ الثّالِثِ مِن هذا النّموذجِ[2]:{ البحر الكامل }

فَإِذَا بِصَيْحَاتِ الرِّعاعِ تَضِجُّ مِنْ جُـــــورٍ تَصَـــــوَّرَهُ مِـــــنَ اسْتِعْمَارِ

حيثُ يجزمُ هذا الاسترجاعُ بِأنَّ عددًا مِن أهلِ بلادِ الإسلامِ سَينساقونَ وراءَ هؤلاءِ طَلَبًا للنّجاةِ بِأنفسِهِم مِن مَدارِكِ الموتِ، فيصِيحونَ بِالأحرارِ أن افتحُوا لَهُم الطّريقَ؛ بِسبَبِ مَا صوَّرَهُ لَهُم الغُزاةُ مِن أنّهُم جَاءوا إليهِم مُنقذِينَ لَا مُحتلِّينَ، غيرَ أنَّ البقيّةَ الثّائرةَ لَن تُخضعَ لَهُم.

وهُنا كذلِكَ نَرَى الفَتّالَ يصنعَ إطارًا استرجاعيًّا، يَربطُ بِه بينَ المَاضِي، والحَاضرِ، فيوظِّفُ الموروثَ الحديثيَّ للنبيّ (صلى الله عليه واله وسلم)، في أثناءِ كلامِهِ عن فاجعةِ الوَطنِ في أعزِّ أبنائِهِ، وإنّما يَعنِي الحُسينَ بنَ عليٍّ سِبطَ النبيّ(صلى الله عليه واله وسلم)، في الموقعةِ الشّهيرةِ الّتي سَالَتْ فيهَا دماؤه الطّاهرةُ عَلى أرضِ كَربلاءَ؛ فيقولُ في قصيدته (كربلاء في حومة المربد)[3]:{البحر الكامل}

والـــــرِّيحُ تَحضَـــــنُ تُربَهَـــــا وتلمُّهَـــــا فَتُرَابُهَـــــا لِلجُـــــرحِ خَيـــــرُ ضِـــــمَادِ
حَضَـــنَتْ مِـــن الثَّقَلَـــينِ فِـــي أَحْشَـــائِهَا سِـــبطَ الرَّسُـــولِ المُصْـــطَفَى والهَـــادِي

فإنَّ في استرجاعِ هذه الحادثةِ، والإتيانِ على ذِكرِ الحُسينِ (عليه السلام) ومَا وقعَ لهُ فيهَا، دافعٌ للحفاظِ على أرضِ هذه البُقعةِ المُباركةِ، وداعٍ لِبذلِ النّفوسِ في الحفاظِ عليهَا، وإنَّ وجهَ تَوظيفِ المُوروثِ هُنا في هذينِ البَيتَينِ ليس على أنّهُما عبَّرَا عن حَدثٍ تَاريخيٍّ يَمسُّ الرّسالةَ

[1]) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 110/1، حديث رقم/ 126، وناصر الدين الألباني، صحيح الجامع، رقم الحديث: 8183، وفي المُسندِ لِأبي عبدِ اللهِ أحمد ابن حنبل، طبعة: دار الحديث، القاهرة، 5،2013/ 278، وسنن أبي داوود السجستاني، طبعة دار فجر للطباعة والنشر، القاهرة، 4،2001/ 111، مِن حديثِ ثَوبانَ مولَى رسولِ اللهِ صلى الله عليه واله وسلم.

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 125/2.

[3]) المصدر نفسه ، 168/2.

المُحمديةِ وحسبُ، بل ويعكسُ أثرَ اختلافِ المُسلمِينَ بعدَهُ (صلى الله عليه واله وسلم)، وَإنَّما لِمَا في ذلكَ مِن الإشارةِ الصّريحةِ مِنهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِأنَّ ابنَ بنتِه الحُسينُ (عليهِ السلامُ) مِمّن كتَب اللهُ له الشّهادةَ، وَعلَّقَ تلكَ الشّهادةَ عَلى حدثٍ سيكونُ بعدَهُ وَسَيُسهِمُ فِي تأجيجِ الصّراعِ بينَ المُسلمينَ.

فما وردَ عن النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) واثبتهُ الرواة مِن حديثِ عائشةَ أو أُمِّ سلمَةَ بإخبارِهِ لإحداهُن بقولِهِ: " لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ الْبَيْتَ مَلَكٌ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ قَبْلَهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّ ابْنَكَ هَذَا حُسَيْنٌ مَقْتُولٌ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا، قَالَ: فَأَخْرَجَ تُرْبَةً حَمْرَاءَ" [1] يدلُّ عَلى أنَّ الحُسينَ سيُقتلُ لاحقًا، كما يُرشدُ - ضِمنًا – إلَى المكانِ الذي سيموتُ ويُدفَنُ فيهِ (عليهِ السّلامُ).

والبنيةُ الدلاليّةُ الّتي يُؤطِّرُ لهَا ذلكَ التّناصُّ بينَ قولِ الشّاعرِ عليّ الفتال وكلامِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) تَضعُ أيدينَا عَلى مظاهرِ وتجلّياتِ الدلالةِ الّتي رَغبَ الفتالُ في الاحتجاجِ عليهَا، بتوظيفِ هذا النّسقِ الحِجاجيّ الذي جعلَ مِن البُعدِ التناصيّ سبيلًا موصِّلًا إليهِ، من خلالِ "تشكيلِ الشَّاعرِ بهذا التناصِّ بيئاتٍ داخليَّةً تُسهِمُ في إنتاجِ دلالةٍ موازيةٍ، تجعلُ من النصِّ الأصيلِ نصًّا منفتحًا على آفاقٍ رحبةٍ تستحيلُ في النصِّ إلى مُحرِّكٍ رئيسٍ يُوجِهُ الحِجاجَ"[2]، لِأنّ هذا النّوعَ مِن التّناصِّ مُلجِئٌ لِإقامةِ الدّليلِ عَلى مَا يُؤطِّرُ لهُ الشّاعرُ بِعلاقةِ الاسترجاعِ الدينيّ لِخطابٍ دَاخِلِيٍّ مُستحضَرٍ مِن زمنٍ سَابقٍ فِي خِطابٍ خَارجيٍّ مُؤطِّرٍ لَهُ ومُحيطٌ بِهِ.

فمِنَ المُلاحظِ هُنا أنَّ الفتالَ صاغَ مَشهدَ شهادة سبطِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ليسَ لمُجردِ الحديثِ عَن حادثِ مقتلِه أو التّعريفِ بِمكانِ قتلِهِ ولا بمكانِ دفنه، وإنّما لِلانسلاخِ مِن الواقعِةِ إلَى الإيذانِ بحقيقةِ طُهرِ هذا المكانِ وقدسيتهِ الذي يَتحدَّثُ عنهُ، ومَا ينبغي على المُسلمينَ نحوَه، فاستحقاقُ الأماكنِ لهذا النوعِ مِن التّقديسِ لَا يتأتَّى إلَّا مِن أحدِ أمرَين، إمَّا لِاختيارِ اللهِ لهُ، وذلكَ ليسَ إلّا في مكَّةَ والمسجدِ الأقصَى ومسجدِ النبيّ، وإمَّا لِاشتمالِ هذا المكانِ عَلى جثامينَ طاهرةٍ تعكسُ طُهرَ المكانِ، وهذا ما أرادَ الشّاعرُ التّنويهَ بِه هنا في هذا الخطابِ.

---

[1]) مسند الإمامِ أحمدَ، حديث 13/ حديث رقم 26524، الإمام الألباني، والسلسلة الصحيحة، حديث رقم/ 821 – 822 – 1171 , ابن كثير :البداية والنهاية – الجزء الثامن ,فصل مقتل الحسين (رضي الله عنه) , والسيد تحسين آل شبيب : مرقد الإمام الحسين (ع) ,٤٧.

[2]) فاطمة عويس السيد علي، التناص الحجاجي عند سهل بن هارون (رسالته في البخل نموذجًا)، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، مجلد/ 80، عدد/ 4،2020, 239 .

7- اقتِباسَاتُ الشّاعرِ الحَديثيّةُ غيرُ المُباشرةِ في الجِهادِ والحَثِّ عَليهِ:

ولما كان الجِهادِ مِن أعظمِ الأعمالِ والقُرباتِ إلَى اللهِ تعالَى، خصوصًا في تلكَ الآونةِ الّتي تكاثرتْ فيهَا الأُممُ عَلى المُسلمينَ، لَم نَعدِم في كلامِ الفتّالِ ما يُبرزُ مدَى حرصِه عَليهِ وحَثِّ الأُباةِ مِن أبناءِ أُمَّتِه عَلى النُّهوضِ بمؤونتِه، كُلَّما لَاحتْ لهُ سانحةٌ للتّصريحِ بِه، وقد بَصُرَ الفتّالُ بِهذا اللونِ مِن الدّعوةِ الجَهاديّةِ مِن زاويةٍ لا يسعُ المُؤمنَ بِقضيّةِ الأوطانِ إلّا أن يَنظرَ إليهِ منها، بِأن جعلَ اللهَ تبارَكَ وعلَا عُنوانًا عَلى هذه التّضحياتِ، بِاسمِه يَخوضُها وبِاسمِهِ ينتصرُ أو يُقتلُ في سبيلِهِ، فقالَ في (عانق النصر لوانا) [1]:{ بحر الرمل}

وَعَلى اسمِ اللهِ خُضْنَاهَا لَظًى

وَأَثَرْنَاهَا شُواظًا ودُخانَا
غَيرَ أنَّا لَمْ نَشَأْ إيقَادَهَا

فِلأنَّ الخَصمَ قَد شَاءَ الهَوانَا
فَخَطوْنَا والمَنَايَا قَبلَنَا

قَد خَطَتْ فَانهَارَ صَرْحًا وكِيانَا

فالجِهادُ عندَهُ إن لّم يَكن معقودًا تحتَ رايةِ اسمِ اللهِ لا يُسمَّى جِهادًا، ولا يُؤتِي ثِمارَهُ؛ ولذلكَ يقولُ مِن قصيدةٍ أُخرَى، مُؤكِّدًا عَلى هذا المعنَى نفسِهِ، عنونَ لَهَا بِسَلُوا مُنحَنَى التّاريخِ[2]:{ بحر الطويل}

وكُنَّا عَلَى اسْمِ اللهِ نَمْضِي جَحافِلًا

وَرايَاتُنا – شَوقًا – تُريدُ الأَعَالِيَا

لِأنَّا وَرِثنَا النّصرَ مِن سَيفِ حَيدَرٍ

وخَالِدٍ وَالقَعقاعِ عَزَّتْ مَواضِيَا

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 339 .

[2]) المصدر نفسه ، 2/ 342.

غيرَ أنَّهُ ومع ما يُمثِّلُه لهُ الجهادُ مِن أهميةٍ كبيرةٍ، لا يعدِمُ الإحالةَ على انعدامِ رغبةِ الإمامِ الحسينِ (عليهِ السلامُ) فيهِ؛ طلبًا لأقرارِ الأمنِ والسّلامِ، والمُحافظةِ على دماءِ المُسلمينَ، فبينَ قولِ الفتالِ:

غيـــــرَ أنَّـــــا لـــــم نشَـــــأ إيقادَهـــــا .....

وقولِ الإمامِ الحُسينِ (عليه السلام): "ما كُنتُ لأبدأهُم بالقتالِ،..., فإنّي أكرهُ أن أبدأَهم بالقتالِ[1]" إحالةٌ حُكميةٌ يُرجعُ فيهَا الحُكمِ على عدمِ طلبِه للجهادِ إلى مقالةِ الإمامِ الحسينِ (عليه السلامُ)؛ امتثالًا لأمرِه، ووقوفًا عندَ حُكمِه، وهذا وَإن حملَ دليلًا، فإنَّما يدلُّ قطعًا على عقيدةِ الفتّالِ الراسخةِ ومدَى حُبِّه لآلِ بيتِ النبيّ (صلى الله عليه وسلم) وإبداءِ كاملِ الطاعةِ لهم، فإنّ البركةَ لا تكونُ في معصيتِهم ولا في مُدافعةِ كلامِهم، فإنّهم أعلمُ بالصّالحِ مِنَّا.

وذلك معَ إدراكِه لأنَّ الظّفرَ عَلى العدوّ في الجِهادِ، ممّا يكسرُ شوكتَهُ ويردُّ عزمَهُ عن احتلالِ بلادِ الإسلامِ، وإنّ في تاريخِ الإسلامِ ما تذخرُ به كتبُ التاريخِ الإسلاميُّ في صَدرِهِ الأوَّلِ مِن مَلامِح هذا الجهادِ ضدَّ المُشركينَ التي أدّت إلى ردِّ يدِ العدوّ عن البلادِ والعِبادِ، ثمّ إنّ في ربطِ الفتّالِ ثمرةَ الجهادِ باسمِ اللهِ تعالَى في كِلا المَوضعَينِ ما مُحصِّلتُه أنَّ الجهادَ لو كانَ في غيرِ اللهِ فليسَ لهُ قيمةٌ تُذكَرُ، ومِن ثمَّ فإنَّهُ يضعُ اللهَ عزَّ وجلَّ نُصبَ عينَيهِ؛ فهو الرّايةُ العُظمَى الّتي يُحاربُ تَحتَها الأبطالُ الذينَ يُناظرونَ الرّعيلَ الأوَّلَ مِن الصّحابةِ كـ(عليٍّ بن أبي طالبٍ(عليه السلام)، وخالدِ بن الوليد، القعقاعِ بنِ عمرٍو)، وقد عوَّل الشّاعرُ في تَوظيفِه للبَسملةِ في مِثلِ ذلكَ ونظائرِه مِن المطالبِ الشّرعيّةِ الّتي تَحتاجُ إلَيهَا عَلى حَدِيثِه (صلى الله عليه وآله وسلم): "كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ - أَوْ قَالَ : أَقْطَعُ –" [2]وقد روي الحديث بألفاظ أخرى نحو هذا.

ولما كان الجهادِ عملاً عبادياً أكدته الشريعة الاسلامية ، ناسبَ ذلكَ الافتتاحُ فيهِ بالبَسملةِ، لِعظيمِ أثرِهَا، فناسبَ هذا ذاكَ، وقد أنتجَ هذا الاسترجاعُ غيرُ المُباشرِ من قولِ الشّاعرِ وَكلامِ النبيّ الكريمِ (صلى الله عليه وآله وسلم) خطابًا ضمنيًّا عميقًا ينهضُ على فِكرةِ أنَّ الجهادَ

---

[1]) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، 80/11 .

[2]) أخرجه الإمام أحمد في المسند (329/14) طبعة مؤسسة الرسالة، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) 495 ، 497 عن الزهري , ووسائل الشيعة ٤: ١١٩٤ / ٤– نقلا عن تفسير الإمام العسكري (عليه السلام)– وفيه:... لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر، وتفسير البرهان١: ٤٦ وفيه:... لم يذكر فيه اسم الله، وتفسير أبي الفتوح الرازي ١: ٢٩ وفيه:... لم يبدأ ببسم الله..، والجامع الصغير ٢: ٢٧٧ / 6284 وفيه:... لا يبدأ فيه ببسم الله أقطع، ومسند أحمد 2: 359 وفيه: كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر– أو قال: – أقطع.

من الأعمالِ والمطالبِ الشرعيَّةِ التي نادَى بها الإسلامُ حِفظًا للأوطانِ والأعراضِ والأنفسِ، فعرضَ ذلكَ المعنَى للفتّالِ فَلم يَدَّخر وسعًا في إيرادِه هُنا ضِمنًا؛ ذلك أنَّ مضاءَ العزمِ وقوَّةَ الشّكيمةِ في الجِهادِ إذا لَم تَكُن مُنبثقةً مِن نداءاتٍ شرعيّةٍ فلَن تُحقِّقَ ثمرَتَهَا، ولِذا نجدُ الفتّالَ يُؤكِّدُ هذه الدّلالةِ رَابطًا بينَها وبينَ كلامِ خيرِ البشرِ (صلى الله عليه وآله وسلم) في غيرِ موضعٍ مِن أعمالِه الشِّعريّةِ.

وذلكَ إيمانًا مِنهُ بِأنَ تحقُّقَ بلاغةِ الخِطابِ التَناصيّ لَا تَكتملُ إلّا بِعُروضِ الشّاعرِ في تَضاعيفِ عملِه الإبداعيّ لِلاستسلامِ لِعمليّةِ التّكاملِ الواقعةِ بينَ نصوصِه الّتي هو بِصددِ التّدليلِ عَلى حُجيَّتِها، وَالتّعبيرِ عَن صِحَّتِها، والتّأكيدِ عَلى أنَّ تعزيزَ الصُّورةِ البَلاغيّةِ الّتي سَاقَهَا مِن أجلِهَا لَا يَكونُ إلّا بِهَا، ركونًا إلى قولِ رولان بارت: "وأنَا شخصيًّا ممَن يتوجَّسونَ خيفةً من جرَّاءِ الاستقصاءِ الجُزئيّ لأيّ نصٍّ أدبيٍّ يقعُ في أيدي البنائيينَ، فقد يُعطِّلُ هذا دورَه المعرفيَّ، كما يلغي قيمتَه التَّاريخيَّةَ إلغاؤه لقيمتِه المَضمونيَّةِ"[1]، وهذا مَا يحقِّقُ حيويّةَ النصِّ الشّعريّ المُتعالِق، وَيكسرُ مُعامِلاتِ الرّتابةِ الّتي تُحيطُ بِهِ، وَيُجلِّي عَن دَوافعِ تَوظيفِ المَرجعيّاتِ الدّينيّةِ فيهِ.

كمَا أنَّا نَجِدُ استلهامَ الشّاعرِ العراقيّ عليّ الفتّالِ مِن سُنّةِ النبيّ واسترفادِه منهَا مَا يُبرزُ غاياتِه مِن النّظمِ، قول جميل ، مُحرّضًا عَلَى الجِهادِ دَافعًا إلَيهِ، مُفصِحًا عَن هويّتِه الدّينيّةِ وشخصيَّتِه التّواقَةِ للمَوتِ في سبيلِ اللهِ فقال في قصيدته (الشاعر)[2]:{ بحر البسيط }

وَخُذْ مِن الخَيرِ فِيمَا أنتَ تَكتُبُه وَثُبْ عَلَ الشّرّ مثلَ اللّيثِ إنْ وَثبَا

وَجُدْ بِنَفسِكَ تَوَّاقًا لِمَكرُمَةٍ وَكُن إلَى المَوتِ سَبَّاقًا إذَا وَجَبَا

إذ يَدفعُ المُسلمِينَ للجهادِ بِكلِّ مَا تيسَّرَ لهُم مِن الطّاقةِ، سواءٌ بالكَلِمَةِ أو النّفسِ، ذلِكَ لِمَا فِي الجهادِ مِن كَرامةٍ إذا لَم يَتحصَّلْ عليهَا الإنسانُ في الدُّنياَ بِالظَّفَرِ والنّصرِ، فإنَّهُ يستَحصَلُ عليهَا في الآخرةِ في دارِ الكرامةِ، وإنَّ الخيرَ الّتي نصَّ عليهِ الشّاعرُ في هذا الخِطابِ، مُستلَّةٌ مِن حديثٍ للنبيّ(صلى الله عليه واله وسلم)، من حدِيثِ سهلِ بنِ سَعدٍ: "رِبَاطُ يَومٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيرٌ مِنَ الدُّنيَا وَمَا عَلَيهَا، والرَّوحَةُ يَرُوحُهَا العَبدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أو الغَدوةُ خَيرٌ مِنَ الدُّنيَا وَمَا

[1]) أحمد كمال زكي، التفسير الأسطوري للشعر القديم ، مجلة فصول، المجلد الأوّل، العدد الثالث، 1981 ، 115.

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 9/3 .

عَليهَا"[1]، وهو كلامٌ منصوصٌ عليهِ في إطارِ حثِّ الشّاعرِ عَلَى الجِهادِ وَبذلِ النّفسِ والقَلَمِ والمالِ فيهِ، بالمعنَى لَا باللفظِ، ولعلَّ رَغبةَ الشّاعرِ في التوسُّعِ في هذا الخِطابِ هِيَ مَا حملتْهُ عَلَى إيرادِه بِالمعنَى، حيثُ نراهُ ضمَّنَ الحديثَ دَلالاتٍ أُخرَى إلَى جانبِ تلكَ الّتي دلَّ عليهَا حديثُ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

فالأخيريَّةُ المُطلوبةُ بِالجهادِ ليستْ تُطلَبُ إلّا فِيهِ، وقد تمثَّلَها الشّاعرُ بِقولِهِ: "وَخُذْ مِن الخَيرِ..." والمعنَى مِنقولٌ منِ قولِه (صلى الله عليه وآله وسلم): " والرَّوحَةُ يَرُوحُهَا العَبدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أو الغَدوةُ خَيرٌ مِنَ الدُّنيَا وَمَا عَليهَا "، ولأنَّ الجهادَ من أعظمِ الأعمالِ وأكملِها؛ لأنَّه وسيلةٌ إلى إعلانِ الدينِ ونشرِه وإخمادِ الكُفرِ ودحضِه"[2]، وقد لمحَ الفتَّالُ هذا المعنَى فعبَّرَ عنهُ في قصيدة (الشاعر) بقولِه[3]:{ بحر البسيط}

وَجُدْ بِنَفسِكَ تَوَّاقًا لِمَكرُمَةٍ وَكُن إلَى المَوتِ سَبَّاقًا إذَا وَجَبَا

فالمكارمُ لديهِ لَا تُنالُ إلّا بِهذا القَدرِ مِن البَذلِ، والحرصِ عَلى استبقاءِ الحياةِ بِطَلَبِ المَوتِ، والحثِّ عَلَى الجهادِ، فكانَ فيما أوردَهُ الشّاعرُ مِن كلامِ النبيِّ عَلى سبيلِ الاقتباسِ غيرِ المُباشرِ، دَعمًا وتعزيزًا لِهذا المعنَى الذي مَا إن أوردَهُ الشّاعرُ بِغيرِ سَندٍ لَم يَكُن لِيُصدَّقَ؛ لِمَا فيهِ مِن الحثِّ عَلى طَلَبِ الموتِ، والموتُ غايةٌ لَا يَتمنَّاهَا ولا يُحبُّها النّاسُ.

8- اقِتباساتُ الشّاعرِ الحَدِيثَيَّةُ غيرُ المُباشرةِ في الغَزَلِ

ومِمّا اجتَلَبَ فِيهِ الشاعر الفتّالُ شيئًا مِن أحاديث النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)عَلَى سبيلِ الاقتباسِ غَيرِ المُباشرِ، فِي معرضِ الغَزلِ الذي يَعفُّ الشّاعرُ عَن أن يَأتِيَ في تَضَاعيفِهِ بِمَا يَحطُّ مِن شَأنِ قَائلِهِ، ومن جميل شعره قصيدة (في الطريق)[4]:{ بحر المتقارب }

أُمَرِّرُ كَفِّي عَلَى وَجنَتَيكِ

وَأرشفُ مِن ثَغرِكِ المُستَعِرْ

---

1) محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح الجامع، بشرح ابن حجر العسقلاني، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2001، 11/6، حديث رقم 2892، ومسلم بن الحجاج القشيري، بشرح الإمام النووي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، 435/4، حديث رقم 1877 .

2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، نقلًا عن ابنِ دقيقِ العيدِ، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2001، 8/6 .

3) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 3/ 9.

4) المصدر نفسه، 1/ 9 .

رَحِيقًا يُعِيدُ لِقَلبِي رَوَاهُ

وَدِفئًا يُزِيلُ عَن الجِسمِ قَرْ

وَأُسْنِدُ رَأسِي قَلِيلًا عَلَى

رُخَامَكِ بَينَ القَضَا وَالقَدَرْ

فَلِإرادةِ الفَتَّالِ الارتفاعَ بِقدرِ الكَلمةِ عَن أن تَكونَ في مَحلِّ الَوضاعةِ، في غرضٍ جَرَت عَادةُ الشُّعراءِ فِيه بِالنُّزولِ عندَ الغريزةِ الإنسانيّةِ الّتي تَحكمُ علاقاتِهم بِالمَرأةِ فيهِ، يُضمِّنُ بيتَهُ هذا، وهو يَتغزَّلُ في إحداهُنَّ صورة متخيلة اخذ معانيها من السُّنَّةِ النبويَّةِ، فَإنَّ للمرجعيَّةِ الدّينيّةِ في صُورتِها الحَديثيَّةِ، مَا يجمعُ عَلَى الغزَلِ القوَّةِ والعِفَّةَ، وجودةَ النّظمِ وَلذَّةَ التّلقّي، وهو هُنا حيثُ رَغِبَ فِي التّعبيرِ عَن الدَّعةِ والسُّكونِ الذي لَقِيَهُ فِي القُربِ مِن مَحبوبتِه حَالَ اتِّكائِهِ عَلَى صَدرِهَا، يُوظِّفُ جُزءًا مِن حَديثِ النبيّ (صلى الله عليه واله وسلَّمَ): **" لا يؤمِنُ عبدٌ حتَّى يُؤْمِنَ بأربعٍ : يشهَدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنِّي مُحمَّدٌ رسولُ اللَّهِ بَعثَني بالحقِّ، ويُؤمنُ بالموتِ، وبالبَعثِ بعدَ الموتِ، ويؤمِنُ بالقَدرِ"**[1].

على أنّ مَا يَنبغَي الالتفاتُ إلَيهِ في مثلِ هذا المَقامِ أنّ الشّاعرِ لَم يُوردِ هذا المَعنى المُستقَى مِن نَصِّ حَديثِ النبيِّ الذي أسلفتُه، وَأحداثَ أُخرَى تَضمَّنتْ كَلامًا عَن قَضيَّةِ القَضَاءِ والقدَرِ؛ بِغَرضِ الولُّوجِ فِي هذه القَضيَّةِ، بَل للإفادةِ مِن ضرورةِ الإيمانِ بالقضَاءِ والقَدَرِ، فَي أنَّ كلَّ شَيءٍ يَقومُ بِهِ الإنسانُ مِن حبٍّ وَكراهيةٍ وَغيرِهما مَحمولٌ عَلَى أنّهُ مِن هذا البابِ، وَقد شّبَّهَ الشّاعرُ نَهدَي مَحبوبتِه الذينِ وَسَّدَ رَأسَهُ عَليهما بِالقضَاءِ والقدَرِ، وَهو هُنا يَستعيرُ ذلكَ المعنَى طَلَبًا لِلاستدلالِ بِه عَلَى أنَّهما أحاطَا بِهِ مِن كلِّ اتّجاهُ كَإحاطةِ القضاءِ والقَدرِ بِصاحبِهما، فَليسَ يَنجو مِمّا قُدِّرَ لَهُ وَلا حَتَّى بِالحِيلَةِ.

وإنَّ لِهذا الاقتباسِ الحديثيِّ غيرِ المُباشرِ قيمةً بالغةَ التّأثيرِ في تَوجيهِ دَلالةِ الخِطابِ فِي ذلكَ النصِّ، لمَا هو مُلاحظٌ مِن قوَّةِ تَعبيرِ الشّاعرِ بِالقَضَاءِ والقَدَرِ، وهمَا مِن القَضَايَا الإسلاميّةِ الّتي طَالَمَا عُولِجَتْ في مَراحلَ زَمنيَّةٍ مُتباينةٍ ومن كَثيرٍ مِن عُلماءِ المُسلمينَ، كَأنَّهُ أرادَ في أثناءِ إرسالِه لِلقولِ بِالقضَاءِ والقَدَرِ هُنا أن يُخبِرَ -عَلى سَبيلِ الجَزمِ- أنَّ تَدبيهَا كَانَا لـه بِمنزلتِهَما، وَأنَّ الرّاحةَ والدّعةَ الّتي يَستشعرُها بِالرُّكونِ إلَيهما وَالاستنادِ عَليهَما، كَتلكَ الراحةِ الّتي يلَقَاهَا المُؤمنُ بالقضَاءِ والقدرِ مهما كانَ مِن أمرِهما.

[1]) الترمذي، الجامع الصحيح، حديث رقم: 2145

الفصل الثالث

المَرجعيّاتِ الدّينيَّةِ التي تشمل أقوالِ آلِ البيتِ الكِرامِ

المبحث الاول : المرجعيَّاتُ الدّينيَّةُ المباشر من اقوال ال البيت الكرام

المبحث الثاني : المرجعيَّاتُ الدّينيَّةُ غير المباشر من اقوال ال البيت الكرام

توطئة الفصل

تحققت البلاغة القطعية في كتاب الله العزيز ونصوص الوحي المبين ؛ لأنه أعلى درجة من كلام العرب ومن ثم كلام الانبياء والمرسلين ,ومن تبعهم من الائمة والاوصياء (صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين), ونجد النصوص من كلام ال البيت (عليهم السلام) جاءت بأقصر الكلمات فهي بلا اطالة ,و بأسمى المعاني, ودون حشوٍ, ولا خلل يحدث نقص في المعنى , فبلغت المراد والهدف المطلوب , فقد وردت نافعة ومؤثرة ومشرقةً واضحة وهذا ما يسمى احسن الكلام وابلغه.

وقد عرفها آل البيت في حديثهم عن البلاغة ,ومنه ما ورد عن الصادق (عليه السلام) , "ثلاثة فيهنّ البلاغة: التقرّبُ من معنى البُغْية، والتبعُّد مِن حَشْوِ الكلام، والدَّلالةُ بالقليل على الكثير"[1] وقوله: (من عرف شيئًا قل كلامه فيه. وإنما سُميَ البليغ بليغًا لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه)[2]، والمراد أن من يعرف الشيء يصل إليه في أقل الكلام, ومن اقواله ايضاَ: (ليست البلاغة بحدة اللسان ولا بكثرة الهذيان، ولكنها إصابة المعنى وقصد الحجة)[3] ، .وما (نهج البلاغة) الا اعظم مثالا لبلاغة علي (عليه السلام) وقد جمع فيه الشريف الرضي خطب ووصايا واقوال الامام علي (عليه السلام) ولما فيه فقد تصدى لشرحه كثير من العلماء والفضلاء وقد ذكر العلامة الشيخ حسين جمعة العاملي أن شروح نهج البلاغة بلغت (210) شرحا ومن مختلف الكُتاب السنة والشيعة, و ذكرها مفصلة في كتاب له سمّاه (شروح نهج البلاغة) [4] وهذا الكم من الشروح دليل قاطع على بلاغة سيد البلغاء وأمام الفصحاء علي بن ابي طالب (عليه السلام) , والذي يعد من أهم الاعمال الفقهية والسياسية والدينية وهو دليل تمكنه من علوم اللغة والنحو والبلاغة , وقد وصف ابن أبي الحديد المعتزلي: بلاغة الإمام عليّ(عليه السلام): بأنَّ ((كلامه دون كلام الخالق فوق كلام المخلوقين...ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجاري في الفصاحة , ولا يباري في البلاغة))[5] لما يمتاز به

---

[1]) الحراني ,ابو محمد :تحف العقول عن آل الرسول, مكتبة الامين , الكويت , الطبعة الاولى, 2004م, 394.

[2]) المصدر نفسه.

[3]) تحف العقول للحرّاني:317، ونضرة الاغريض في نصرة القريض: 1\43.

[4]) العاملي , حسين جمعة :شروح نهج البلاغة ,مطبعة وزنكغراف الفكر – بيروت ,1983م.

[5]) ابن ابي الحديد(1258هـ) , شرح نهج البلاغة : قم، ايران : مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي،: 1406هـ , 16.

من علوم البلاغة (علم البيان, وعلم المعاني, وعلم البديع)[1] , وسارَ ولدهُ من بعدهِ على نهجهِ, ولهم مقولات ومؤلفات تَشهدُ ببلاغتِهم وعلمِهم .

ممّا ظهرَ لَنَا مِن خلالِ النّظرةِ الاستطلاعّيةِ لِمجموعِ أعمالِ الشّاعرِ العّراقيّ عليّ الفتّالِ، أنّهُ اعتمدَ في صِياغةِ كثيرٍ مِن نصوصِهِ وخطِابَاتِه الشّعريّةِ عَلى كَلامِ آلِ البيتِ الكِرامِ، متوفِّرًا عَلَى تَلخيصِهِ أو تَخصيصِهِ بِقيدٍ مَا يُفصِحُ عَن ذاتيّتِه، ويُحيلُ عَلَى أنّهُ مِمّا حوَّرَهُ وفقَ مُرادِهِ مِنهُ، أو مُتعمّدًا إيرادَهُ بِلفظِهِ ومعناهُ بِمَا يُنبئُ بِأنّهُ مِن بابِ الاقتباساتِ المُباشرةِ.

فَاجتمعَ لدينَا مِن ذلِكَ عددٌ كبيرٌ مِن المَرجعيّاتِ الدّينيّةِ الّتي وفَّرَ عليهَا الفتّالُ جُهدَهُ، ونالَ مِنهَا مُنيتَهُ، وحقَّقَ عن طريق إعمالِهِ لَهَا في صُلبِ خَطابَاتِهِ غايةً مَا مِن غاياتِهِ الّتي كَانت فِي أكثرِهَا طلبًا لِدعمِ المعنَى وتعزيزِهِ للمدلولِ عليه بِهذه المَرجعيّاتِ، ومن ثمَّ يُمكنُ تَقسيمُها وفقَ خطة البَحثِ علَى قِسمَينِ: الاقتباسُ المُباشرُ، والاقتِباسُ غيرُ المُباشرِ.

وهما غيرُ مُتساويينِ فِي الكمِّ؛ فقد وَجدنا أنّ أكثرَ مَا استندَ عليهِ الفتّالُ مِن أقوالِ بعضِ آلِ البيتِ الكِرامِ تَعضيدًا وتقويةً لِاستدلالاتِه عَلى قضيّةٍ مَا مِن قضَايا النّظمِ مُعتمَدُه عَلَى الاقتِباسِ غيرِ المُباشرِ، وذلِكَ مِن المَسائلِ الطّبيعيّةِ فِي الخِطاباتِ الشّعريّةِ، إذ إنَّ تكييفَ النُصوصِ المُقتبسَةِ معَ النصّ الشّعريّ عَلَى طبيعتِهَا الّتي نُقِلَتْ بِهَا مِن مصدرِهَا، غيرُ مُتأتّيةٍ إلّا بِمشقَّةٍ وتَكلُّفٍ، وقدَ ابتعدَ الفتّالُ عَن مِثلِ ذلِكَ؛ لِتلبيةِ النصوصِ المقتبسةِ حاجةَ الخِطابِ عندَهُ مِن غيرِ دَاعٍ أو مُحاولةٍ لِتكييفِهَا وفقَ ما يُريدِ.

[1]) ينظر: ابن ابي الحديد(1258هـ) , شرح نهج البلاغة:5.

المبحث الاول:

المرجعيَّاتُ الدّينيَّةُ المباشرةُ مِن أقوالِ آلِ البيتِ الكِرامِ

بِتدقِيقِ النظرِ في كِثيرٍ مِن شِعرِ عليّ الفتّال، نجدُ أنّهُ عالَقَ بينَ كثيرٍ مِن نصوصِ أعمالِه الشِّعريةِ وَكلامِ آلِ بيتِ النبيّ الكِرامِ، تَيمُّنًا بِكلامِهم وتبرُّكًا بِهِ، ليسَ ذلِكَ وحسبُ، بل إنَّ للشّاعرِ – كَما سيظهرُ لَنَا مِن نتائجِ التّحليلِ – غَاياتٍ أُخرَى دلاليّةً لَهَا انبعاثاتُها في الخِطابِ، وَمدلولُها المُنعكِسِ بِأثرِهِ عَلَى نَزعتِه الوجدانيّةِ المُتعلِّقَةِ بِهِم، وَنبرتِهِ اللُّغويَّةِ المُتأثِّرةِ بِفَصاحتِهِم وَبيانِهِم.

- وكانَ الفتّالُ قدَ اتّخذ مِن هذه الأبياتِ المُتواردةِ، والاقتباساتِ الّتي ضمَّنهَا لَهَا دَليلًا حتميًّا، مُوجبًا للإيمانِ بِهِ وتصديقِ مَا انطوَى عَليهِ مِن بُرهانٍ تُقامُ بِه الحُجّةُ عَلَى إسلامِ أبي طالبٍ في الظّاهرِ؛ لشيءٍ فِي نفسِهِ، إلَى أن يَصِلَ منهَا إلَى قولِهِ في قصيدة (إسلام أبي طالب) [1]: { بحر البسيط}

فَلَا ذوو الكَهفِ فِي إيمَانِهِم وَصَلُوا إيمَانَهُ، فَهُو فِي ذا كَانَ مُنتدَبَا

تأكيدًا عَلَى أنّ أبا طالبٍ ماتَ عَلى ملّةِ الإسلامِ، وتحقيقًا لِأنَّ دفاعاتِه عَن النبيّ(صلى الله عليه وعلى اله وسلم) لَم تَكُن لِمحضِ علاقةِ النّسبِ الّتي تربطُه بِهِ فقط ، بَل لِأنّهُ تجاوبَ معَ الدّينِ فِي قلبِهِ، إلّا أنّهُ أضمرَهُ إضمَارًا تَامًّا لَا يُطلِعُ عَليهِ أحدًا؛ لِعلمِهِ بِأنّ في افتضاحِ أمرِه مَا قد يسوؤه ويُجلّي عَن نَوايا البغْضِ لهُ ولابنِ أخيه فِي وجوهِ قريشٍ.

فجاءَ تأكيدُ الفتّالِ عَلى هذه المعلومةِ في هذا البيتِ، مُضيفًا إليهَا أنَّ مَا كانَ مِن أصحابِ الكَهفِ مِن إيمانٍ, وقد وردت قصة أصحاب الكهف في القرآن في سورة الكهف في الآيات (9-26)، وهي لا تختلف كثيرًا عن القصة المذكورة في المصادر المسيحية, باستثناء التفاصيل غير الضرورية في القصة ,كأسمائهم وعددهم وزمن حدوث الرواية وغيرها، وموضع ربط الحديث هو عن فتية من النبلاء آمنوا بالله وحده ونبذوا عبادة الأصنام التي كان يعبدها قومهم، ثم لجئوا الى الاختباء في الكهف هربًا من فتنة قومهم، وناموا فيه لعشرات السنين ثم بعثهم الله بعد ذلك[2].

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 6/ 364

[2])ينظر: تفسير الطبري , سورة الكهف الآية 9_26, وأحمد علي المجدوب. أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن (ط. الثالثة). الدار المصرية اللبنانية. (1998) ص. 186–189.

وهذا الايمان يعدلُ شيئًا مِمّا كَانَ في قلبِ أبي طَالبٍ، وهو مِن المعانِي الظّاهرةِ الّتي أنتجَ عن طريقها الفتّالُ معنًى عميقًا مُفادُه أنَّ أبا طَالبٍ أضمرَ في نِيَّتِه خلافَ مَا أظهرَهُ وهو عَلى خِلافِ النّفاقِ، فصورةُ المُنافقِ أن يُضمِرَ الكفرَ ويُظهِرَ الإيمانَ، أمّا فِعلُ أبِي طَالِب فكانَ علَى نقيضِ ذلِكَ.

وذلِكَ المعنَى مُستنبطٌ مِن كلامِ الأئمةِ (عليهم السلام) ومُشتَّقٌ مِن حديثِ العُلماءِ الأَوائلِ مِن آلِ البيتِ والصّحابةِ الكِرامِ [1]، ولولا ذلِكَ لَمَا كانَ للفتّالِ عَلَى مَا يذهبُ إلَيهِ مِن تَأكيدِ إسلامِ أبي طَالبٍ حُجّةٌ يَنهضُ عَليهَا حديثُه، وحالُ ما كان الأمرِ عَلى مَا ذكرتُ، وجبَ تتبُّعُ مصدرِ كلامِهِ أوَّلًا، ثُمَّ معرفةُ مَا إن كَانَ نقلَهُ نقلًا أمينًا أو غيرَ ذلِكَ؟

وباستقصَاءِ مظانِّ المعلومةِ نَجدُ الفتّالَ استندَ في إدلائِه بِدلوهِ فِي هذه القضيّةِ عَلى كلامٍ مَأخوذٍ مِن نصٍّ للإمامِ الصّادقِ، ألحقَهُ بِنصِّهِ فِي خِطابِه مُضمِّنًا إيَّاهُ تَضمينًا مُباشرًا لفظًا ومعنًى، حيثُ ذكرَ الصّادقُ (عَليهِ السّلامُ) مَا نصُّهُ: "إنّ مثَلَ أبي طَالَبٍ مَثلُ أصَحابِ الكَهْفِ، أسَرُّوا الإيمَانَ وأظْهَرُوا الشّركَ"[2]، والمعنَى واللفّظُ أقربُ مَا يكونُ إلَى ما انصرفَ إليهِ الفتّالِ في هذا البيتِ فليُتدبَّر.

وفِيمَا يَعكسُ رؤيةَ الفتّالِ عَن الافكار المنحرفة ومَا يَنتجُ عنهَا مِن آثارٍ سَلبيّةٍ في المُجتمعِ الإسلاميّ، يُوردُ نصَّ خِطابِه الشّعريّ منوطًا بإبرازِ هذا الغايةِ المُغرضةِ، عن طريق اقتباسِ جزءِ نصٍّ مِن كلامِ الإمامِ الصادق (عليه السلام)، اقتِباسًا مُباشرًا؛ فيقُولُ من ملحمته الشعرية(قصة انسان)[3]: **{مجزوء الرمل }**

هَمُّها أنْ تَنزعَ الدّينَ، وَآفاتُ العَقائدْ

وَتَفكُّ العُروةَ الوَثقَى مِن الشَّرقِ المُعانِدْ
لِتُشِيعَ العُرْيَ فِيهِ، مِن بَقَايَا قِيَمْ
عَشَّشَتْ فِينَا، ونَامَتْ مَعَنا تحتَ الوَسَائدْ

وظاهرٌ مِن إيثارِ الشّاعرِ لِمَزجِ المَعنَى المنشودِ مِن هذه الأبياتِ بِمَا جَاءَ فِي لِسانِ بعضِ آلِ بيتِ النبيِّ (صلى الله عليه واله وسلم) مُغنيًّا بِتقويةِ الدّلالةِ وشدِّ أجزاءِ النصِّ بعضِهَا بِبَعضٍ،

---

[1]) ينظر: شرح نهج البلاغة :14\78-71 – و3\17, الغدير 7\381 – و3\254, وأبو طالب مؤمن قريش: 274.

[2]) الكليني، الكافي، 448/1

3) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 328/3.

عَلى شَاكلةِ مَا يقعُ في النصِّ لِلرّبطِ مِن إحالاتٍ ووسائلَ تَسبكُ مجموعَ عَناصرِ البِناءِ بِبعضِهَا الآخرِ.

والمعنَى وَإن لَم يَكُن مُصرَّحًا فيهِ بِالنُّصحِ، إلّا أنّهُ يَدخلُ في هذا البابِ وبِقوَّةٍ؛ لِأنَّ الشّاعرَ يُوردُ خِطابَهُ في مَعرضِ التّنديدِ بِمَا تَفعلُه هذه الافكار بِالمُجتمعِ الإسلاميّ، وفِي مُجرَّدِ الطّرحِ سبيلٌ للمُعالجةِ، ولعلَّ ذلِكَ مَا قَصدَهُ الفتّالُ مِن نقلِهِ لكلمةِ (العُروَةِ الوَثقَى) فِي طَيَّاتِ خِطابِهِ، وهي مِن العباراتِ المُنصوصِ عَليهَا نصًّا صَريحًا في القرآن الكريم ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)﴾ [1] وقد ورد في تفسير معنى العروة الوثقى "ووحد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي : فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم "[2]. وقد ورد هذا المصطلح على لِسانِ الإمامِ الصّادقِ(عليه السلام) في زيارة وارث وهي الزيارة السابعة المطلقة لأبي عبدالله الحسين (عليه السلام) وهي زيارة علمها الإمام الصادق (عليه السلام) لبعض الأصحاب وذكرها الشيخ عباس القمي في كتاب مفاتيح الجنان [3], فثمَّة طريقٌ واحدٌ لطَلَبِ إثباتِ المَعنَى وَتحريرِ الَغايةِ الخطابيّةِ مِن طريق الاقتباسِ، وهو الإثباتُ والتّوكيدُ.

ومِن كلامِ الفتّالِ فِي وَصفِ الدّينِ، وَإبرازِ مَكانتِهِ وَتأثيره فِي النُّفوسِ، مَا نظمَهُ تَبيانًا لِحالِ هذا الدّينِ مِن قَولِهِ متأثر بقصيدة امرئ القيس (كجلمود صخر حطه السيل من علي) من قصيدة (الدُرُّ والعسجد)[4]:{ بحر الكامل}

إذ جاءَ بالدِّينِ الحَنيفِ مُبشِّرًا طهَ فكانَ الدَّفقُ بحرًا مُرفدَا

فَإذا بِهِ سيلٌ تدفَّقَ مِن علٍ نورًا يشعُّ فيالَهُ نُورًا بدا

ففي هذا النّصِّ بَيانٌ لِمدَى مَا بَلَغَه الدّينُ مِن قلوبِ النّاسِ، لَمَّا قَدِمَ مِن عِندِ اللهِ تعالَى وَبشَّرَ بِهِ النبيُّ محمّدٌ (صلى الله عليه واله وسلم) فَكانَ كالبَحرِ موفورِ المَياهِ مُتدفِّقِ السّيلِ مِن الأعالِي، أو كالنُّورِ المُشعِّ الذي مَلأَ الدُّنيا، وكَانَ فِي ملك الشّاعرِ الوصولِ إلَى هذا المعنَى من طريقٍ آخرَ

---

[1]) سورة البقرة: 256.

[2]) تفسير ابن كثير في تفسير الاية 256 من سورة البقرة.

[3] – ينظر :الخزاز القمي، كتاب كفاية الاثر، ص73، وعباس القمي , مفاتيح الجنان ويليه الباقيات الصالحات الزيارة السابعة للامام الحسين (عليه السلام), 498.

4) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 363/4

سِوَى التّعالقِ النصيّ وَالاستِرجاعِ الدّينيّ، وَلكنّهُ آثرَ تَوظيفَ الاقتباسَ المُباشرِ الذي عوَّلَ فيهِ عَلى إيرادِ كَلِمةِ الإمامِ جَعفرٍ الصّادقِ(عليه السلام) [1]، فَقَرَن بينَ خاصَّةِ كَلامِهِ وَما سَاقَهُ مِن كلامِ الإمامِ ركونًا إلى أنّ الأصلَ في الإخبارِ احتمالُه الصِّدقَ والكذبَ لِذاتِهِ، ولمَّا كانَ الرعيلُ الأوَّلُ مِن آلِ بيتِ النبوَّةِ مَحلَّ ثقة لَا يُعهدُ عليهم الكّذبُ، يَسوقُ الفتّالُ هذا الكلِمةَ "سَيلٌ تَدفَّقَ مِن عَلٍ" فقد " سئل الإمام الصادق (عليه السلام) ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرض؟ قال (عليه السلام): " كنا أنوارا حول عرش الله نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله الملائكة فقال لهم: سبحوا، فقالوا: يا ربنا لا علم لنا. فقال لنا: سبحوا، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، إلا أنا خلقنا من نور الله " [2] استند الفتال في ابياته هذه الى قول الصادق (عليه السلام) في أن الاصل في تكوينهم إنهم كانوا نورا في السماء دَعمًا لِمذهبِهِ وَتحقيقًا للغايةِ مِنهُ فِي مِثلِ ذلِكَ.

والذي حدَا بِنا إلَى الحُكمِ بِمُباشرةِ الاقتباسِ أنّا وقفنَا عَلَى كلامِ الإمامِ الصّادِقِ(عليه السلام)، فَإذا بِالشّاعرِ الفتّالِ يَأخذُ مِنهُ مَا عَرضَ لَهُ مِن لَفظِهِ ومعنَاهُ؛ لِأنَّ المَقامَ مِما يُوجِبُ الاقتباسَ للاستدلالِ، والحُجَّةُ مُلزمةٌ لِأن يَكونَ التّعالقُ صَريحًا مُباشرًا لِتَمامِ الغَايةِ مِنهَا، فوجهُ الحُجَّةِ لَا يَظهرُ إلّا بِتمامِ النّقلِ وكمالِ البيانِ.

وفِيمَا راحَ الفتّالُ يُؤكِّدُ عَلَى مسألَةٍ لَيستْ محلَّ خلافٍ إلّا عِندَ مَن لَا يُؤمِنُون بِكراماتِ آلِ بيتِ النبيِّ(صلى الله عليه واله وسلم) يَسُوقُ نصًّا بِتمامِه مِن كلامِ الإمامِ البَاقر وقولِ الإمامِ الصّادقِ (عليَهما السلام)، حيثُ يُؤكِّدانِ عَلَى أنَّ للحُسينِ (عَليهِ السّلامُ) مِن البركاتِ مَا تُجلِّي عَن نَفسِهَا حتَّى وَهو ميتٌ مَقبورٌ، فترابُ قبرِه يَشفِي مِن الأمراضِ الّتي هِيَ مظَّنةُ عدمُ التّشافِي مِنهَا، عن الصادق (عليه السلام) : " طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء ؛ فإذا أكلت منه ؛ فقل : بسم الله و بالله ، اللهم إجعله رزقاً واسعاً وعلماً نافعاً، وشفاء من كلّ داء ، إنّك على كلّ شيء قدير ، اللهم ربّ التربة المباركة ، وربّ الوصيّ الذي وارته ، صلِّ على محمّد وآل محمد ، واجعل هذا الطين شفاءً من كلّ داء ، وأماناً من كلّ خوف "[3] و مِن قولِ الفتّالِ عنها (الى الصديق) [4]:{ بحر الوافر}

---

1) آل محمد السيد عاشور، الولاية التكوينية، ص75، و بحار الانوار 23/15

[2]) اثبات الوصية: ١٥٣، وبحار الأنوار: ٢٥ / 21 ح 34 باب بدء خلقهم، والفردوس بمأثور الخطاب: 3 / 283 ح 4851 مختصرا.

[3]) الأمين ، السيّد محسن : مفاتيح الجنات ، ج 1 / 455, السيد تحسين ال شبر: مرقد الامام الحسين (ع), 88.

4) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 383/4

وخُذ مِن تُربةٍ فِيها شِفاءٌ فَتُربَتُهُ شِفَاءٌ للطَّعِينِ!

وقد يَكونُ لِهذا المعنَى مِن التّأثير في النّفسِ مَا يَنبري للإسفارِ عنهُ مَن يُوقِنُ بِحبّهِ الرَاسخِ في آلِ بيتِ النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) أنّ لَهُم بِإذنِ اللهِ تَعالَى مَا ليسَ لغيرِهم مِن الكَراماتِ الّتي قَد تَبلغُ حدَّ شِفاءِ مَن يَتعرَّضُ للموتِ بِسبب اصابته بمرضِ الطاعونِ .

وقد نصَّ صَاحبُ بِحارِ الأنوارِ على قول الامام الصادق والامام موسى بن جعفر (عليهما السلام) [1]، وكذلك اوردها صاحبُ مَرقدِ الامام الحُسينِ عَلى هذه الكَرامةِ حيث نقل قول الكاظم (عليهم السلام) قال "لا تأخذوا من تربتي شيئا لتتبركوا به، فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين (عليه السلام)، فأن الله عز وجل جعلها شفاء لشيعتنا ولأوليائنا " [2]، في كِتابَيهما سَالِفَي الذّكرِ، فاستندَ الفتّالُ عَن إيمانٍ ويقين بمَا يقولانِ إلى هذا الكلامِ، مُتخذًا مِنهُ سَبيلًا مُوصِّلًا إلَى دِقَّةِ الغَايةِ الّتي يُجلِّي بِهَا عَن إظهارِ مَدَى حُبّه وولائِه لِآلِ البيتِ الكِرامِ، فَاتّخذ - بِذلِكَ - النصُّ طريقَهُ بينَ ثنيّاتِ خِطابِ الفتّالِ دُونَ عَنتْ، ولا مَا يُشعِرُ بِأنّهُ مُقحَمٌ إقحامًا رغمَ نقلِهِ لَهُ عَلى صُورتِهِ الآنِفةِ، فَكانَ بِمنزلةِ الجُزءِ منهُ.

وحيثُ تضافرَ كلٌّ مِن اللفظِ والمعنَى عَلَى أداءِ مدلولٍ واحدٍ فِي خطابِ الفتّالِ الشّعريِ بِحسَبِ مُقتضَى الحاجةِ، بِغيرِ زيادةٍ أو نقصٍ عَلَى مَا مِن شَأنِه الإفصاحُ بِتحويرِ الدلالةِ أو قلبِ المعنَى، حُكِمَ لِمثلِ هذا النّوعِ مِن المُقابساتِ بِأنّهُ مِن التّضميناتِ المُباشرةِ، وقد بلورَ الفتّالُ ملامحَ شخصيّتِه الشّعريّةِ في التزامِ قوانينِ الاقتباسِ مِن ناحيةٍ، ومِن نَاحيةٍ أخرَى نَراهُ يُعمِلُ اساليبه الإبداعيّةَ في التّسلُّطِ عَلى اللّفظِ بِإحالتِه إلَى ما يُفرغُ المعنَى فِي قالبِه الخِطابِيّ إفراغًا يَنِمُّ عَن طبيعةِ المعنَى والغرضِ الذي اقتبسَ مِن أجلِه هذا النصَّ.

---

[1]) العلامة المجلسي, بحار الانوار :ج57\157.

2) عيون اخبار الرضا:1\104, وتَحسين آل شبيب، مرقدُ الإمام الحسينِ ، ص86 – 87, و العلامة المجلسي , بِحارُ الأنوارُ، 157/57.

المبحث الثاني

المرجعيَّاتُ الدّينيَّةُ غيرُ المباشرةِ مِن أقوالِ آلِ البيتِ الكِرامِ

وِمن ذلِكَ الّذي نَحنُ بِصددِ الحَديثِ عنهُ قَولُه ناصحاً ومرشداً لِمَن عساهُ يَستجيبُ، بِالرِّفقِ بِمَن أمرَ اللهُ تَعالَى بِالرِّفقِ بِهِم فِي مُحكِمِ التّنزيلِ نبيَّهُ مِن اليتامَى والأيَامَى والمَساكِينَ فقال الفتال في قصيدته(العيد)[1]:{ بحر الوافر}

تَرفَّق باليَتِيمِ وبِالثَّكَالَى وَعايِنْهم مُعاينَةَ الكِرامِ

فَرَفْعُ البُؤسِ عَن كَتِفَي فَقيرٍ كَضربِ الكُفْرِ فِي حَدِّ الحُسامِ

فهو هُنا إذ يُشبّهُ رَفعَ البُؤسِ والمَسكنةِ عَن الفَقيرِ ذِي الحَاجةِ بِضربةِ السّيفِ فِي رِقابِ الكَافِرِينَ، ورد عن الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال: "من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله، وصام نهاره، وغدا وراح شاهراً سيفه في سبيل الله، وكنت أنا وهو في الجنّة أخوين كما أنّ هاتين أختان- وألصق إصبعيه السبابة والوسطى" [2],عملًا بالغايةِ الّتي تُشيرُ إلَى أنَّ مِن الجهادِ مَا هو أكبرُ وأصغرُ، وَقد نصَّ بِالأمرِ (ترفَّقْ) وَالمَعطوفِ عَليهِ (عَاينْهُم) عَلَى كلامٍ مأثورٍ لسيّدِنا الإمامِ عليّ بنِ أبي طَالِبٍ(عليه السلام)، يوصي بهِ ولدَيه سِبطي النبيّ المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم) بإعالةِ اليتيمِ وإكرامِه حيثُ قالَ "الله الله في الأيتامِ فلا تغبُّوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتِكم"[3]، وليسَ مَدَى هذا التّواردِ بينَ كلامِ الإمامِ عَليٍّ (عليه السلام) لابنَيهِ بإعالةِ اليَتيمِ وَصيانتِه مِن بذلِ مَاءِ وَجهِهِ، معَ القُرآنِ الكَريمِ، حيثُ نصَت كذلِكَ بعضُ الآياتِ مِن كتابِ اللهِ تعالَى عَلَى إكرامِ الأيتامِ وَالتّصدُّقِ عَلى الفُقراءِ والمَساكينَ فِي مَواضِعَ كثيرةٍ مِنهُ، ونأخذ قول زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام)؛ حيث يقول: "الذنوب التي تحبس غيث السماء جور الحكام في القضاء، وشهادة الزور وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة والقرض و الماعون وقساوة القلوب على أهل الفقرة والفاقة، وظلم اليتيم والأرملة وانتهار السائل ورده بالليل"[4] وكل هذه النصوص وغيرها تحثنا على الرفق والرحمة والرأفة باليتامى والارامل والمحتاجين , وفي هذا العمل رفعة وعلوا في الدنيا والآخرة ، وهو

---

1) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 3/ 35

[2]) الكليني : الكافي, ج1\406, و نور الثقلين ج5\597 الريشهري : منتخب ميزان الحكمة , 558.

3) الكليني : الكافي , 2\248, الشريف الرضي، نهج البلاغة للإمام عليّ، 77/3 , البحراني: تحف العقول عن ال الرسول , , 223, الريشهري: منتخب ميزان الحكمة , 558.

[4]) نور الثقلين – الشيخ الحويزي – ج ٥ – الصفحة ٥٩٧

كَما يَبدُو مِن ظَاهرِ التّوظيفِ مِن الاقتباساتِ المُباشرةِ الّتي نَقلَهَا الشّاعرُ لِخطِابِهِ نَقلًا عَامًّا بِلفظِهَا ومعنَاهَا , فقد ساوى هذا العمل بالجهاد ضد الكفر.

ومِن الاقتِباسَاتِ الّتي عَنَّ الفتّالِ تَوظيفِهَا فِي خِطابِهِ، إلمَاحًا بِهَا إلَى عُمقِ القضيَّةِ، وضَرورةِ الالتفاتِ إلَى المعنَى المُستَكِنِ تَحتَ هذا الاقتباسِ غيرِ المُباشر، قولُه من (تأملات إيمانية)[1]:{البحر الكامل}

وَكذَا العَلِيمُ مُميَّزٌ عَن جَاهلٍ والحُرُّ لَيسَ حِسابُه كَلَقِيطِ!

فَمَن البَداهةِ أن يُشيرَ الشّاعرُ فِي مَعرضِ التمييزِ بينَ المَنازلِ الّتي يَحلُّ بِهَا النَاسُ، إلَى الفرقِ بينَ الجاهلِ والعالمِ مِن نَاحيةٍ، وَأن يُراوحَ بينَ صِفةِ حِسابِ الحُرّ وحِسابِ العبدِ، إذ إنَ هذين لَا يستويانِ فِي نَظرِ النّاسِ، أي الحُرُّ والعبدُ كَما لَا يَستوي العَالمُ والجاهلُ لَدَيهم؛ فإنَّ لكلٍّ مِنهمَا حِسابُه بِحسَبِ مَا تحصَّلَ لهُ مِن العلمِ، نأخذ في هذا الموضع قول الإمام الصادق (عليه السلام): "إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم، فإن كل محب يحوط بما أحب"[2] وقوله ايضاً (عليه السلام):" ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولا في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك" [3], فقد ربط ال البيت الكرام العلم بالعبادة وهذا الذي أشارَ إليهِ مِن المعانِي الدّقيقةِ والعميقةِ وَإن كَانت كَثيرةَ التّناولِ، غَيرَ أنّهَا لَم تتناول إلّا العلاقةِ الضديّة الّتي تَجمعُ بينَ العالمِ والجاهلِ، أمَّا مَنزلةُ الحُرّ وَمكانةُ العَبدِ مِن الحسابِ فِي الدُّنيا والآخرةِ فهوَ مِن المَعانِي غيرِ المَطروقةِ في الشّعرِ كَثيرًا.

وبِمُراجعةِ النُّصوصِ الدينيّةِ لَدَى الإمامِ علي (عليه السلام)، نَقِفُ علَى سعةِ وغزارةِ مَعارِف الفتّالِ بِهذه النّصوصِ، فَقد استرفدَ ذلِكَ المعنَى مِن كلامِهم (عليهم السلام)، مُقتبِسًا بعضَ مِا عرضَ لهُ في خِطابِهِ منهُ اقتِباسًا غيرَ مُباشرٍ، وذلِكَ حيثُ تَواردَ كلامُه معَ كلامِ الإمامِ علي بن ابي طالب (عليه السلام) ومنه: "الجَهْلُ مُمِيْتُ الأَحْيَاءِ، وَمُخَلِّدُ الشَّقَاءِ" [4] وقولهِ (عليه السلام) " لا غِنى كَالعَقلِ، ولا فَقرَ كَالجَهلِ"[5]، والذي نَقلَهُ إلَينَا الشّريفُ الرضي في نَهجِ البلاغةِ من كتابه (عليه السلام) جوابا الى معاوية "ولا حرب كعبد المطلب. ولا أبو سفيان كأبي

1) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 236/3 .
2) الشيخ الكليني - الكافي - ج ١ - ٤٦ .
3) محمد الريشهري : ميزان الحكمة, ج\32102.
4) المصدر نفسه، ج1، ص462.
5) الشريف الرضي: نهج البلاغة ,الحكمة 54.

طالب. ولا المهاجر كالطليق ، ولا الصريح كاللصيق. ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل" [1]، ولِأنَّ الكلامَ مَلقوطٌ مِن النصِّ بِالحملِ لَا بَالنّصِّ عُدَّ مِن المَقابساتِ غيرِ المُباشرةِ، وَقد أسهمَ هذا الاقتباسُ عَلَى التّعريفِ بِمَسائلِ العِلمِ والجهلِ الّتي لَا يَسعُ كثيرٌ مِن النّاسِ التّعرفُ عليها إلّا عن طريق مَا يَسمعُه دونَ تَحقُّقٍ مِنهُ، وبيان الفرق بين تضاد الالفاظ كَما عزَّزَ مِن قُدرةِ الخِطابِ الأدائيّةِ.

ومِن تلكَ المرجعيات الدّينيّةِ الّتي استحضَرَهَا الفتّالُ فِي دِيوانِهِ، مُجراةً عَلَى لِسانِهِ عَلَى سبيلِ الاقتباس غَيرِ المُباشرِ من قولُهُ في (اللسان) [2]:{ البحر الكامل}

فاحفَظْ لِسانَكَ؛ فَهْوَ خيرُ وَدِيعَةٍ إنْ عَفَّ قد عَفَّتْ بِهِ الأَحْسَابُ!

مُنوّهًا بِتلكَ القِيمةَ الّتي دلَّ كثيرٌ مِن كلامِ النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) عَليهَا، مِن قبيلِ النصحِ والتّوجيهِ وهي صفة من الصفات التي حث عليها ديننا الحنيف، فَحفظُ اللسانِ مَدعاةٌ للمحبَّةِ ومُستجلبٌ للرّضا والتوادِّ بينَ المسلِمينَ وبينَهُم وبينَ غيرِهِم، كَما أنَّهُ أدعَى إلَى حفظِ النّسبِ وَزيادةِ الشّرفِ والحَسَبِ، ومن ذلِك قولُ الامام السجاد علي بن الحسين (عليهما السلام) الواردة في التفسير المنسوب للأمام الحسن العسكري (عليه السلام) " اِحفَظ عَلَيكَ لِسانَكَ تَملِك بِهِ إخوانَكَ"[3]، حيثُ نصَّ عَلَى ذلِكَ بشيءٍ مِن الاقتِضابِ، فَتشبَّثَ الفتّالُ هُنا بِذلِكَ المعنَى وَأداءً شِعريًّا مُلمِحًا فِيهِ بِعظمةِ حفظِ اللسانِ وَما لَهَ مِن أثرٍ فِي حِفظِ الأعراضِ وَالارتِقاءِ بِقيمةِ المَرء فِي مُجتمِعِه.

فَلو لَم تَكُن لِتلكَ القِيمةِ اَنعكاساتٌ ماديةٌ عَلَى حياةِ البَشرِ في مُجتمِعِهم الذي يَعيشونَ فيهِ مَعًا، لَمَا كانَ لِلقُرآنِ ولا للسُّنَّةِ النبويَّةِ، وَلا لِأيٍّ مِن آلِ بيتِ النبيّ الكِرامِ أن يَسوقَهَا سَوقًا مُتعدِّدًا فِي كلامِهِ، وَيُلمِحُ إلَيهَا كلَّما لَاحتَ لهَا بَادرةٌ في الخِطابِ، ومِن مُنطلَقِ حِرصِ الشّاعرِ عَلى استثمارِ كلِّ قضيَّةٍ دينيّةٍ لَهَا في النفوسِ تَأثيرٌ، وفي العقولِ وَقْعٌ يَأتِي عليّ الفتّالُ بِهذا النّصِّ التّفسيريِّ مُغلِّفًا بِهِ خِطابَهُ الشّعريَّ بِمَا اقتَبسَهُ مِنه اقتِباسًا غيرَ مُباشرٍ، مِن أجلِ تَمكينِ المعنَى فِي ذِهنِ المُخاطبينَ بِهِ.

---

1) الشّريف الرضي، نهج البلاغة لعلي بن أبي طالبٍ، 17/3

2) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 22/3 .

3) التّفسيرَ المنسوبَ للأمام الحسن العسكري (عليه السلام)، ص41.

ومِن مَعاييرِ الاستِدلالِ عَلَى أنَّ للفتّالِ في نَظمِهِ استلهامًا مِن كلامِ آلِ البيتِ الكِرامِ، واسَتنادًا إلَى نصُوصِهِم، بُغيةَ تحقيقِ مَآربِ النّظمِ، تَجوالُه فِي كلِّ وَادٍ وَانتجاعِه مِن كلِّ مرعًى، فَقولُهُ في (الدُرٌّ والعسجد) [1]:{ بحر الكامل }

قَد كانَ واحدُهُم مُضَامًا يَومَهُ حَتَّى غدَا بِالدِّينِ قرمًا سيِّدَا

والمعنَى عَلَى أنَّ رِجالَ قُريشٍ كَانُوا يُضامونَ خَسفًا وَهوانًا فِي النّاسِ، إلّى أن قيَّضَ اللهُ مِن عِبادِهِ مَن يَحملُ عَنهُ ذلِكَ، ويُلبسَهم ثَوبَ الأمنِ وَالطَمأنينةِ ، فتحوَّلوا مِن هذه الحالةِ الّتي كَانَ يَخشونَ فيهَا تخطُّفَ النّاسِ إلَى قرومٍ سَادةٍ أنجابٍ، وقد انتزعَ المعنَى من قصيدةِ لأبي طالبٍ عمِّ النبيِّ(صلى الله عليه واله وسلم) وهناك من طعن في اسلامه وايمانه ولكنه وقف إلى جانب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في شتى المواقف , وتحمل الكثير من العناء والمصاعب, وقد بقي ملازماً له ومدافعاً عنه حتى اخر لحظة من حياته ,وقد أوصى بني هاشم بالإيمان به , والتصديق به والدفاع عنه إن ارادوا الهداية والفلاح، ولأجله دأب بنو عبد مناف على نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة ولأجله صبر بنو هاشم على الحصار في شعب ابي طالب [2] .

و رغم توقفه في إيمان أبي طالب-ورد في نهج البلاغة - إني: لم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة وأعلم أنّ حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة. وقالوا: انه روي بأسانيد كثيرة بعضها عن ابن عباس وغيره أنّ أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقال في موضع آخر: وقالوا: إنما لم يظهر أبو طالب الإسلام ويجاهر به لأنه لو أظهره لم يتهيأ له من نصرة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ما تهيأ له وكان كواحد من المسلمين الذين اتبعوه.[3] وتبقى اشعاره اكبر دليل لدفاعه عن قضية الاسلام ونبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , ومن المنطقي أن الانسان لا يدافع عن شيء دون الاقتناع والايمان به, وهو من دفع ابناءه وزوجه للإيمان ونصرة أبن عمهم يقولُ من مطلعِها[4]: { بحر الطويل }

---

1) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 363/4

2)الاميني: الغدير, ج7\367.

3) ينظر: ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة, ج14\71-83

4) أبو طالب بن عبد المطلب، ديوانه، بروايةِ أبي هفان البصري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص98

عينـــي ائـــذَني لِـــي بِبُكـــاءٍ آخـــرَ الأبَـــدِ ولا تَمَلّـــي علَـــى قَـــرْمٍ لَنـــا سَـــيّدَا!
إذ جاء بالدين الحنيف مبشّراً طه فكان الدفق بحراً مُرفِدا

وهي في رثاءِ أخيهِ عبد الله أبي النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) وذلِكَ بُرهانٌ دَامغٌ عَلَى إبحارِ الفتّالِ في قواميسِ الشِّعرِ العربيّ وتَعرُّفِه عَلى الكثيرِ مِن أسانِيدِهِ الّتي بِهَا ينهضُ حُجَّتُه في خِطابِهِ، لَيسَ ذلِكَ وحسبُ، وهو كلام مقتبس معناه من خطبة الزهراء (عليها السلام) حيث قالت في مجلس ابو بكر " وَأَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ... ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ.

فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها... فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقَامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاختِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ ...قَدْ حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأبْرارِ، وَرِضْوانِ الرَّبِّ الغَفارِ، ومُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبّارِ. صلى الله على أبي نبيِّهِ وأَمينِهِ عَلى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ"[1]. فتبين عن طريق هذا الخطاب مكانة قريش وماضيها وتاريخها وما كانت عليه وما ألت أليه الحال بعد نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم), كان مجتمع الجزيرة العربية في شر حال فهم يعيشون على هيأة جماعات منظمة تحترف الزراعة والرعي والصيد والتجارة وقد تقسموا الى طبقات (السادة والأحرار والأحلاف والعبيد) كان لكل قبيلة أو عشيرة عربية صنمها الخاص بها , وكان في مكة(360) صنمًا منثورًا حول الكعبة، وكان هناك أصنام مميزة كاللات والعزى ومناة، وهناك كبيرهم هُبَل وهي من صنع ايديهم من تمر أو طين أو غيرها, وكانوا يتطيرون[2] ,وكانوا يغزون بعضهم بعضاً , ويقتل بعضهم بعضاً

---

[1]) رواه :عبد الحميد ابن أبي الحديد (ت 656هـ) في كتابه (شرح نهج البلاغة) ج 16 ص211–213 و ص249و252. ورواها أبو بكر الجوهري (ت 323هـ) في كتابة (السقيفة وفدك) بعدة طرق. ورواها ابن طيفور (ت 280هـ) في كتابه (بلاغات النساء) بعدة طرق. ورواها ابن الأثير (ت 606هـ) في كتابه (منال الطالب في شرح طوائل الراغب) الصفحات 501–507. ورواها الخوارزمي (ت 568هـ) عن الحافظ ابن مردويه في (مقتل الحسين) ج1 ص77. ورواها الأستاذ عمر رضا كحالة في كتابه (أعلام النساء) ج3 ص1208 عن طريق صاحب بلاغات النساء.

[2]) إذا أراد أحدهم زواجاً ، أو سفراً ، أو تجارة : ألقى طيراً في السماء ، فإن ذهب يميناً : مضى في أمره ، واعتقد فيه الخير والنفع ، وإن ذهب الطير شمالاً : أحجم عن أمره ، وترك المضي فيه ، واعتقد فيه الشرَّ ! .

، وتطول الحروب بينهم لأعوامٍ عديدة ، فتُسبى النساء والأطفال، ويُقتل الرجال ، لأتفه الأسباب. مثل ما جرى في : " حرب البسوس " التي دامت ثلاثين سنة ، بسبب أن ناقة وطئت بيضة " قبَّرة " فكسرتها ، وكذلك ما جرى في: " حرب داحس والغبراء " ، وقد دامت أربعين سنة ، والسبب سباق الخيل وما جرى فيه أن فرساً غلبت أخرى في الجري , وتنتشر في مجتمعهم الخبائث وشرب الخمر وأكل الميتة ووأد البنات وغيرها[1],وقد جاء الإسلام بتشريعاته الحكيمة فغير تلك الصور والعادات والأحكام الجاهلية ، وأبدلهم خيراً منها [2]، وقد اتسمَ الفتال بِالمهارةِ في الأداءِ الوظيفيّ لِهذه المَرجعّياتِ الّتي رجعَ إليهَا في إبرامِ عُقدةِ الخِطابِ الشّعريّ الخاصّ بِهِ، ومعَ اتّحادِ اللّفظِ ومُقاربةِ اتّحادِ المَعنَى المُرادِ، إلّا أنَّ الدلالةَ المأمولَةَ مِن مُباشرَةِ الفتّالِ لِهذا الاقتباسِ مِن كلامِ أبِي طَالبٍ والسيدة الزهراء (عليها السلام) ,اختلفتْ في سِياقِهَا، فَالأوَّلُ مُغرَّضٌ بِالرِّثاءِ، والثّانِي مُغنيًّا بِتمجيدِ الدّينِ والشُّعورِ بِالامتنانِ عَلى مَا ألحقَهُ بِالعربِ مِن الرّفعةِ بعدَ الضّعةِ.

ومن مُتابعاتِ الشّاعرِ العِراقيّ عَليّ الفتّالِ لِمَناهجِ السّلفِ مِن ألِ بيتِ النبوَّةِ، نَظمُه الّذي يَقولُ فِي (العاشق الصب) [3]:{ بحر الوافر}

فَحُبُّكَ مُستَقانَا كُلَّ يَومٍ ويَبقَى للجَوَى حِصنًا حَصِينَا

فَغَذَّ السّيرَ فِي نَهجٍ قَويمٍ كَمَا قَد كُنتَ للجَلَّى قَرينَا

وهُنا يتعرَّض الفتّالُ لقضيّةِ الحلّ والترحالِ، وفقدِ الأصحابِ بالانتقالِ مِن مكانٍ لِآخرَ، فَيصنعُ مِن الاقتباسِ خَيطًا رفيعًا يَربطُ بِه بينَ مَا أرادَهُ هو مِن خطابِهِ وَما أبداهُ ذلِكَ الجُزءُ مِن الحديثِ القُدسيّ المُتلقَّى مِن أفواهِ آلِ البيتِ الكِرامِ عَن ربِّ العزَّةِ " باب خبر نادر عن الرضا عليه السلام حدثنا ... علي بن بلال عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن النبي (ص) عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم قال: يقول الله عز وجل ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن

---

[1]) ينظر: جرجي زيدان , تاريخ التمدن الاسلامي , دار المعارف , ص20-11.:الحاشية.

[2]) ينظر: محمود شكري الألوسي بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج1و ص200-207 ، و جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, ج2\7—640-660, علي جواد: ابحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام, دراسة وتحقيق نصير الكعبي,ج1\82-98 .

3) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 415/4

من عذابي" [1]، فَإنّهُ وَإن كَانَ الحديثُ مُجلِيًّا عَن أشباهِ تلكَ المعانِي الّتي عرضَ لَهَا الفتّالُ، إلّا أنَّ هنالكَ فارقًا ملموسًا بينَ مَا أرادَهُ الشّاعرُ من مدح صديقه (صابر) وَما نَصَّ عَليهِ عُمومُ الحديثِ القدسي عن حصانة علي ابن ابي طالب (عليه السلام) , ولعل الربط في الامان الذي يحصل عليه من دخل هذا الحصن وتشبيه الامان الذي حصل بين الشاعر وصديقه , وبيان علاقة الود والمحبة التي حلت بينهما.

فالاستِثناءُ هُنا لَا يقعُ في الاقتباسِ عينِه، وَإنما يَقعُ في الغرضِ الذي مِن أجلِه سَاقَ الشّاعرُ خطِابَ الحديثِ، وَالغايةُ مُبرزةٌ لِهذا السمةُ المَائزةُ للنّصِّ المُقتبسِ عَن النّصِّ الشّعريِّ للفتّالِ، فامتزاج الخِطابينِ وهضمِ الشّاعرِ لَهمُا لَا يُفرغُ أحدَهُما في الآخرِ جُملةً واحدةً، وذلِكَ مَا يُبيّنُ لَنَا طُرقَ اقتباسِ الشّاعرِ غيرِ المُباشرةِ، وكيفَ أنّهُ تمكن من تصريف الكلمة حتّى أحالَ النُّصوصَ المُتزاحمةَ فِي خطابٍ وَاحدٍ هَضيمًا لَا يَظهرُ النصُّ المُقتَبسُ مِن النّصِّ المُضمَنِ فِيهِ.

فَالمعنَى المُرادُ مِن تَوظيفِ الاقتباسِ فِي هذا الخِطابِ، التماسُ المَحبَّةِ والتودُّدِ إلَى أحدِ الأصدقاءِ، والذي قَد صرَّحَ الفتّالُ في أواخرِ النصِّ بِاسمِهِ، حينَ نادَاهُ صَراحةً بِقولِهِ[2]:{ بحر الوافر }

لكَ الأيَّامُ تشهدُ أنْ سَتبقَى [أصَابرُ][3] في الجَوانحِ مُستَكِينَا

فَأثرُ انصهارِ كلٍّ مِن الصّديقينِ في الآخرِ والتِحامِهما بِبعضٍ بَادٍ في هذا التصويرِ، وَانسحابُ الدّلالةِ المقصودةِ مِن الاقتباسِ أظهرُ مِن أن تَحتاجَ إلَى شَرحٍ وَتحليلٍ، وذلِكَ أبرزُ مَا يُبدِي وجهَ التّمايزِ بينَ حديثِه عَن صَديقِهِ وحديثِ النصِّ المُقتبسِ، وتلكَ طريقةٌ ظفَرَ بِهَا الفتّالُ في الإحالةِ عَلى النُّصوصِ الّتي عَمدَ إلَى الاسترفادِ منهَا.

ومِن قصيدتِه الّتي يَرثِي فيهَا الجواهري شَاعرَ العِراقِ والعُروبةِ، يربط بينَ كلامِهِ وما يَعرضُ لهُ مِن كلامِ الإمامِ الصّادقِ (عَليهِ السّلامُ)؛ فيقولُ في قصيدة (الجواهري وكفى)[1]:{ بحر المتقارب}

---

1) عيون أخبار الرضا، للشيخ الصدوق، 146/1، وذخائر العقبى الطبري ص64، المحب الطبري الشافعي، في الرياض النظرة، 173/2 – 177، وحديث السلسلة الذهبية مروية عن الامام الرضا .

2) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 4/ 415

3) صابر عبد العزيز الدوري : هو احد اصحاب الشاعر علي الفتال وكان يشغل منصب محافظ كربلاء والقيت القصيدة بمناسبة نقله الى بغداد بعد توليه منصب محافظ بغداد عام 19\4\2001م.

وإنّكَ مِن تُربةٍ ضمّت الشّموخَ وذا وسمها الأعظمُ

فالمعنَى هُنا يَكتسِي صِفةَ القوَّةِ الأدائيّةِ بِمَزجِهِ بِكلامِ الإمامِ الصّادقِ (عليه السلام)، الذي يُرشدُ بِهِ إلَى مدَى مَا يُحيطُ بِتربةِ آلِ البيتِ مِن العَظمةِ والجلالِ " وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا-المراد الكوفة-. وعن الصادق صلى الله عليه وآله أنه قال تربة تحبنا ونحبها. وعنه عليه السلام: اللهم ارم من رماها، وعاد من عاداها"[2]، غيرَ أنَّ الفتّالَ أحالَ بِهذا الاقتباسِ غيرِ المُباشرِ عَلَى دَلالةٍ أُخرَى يَقفُ عن طريقِهَا المُتلقِّي عَلَى براعةٍ ومقدرةً هائلةً للشّاعرِ عَلى إعادةِ إنتاجِ دلالةِ العِبارةِ المُقتبسةِ في ميدانٍ يُفارقُ الذي سِيقتْ لهُ في لِسانِ أحدِ أفرادِ آلِ البيتِ الكرامِ.

فالمُرادُ مِن دلالةِ عبارةِ الإمامِ الصّادقِ (عليه السلام) إثباتُ الرّفعةِ لِآلِ بيتِ النبيّ أحياءً وأموات، بِمَا لَا يَثبتُ لغيرِهِم مِن البشرِ، وفِي اقتباسِ الفتّالِ لهذا المَعنَى مَا يُوهِمُ أنَّ لِلجواهري مِن المكانةِ في نِفسِهِ ما لِآلِ البيتِ، غيرَ أنّ تحقيقَ النّظرِ في نِسبةِ الاسترجاعِ مُوجِبةٌ فِي مَوردِها وَمضربِهَا لِأن يَكونَ الثّانِي وهو المُمثَّلُ لهُ أقلَّ مِن الأوَّلَ وهو المُمثَّلُ بِهِ، فكانَ جريانُ الاقتباسِ في هذا الخِطابِ مَجرَى الاستعارةِ.

والمعنىٰ في هذا البيتِ مُشاكلٌ للمعنىٰ في بيتِه من القصيدةِ نفسِها، والذي يقولُ فيهِ[3]:{ بحر المتقارب}

لأنّكَ من تُربةٍ ضُمّخَتْ بِعِطرِ الإباءِ وذا مَعلَمُ!

وهما وإنْ اتّفقا في حملِهما دلالةِ تعظيمِ وتبجيلِ آل بيت النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) أمواتًا كما هم أحياء، إلّا أنّ الاقتباسَ أشكلَ وألصقَ بالبيتِ الأوّلِ؛ لاستغراقِ معنىٰ قول الإمامِ الصادقِ (عليهِ السّلامُ) فيهِ , وإشارة الى هذه المدينة الأبية التي ضمت مختلف الديانات وقد وطئها عدد من الانبياء والرسل ,أسسها سعد بن ابي وقاص عام(17هـ) على ذراع نهر الفرات, معسكراً للجند بعد معركة القادسية , واتخذها الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) عاصمة للدولة العربية الاسلامية في عام (36 هـ)، حتى اصبحت الكوفة مدينة العلم والادب , ومركز الاشعاع الفكري والثقافي , وقد صمدت في وجه الطامعين والمعتدين و تعد الكوفة قلب

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 6/ 119

[2]) بحار الأنوار: 57/ 210.

[3]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 6/ 118

الدولة الاسلامية , وهي نقطة الوسط بالنسبة الى كثير من المناطق التي تم فتحها، في اثناء الفتوحات الاسلامية [1] .

ومِن مَعانيهِ البَاذخةِ، وأغراضِهِ الشّامخةِ الّتي ضمَّنها الفتّالُ دفقات شُعوريّةً تَنِمُّ عَن حقيقةِ تلكَ العاطفةِ التّي اكتنفتْهُ مِن كلِّ جانبٍ، حتّى مَزجَ فيهَا بينَ المديحِ والنّدْبِ في آنٍ، مَا نَظمَهُ في (آلِ الخَطيبِ)[2]، فَقال[3]:{ بحر الخفيف}

بيتُ عِلمٍ ورِفعَةٍ وَاقتِدارٍ بَيتُ عِزٍّ وَلَيسَ فِيهِ نُضُوبُ!

فَسيرورةُ الغرضِ في هذا البيتِ تُنبئُ بقطعيّةِ انتهاج الفتّالِ لِغرضِ المَديحِ، فقد بين ما لديهم من رفعة في العلم وهو علم مأخوذ من علوم النبي وال بيته الكرام ,وعودة نسبه الى ال البيت الكرام (عليهم السلام) ومن اشرف الاشياء التي اخذوها عن جدهم الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) , علومه وأسراره و معرفته وهو مما كرر ذكره الامام علي (عليه السلام) ؛ حيث قال: " هم موضع سرّه ، ولجأ أمره ، وعيبة علمه ، وموئل حكمه ، وكهوف كتبه ، وجبال دينه. بهم أقام انحناء ظهره ، وأذهب ارتعاد فرائصه " [4]. والمراد من لفظة السر في هذا الحديث هي العلوم التي لا يحتملها احد غيرهم, وفيها ما يحتاج كل انسان من امور دينه ودنيا, وَبِمراجعةِ القَصيدةِ مِن أوَّلهَا نَجِدُ الشّاعرَ يُخلِّطُ بينَ نّدبِ آلِ الخَطيبِ وَمدحِهِم بِاقتدارٍ، فدلَّ علَى غرضِهِ مِن النّدبِ والتحسُّرِ بِقولِهِ[5]: { بحر الخفيف}

كَمْ عَظيمٍ قَد آلَمَتْهُ النُّدوبُ أو كَريمٍ قد غَيَّبَتْهُ الخُطوبُ.

---

[1]) ينظر: الحموي ، ياقوت (ت626هـ)، معجم البلدان ، ط /1، دار صادر ، بيروت ،1960م، 490/4, ومنير جهاد محمد سبتي, تأريخ مدينة الكوفة وتأسيسها وتطورها الحضاري خلال القرن الهجري الاول 622م–722م , مجلة كلية المأمون, العدد الرابع والثلاثون2019م ,56.

[2]) اسرة عربية معروفة تنتسب إلى عشيرة جشعم (راجع العلامة الخطيب / منشورات مدرسة الإمام الخطيب الدينية في كربلاء (كربلاء 1962 م)النازحة من الحجاز ، استوطنت كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري . لها من الآثار الأرض المعروفة بالخطيبية نبغ فيها : الشيخ محمد بن الحاج داود بن خليل بن حسين بن نصير (1301 هـ – 1380 هـ). و نجله الشيخ عبد الحسين الخطيب . ومن هذه الأسرة : الدكتور حسن بن الشيخ محمد المذكور الذي يتولى منصب القضاء في البصرة ، وله مؤلفات مطبوعة , وآخرون غيرهم.

[3]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 145/6.

[4]) الشريف الرضي: نهج البلاغة, 47.

[5]) المصدر نفسه، 143/6

كَما دلَّلَ عَلَى المَعنَى المُمازجِ لِهذا المعنَى بِقولِهِ الآنفِ مِن القَصيدةِ نَفسِهَا، ولَمَّا كَانَ الغَرضُ غيرَ مُتعَيَّنٍ فِيهِ المعنَى سَاغَ الاقتباسُ غير المُباشرُ مِن كلامِ الإمامِ عليٍّ (عليهِ السّلامُ)، لِيقرِنَ الشّاعرُ بِهِ مَا راحَ يَصِفُ بِهِ عُنصرَ المدحِ في قَصيدتِه، وهم آلُ بيتِ الخَطيبِ، ومَا استندَ عَلى الاقتباسِ مِن كلامِ الإمامِ عليٍّ (عليهِ السّلامُ) مِن أجلِ إثباتِه لِهُم حيث قال " آه آه إن ههنا علما جما لو أصبت له حملة وأشار بيده إلى صدره ثم قال: اللهم بلى قد أصبت لقنا غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بنعم الله على عباده، وبحججه على كتابه، أو معاند لأهل الحق ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة"[1] ، فَتوصيفُه لَهمُ بِمَا أوقَعُه الإمامُ (عَلَيهِ السَّلامُ) عَلَى غيرِهِم مُرادٌ بِه إجراءُ آلِ بيتِ الخطيبِ في الرّفعةِ وعِظَمِ المنزلةِ مجرَى موصُوفِ الإمامِ عليٍّ (عليه السلام) في كِلامِهِ ومن دون المساواة[2].

فكلامُ الإمامِ عليٍّ (عليه السلام) كَانَ لِكُميلِ بنِ زيادٍ النخعي، نَاصحًا موجّهًا لَهُ، وَكلامُ الفتّالِ فيمَن هُم عَلى شَاكلَةِ كُميلٍ (رضِيَ اللهُ عنهُ) مَع الفارقِ في التّمثيلِ وَفي مَناطِ الإيرادِ، إلّا أنَّ المَعنَى مُتقاربٌ، فكانَ لهذا الاقتباسِ بِما احتملَهُ من أوجهِ التّفارقِ أثرٌ في بيانِ تلكَ المكانةِ الّتي احتلَّها بيتُ الخطيبِ في نَفسِ الشّاعرِ، إلَى مَا دفعَ بِهِ نَحوَ وإنزالِ نَفسِه في النُّصحِ مَنزلَ الإمامِ عليٍّ، وإنزالِ آلِ الخطيبِ مَنزلَ كُميلٍ، وتلكَ غايةٌ لَا يُدرِكُ كُنهَهَا إلّا مَن لهُ في العربيّةَ بَاعٌ.

وفيمَا جرَى بِه لِسانُ الفتّالِ بِدَفْقٍ مِن المَديحِ في ذاتِ النبيّ المُصطفَى (صلى الله عليه واله وسلم)، حاثًّا مُشجّعًا عَلى الاحتفالِ بِيومِ ميلادِ أحدِ أحفادِه مِن آلِ البيتِ الكِرامِ، وهو الإمامُ المهدي (عَلَيهِ السَّلامُ)، مِن قولِه في (إمام الهدى)[3]: (بحر السريع)

اليَومَ مِيلادُ إمامِ الهُدَى مَهدينَا

صَلُّوا عَلَى أحْمَدِ!

يأخذُنا في رحلةٍ نورانيةٍ تبذخُ فيهِ الرُّوحُ متشوّقةً لمعرفةِ صِفاتِه والتمتُّعِ بالنّظرِ إلَى ذاتِه، وليسَ أنسبَ مِن مقامِ مديحِ النبيّ المُصطفَى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وآلِ بيتِهِ الكِرامِ (عَليهُم السلام)؛ ليستلهم فيه الشّاعرُ مِن كلامِ آلِ البيتِ ما يُعينُه عَلى التّعرفِ عَلى صِفاتِه

---

[1])المجلسي, بحار الانوار, 75\76.

[2]) ينظر : نهج البلاغة الحكمة 144 , وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة للإمام علي ابن أبي طالب، الحكمة رقم: 144، 346/18، والمجلسي، بحار الأنوار75/ 76-77.

3) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 348/6 .

(صلى الله عليه وآله وسلم)، وصِفاتِهِم التي بِها عُرِفوا بينَ النّاسِ لمَّا عرَّفَهُم بِهَا كِتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ، فاغتنَى المعنَى بِكلامِ الإمامِ عليّ بن محمدٍ بن عليّ بن موسى (عليهم السّلامُ) من قولهم " ائمة الهدى ومصابيح الدجى واعلام التقى "[1]، وفاضَ مَسيلُه حتَّى أفعَم النّفس والحِسَّ نُورًا وسُرورًا, في من ضمن المسيرة البشرية يفترق دائماً جانبان هما جانب الهدى وجانب الضلالة ولكل من الجانبين قيادته، وائمة أهل البيت هم ائمة الهدى وورثة الانبياء ومن غيرهم ممن يتصدى للإمامة مخالفاً لخطّ الهدى فهو من ائمة الضلال فلذلك لا يكون التلقي بين الجانبين إلاّ منهم ولا يكون نهج التحرك إلاّ نهجهم .

وقد تمثَّل الفتّالُ بِكلامِ الإمامِ الهادي (عليهم السلام) تعضيدًا للدّلالةِ واستثمارًا للكلامِ ذِي النّزعةِ الصّادقةِ في المَديحِ، لِيقِفَ منهُ المُتلقّي عَلى مَا ليسَ لهُ أن يحصلَ عليهِ من بيانٍ وقوّةٍ في الاحتجاجِ فِي كلامِ غيرِه.

ومِمّا تَعانَقَ فيه الكلام مَع آخرَ مِن مِثلِهِ عَلَى سبيلِ التّضمينِ غيرِ المُباشرِ أيضًا، قَولُ الفتّالِ في القَصيدةِ نَفسِهَا، يَمتدحُ الإمامَ المهدي(عليه السلام)، مُثنيًا عليهِ بِشَرفِ النّسبِ وعلوّ الحَسبِ بِانتِسابِهِ الى أميرِ المُؤمنينَ عليّ بنِ أبِي طالبٍ (علَيهِ السَّلامُ) قَائلًا (إمام الهدى) [2]:{ بحر الكامل }

أَنتَ الوَرِيثُ لِحَيدَرٍ فِي بَأسِهِ عَرَفَتْكَ فِي سُوحِ الوَغَى البَأسَاءُ

حيثُ يُجلِّي عَن طِبيعةِ العلاقةِ الّتي تربطُ العباس قمر العشيرة بابيه أمير المؤمنين (عليهما السلام)، ومدَى مَا يَتأتَّى لَهُ مِنهَا مِن القوَّةِ والبَأسِ فِي سُوحِ المَعاركِ، قال امير المؤمنين علياً (عليه السلام) :" الشجاعة نصرة حاضرة وفضيلة ظاهرة... السخاء والشجاعة غرائز شريفة، يضعها الله سبحانه فيمن أحبه وامتحنه "[3] وقد أُستلهم الفتال من كلامِ الإمامِ الصّادقِ (عليه السلام)؛ حيث قال "اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا وارِثَ عَلِيٍّ اَمير الْمُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ"[4]، الذي عَبَر بِهِ عَن انحسارِ وراثةِ آلِ بيتِ النبيِّ لِأميرِ المُؤمنينَ عليٍّ (علَيهِ السَّلامُ) في البَأسِ

---

1) انظر: مفاتيح الجنان :الزيارة الجامعة، مرويةٌ عَن الإمامِ عليّ بنِ محمد بنِ عليّ بن جعفرٍ (عَليهم السّلام) , 618، و مفاتيح الجنان، من مروياتِ الإمامِ الصّادقِ (عليهِ السّلامُ) في زيارة الحسين 498 , وبحار الانوار :128\99.

2) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 6/ 349 .

3) محمد الريشهري: ميزان الحكمة, ج2\1412 .

4)عباس القمي , مفاتيح الجنان :494.

وقوَّةِ الشّكيمةِ والتّوثُّبِ عَلى العدوّ في المَعاركِ, وقصّة بطولة العباس وشجاعته العبّاسية فرع من الشجاعة العلويّة قدّت منها قدّاً وهذا الشبل من ذاك الأسد[1] قد قيل في شجاعته[2]:

بَطَلٌ تورَّثَ مِن أبيه شَجاعَةً فيها انُوفُ بني الضَّلالَةِ تُرغَمُ

وقد رَسَم الفتَّالُ بِهذا الاقتباسِ صُورَتينِ بيانِيَتَين، إحدَاهُما لِأميرِ المُؤمنينَ عليّ ابنِ أبي طَالبٍ (عليه السلام)، وهي الّتي عُرِفَ بِهَا بينَ أصحاب النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم)، بقوَّتُه وبأسه وشَجاعتُه في الحربِ مِمّا لَا يَخفَى عَلى خاصَّةِ النّاسِ ولا عَامَّتِهِم، وَالأُخرَى صُورةُ الممدوحِ الإمامِ المهديّ (عليه السلام) وعمه العباس بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، حيثُ أرادَ إسَقاطَ ما تحصَّلَ لهُ مِن علمٍ بِشَجاعةِ وَبسالةِ جدِّه عليّ بنِ طالبٍ(عليه السلام) عَليهِ، فهذه الصفات حبل ممدود من الاجداد الى الاحفاد, فَتمثَّلَ المعنَى مِن فَمِ مَن هو أقربُ مِنهُ زمنًا إلَى كليهما، والأقدرِ منهُ عَلى استشفافِ حقيقةِ كلٍّ منهما مِن كَثَبٍ، فتردَّدَ الخِطابُ بينَ كلامِ الفَتّالِ الذي هو مِن خاصَةِ قولِهِ، وكلامِ الإمامِ الصّادقِ الذي اَقتبسَهُ تعبيرًا بِهِ عَن غايتِه مِن الخِطابِ[3].

وكانَ مِن أسبابِ تَعليقِ الشّاعرِ خِطابَهُ بِمَا وَردَ فِي أثناء كَلامٍ أبي طَالبِ بنِ عبدِ المُطّلَبِ، رَغبتُه فِي الاستثباتِ لِحقيقةٍ لَولا ورودُها فِي كلامِ أبي طَالبٍ مَا كانَ للفتّالِ أن يُصحِّحَ انطلاقَ لِسانِه بِهَا، وذلكَ مِن قولِهِ في (إسلام إبي طالب)[4]:{ بحر البسيط }

وَعَانَقَ السَّيفَ لَا يَبغِي بِهِ عِوجَا بَل نَصرُ أحمدَ مَا يَعْلُو بِهِ رُتَبَا

وبالوقوفِ الآنِي عَلى نصِّ أبِي طَالبٍ الذي يُدافعُ فيهِ عَن النبيِ (صلى الله عليه واله وسلم)، ويَعِدُه فِيهِ بالدّفاعِ عنهُ مهما كلَّفَه الأمرُ وبلغَ مِنهُ الجهدُ، نَجِدُ أنّ الفتّالُ قدَ استلَّ هذا المعنىَ استلالًا غيرَ مُباشرٍ مِنهُ، فبينَ قولِ أَبِي طَالبٍ[5]:{ بحر الكامل }

واللهِ لَـــنْ يَصِـــلُوا إلَيـــكَ بِجَمعِهـــم حَتَّـــى أُوَسَّـــدَ فـــي التُّـــرابِ دَفِينَـــا

---

[1]) ينظر : تاريخ الطبري 6\255, وعبد الواحد المظفر: بطل العلقمي.

[2]) القصيدة للسيد جعفر الحلي: قصيدة في شجاعة الامام العباس (عبست وجوه القوم)

[3]) ينظر: المصدر نفسه: 494 .

[4]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 363/6 .

[5]) أبو طالب بن عبد المطلب، ديوانه، 87.

وهذا النصّ الذي استجمعَ الفتَّالُ خيوطَه من لفظِ أبي طالبٍ عمِّ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، من قولِه:{ مشطور البسيط }

بَل نَصرُ أحمدَ مَا يَعْلُو بِهِ رُتَبَا

دالٌّ عَلَى سِعةِ مُطالعاتِه في الموروثِ الشّعريِّ العربيِّ، والتزامِه الدّينيِّ، ومَقدرتِهِ عَلى تَوظيفِ الكلامِ في وَجوهِه المُستحقَّةِ لهُ، إذ لَو كَانَ مثارُ الحديثِ هُنا عَن مَدحِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكانَ محكومًا عَلى هذا الاقتباسِ بِالضّعفِ؛ لِأنَّ المعنَى الذي أُخِذَ مِنهُ والمعنَى الذي وُظِّفَ فيهِ كليهما واحدٌ، والحالةُ أنّهُ ليسَ كذلكَ، بل إنَّهُ منقولُ نقلًا معنويًّا عَلى سبيلِ التضمينِ غيرِ المُباشرِ في مِوضوعٍ وإن كانَ مدحيًّا أيضًا , وقد ورد في وجوب الدفاع عن الرسول الاكرم وما جاء به , ومبيناً ان هذا العمل يعلو من مرتبته ، إلّا أنّهُ اختلفَ عمَّا هو لَهُ في قِطعةِ أبي طالبٍ الشّعريّةِ.

ومِن ملامِح هذا التّأثُّرِ البديعِ الذي عكسَ صُورةَ التّراثِ الدّينيِّ فِي شِعرِ الفتَّالِ ذِهابُه أيضًا إلَى غمسِ نَموذجٍ مِن كلامِ أبيِ طالبٍ فِي خِطابِه؛ لِيسَ لمُجرّدِ الانتفاعِ بِه في جَماليّةِ التّصويرِ، وَبراعةِ التَعبيرِ، بل إيضًا لِتقويةِ المعنَى والرّكونِ إلَى دليلٍ دَامغٍ عَلى صِحّتِه؛ فقالَ يَصِفُ كذلِكَ أئمةَ آلِ البيتِ الأجِلَّاءِ[1]:{ بحر البسيط }

إن تَسبِرَ الغَورِ تَلقَ الطُّهرَ مُندَفِقًا مِن حَوضِهِ، فَترَى مِن دفْقِه عَجَبَا!

وهُنا يَستوقِفُنا النصُّ المُقتَبس مِنهُ هذا المَعنَى، وهو لِأبيِ طالبٍ – كِما أسلفتُ -، حيثُ تجانفَ المَعنيانِ فِي كلِّ خطابٍ مِن هذينِ الخِطابَينِ، خطابِ أبيِ طالبٍ الذي عمدَ فيهِ إلَى الاستعاراتِ مِن قصيدتِه الّتي يمتدَّحُ بِها النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، بِقولِهِ[2]:{ بحر الطويل }

طَويلُ النّجادِ خَارجٌ نِصفُ سَاقِهِ عَلَى وجهِهِ يُسقَى الغَمامُ ويَسعَدُ!

حيثُ يقفُ بِنَا عَلى وَصفَينِ للنبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، أحدُهما ماديٌّ ملموسٌ، يُحاكِي صِفةَ النبيِّ فِي الطّولِ، والأُخرَى وهِي الّتي ضمّنهَا الفتَّالُ لِخطابِه مِن هذا البيتِ سَالفِ الذّكرِ، وَعمدَ فيهَا أبو طالبٍ إلَى نعتْ النبيِّ بِصورةٍ مَعنويَّةٍ وهي صِفةُ الحُسنِ والبهاءِ وجمالِ

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 6/ 364.

[2]) أبوطالب بن عبد المطلب، ديوانه، 90 .

الخِلقةِ ونَضارةِ الوجهِ مِن قولِهِ: "يُسقَى الغَمامُ وَيسْعَدُ"، وهِي اَستعارةٌ في الفِعلَينِ (يُسْقَى، ويَسعَدُ)، وخِطابِ الفَتّالِ، الذي ضمَّنهُ هذا اللفظَ أو قريبًا مِنهُ واصفًا أحدَ أفرادِ آلِ البيتِ الكِرامِ (عليهم السلام).

وهنُا نُلاحظُ أنَّ الخِطابَ المَعنويَّ ومُتجانِفًا، غيرَ أنَّ اللفظَ مُتَّحدٌ في الغايةِ القريبةِ، وهي المَدحُ، معَ الإبعادِ في الدلالةِ، فَصورةُ الفتالِ في أحدِ أفرادِ آلِ البيتِ، وصورةُ أبي طالبٍ في النبيِّ الكريمِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلكَ مُعرّفٌ مِن مُعرّفاتِ نَوعِ الاقتباسِ الدينيِّ الذي عوَّلَ عليهِ الفتّالُ في صَوغِ الصُّورةِ المَعنويَّةِ؛ رغبةَ إخراجها مَخرجَ المحسوساتِ، حيثُ صوَّرَ الطُّهرَ مِن قولِهِ: " تَلقَ الطُّهرَ مُندَفِقًا مِن حَوضِهِ، فَترَى مِن دفْقِه عَجَبَا!" صورة نسب الامام علي (عليه السلام) المنساب من نسب عريق طاهر الا وهو من صلب ابي طالب فوصفه بِالمَاءِ المُتدفِّقِ المُتحدِّرِ مِن صَوبٍ طاهر , واستنادا لقول الصادق (عليه السلام)" اَشهَدُ اَنَّكَ طُهرٌ طاهِرٌ مُطَهَّرٌ مِن طُهر طاهِر مُطَهَّر, طَهُرتَ وَطَهُرَت بِكَ البِلادُ وَطَهُرَت اَرضٌ اَنتَ بِها وَطَهُرَ حَرَمُكَ "[1] ، مَا يُعطِيهِ دلالةً حسيّةً تُخرِجُه مِن حُكمِ المُتصوَّراتِ الذّهنيّةِ الّتي لَا تُدرَكُ إلّا بِالعقلِ المُجرَّدِ.

وصنيعُ الفتّالِ بِهذا البيتِ هو صَنيعُه بِسابِقِه مِن القَصيدةِ نَفسِهَا، حيثُ تعرَّضَ لِمعنَى أبِي طَالبٍ مِن قولِهِ[2]:{ بحر الطويل }

أَلَا إِنَّ خَيـــرَ النَّـــاسِ نَفسًـــا ووالِـــــــدًا - إِذا عُـــدَّ سَـــادَاتُ البريَّـــةِ ــ أَحْمَـــدُ

وصاغَه في عبارتِه الخاصَّةِ من خطابِه الشِّعريِّ، طلبًا لاستحضارِ صِفةِ النبيِّ (صلى الله عليه واله وسلم)، التي جرَى بها لسانُ عمِّه، وهو أقربُ الناسِ إليهِ وأعلمُهم بصفاتِه وخصائِصِه، فقالَ الفَتّالُ[3]:{ بحر البسيط }

---

[1]) عباس القمي , مفاتيح الجنان , دار المرتضى , بيروت, 2010م, 510. و أوردها أبو محمد عفيف الدين اليافعي (ت ٧٦٨هـ) ,في مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان, وضع حواشيه: خليل المنصور, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, الطبعة : الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م , في زيارةِ الحُسينِ منسوبٌ للإمامِ الصّادقِ، وقد سَاقَهُ بِنصِّهِ: "أشهدُ أنَّكَ طُهرٌ طَاهرٌ مُطهَّرٌ مِن طُهرٍ".

[2]) أبو طالبٍ في ديوانِهِ، 90.

[3]) الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 6/ 363.

وَذا أَبُــو طَالِــبٍ يَسْــمُو بِهِــم حَسَــبًا وهــو الــذّي قَــدَ سَــمَا فِــي قَومِــهِ رُتَبَــا

ففي البيتِ مَا يُشعِرُ بِأنَّ الفتّالَ أرادَ إثباتَ شَرفِ النّسبِ للنبيّ (صلى الله عليه واله وسلم)؛ لِأنّهُ مِن هذه الطّائفةِ التي مِنهَا أبو طالبٍ، فشرفُ نسبِهِ راجعٌ إلَى أنّهُ مِنهُم، فكما أنّ أبا طالبٍ رغَّبَ في اتّباعِ ابنِ أخيهِ لِأنّ دينَهُ خيرُ دينٍ وملّتَهُ خيرُ ملّةٍ، امتدَحَ في نفسِه شرفَ النّسبِ وسلامةَ الأرومةِ، لِيكتملَ الإطارُ الدّلاليُّ للصورةِ الماديّةِ الّتي أرادَ الشّاعرُ أن يصوغَهَا مِن عُنصُرَي المواءمة بينَ نصّهِ والنصِّ الدّينيّ المُسترجَعِ, فالاقتباس أو التضمين يدعم حجة الشاعر ويقوي المعنى المراد ايصاله للمتلقي.

علَى أنّ مَا يَنبغِي الالتفاتُ إليهِ في هذا النّوعِ مِن الاقتباسِ الذي عوَّلَ عليهِ الفتّالُ في صِياغةِ مُدلولِ خِطابِهِ مِن هذا النصِّ، مِمّا لَا يَقِفُ عَليهِ القَارئُ بِمُجرّدِ النّظرِ فيهِ للوهلةِ الأولَى، بَل لا بُدَّ مِن متابعةِ النّظرِ وتحرّي الدّقّةِ في التماسِ سبيلِه فِي الخِطابِ الشّعريّ لدَى الفتالِ، ولعلَّ اللجوءَ إلَى معرفةِ دافعيَّةِ النّظمِ والإلمامِ بِالغرضِ مِنهُ، أشدُّ ما يُحِيلُ عَلَى مرادِ الشّاعرِ، ويُبرزُ مدَى حاجةِ هذا النصِّ إلَى مَا يعمُه ويُعزّزُ مدلولَهُ، ومِن ثمَّ يُعرَفُ أنَّ للشّاعرِ فيهِ اقتباسًا مِن كــلامِ غيــرِه، فيُلجــئُ إلَــى تتبُّــعِ الاقتبــاسِ مِــن أيِّ بَــابٍ هــو، وعمَّــن تــمَّ نقلُــه؟

الباب الثاني

مرجعية الصور البلَاغيَّةُ في شِعرِ عَليّ الفَتَّال

الفَصلُ الأوَّلُ : مرجعية الصور البَديعِيَّةُ فِي شِعرِ الفتَّالِ

الفصل الثاني : مرجعية الصور البيانية في شعر علي الفتال

الفصل الثالث : مرجعية الصورة في شعر علي الفتال في ضوء علم المعاني

توطئة:

لَم يَزلِ النّقدُ قديمًا وحديثًا يَرنُو إلَى تَحقيقِ أهدافِهِ التّحليليّةِ فِي كُلِّ مِن الشّعرِ والنّثرِ العربيّ، وَيقِفُ بِنَا - مِن أجلِ الوصولِ على النّتائجِ المرضيّةِ مِنهُ - عَلَى نتاجاتِ الشُّعراءِ في مُحاولةٍ لاستِجلاءِ غوامضِ خِطابَاتِهم النّصيّةِ بِحَسبِ تَوجُّهاتِهم وَبِمُقتَضَى مَا بلغَهُ الشّاعرُ مِن خِطابِه مِن المقصديّاتِ، لَا وَفقًا لِمَا تُفضِي إلَيهِ رَغبَاتُ النّاقدِ أو النّظريّةِ الّتي يَسعَى عن طريقهَا إلَى استكناهِ مُراداتِهِ، وفِي سبيلِ ذلِكَ يَعمَدُ النّاقدُ إلَى ضَوابطَ أساسيَّةٍ يَعملُ بِوساطتِها عَلَى تَعزيزِ أحكامِه النّقديّة التّي توصَّلَ إليهَا فِي خِطابِه النّقديّ حِيالَ نصٍّ مَا مِن النُّصوصِ الشّعريّةِ.

ومن بينِ هذه المُعزّزاتِ الّتي يَذهبُ مِنهَا النّقدُ كلَّ مذهبٍ، مُحاولَةُ سَبْرِ أغوارِ خطابَاتِ الشّعرِ العربيّ بِإعمالِ المَنهجِ الأُسلوبيّ الذي يَتَّخذُ مِن لَغَةِ النصّ وَمادتِه الخيالِيَّةِ مَناطًا يُعلّقَ عَليهِ أحكامَهُ النّقديَّةَ، ذلِكَ لِأنّ الخَيالَ والتّصويرَ مِن أبرزِ وَأهمِّ مَا يَتميَّزُ بِه الشّعرُ عَن سَائرِ أجناسِ الأدبِ العربيّ الأُخرَى، فتلكَ الأجناسُ وَإن كَانت مِمّا يَتضمَّنُ في تَضاعيفِه بَعضًا مِن ألوانِ البلاغةِ البيانِيَّةِ والبديعيَةِ والمعنويَّةِ، فَإنَّهَا لَا تتَّسِمُ بِالتّصويرِ البَلاغيّ كاتّسامِ الشّعرِ بِهِ؛ فمَادَّةُ الشّعرِ تَنهضُ في أصلِ تَكوينِها وَبِنائِها عَلى الصُّورِ والأخيلَةِ.

ولِعنايةِ الأدباءِ والنُّقادِ العربِ القُدامى وتعويلِهم عليها في استشفافِ المعاني المُرادةِ من الخِطابِ الشّعريّ يأتِي نصُّ الجاحظِ بيانًا لذلكَ وبُرهانًا عليهِ، فقولُه: "وإنَّما الشَّأنُ في إقامةِ الوزنِ وتَخيُّرِ اللَّفظِ، وسهولةِ المخرجِ، وكثرةِ الماءِ، وفي صِحَّةِ الطَّبعِ، وجودةِ السَّبكِ، فإنَّما الشّعرُ صياغةٌ، وضربٌ من النَّسجِ، وجِنسٌ من التَّصويرِ"[1]، ذلِكَ حيثُ بنَى الجاحظُ قِيمَةَ النصّ الشّعريّ عَلَى تِلكَ الأشياءِ الّتي جَعلَ التّصويرَ أحدَ أبرزِ سِماتِهَا؛ لِأنّهُ لَا يُصارُ إلَى الحُكمِ عَلَى لُغةِ الخِطابِ بِالشّعريَّةِ ما لَم يَكِن التّصويرُ أحدَ أهمِّ مُكوّناتِهَا.

عَلَى أنَّ مَا لا بُدَّ مِن الإلمَاعِ بِهِ في هذا الصّددِ، الإلماحُ إلَى أنَّ الأخيلَةَ والتّصويرَ لَيسَ مَظهرًا مِن مظاهرِ جمالِيَّةِ الخِطابِ الشّعريّ وحسبُ، بِل إنَّ لَهَا عملًا و وظيفةً دلاليَّةً لا يَقومُ الخِطابِ الشّعريّ إلّا بِهَا، وعلَى ذلك اعتمد صاحبُ المنهاجِ حازمِ القرطاجنّي في

[1]) ابوعثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 132/3.

بيـانِ كيفيَّـةِ إخـراجِ الكـذبِ مخـرجَ الصِّـدقِ، بحُسـنِ التمـاسِ الشَّـاعرِ ذلـكَ بقـوَّةِ التَّصـويرِ البلاغيِّ، فقالَ: "وإن كنتُ قد أشرتُ إلى الأنحاءِ الَّتي يتعرَفُ منها ذلكَ، إشارةً إجماليَّةً؛ لأُرشدَ الناظرَ في هذه الصِّناعةِ إلى جهاتِ الفحصِ عن ذلك، وأدلُّه علَى التِماسِه، فإنَّ الخطيبَ واجبٌ مظانّ عليهِ والشَّاعرُ مُتأكِّدٌ في حقِّه أن يعرفَ الوجوهَ الَّتي تصيرُ بها الأقاويلُ الكاذبةُ موهمةً أنَّها صادقةٌ"[1]، فالسّبيلُ عِندَ القرطاجنّي فِي قُدرةِ الشّاعرِ عَلَى إحالَةِ الكذِبِ الصّريحِ إلَى صِدقٍ مَلكتُهُ التّصويريَّةُ الّتي تُمكّنُه بِامتِلاكِه لِناصيةِ بلاغةِ الخِطابِ مِن ذلِكَ.

ولِتلكَ العِنايةِ البَالغةِ الّتي أوْلَاهَا البَلاغيُّونَ والنُّقادُ لِلفنون البَلاغيَّةِ عَرَضَ لِي فِي هذا البَابِ أنَ أضَعَ بينَ يَدَي القَارئِ أهمّ السِّماتِ الّتي اعتمد عليهَا الفتّالُ بِلاغيًّا في بَلورَةِ مَلامحِ الدّلالةِ المَنشودةِ مِن نُصوصِهِ الشِّعريَّةِ في أعمالِهِ، عَلى نَحوِ مَا سَيظهَرُ لَنَا في مَواضِعِه اللائقةِ بِهِ مِن هذا البَابِ، تَحتَ عَددٍ مِن العنوانات الفَرعيَة الّتي جَعلتُ مِنهَا فصولًا، تَضمُّ تَحتَهَا مَباحِثَ فرعيَّةً، عَلَى نَحوِ مَا يَلِي:

الفصلُ الأوَّلُ: الصور البَدِيعيَّةُ فِي شِعرِ الفَتَّالِ، ويَشتَمِلُ عَلَى المَباحثِ التّالِيَةِ:

المَبحَثُ الأوَّلُ: المُحَسِّناتُ اللَّفظيَّةُ: (المطلَبُ الأوَّلُ: السجع، المطلَبُ الثّاني: الجِناسُ، المَطلَبُ الثّالِثُ: حُسنُ التَّقسِيمِ)

المَبحَثُ الثَّانِي: المُحَسِّناتُ المَعنويَّةُ: (الطِّباق، المُقابلةُ، التَّوريةُ)

الفَصلُ الثّانِي: الفنون البَيانِيَّةُ في شِعرِ الفَتَّالِ، ويَتفرَّعُ عَليهَا الآتي مِن المَبَاحثِ:

(المبحَثُ الأوَّلُ: التَّشبيهاتُ، المَبَحثُ الثّانِي: الاستعاراتُ، المَبَحثُ الثّالِثُ: الكِناياتُ، المَبَحثُ الرَّابِعُ: المجازُ المُرسلُ)

الفَصلُ الثّالِثُ: الصُّوَرُ المَعنويَّةُ، وَيَضمُّ تَحتَهُ الآتي مِن المَباحثِ:

(المَبحَثُ الأوَّلُ: الخَبَرُ والإنشاءُ، المَبحَثُ الثّانِي: التَّقديمُ والتَّأخيرُ، المبحَثُ الثَّالِثُ: التَوكيدُ، المَبحَثُ الرَابعُ: القصرُ، المبحَثُ الخامسُ: الإيجازُ، المَبحَثُ السَّادسُ: الإطنابُ)

[1]) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد حبيب الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986، 64/1 .

الفَصلُ الأوَّلُ

مرجعية الصور البَديعِيَّةُ فِي شِعرِ الفتَّالِ

(إطارٌ مَفاهِيميٌّ)

ظَلَّ كثيرٌ مِن العَامِلِينَ في حقلِ التّحليلِ النّقديّ للشِّعرِ العَربيّ خَاصَّةً يَتَبَنَّون اتّجاهًا وَاحدًا فِي نَظرتِهم لِعلومِ البَدِيعِ، حَيثُ كانُوا يَنظرونَ إلَيهِ بِوصفِه أداةً تَصويريَّةً تَعملُ عَلَى تَزيينِ الخِطابِ وَتُزَوّدُه بِطَاقةٍ جَماليَّةٍ ليستْ تَتِمُّ إلّا بِهذه الصُّوَرِ البَديعيَّةِ فِي صَعِيدَيهَا اللَّفظيّ والمَعنويّ، غيرَ أنَّ الدّرسَ الأُسلوبيَّ الحَدِيثَ أسْفرَ عَن وجوهٍ دلاليّةٍ يُنتِجُها التّصويرُ البّديعيُّ بِمُختَلَفِ أشكالِهِ فِي النّصِّ الشّعريّ، وذلِك مَا سيقف البحث عِندَهُ بِشيءٍ مِن التّفصيلِ، عندَ تناولِ كلِّ نوعٍ مِن أنواعِ البَديعِ الّتي وَظَّفَها الشّاعرُ العِراقيُّ الفتّالُ في بَعضِ خِطابَاته الشِّعريَّةِ.

بيدَ أنَّه يَلزَمُ – قبل الخَوضِ فِي لُجَجِ التّحليلِ – وضعُ إطارٍ نَظريّ أُعرّفُ فِيهِ بِمفهومِ عِلمِ البَدِيعِ، وَتَاريخيَّتِهِ، وَأهمِّ فُروعِهِ الّتي يُبنَى مِنهَا الخِطابُ الشِّعريُّ، فَتُؤثِّرُ فِي النّفسِ وَتَملِكُ عَلَى المُتلقّي وَجدانَهُ وخَيالَهُ، وذلِكَ عَلَى وَفْقِ مَا وَرَدَ فِي مَعاجِم العَربيَّةِ مِن حيثُ اللُّغةُ، ومَا سَاقَهُ البَلاغِيُونَ لَهُ مِن مَفاهِيمَ، فِي كُتُبِهم مِن حَيثُ الاصطِلاحُ البَلاغيُّ.

- **عِلمُ البَدِيعِ في اللُّغةِ:**

البديعُ في اللُّغةِ مأخوذٌ من الفعلِ الثُّلاثيّ (بَدَعَ)، ومعناهُ الابتداءُ والإنشاءُ والاستحداث، وفيه التَّعريفِ بمادَّتِه يقولُ ابنُ منظورٍ: "بدَعَ: بدعَ الشَّيءُ يبدَعُه بدْعًا وابتدعَهُ: أنشَأهُ وبدأَهُ، وبدعَ الرَّكيَّة: استنبطَها وأحدثَها...، والبديع: المُحدَثُ العجيبُ، والبديعُ من أسماءِ اللهِ تعالَى"[1]، ووجهُ التّوفيقِ بينَ المعنَى اللُّغويّ والمَفهومِ الاصطِلاحيّ لِكَلِمَةِ البَديعِ، يَبدُو عَلَى نحوٍ مُبرِزٍ له في كَلامِ أبي البَقاءِ الكفويّ الذي نَصَّ فِيهِ عَلَى أنَّ: البَدعةَ: هي عَمَلُ عَمَلٍ علَى غيرِ مِثالٍ سابقٍ"[2] ففي كلامِ أبِي البَقاءِ مَا يُبرِزُ قِيمَةَ الاستعمالِ الوظيفيّ لِعلمِ البَدِيعِ، بِوَصفِهِ أحدَ عُلومِ البَلاغةِ الّتي لَهَا شَأنُها فِي إبرازِ غَايةِ المُتكلِّمِ مِن كلامِهِ، وَالإسفارِ عَن مَقاصدِه مِن خطابه.

---

[1]) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، تحقيق: لجنة من المختصين، ط1، 1989، 6/8 .

[2]) أبو البقاء الكفوي، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، مراجعة وتعليق: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2014، 206 .

عِلْمُ البَدِيعِ فِي الاصطِلاحِ:

وأمَّا ما يتعلَّقُ بشأنِ مفهومِه الاصطلاحيّ، فيأخذُ مكانَه من كتبِ البلاغةِ القديمةِ والجديدةِ، بحسبِ مكانتِه الَّتي تبوَّأها بينَ علومِ البلاغةِ، وما استقرَّ عليهِ الرَّأيُ المعمولُ بهِ لدَى البلاغيّينَ، وقد عرَّفَه صاحبُ الإيضاحِ (تـ739ه) بقولِه: "هو علمٌ يُعرفُ به وجوهُ تحسينِ الكلامِ، بعد رعايةِ تطبيقه على مقتضَى الحال، ووضوحِ الدلالةِ"[1]، وتابعَه على تعريفِه هذا الشيخُ مرعي بن يوسفَ الكرميُّ(تـ 1033 هـ - 1624م))، بقولِه: "هو العلمُ الذي يُبحَثُ فيهِ عن وجوهِ تحسِينِ الكلامِ بشرطِ أن يكونَ بعدَ رِعايةِ مطابقتِه لمُقتضَى الحالِ، ووضوحِ الدلالةِ"[2]، فهو على هذا النّحوِ مِن المفاهيميّةِ يُعنَى بِتحسينِ الكلامِ بعدَ رعايتِه لِمُقتضَى الحالِ ووضُوحِ الدّلالةِ.

بل إنَّ مدارَ كلامِهما على أنَّ البديعَ فنٌّ بلاغيٌّ لا انعكاسَ له على المعنَى ولا على الدلالةِ، وبِمُقتضَى تعريفِهما لهُ لا يُعَدُّ أكثرَ من وسيلةٍ لتزيينِ الكلامِ بلا فائدةٍ تُرجَى منهُ، وبالوقوفِ على كلامِ الدكتور عبد العزيز عتيق، نُدركُ أنَّ البلاغيينَ اختلفوا أو اتَّفقوا، فإنَّ ذلك لا يُغيّرُ في حقيقةِ المسألةِ شيئًا، فإنّ للبديعِ دلالةً تنعكسُ على المعنَى فإنَّ ما يُفهَمُ من نصِّهِ: "ولكنَّ دِراسةَ أصولِ هذا العِلمِ والأناةَ في تفهُّمِها وتذوُّقِها جديرةٌ بإقناعِ الدارسِ أيًّا كانَ بأنَّ استبعادَ الجانبَ البَديعيَّ عند الحُكمِ على عملٍ أدبيٍّ، هو إجحافٌ بهِ وانتقاصٌ في الحُكمِ عليهِ"[3]، مُثبتٌ لِأَنَّ لِعلمِ البَديعِ مِن الفَوائدِ المُجليَّةِ عَن آثارِهَا في المعنَى مَا ليسَ يَظهرُ إلَّا لِمَن لهُ بذلِكَ نظرٌ.

وَيقومُ البَدِيعُ عَلَى عددٍ مِن الفَروعِ، جَعلَها الشّيخُ الكرميُّ تَزيدُ عَلَى المَائتَي فَرعٍ، فَقالَ: "وأنواعُ البديعِ كثيرةٌ جدًّا تزيدُ علَى المائتينِ"[4]، وتندرجُ كلُّ هذه الأنواعِ تحتَ فنَّينِ بديعيّينِ لا ثالثَ لهما، وهما البديعيَّاتُ اللفظيَّةُ، والبديعيَّاتُ المعنويَّةُ، وسأُفرِدُ لِكلٍّ منهما مبحثًا تحتَه عددٌ من المطالبِ الفرعيَّةِ بحسبِ اللَّفظيَّةِ والمَعنويَّةِ.

---

1) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، تحقيق: د. أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط1، 2016، 365 .

2) الشيخ مرعي الكرمي، القول البديع في علم البديع، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2013، 34 .

3) عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1998، 5 .

4) الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي، القول البديع في علم البديع، 34.

المَبحَثُ الأوَلُ

المُحسناتُ اللّفظيّةُ فِي شِعرِ الفتّال

- **المطلَبُ الأوَّلُ: السجع:**

السجعُ نوعٌ من أنواعِ الإيقاعِ الصوتيّ الذي تُسبغه الفواصلُ في نهايات الكلامِ على النصّ، بغرضِ إثارةِ النفسِ وتحفيز العقل على استقبالِ الخطابِ، وقد عرَّفه القزويني بقولِه: "ومنهُ السجعُ، وهو: تواطؤُ الفاصلتين من النثرِ على حرفٍ واحدٍ"[1]، وقد استقرَّ في ضميرِ كثيرٍ من الأدباءِ والبلاغيينَ أنَّ السجعَ لا يقعُ إلَّا في النَّثرِ، "وهذا معنى قولِ السكاكي: الأسجاعُ في النثرِ كالقوافي في الشِّعرِ"[2]، غيرَ أنَّ الخطيبَ القزويني يُثبت وقوع السجعِ في الشعرِ كما يقعُ في النَّثرِ، ويدلُّ على ذلك بعددٍ من الشواهدِ الشعريةِ التي وقعت في الشعرِ العربيّ[3].

وقد تضمَّن كثيرٌ مِن شعر عليّ الفتّال جانبًا موفورًا من السجعِ تطلَّع عن طريقه بإبرازِ القيمةِ البلاغيّةِ الساميةِ للشعر، إلى جانبِ رغبتِه في لفتِ مُخاطبيهِ بهِ إلى مخزونِ الشعري من العاطفةِ، ومِن أمثلةِ ذلِكَ قولُه، مِن غزليّتِه التي عنونَ لهَا بذكريات[4]:{ بحر الرمل }

فَـــاتِنَتِي لَا تَحسَـــبِي القَلـــبَ سَـــلَا حُبَّـــكِ، فالقَلْـــبُ نَمَـــا فِـــي حُبِّـــك

ففي هذا البيت – كما يظهرُ – شحنةٌ إيقاعيّةٌ تجلَّتِ في الفواصلِ السجعيةِ التي ضمَّنها الفتَّالُ للبيتِ بينَ كلِمَتَي (سَلَا) و(نَمَا) فكلا الكلمَتَين جاريةٌ على فاصلةِ الألِفِ المدِّيَّةِ، وذلك من قبيلِ المحاكاةِ الصوتيةِ التي تحملُ في طياتِها طاقةً مجسِّدةً للمعنى المرادِ، فقد ترجم لها الطويل بقوله "الكلمةَ بصيغتِها وطبيعةِ نسيجِها الصوتيّ قد تُجسِّدُ المعنى، أو تومئُ إليهِ أو تُوحي به"[5]، وهنا نجد الفتَّال ينسج بهذه الفاصلة السجعية، بين متنافرين في المعنى، ظنُّ المحبوبة أنَّ حبيبَها قد سلاها، وتأكيدُه لها على أنَّ حبَّها قد نما في القلب، وهاتان

---

[1]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 425.

[2]) المصدر نفسه ، 425 .

[3]) ينظر: المصدر نفسه، 427 .

[4]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 26/1 .

[5]) محمود أحمد الطويل، الأسلوبية والخطاب الشعري (الشريف الرضي نموذجًا)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، عدد/ 158 , 134.

صورتان متباينتانِ في المعنَى لا ينتظمها كلامٌ واحدٌ، ولكنَّه أشبعَ المعنى بالصورةِ البديعيةِ قوةً، فجعلَ كلًّا من المتباينينِ مفضيًا للآخر.

وكان الجمعُ بين هاتين الكلمتين من بابِ السّجعِ وليسَ مِن قبيلِ التصريعِ؛ لأنّهما اكتنفتَا النصَّ من داخلِه، أمَّا التصريعُ فمن ضوابطِه أن يَتفقَ نهايةُ الشطرِ الأوَّلِ (عروضُه) مَع نهايةِ الشّطرِ الثّاني مِن البيتِ نفسِه (ضَربِه)، وإنَ لكلٍّ منهما وقعُه في جماليةِ الإيقاعِ الصوتيّ، وبراعةِ تأديتِه للمعنَى المُرادِ، وإنَّ ما يُناسبُه القولُ بأنّه من قبيلِ التصريعِ قولُه مِن القصيدةِ نفسِها[1]:{ بحر الرمل }

وَأَرْتَــوِي مِــن شَــفَتَيكِ كُلَّمَــا ظَمِئــتُ، مَــاءَ الحُــبِّ عــذبَ المُرتَــوَى

فالتصريعُ وإن لم يكن ملزمًا في الشعر العربيّ، إلَّا أنَّه شاعَ شيوعًا يلزمُ الشعراءَ احترامُه"[2]، ولأنّ الفتّال أحدَ هؤلاء الشعراءِ الذين لَم يَنسلخوا بالكُليّةِ مِن قالبِ الشعرِ العربيّ يَعمدُ هنا إلى ذلكَ، فالقالبُ الشعريُّ لهذا البيتِ مبنيٌّ عَلَى شطرينِ، انتهَى الثّاني مَنهما بِمَا انتهىَ به الأوَّلُ مِن القافيةِ والرويّ، أي أن عروض البيت على وزن ضربه, وكانَ الرويُّ مناسبًا لحركةِ العاطفةِ المُنفتحةِ على دفقاتٍ شعوريةٍ أرادَ الشّاعرُ التعبيرَ عنهَا، فناسبَ بينَ الألفِ الطويلةِ في أنّها رويًّا، وهذه الدفقاتِ الشعوريةِ، ليتشاكَلَا في الأداءِ المعنويّ.

كما نتعرّضُ حيالَ وقوفنَا هُنا عَلَى ذلكَ النّوعِ مِن الفواصلِ السّجعيةِ لِشقّ شديدِ الأهميّةِ فِي شِعرِ الفتّالِ، وهو أنّهُ كلمَّا أرادَ تحقيقَ المعنَى عمدَ إلى مَا يُناسبُه مِن أساليبِ الإزاحةِ البلاغيةِ، لِإبرازِه وَتتميمِه على الصوةِ التّي يَرغبُ فيهَا، ويتجلَّى ذلِكَ واضحًا هُنا، فَلمَّا كانَ ذلكَ النصُّ غزليًّا يَحتملُ الإطالةَ والإطنابَ في تلكِ المعانِي الّتي تُحوجُ الشّاعرَ إلى الإسهابِ فيهَا، سارَ الفتّالُ في الفاصلةِ السّجعيةِ عَلى وفقِ مَا يدعو إليهِ المدلولُ، فاختارَ الرّويَّ لهذه القصيدةِ أَلِفيًّا، ثمَّ عرَضَ للفاصلةِ كذلكَ بالألفِ؛ لأنّها مِن الأحرفِ الهوائيةِ الخفيةٌ

1) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 26 .

2) محمود علي عبد المعطي، موسيقا الشعر (النظرية وآفاق التطبيق)، منشورات الانتشار العربي، نادي مكة الثقافي الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434 هـ , 331.

اللّينةُ[1]، وذلكَ أنسبُ معَ الحالةِ التّي يُعبّرُ عنهَا الفتّالُ في هذا النصّ، وأدلُّ أبلغَ الدلالـةِ عَلَـى المرادِ.

ومما امتثل فيه الفتال لجوهر اللفظِ وبراعـةِ صياغتِه، وإنزالِـه فـي منزلـةٍ يتنـاظرُ فيهَا مع لفظٍ آخرَ في فاصلتِه السّجعيّةِ، متغنيًّا بتمـوزَ لِمَـا يشكّلُه لـهُ من عناصرِ الازدهـاءِ بالنصرِ الذي تحقَّق للشعبِ فيهِ، فاتّخذ منهُ علمًا علـى كلِّ خيرٍ حـالٍّ بِـهِ، قولُـه فـي قصـيدة (تموز والشعر) [2]: { بحر السريع }

كُنـتَ ومَـا زِلـتَ لَنَـا كَعبَـةَ الــ عُشّـــــــــاقِ فِيهَـــــا الشِّعـــــــرُ والنَّثـرُ

فاحتفاؤه بهذا الشّهرِ، لم يكن وليدَ فراغٍ نفسـيٍّ عاشَـه الشّـاعرُ، أو حتّـى مجـردَ تـأثُّرٍ عـابرٍ بحـدثٍ سـريعًا مـا تـزولُ معانيـهِ مـن رُوحِـه، بـل إنّ لتمـوزَ مـا لـو أخضـعنَاهُ لعـينِ الملاحظةِ لجلَّى لنا عن تأثيرٍ كبيرٍ في نفسِ الشّاعر، وانطلاقًا مِما لهُ من وقـعٍ شديدِ الأثرِ في نفسِه، نراهُ هنـا فـي ذلك النظمِ يُعبّرُ عنـهُ بوصـفه شـهرَ الانتصـاراتِ والمُخلِّدِ لـذكرَى البطولاتِ والأمجاد، حيثُ نراهُ يبرزُ كوامنَ خاطرِه تجاه ما يحملُه لهُ من محبّةٍ وحفاوةٍ في جعلِه كعبةً للعشّاقِ يلوذونَ بها، ويتناشدونَ فيها الشّعرَ والنثرَ.

وحيـثُ تـوفرت الدافعيـةُ للـنظمِ، بقـي علـى الفتّـالِ أن يُبـرهنَ علـى مـدَى مـا يُمكنُـه استدعاؤه من خلجـاتِ شعورِه فـي هذا الشـهرِ مِن طريـقِ اللغـةِ والإحـالاتِ البلاغيـةِ التـي تُمكّنُه من الوصولِ إلى المتلقّي وتبليغِه ما أرادَ أن يبلغَه من نفسِه أيضًا؛ تعبيرًا عن انفعالِه بِه وتحقيقًا للغايـةِ من النظمِ فـي حقِّه، حيثُ كـان سبيلُه إلـى ذلك أن يوظِّـفَ قيمـةً بلاغيّـةً بديعيـةً، هـي الأشـكلُ بمقـامِ الخطـابِ هُنـا، فيُعمـلُ الإيقـاعَ الموسـيقيَّ النـاتجَ عـن الفاصـلةِ السجعيةِ بينَ كلمتي (الشِّعرِ، والنّثرِ) مِن قولِهِ: "كعبَةَ العُشَّاقُ فِيهَا الشِّعر والنَّثر".

والشَّعرُ والنثرُ قسيمانِ فـي الأدبِ العربـيّ، وهمـا أحدُ أبـرزِ وأهمِّ مصـادرِ التـأريخِ للأحداثِ، ذلك أنّ العربَ قديمًا كانت تُؤرّخ لأحداثِ حياتِها بِالوقعاتِ والأيّامِ، فلمّـا لـم يكـن "لمؤلِّفي العربِ في صدرِ الإسلامِ ما يُعوّلون عليه في استنباطِ صحيحِ الأخبارِ، ويرجعون للتحقيـقِ إليـه، التزمـوا التنقُّلَ مـن إقلـيمٍ إلـى إقليمٍ والتغـربَ مـن بلـدٍ لبلـدٍ مهتمـين بروايـةِ

1) سعاد عبد الفتاح إبراهيم، فن تجويد القرآن، مطابع الدار الهندسية، القاهرة، مصر، ط1، 2004 , 56.
2) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 64/2 .

الحوادثِ القديمةِ والوقائعِ الماضيةِ وسيرِ الأممِ الغابرةِ التي سلمت من غوائلِ النسيانِ"[1] ولمَّا كانت هذه الأيَّامُ مصدرًا من مصادرِ التأريخِ الأدبيّ، اندفعَ الشعراءُ بكلّ طاقاتِهم للتأريخِ لها في شعرِهم، فقد "كانت أيَّام العربِ في الجاهليةِ مصدرًا خصيبًا من مصادرِ التاريخِ وينبوعًا صافيًا من ينابيعِ الأدبِ...، وقد ارتبط الشعرُ الجاهليُّ ارتباطًا تامًّا بهذه الأيامِ"[2]، ومِن ثمَّ كان التعويلُ على الشّعرِ في صِياغةِ الأحداثِ والتأريخِ لهَا على وفقِ ما يتراءى للشاعرِ، بِما لا يتخالفُ مع خطِّ سيرِ التاريخ.

وفي جمعِ الفتّالِ بينَ (الشّعرِ، والنّثرِ) في كلامٍ واحدٍ انتظامهما معًا طلبٌ للجمعِ بينَ الأقسامِ التي مِن شأنِها الإحالةُ على التّاريخِ وأحداثِه، وذلك مِن قبيلِ الجمعِ بينَ المترادفات المعنويةِ في خطابٍ واحدٍ، فكما أنَّ لتموزَ في قلبِ الفتّالِ مِن الاعتدادِ؛ لشهودِه على كثيرٍ من الأحداثِ التاريخيةِ التي تُظهرُ عظمةَ ذلك الشهرَ عندَه، فكذلك للشعرِ والنثرِ عندَ العربِ من القيمةِ ما يوازي ذلك ويُوازنُه، في الاحتفاظِ بالقيمِ التاريخيةِ التي شَهدتها الساحاتُ العربيةُ في مختلفِ ميادينِ البطولةِ، وكانت الفاصلةُ السجعيةُ المُعتَمدُ فيهَا على حرفِ (الرَّاءِ) مِن (شِعر، ونَثْر) لإجراءِ الفتالِ لهما على منوالٍ واحدٍ من الإعرابِ، لا يستلزم الوقف على أيٍّ من الفاصلتين.

وفي الجمعِ بينَ كلمتَي (الشعرِ، والنثرِ) تنغيمٌ يُطربُ السمعَ، ويأخذ من المخاطبَ مأخذه، مِما يَدفعُ بِه إلى الالتفاتِ لطريقةِ الشّاعرِ في الجمعِ بينَهما وهما على فاصلةٍ سجعيةٍ واحدةٍ، ومحاولةِ استبانةِ الغرضِ الذي دعَا الشّاعرَ إلى الجمعِ بينَهما على تلك الصُّورةِ، وذلك إيذانٌ بقوَّةِ الإيقاعِ ومدَى ما يحقِّقُه مِن معنًى لا يُصارُ إليهَا إلّا بهذه الفاصلةِ، وفي فاصلتِهما المعتمدةِ على (الرّاء)، وهو مِن الحروفِ التكراريةِ، مَا يُشعرُ بِتكرُّرِ الحوادثِ التي وقعت في هذا الشّهرِ، ومِن ثمَّ بقدرِ احتفالِ الفتّالِ بهِ.

ومِن الاسترفاداتِ البلاغيةِ الّتي نَحا فيهَا الفتّالُ منحَى كبارِ شعراءِ الإسلامِ، إتيانُه بِبيتٍ مِن أبياتِ قصيدتِه (مولدِ النُّور) الّتي يَمدحُ فيهَا الإمامَ الكرّارَ عليَّ بنَ أبي طَالبٍ (عليهِ

1) محمود باشا الفلكي، نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره (عليه الصلاة والسلام)، ترجمة: أحمد ذكي أفندي، المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، القاهرة، مصر، ط1، 1305 هـ، 8 .

2) محمد أحمد جاد المولى وآخران، أيام العرب في الجاهلية، المقدمة (ط)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، بدون سنة نشر,14.

السّلام)، على نحوٍ مِن السّجعِ يَختلفُ كثيرًا عَمّا اعتمدَه مِن الفواصلِ السّجعيةِ في سَابقِ الأبياتِ، مِن قولِهِ [1]:{ بحر الكامل }

عَلَـمُ الهُـدَى، بَحْـرُ النَّـدَى، كَيـدُ العِـدَا مَـــــنْ مِـــــنْ ضِـبَاهُ تَشَيَّـــــدَ الإِسـلامُ

فتلكَ الفواصلُ السّجعية (ازدواج التركيب) التّي أعملَهَا الفتَالُ فِي الشَّطرِ الأوّلِ مِن هذا البيتِ، رجاءَ التّأثيرِ في القارئِ، وَحملِه عَلى الإذعانِ لِمقاصدِه الخطابيّةِ فِي هذا النصّ؛ نتيجةَ وقْعِهَا عليهِ وجذبِهَا لَهُ، تباينت في شَكلِها ومضمونِهَا عَن تلكَ التّي مضَى الحديثُ عنهَا في السّابقِ، إذ إنَّه عمدَ للسجعِ المرصَّعِ، وهو "ما كانت ألفاظُ البيتِ فيهِ موافقةً لقرينتِها وزنًا ورويًّا"[2] , فكأنَّه أحدثَ بهذا اللونِ من السجعِ داخلَ البيتِ بيتًا آخرَ له حدودُه من الوزنِ والإيقاعِ المستقلّ عن أصل وزنِ البيتِ بجملتِه، فبمحاولةِ قياسِ كلٍّ مِن (عَلَمُ الهُدَى، بَحرُ النَّدَى، كَيدُ العِدَى) عَلَى وفقِ معاييرِ التفعيلاتِ العروضيةِ سَنجدُ أنَّ كلًّا منهَا أخذتْ نفسَ القالبِ والوزنِ والرويّ الذي أخذته نَظيرتُها.

ولا يَخفَى على متذوّقِ الشِعرِ العربيةِ مَا في هذا الإسهامِ الإيقاعيّ الذي يَصوغُه الشّاعرُ ببراعةٍ ومقدرةٍ فائقةٍ، مِن الجذبِ الذي يدعو القارئَ إلى الانسجامِ معَهُ والرغبة في مكاشفةِ الغرضِ الذي تدثَّرَ تحتَ هذه الألفاظِ البديعةِ التي نزلَت مِن مسامِعِه منزلةَ السّحرِ، فَأعطته انطباعًا عَن طلبِ الشّاعرِ بهَا شيئًا فوقَ مَا يُمكنُ أن يَكتسبَه هو بِفهمِه الشخصيّ مِن ظاهرِ الألفاظِ الموظّفةِ في تحقيقِ الدلالةِ، وقد عمدَ الفتَّالُ هنا إلى تكريرِ الفاصلةِ السجعيةِ ثلاثَ مراتٍ، فقالَ: "علمُ الهدَى، بحرُ النَّدَى، كَيْدُ العِدَا"، لإكسابِ المعنَى قيمةً إيقاعيةً مُتتابعةٍ، فالنغمةُ الموسيقيَّةُ في أيّ قطعةٍ موسيقيَّةٍ لا تستمدُّ شخصيَّتَها ولا خاصيَّتَها المميزةَ لها إلَّا من النغماتِ المُجاورةِ لها"[3]، وقد أمعنَ الفتَّالُ في تكرير المقطع الصوتيّ المنتمي إلى الفئة نفسِها من التفعيلاتِ العروضية؛ لإنتاجِ نغمةٍ متكررةٍ من شأنِها التأثيرُ في السامعِ, وقد عده البعض تقسيما صوتيا منسقا وهو جناس ناقص.

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 39/5.

[2]) مرعي بن يوسف الكرمي، القول البديع في علم البديع، 52 .

[3]) محمد زكي العشماي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1994 ، 293 .

- **المطَلَبُ الثّاني: الجِناسُ**

وهو أحدُ أبرزِ ألوانِ التحسينِ اللفظيّ، وقد عرَّفه الرماني بأنَّه: "بيانُ المعاني بأنواعٍ من الكلامِ يجمعُها أصلٌ واحدٌ"[1]، وتحته أقسامٌ، أشهرُها التامُّ، والناقصُ:

أوَّلًا الجناسُ التّامُّ: والتامُّ عندَ البلاغيينَ: "أن يتَّفقَ اللفظانِ في أنواعِ الحروفِ، وأعدادِها، وهيئاتِها، وترتيبِها"[2]، وما خالفَ ذلك ولو في أحدِ هذه العناصرِ المذكورةِ سُمِّي ناقصًا.

ومما يسترعي السّمعَ ويخلبُ العقلَ مِن شدةِ بروزِه مِن هذا اللّونِ مِن الجناسِ، قولُ الفتّالِ في (فتشوا معي) [3]:{ بحر الكامل }

أُولاءِ مَــن حَمَلــوا الصّــباحِ لدرسِــهِم كــي يَكتُبــوا وطَنًــا بِوجــهِ الأجنبــي!
كــي يُنشــدُوا بِبَــراءةِ الأطفــالِ فِــي سُــوحِ المــدَارسِ (مــوطنِي) أُمّــي، أبِــي
كَــي يرسُــموا بِالحُــبّ خَارطــةً لــه لِتظــلَّ تَحكِــي قِصَّــةَ الشَّــعبِ الأبِــي

ففي معرضِ الدفاعِ عن الوطنِ والإشادةِ بحقِّه على أبنائِه، يعمدُ إلى دعمِ الغايةِ من هذا الخِطابِ وتعزيزِها بوساطةِ الإيقاعِ الخارجيّ؛ ليجذب بهِ المتلقّي وينبّهُه على أنّ أمرًا عظيمًا سيلقَى عليهِ، فيُنصتُ له ويوجّهُ عنايتَه إليه، فيُكرّر عَلى مسامِعِه كلمتَين، مِن بابٍ واحدٍ في اللفظِ، غيرَ أنَّ بينَهما اختلافًا ظاهرًا في المعنى، فـ"حقيقةُ الجناسِ أو التَّجنيسِ أن يكونَ اللفظُ واحدًا والمعنى مختلفًا"[4]، فبينَ كلمةِ أبِي الأولَى مِن قولِهِ: "سُوحُ المَدارِسِ موطنِي، أُمّي، أبِي" والأبي الثّانيةِ مِن قولِهِ: "الشَّعبِ الأَبِي" جِناسٌ تَامٌّ، حيثُ اتّفقت كلا اللفظتينِ في الشّكلِ المنطوقِ، مع ما بينهما مِن اختلافِ ملحوظٍ في المعنَى الذي تؤدّيه كلٌّ منهما، وذلِكَ مِن أجلِ المُجانسةِ بينَ كلا الكلمتين في اللفظِ، جذبًا للسامعِ وتحفيزًا لهُ على أن يُعملَ خاطرَه في مدعاةِ استخدامِ الشّاعرِ لهاتينِ الكلمتين على وجهٍ واحدٍ، مع ما تحملُه كلٌّ منهما من معنًى يختلفُ ويتباينُ عن الأخرَى، فـ(أبي) يُقصدُ بِه الوالدُ، ولذلك صحَّ وضعُ هذه الكلمةِ في مقابلِ الأمِّ مِن قولِه: "أُمّي، أبِي" وهو مِن العطفِ الذي تُركَ فيهِ

---

[1]) ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ومرعي بن يوسف الكرمي، القول البديع في علم البديع، تحقيق: د. محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2013 ، 38 102.

[2]) الخطيب القزويني، الإيضاحُ في علومِ البلاغةِ، 414 .

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/40-41 .

[4]) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: د. أحمد الحوفي – د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1999، 342/1 .

حرفُ العطفِ (الواو) بينَ (أمّي) و(أبي)، وذلكَ سائغٌ في العربيةِ، أمَّا (الأبِي) مِن قولِهِ: "الشَّعب (الأبِي) فَمعناها الصّامدُ المثابر الذي لا تقهرُه الشدائدُ[1]، فاتفاقُ الكلمتين شكلًا لا يعنِي ضرورةَ اتفاقِهما معنًى.

وقد تبلورت بلاغةُ هذا التباينِ في المعنَى فيما تحملُه كلٌّ من هاتين الكلمتين مِن دفائنِ المعانِي التقريريةِ المعجميةِ، والمدلولاتِ السياقيةِ التي تُحيلُ على شدّة ارتباطِ الفتّالِ بوطنِه، إلى الدرجةِ التي قادته إلى العنايةِ به عنايةَ الأبناءِ بالأمّهاتِ والآباء، وحرصِه على حريتِه، وإدراكه بأنَّ شعبَه قويٌّ عزيزٌ لا يتخاذل عن الانتصارِ له، والظفر بعدوّه، وكان يلزمُه في تحقيقِ الغايةِ المرجوةِ من هذه المعاني أن يُلفت المتلقِّي أوَّلًا إليهَا ويجذبَه ناحيتَها، ثمَّ يسوقُها إليهِ، وفي استعانتِه بالإيقاعِ الموسيقيّ لهذا النّوعِ مِن الجناسِ مَا يُحقِّقُ ذلك المأرب.

ثَانيًا الجناسُ النّاقصُ: "وإن اختلفا في أعدادِ الحروفِ فقط، سُمِّي ناقصًا"[2]، وذلك أبرزُ الفروقِ بينَ التّامِّ سَالفِ الذّكرِ، والناقصِ الذي نَحنُ بصددِ الحديثِ عنهُ.

ومن نوعِ هذا الجناسِ، قولُ الفتّالِ مِن تلك القصيدةِ نفسِها التّي لَم يَزل يُطالعُنا فيهَا بصورةِ المُحبِّ الذي ألهبَ حُبُّ الوطنَ قلبَه بسِياطِه، فشكّلَ في نفسِه تجاهَهُ نزعةً عاطفيةً تُشبهُ تلك التي تربطُ بين الأبناءِ وأُمَّهاتِهم أو آبائِهم[3]:{ بحر الكامل }

هُــوَ مَــن يَطُــشُّ[4] الحُــبَّ فِــي قِيعَــانِهِم حُبًّــا تَوشَّــمَ بِالإبَــا وبِــهِ حُبِــي

فهو هُنا لم يَزل يُضمِرُ المرادَ من هذا الخطابِ، تشويقًا وحملًا للمتلقِّي عَلى التساؤلِ بينَهُ وبينَ نفسِه، تُرى: مَن الذي يَعنيهِ الشّاعرُ بِهذه الضَّمائرِ التّي لَم يَزل يُحيلُ بِها عَلى غيرِ معلومٍ، إلَى أن يَقفَ على حقيقةِ المُرادِ بهذا الضّميرِ مِن قولِهِ: هُوَ مَن يَطُشُّ الحُبَّ..." مشبّهًا بذلَهُ للحبِّ في أعماقِ أهلِه برذاذِ المطرِ الذي يَتساقطُ علَى القيعانِ، فيبعثُ فيهَا الحياةَ بعدَ

[1]) جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تحقيق نخبة من المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2010 ، 221/1 .

[2]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 416 .

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 39 .

4) يقول صاحبُ القاموسُ: "طشّ: المطرُ الضعيفُ، وهو فوقَ الرَّذاذ"، القاموس المحيط، 1005 .

نضوبِ مجاريها، وجفافِ مسايلِها، وهي مِن الكلِماتِ الّتي درجَ على استعمالِها العامّةُ في مُناسباتٍ عديدةٍ، ولا يحسبونَ أنّ لها أصلًا في العربيةِ، فَأعادَ الفتّالُ الكلمةَ إلى حظيرتِها مِن اللغةِ، فتمَّ لهُ المعنَى باللفظِ العربيّ سهلِ المخرجِ كثيرِ التناولِ في اللسانِ المعاصرِ، مُنتقِلًا من هذا التشبيهِ البيانيّ الرائعِ بِالمتلقّي إلى ما يرغبُ في توقيفِه عندَه من المقاصدِ، دونَ أن يجعلَ مِن المفرداتِ الثقيلةِ حائلًا بينَهُ وبينَ رصدِ الحالةِ الوجدانيةِ التي تقتاذُه نحوَ التأثُّرِ بِالمعنَى، إلى التّصريحِ بِمَا اقتصرَ في البيتِ السّالفِ عَلى التلميحِ بِه، فيقولُ[1]:{ بحر الكامل}

هُـــوَ ذَا العِـــراقُ بِســـــهلِهِ وجِبَالِـــــهِ وَبِرَافِدَيـــــهِ يَظـــــلُّ يَرفـــــدُ مَـــــذهبِي!

فيتحقَّقُ في نفسِ المُخاطبِ بِهذا النصِّ أنَّه إنَّما أرادَ عظيمًا، ولذا بالغَ في إضمارِه؛ مِن أجلِ أن يقِفَ على مَدَى ما قد يصلُ به الشّوقُ من نفسِ المتلقّي حينَ تتكرَّرُ الضمائرُ وليسَ لهَا مرجعٌ عَلى سابقٍ، اعتمادًا على أنَّ العراقَ من المكانِ المعلومِ في نفوسِ أهلِه ما ليسَ ينالُ منهُ الإضمارُ والتغييبُ، ومِن ثمَّ يتخذُ من هذه القاعدةِ منطلقًا لهُ، فبعدَ أن عوَّلَ على المعانِي الدفينةِ في تشويقِ المتلقّي، يأتي الدَّورُ على المعانِي الظّاهرةِ التّي اعتمدَ فيهَا على وقعِ التّجنيسِ في نفسِ المتلقّي ومدَى مَا قد يُشيرُ إليهِ بوصفِه أحدَ ركائزِ الجذبِ وموجباتِ التماشي معَ الخطابِ، فيطرحُ التّعويلَ على المعنَى جانبًا مُشابكًا بعدَ ذلِكَ بينَه وبينَ البلاغةِ السمعيّةِ التي تضفي عَلى النصِّ دفقةً إيقاعيةً تأخذ بمجامعِ قلوبِ السّامعينَ، فيضعُ كلمةَ (حُبًّا) مِن قولِهِ: "حُبًّا تَوَشَّمَ بِالإبَا" بإزاءِ كلمةِ (حُبِي) مِن قولِهِ: "وبِهِ حُبِي" وهو مِن الجناسِ النّاقصِ المتغايرِ، فنقصُه من جهةِ الزيادة والنقصِ في الأحرفِ التي تكونت منها الكلمتانِ، وهو ما أطلقَ عليهِ البلاغيونَ مفهوم تجنيسِ الترجيع، وضابطُه "أن يوجدَ في إحدى الكلمتين حرفٌ لا يُوجدُ في الأخرى"[2]، وغايرُه من جهةِ أنَّه يؤتَى بـ"إحدى الكلمتين اسمًا وبالثانيةِ فعلًا، وهذا الذي سمَّاه التبريزيُّ بالتجنيسِ المطلق"[3].

وكانَ ممَّا جاءَ فيه الفتَّال بالجناسِ الناقصِ، فضمَّن الخطابَ به وقْعًا موسيقيًّا لم يألَفِ السامعُ نظيرَه في هذا النظمِ؛ ما يجعلُه مشدوهًا به منجذبًا إليهِ، قولُه ناعيًا على نفسِه تفريطَه

---

1) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة ، 2/ 41.

2) ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير، تحقيق: د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1، 2014، 104.

3) المصدر نفسه، 107.

– زمنَ شبابِه – في تقوَى اللهِ وانجرافِه معَ زلَّات الصبى في قصيدة (خاتمة المطاف)[1]: { بحر الطويل }

فَمَــا أحسَــنَ الأيَّــامَ، أن يُحسِــنَ امــرؤٌ مَكــانَ خُطــاهُ؛ كــي يــرَى خَــطَّ مَيلِهــا!

ذلكَ أنَّه قد استفزَّته الشّعراتُ البيضُ التي خطَّت لها طريقًا في رأسِه، وَأعلنتهُ بمقدمِ الكبرِ الذي يَلزمُه فيه الوقارُ والتزامُ تقوَى اللهِ تعالَى؛ لِمَا يعلمُه مِن أنَّ المشيبَ دليلٌ عَلى دنوِّ موعدِ الأجلِ وقُربِ الموتِ، فَراحَ يُعبّرُ عن هذه المعانِي بالصورةِ التي تُجسّدها وتخرجُها مخرجَ المحسوساتِ، مَع ما يُمكنُ أن تضيفَه لهذا الخطابِ مِن عواملِ التّأثيرِ فِي نفسِ المُتلقّينَ، فَآثر اللفظَ الذي يُعطِي للصورةِ حسنًا وبهاءً، وينطوِي على جانبٍ مِن الدلالةِ التي أزمعَ وضَع المَتلقّي حَيالَها، للفصلِ بينَ فترتَين مِن العمرِ، زمنِ الشّبابِ وَزمنِ المَشيبِ، وَكيفَ أنَّ لكلٍّ منهما انعكاسًا على صَاحبِهما، لَا يَظهرُ تأثيرُه إلّا حينَ يصلُ إلَى الوهنِ والضّعفِ.

وقدَ قرَنَ بينَ كَلمتين مَتجانستَين في الاشتقاقِ، ولكّنَهما مَتغايرتانِ في المعنَى والدلالةِ، فَكلمةُ (خُطاهُ) مِن قولِهِ: "أَن يُحسِنَ امرؤٌ مَكانَ خُطاهُ" مُماثلةٌ لكلمةِ (خَطِّ) مِن قولِهِ "كَي يَرَى خطَّ مَيْلِهَا"، وهَما وَإن تَشابهتا في النُّطقِ واللفظِ بِهَم، إلّا أنّ بينَهما تغايرًا واختلافًا كبيرًا، وذلَك مِن الجناسِ النّاقصِ، لِما نَعلمُه مِن أنّ نقصَ إحدَى الكَلمتَينِ المُتشابهتَينِ في الأحرفِ أو الحركاتِ مؤذنٌ بِنقصِ الجِناسِ، وثمَّ مَا يربطُ بينَ هاتين المفردتينِ في المعنَى، فكَما أنَّ للجناسِ وقعًا موسيقيًّا يرجو مِن ورائِه الشّاعرُ أو النّاثرُ التّأثيرَ في نِفسِ المُتلقّي، فَإنَّ لَهُ كذلكَ مرجعيَّةً دلاليةً يَعملُ المتكلّمُ بِهَا عَلى التّأطيرِ لِكلا الكَلمتين المُتشابهتينِ بعلاقةِ المحاكاةِ، انطلاقًا مِن أنَّ "الشِّعرَ يُحاكي الأهدافَ التي تسعى طبيعةُ الإنسانِ الشَّاعرةِ إلى تحقيقِها كونيًا"[2] فيربطُ بينَ هذه الطبيعةِ الكونيةِ في كلِّ صورِها وبينَ هدفِه من الخطاب.

وَإنَّما أرادَ الفتّالُ تحقيقَ القولِ فِي أنّ مَن حرصَ عَلى استقامِة خُطاهُ في زمنِ شَبابِه، لَم يَكُن في حَاجةٍ إلَى أن يُرهقَ نفسَه في العبادةِ والطاعةِ زمنَ شيخوختِه؛ لِأنّ اللهَ تعالَى يُخفِّفُ عنهُ ذلكَ، فَلا يَكونُ في حاجةٍ لأداءِ فوقَ مَا هو مكلَّفٌ بِهِ مِن العبادَاتِ والطّاعاتِ، أمّا مَن لَم يَسعَ في ضَبطِ خُطاهُ عَلى الخطِّ المستقيمِ الذي رَسمَه لهُ الشّرعُ بالتّكاليفِ والآوامرِ

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 68/8 .

[2]) نبيل راغب، عناصر البلاغة الأدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2003 ، 133 .

والنّواهِي، فَذلكَ يَحتاجُ إلَى التوبة أوّلًا في كِبره، ثمَّ بعدَ ذلِكَ إلَى العملِ المتواصلِ في الطّاعاتِ تعويضًا لِمَا فاتَهُ فِي زمنِ شبابِه مِن هذا، وهنا نراهُ قد ربطَ بينَ خصوصيةِ الألفاظِ والظواهرِ اللغويةِ وما تؤديه من معانٍ من ناحيةٍ، وعنصرِ الصورةِ البلاغيةِ من الناحيةِ الأخرَى، فالتصويرُ البلاغيُّ لا ينفصلُ عن علمي اللغةِ والتركيبِ، لأنهما قوامُ الكلامِ، وكونُ البلاغةِ "علمًا وفنًّا مرتبطٌ أشدُّ الارتباطِ بفنونِ الحديثِ والكتابةِ، فإنَّها بالضرورةِ لا بدَّ من استمدادِها لقوَّتِها من منابعِ اللغةِ"[1]، وقد لاحظَ الفتَّالُ ذلك الارتباطِ العميقَ بين عناصرِ ومقوّماتِ بناءِ النصِّ الشعريِّ؛ فوظَّف الظواهرَ المختلفةَ في هذا الجناسِ النَّاقصِ لخدمةِ الغرضِ من الخطابِ.

[1]) نبيل راغب، عناصر البلاغة الأدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، 45.

- **المطلبُ الثّالثُ: التّصريع**

ويُعدّ التّصريعُ واحدًا مِن المُحسناتِ اللفظيةِ ذاتِ الأهميةِ القُصوَى فِي قِياسِ جَماليةِ النصّ، وإبرازِ قيمتِه الذّوقيةِ الّتي هي أصلٌ مِن أصولِ بناءِ النصّ الشّعريّ، وَأحدُ ركائزِه الأساسيةِ التّي تُشكّلُ إيقاعَهُ الدّاخليَّ، فهو مِن مُكمّلاتِ عمليةِ التّنغيمِ الموسيقيّ الذي يتميّزُ بِه الشّعرُ عَن النّثرِ، إلى جانبِ موسيقَى الشّعرِ الخارجيّةِ التّي تَنفعلُ بِها الأنفسُ وتنجذبُ لَهَا الأرواحُ، مُمثّلةً في الوزنِ والقافية، وليسَ هذا مَا دعانِي إلَى اختيارِ التّصريعِ بوصفِه مِعيارًا لجماليةِ كثيرٍ مِن النّماذجِ الشّعريةِ للأديب عليّ الفتّال، بَل لشيءٍ آخرَ وغايةٍ أسمَى مِن مُجرّدِ النّظرِ لجَمالِ الإيقاعِ وقوّةِ تأثيرِه في النفسِ، فَإنَّ للتصريعِ غرضًا آخرَ بِجانبِ الزّينةِ اللفظيةِ، وهي غَايةٌ معنويةٌ دلاليةٌ، يعكسُها كلامُ ابنِ رشيقٍ الذي قالَ: "وسببُ التَّصريعِ: مبادرةُ الشَّاعرِ القافيةَ؛ ليعلمَ في أوَّلِ وهلةٍ أنَّه آخذٌ في كلامٍ موزونٍ غيرِ منثورٍ، ولذلك وقع في أوَّلِ الشّعرِ"[1]، وتلك غايةٌ لا بدَّ من الالتفاتِ إليها، وهي ذات دلالةٍ معنويةٍ، كما أنَّ من غاياتِه الدلاليةِ إرادةُ تنبيه الشاعرِ الى أنَّه خارجٌ من غرضٍ لغرضٍ، وذلك إذا وقعَ في غيرِ الابتداء[2]، وقد عرّفه ابنُ رشيقٍ بأنَّه: "ما كانت عروضُ البيتِ فيه تابعةً لضربِه ، تنقصُ بنقصِه وتزيدُ بزيادتِه"[3]، وجاءَ في معيارِ النُّظارِ أنَّ البيتَ المُصرَّعَ ما كانت "عروضُه على زنةِ ضربِه، أو على ما يجوزُ أن تكونَ ضربُه عليهِ"[4] وذلك بِالنّظرِ إلى التّصريعِ العروضيّ، أمّا التّصريعُ البديعيُّ فَهو محلُّ عنايةِ علماءِ البديع.

وقد جاءَ التصريعُ البديعيُّ في شِعرِ الفتّالِ كثيرًا، غيرَ أنَّ الغرضَ المنشودَ منهُ اختلف من موضعٍ لموضعٍ، تبعًا للغايةِ المقصودةِ مِن توظيفِه لَهُ، وإنّ مِمّا أجرَاهُ هذا المجرَى مِن شِعرِهِ، في (في حافلة) [5]: { بحر الطويل }

---

[1]) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونفده وآدابه، 129 .

[2]) المصدر نفسه، 129 .

[3]) المصدر نفسه، 129 .

[4]) عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني، معيار النظار في علوم الأشعار، تحقيق: محمد علي رزق الخفاجي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1991 ، 9/1 .

[5]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 43 .

مَا كَفَّ عَن قَرصِهِ[1] وَلَا عَنِ الدَّغِّ[2] قَالَت لَهُ: يَا فتَى! قَالَ: لَا تلغِي[3]!

وذلِكَ مِن قصيدتِه الّتي وسمَهَا بـ(الحافلة)، وهو بيت باهت تنقصه البلاغة لاستعماله الالفاظ المستهلكة , والغرضُ مِن القصيدةِ شارحٌ لِنفسِه، فَالشّاعرُ يُصوّرُ فيهَا سِمةَ بعضِهم مِمّن لَا يُوزعونَ بِدينٍ وَلا بِتقاليدَ، فيركبونَ متونَ الحافلاتِ التّي تُقلُّ النّاسَ فَيتحيَّنون فرصةَ وجودِ إحدَى الفتياتِ فيهَا، فيُسارعُ بِالوقوفِ وراءَهَا لِيفعَل فعلَه المشينَ بِهَا، تارةً بِالقرصِ وأخرَى بِالدّغِّ، ولا يُبالِي بِمُحاولاتِ ردعِهَا لهُ عَن ذلكَ الفعلِ، بل ويزيدُ علَى ذلكَ -مِن فرطِ فجورِه- فينهرُها بالقولِ اللاذعِ كَأنّها هي المُخطئةُ، وللمبالغةِ في بيانِ أثرِ فعلِهم يَسوقُ مِن الألفاظِ مَا يدلُّ على ذلكَ ويُبرزُ المعنَى.

وقد اختارَ الفتّالُ في تَصويره لهذا المشهدِ الفاضحِ الذي كثيرًا مَا صارَ يتكرّرُ في مُجتمعاتِنا العربيةِ، بِمَا يَتنافَى مَعَ دينِنا وعاداتِنا، حرفًا قويًّا رنَّانًا مِن حروفِ العربيّةِ ليبنِي عليهِ رَويَّ قافيتِه، بل وزادَ علىَ ذلكَ أنّه صرَّعَ البيتَ بإجراءِ عروضِ الشطرِ الأوَّلِ مِن البيتِ الذي استهلَّ بِه قصيدتَه عَلى رويِّ الضّربِ مِن الشّطرِ الثّانِي مِن هذا البيتِ، ليُفعِمَ البيتَ بِالإيقاعِ الموسيقيِّ الذي يَنشأ عنهُ لدَى المتلقِّي حبُّ استكشافِ مغازِي الخطابِ، بِمَا يشكِّلُه مِن قوّةِ وقعِه عَلى أُذنِهِ، فيذهبُ ذهنُه سريعًا إلى ترجمةِ شعورِ مثلِ تلك الفتاةِ التي تحدَّث الفتَّال عنها، فيتأثَّرُ لما أصابَها من هذا النَّذل؛ نتيجةَ وضعِه لابنتِه أو أختِه أو زوجتِه في هذا الموضع.

وهناك غايةٌ فنيةٌ أخرَى يُمكن الوقوف عليها عن طريق النظرِ إلى مثلِ هذا النوعِ من المحسناتِ البديعيةِ في بيتٍ كالذي أخذتُ في تحليلِه هنا، ذلك أنَّا نجدُ أنَّ كلَّ شطرٍ من شطرَي البيتِ استقلَّ بدلالةٍ مخصوصةٍ، ولا يتضحُ ذلك في صورةٍ جليةٍ إلَّا بالوقوفِ على رويِّ كلِّ شطرٍ على حدةٍ، فإنه يُعطينَا معنًى لا يحتاجُ في تمامِه إلى الشطرِ الآخرِ من البيتِ، وقد أشارَ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيفِ إلى ذلك الانفصالِ الجُمَليِّ الذي يتحقَّقُ في البيتِ المُصرَّعِ نتيجةَ التَّصريعِ[4]، وذلك مُظهِرٌ لأنَّ التصريعَ ذو دلالةٍ معنويةٍ بجانبِ المعيارِ الجماليِّ.

---

[1]) القرصُ: أخذُ لحمِ الإنسانِ بإصبعينِ حتَّى يؤلمَه ذلك، القاموس المحيط، (قرص)، 1306 .

[2]) كلمةٌ عاميّةٌ، يوظّفُها الشّاعرُ تقريبًا للمرادِ، ولعلّه أرادَ النكزَ باليدِ .

[3]) تلغي: من اللغوِ، وهو ما لا يُتعدُّ به من كلامٍ وغيرِه، القاموس المحيط، الفيروز آباديّ، (لغو) .1478

[4]) ينظر: محمد حماسة عبد اللطيفة، الجملة في الشعر العربي ,مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1990 ، 36-37.

ويقولُ في نصٍّ آخرَ مِن دِيوانِه، نَاعيًا عَلى العربيةِ وأهلِها سيرُ بعضِ مَن ليسَ لهُ للعربيةِ انتماءٌ، مِمَن جارَوا الغَربَ عَلى أنماطِ قصيدتِهم النّثريّةِ قوله (الشعر في زمن النكوص)[1]: { بحر الوافر }

بِنَصِّ النّثْرِ – يَا صَحْبِي – بُلِيتُ فَقَد –وَاللهِ- فِي لُغَتِي غُزِيتُ!

فهذا النصُّ مِمّا يُمكنُ التّعويلُ عليهِ فِي بِناءِ فكرةٍ عَامَّةٍ عَن اتّجاهاتِ الأديب الفتّال نحوَ لُغتِه العربيةِ وَفنونِها، والتزامِه بِمَا التزمَه العربُ قديمًا في أدبِهم؛ حيثُ قسَّموا الأدبَ إلى شِعرٍ ونثرٍ، ولَم يُخلِّطوا بينَهما، وذلكَ منهجُ الفتّالِ في إبرازِ مدَى حبِّه للدّينِ ولُغتِه العربيةِ، بِلا هوادةٍ أو تَسامحٍ، ويُجلِّي عن ذلكَ الحبِّ وهذا الالتزامَ عن طريقِ نصِّه الذي بينَ أيدينَا بضراوةٍ شديدةٍ، فقد شكَّلت الصورةُ البديعيةُ الّتي جعلَ مِن قوامِها التّصريعَ ثورةً في وجهِ مَن يَدينُون بِدينِ الغربِ في هذا الاتّجاهِ.

ولنَا أن نقِفَ عندَ هذا التّصريعِ بشيءٍ مِن التفصيلِ، إذ إنَّ الشّاعرَ لَم يَلتزم فيهِ بَمجرَى عادةِ الشُّعراءِ في التّصريعِ البَديعيّ وحسبُ، بَل صرّع البيتَ فانسجمَ ضربُه معَ عروضِه في القافيةِ، فَاجتمعَ لدينَا نَوعا التّصريعِ فِي بيتٍ واحدٍ، والفرقُ بين التَّصريعِ العروضيّ والبديعيّ، أنَّ العروضيَّ "عبارةٌ عن استواءِ عروضِ البيتِ وضربِه وزنًا وإعرابًا وقافيةً ، بشرط أن تكونَ العروضُ قد غُيّرت عن أصلِها لتلحقَ بالضَّرب في زِنتِه"[2]، على حينِ أنَّ هذا الشرطَ ينتفي في التَّصريعِ البديعيّ، فليسَ يلزمُ تغييرُ العروضِ لتلحقَ بالضربِ[3]، بل يظلُّ على حالتِه التي يَلزمُها في غيرِ الشّعرِ.

ويتضحُ لَنَا التغييرُ الذي لَحِقَ عروضَ الشّطرِ الأوّلِ مِن هذا البيتِ، فِي محاولةِ الفّتالِ إجرائِه عَلى وفقِ مَا عرضَ لهُ في ذهنِه مِن شكلِ القافيةِ وحرفِ الرويّ، والأصلَ كانَ يقتضي أن يُجرِيَ هذا العروضَ، وهو كلمةُ (بُلِيتُ) مجرَى المبنيّ للمعلومِ فيقولُ: "ابتلانِي أصحابُ قصيدةِ النّثرِ"، لِوقوعِ الحديثِ عَن هذا البلاءِ في أوّلِ البيتِ، ولكنّهُ أحالَ الفعلَ (ابتلاني) الواقعَ عروضًا إلَى مبنيٍّ لغيرِ فاعلِه؛ مِن أجلِ مناسبتِه لضربِ الشّطرِ الثانِي مِن البيتِ (غُزيتُ)، فتشاكلَ العروضُ معَ الضّربِ، فَأحدثَا مَعًا إيقاعًا مُشعرًا بِجديّةِ القضيةِ التي

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 137/3 .

[2]) مرعي بن يوسف الكرميّ، القول البديع في علم البديع، 55 .

[3]) العروضُ: ما يُختمُ به النصفُ الأوّلُ من البيتِ، والضَّربُ: ما يُختمُ به النِّصفُ الثَّاني من البيتِ، ينظر: عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني، معيار النظار في علوم الأشعار، 1/ 8 .

يَتحدَّث فيهَا الشّاعرُ، ولَم تَكن عنايةُ الفتّالُ منصبّةً على التّصريعِ العروضيّ بقدرِ حرصِه عَلى التّصريعِ البديعيّ الذي وظَّأ به للغايةِ، عن طريق الجمعِ بينَ عروضِ البيتِ وضربِه عَلى رَويٍّ واحدٍ.

ومِن براعةِ الفّتالِ فِي توظيفِ التّصريعِ، لِإبرازِ مكامنِ القوّةِ الموسيقيّةِ الجاذبة فِي خِطابِه الشّعريّ، قَولُه مِن قصيدِته الّتي يُناشدُ فِيهَا الامام المهديُّ (عليهِ السّلام) أن يَنهضَ للقيامِ بحاجةِ الضُّعفاءِ مِمَن يَحتاجونَ إليهِ , فقال في (يا صاحب العصر) [1]: { بحر البسيط }

يَا صَاحِبَ العَصْرِ، إنَّ العصرَ يَدعُوكَا فَانْهض؛ لِتَنشُرَ عَدلًا صَارَ مَنهُوكَا

فاستهلالِه بِنداءِ غيرِ مُعَيّنٍ إلّا بِقيدِ الصّفةِ الّتي وضعَهَا موضعَ العلمِ بالغَلَبةِ، مِن قولِهِ: "يَا صَاحَبَ العَصرِ"، يُسبِغُ عَلى الخطابِ شيئًا مِن الجَلالِ الذي يَذهب بالمُتلقّي حيثُ أرادَ الشّاعرُ، فَيقفُ بِهِ عَلى أنَّ شيئًا ذا وبالٍ سُيلقَى عليهِ، فيتهيَّأ للإنصاتِ؛ لِيتعرَّفَ عَلى المقصودِ بِـ(صاحبِ العَصرِ) ليزولَ عندَ الاشتباهُ فيمَن يعنيه الشّاعرُ بهذه التّسميةِ، وتلكَ قضيّةٌ تستفزُّ عزمَ القارئِ وتُثيرُ فيه الفضولَ، ومن ثمَّ لزمَ الفتّال أن يُحاكي هذا المضمونَ الجوهريَّ بصُورةٍ بديعيةٍ يتلمّسُ فيها القارئُ المعنى مجسَّدًا، فـ"المُحاكاةُ المباشرةُ للأشياءِ تضعُنا في حضرةِ الشيءِ نفسِه، والمحاكاةُ غيرُ المباشرةِ تجعلُنا نتعرَّفُ الموضوعَ من خلالِ غيرِه، عن طريقِ التشبيهِ والتمثيلِ"[2]، وقد كانت هنا المحاكاةُ المباشرةُ أمثلَ وأشكلَ مَعَ فحوَى هذا الخطابِ.

ثمَّ إنّ الفتّال لَم يَسعَ إلى مُحاكاةِ المعنَى الذي تضمَّنه البيتُ عَن حقيقةِ المقصودِ بِـ(صَاحبِ العصر) عن طريق التشبيهِ والتمثيلِ وحسبُ، بلَ كذلك مِن طريقِ المقاطعِ الموسيقيةِ التّي انتظمَها البيتُ في آخرِ شطرِه الأوّلِ وآخرِ شطرِه الثّاني، حيثُ توجَه على ذلكَ النّغمِ المُتولِّدِ عَن التّصريعِ بينَ قولِهِ: "يَدْعُوكَا" وَقولِهِ: "مَنْهُوكَا" معنًى يتّضحُ في جلاءٍ بما خلقَه الفّتالُ في نفسِ قارئِه مِن استعداداتٍ نفسيةٍ لاستقبالِه عبرَ مَوسيقَى التّصريعِ الّتي أنتجَهَا انسجامُ عروضِ البيتِ مَعَ ضربِهِ، وذلك عبرَ التوازي الموسيقيّ بينَ طرفَي الإيقاعِ العروضِ والضربِ.

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 158/5 .

[2]) جابر عصفور، مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005 ,272.

فعمليةُ التّصريعِ فِي هذا البيتِ لَم تأخذ طابعَها المعروفَ، حيثُ يتعرّضُ الشّاعرُ للتّصريعِ لِإبرازِ النغمةِ التّي تَجذبُ المتلقّي وتشدُّه إليهِ، بل شكَّلت كذلك عاملًا فارقًا في تحديدِ دوافعِ الفتّالِ إلى النظمِ، بِهذا الخروجِ الذي أحدثَه بِحرفِ الألِفِ بعدَ كافِ الرويّ مِن (يَدعوكَا، ومَنهُوكَا)، فالقافيةُ المطلقةُ المتصلةَ بحرفٍ مِن حروفِ الخروجِ أشدُّ تنغيمًا وإطرابًا مِن القوافِي المقيدةِ، وقد تنبّه الفتّالُ لتلك الحقيقةِ العروضيةِ، فَخرجَ بالألفِ، بوصفِه امتدادًا لِواقعِ الخطابِ وغرضِ القصيدةِ.

المَبحَثُ الثّانِي

المُحسّناتُ المَعنويّةُ فِي شِعرِ الفتّال

ويبدو من ظاهرِ تمييزِ علماءِ البديعِ بينَ أنواعِ لمُحسِّناتِ، وتقسيمِهم لها إلى لفظيةٍ ومعنويةٍ، أنَّ لكلٍّ منهما عملًا منوطًا به، إمَّا اللفظيةُ فقد اتَّضحَ مدَى انعكاسِها على الألفاظِ وتأثيرِها في زينتِها وجماليتِها في المبحثِ السابقِ، وأمَّا عن المُحسِّناتِ المعنويَّةِ، فإنَّ لها انعكاسًا – يبدو من ظاهرِ المفهومِ – أنَّه ذو تأثيرٍ مباشرٍ في المعنَى، وذلك ما سيظهرُ جلِيًّا عند تحليلِ الأبياتِ التي تضمَّنت صورةً أو صورًا منهُ في التَّالي، بحسبِ ترتيبِ المطالِبِ المعنونِ بِها لفَنٍّ مَن الفنونِ البديعيّةِ.

- **المطلَبُ الأوَلُ: الطّباق:**

تُشكِّلُ بلاغةُ الطباقِ - كأحدِ أهمِّ ألوانِ الإزاحةِ البديعيةِ التي يُستعانُ بها علىٰ تزيينِ النصِّ وإضفاءِ جانبٍ من الروعةِ اللفظيةِ عليهِ - سمةً عامةً في الشعر العربيّ قديمًا وحديثًا، فكانت ولم تزل تحتفظُ بثرائها النوعيّ الذي ينبثقُ عن ضديةِ الألفاظِ المتطابقةِ في نظامِ الخطابِ الشعريّ؛ ولعنايةِ الشعراءِ بهذا اللونِ البديعيّ تابعَهم الفتّالُ، فأقامَ بينَ لفظِه المتطابقِ – في كثيرٍ من نصوصِه التي شكّل الطباقُ فيها حضورًا طاغيًا – ومعانيه موازنةً لا تُخرجُ الخطابَ بالمطابقةِ إلىٰ التكلّفِ، وذلك ما سنقفُ عليهِ في نماذجِ التحليلِ تفصيلًا، هنا تحتَ هذا المطلبِ.

مفهومُ الطّباق:

والطباقُ في اصطلاحِ البلاغيينَ: ويُسمّىٰ المُطابقةَ والتّطبيقَ، وهو " أن تكونَ الكلمةُ ضدَّ الأخرىٰ"[1]، كما تعرّفَ علىٰ أنّهُ: "الجمعُ بينَ الشيءِ وضدّهِ في الكلامِ"[2]، وينقسمُ إلى طباقِ إيجابٍ، وطِباقِ سلبٍ[3].

أوّلًا: طباقُ الإيجابِ:

---

[1]) أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، البديع في البديع (في نقد الشعر) تحقيق: عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧، ٦٣.

[2]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (في المعاني، والبيان، والبديع) ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤، ٢٩٢ .

[3]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغةِ، هامش (2)، 292 .

ومن الأمثلةِ التي أنتجت عن طريق الثنائيةِ الضديةِ لدىٰ الفتّالِ معيارًا أصيلًا لقياسِ حقيقةِ التزامِه بالقالبِ الشعريّ العربيّ، كما عبّرت أشدّ التعبيرِ عن بيانِه الرائعِ وقدرتِه علىٰ تصريفِ الكلامِ في وجوهٍ شتّىٰ، نظمُه في كثيرٍ مِن أبياتِ ديوانِه، معوّلًا علىٰ النّزعةِ الضديّةِ بينَ لفظينِ تباينا في الدلالةِ منفردين، علىٰ حين أنهما تضافرَا علىٰ تأديةِ المعنىٰ المرادِ منهما في صورةٍ أخرجت هذا التضادَّ مخرجَ الشيءِ الواحدِ المنسجمِ الأطرافِ، حيثُ قالَ (الجسر)[1]: { بحر الرمل }

نفقٌ أضلاعُهُ في حدبِها تنثرُ الحُبَّ لِمن تهواهُ

مرةً نهبطُ من أضلاعِه وبرمشٍ نرتقي أعلاه

فـ"ارتيادُ (الفتّالِ) للزمنِ الشعريّ – في هذا النموذجِ الضديّ - جعلَه يُفلتُ من عقالِ البُعدِ الواحدِ؛ لتتلقّفَه أبعادٌ متباينةٌ"[2]، فوقارُ الإنسانِ لم يمنعه من ممارسةِ حياةِ الطفولةِ، وارتيادِ أماكنِ اللهوِ معَ أصدقائِهِ، فهو هنا حيثُ يصفُ لنا مشهدًا عميقَ الأثرِ جمعَه وصديقَه (عبدَ عونٍ) وهما يمرّانِ عبرَ نفقٍ من الأنفاقِ، والعادةُ أنّ المرورَ في الأنفاقِ مما يثيرُ في النفسِ الضجرَ أو الخوفَ أو القلقَ، ولكنّ الفتّال يُخالفُ مجرىٰ تلك العادةِ، فيُحيلُ بعبارتِه البديعةِ هذا النفقَ من مكانٍ مظلمٍ مخيفٍ إلىٰ مكانٍ مألوفٍ يجمعُ الصديقينِ المُحِبَّينِ بعيدًا عن أعينِ الرقباءِ، ليفضي كلٌّ منهما للآخرِ بفيضِ محبّتِه في صديقِه، حتىٰ إنهما من فرطِ انتشائِهما بتلك العلاقةِ الحميمةِ التي جمعتهما في ذلك المكانِ يهبطانِ ويعلوانِ بينَ أضلاعِه.

ولا أراهُ هنا عبرَ بالأضلاعِ، إلّا لأنّه أرادَ الإخبارَ بأنّ النفقَ لم يكن مُستويًا، حيثُ يأخذُ شكلًا بيضاويًا منحنيًا علىٰ هيأةِ الأضلاعِ في جسمِ الإنسانِ، وقد آذنَ متلقّيهِ بهذه الدلالةِ تمهيدًا لصورةِ الصديقينِ وهما يلعبانِ صعودًا وهبوطًا داخلَ النفقِ، فأتىٰ باللفظتينِ المتضادتينِ (نَهبِطُ، ونَرتَقِي) والهبوطُ يقعُ علىٰ طرفِ النقيضِ من الارتقاءِ؛ طلبًا لتعزيزِ المعنىٰ والتّأكيدِ علىٰ أنّهما لم يكونا يُمارسانِ ذلك بمشقّةٍ ولا إجهادٍ، بل بحبٍّ وشغفٍ، فالضديةُ الناشئةُ من استعمالِ الشاعرِ لهاتينِ المفردتينِ تدلُّ علىٰ أوّلًا: عدمِ استواءِ النفقِ، وذلك مدعاةٌ للشعورِ بمدىٰ ما قد يلحقُ بهما من مشقةِ المرورِ فيهِ، في الوقتِ الذي ناقضَ الشّاعرُ فيهِ هذا المعنَى، ثمّ ثانيًا: عن سرعةِ تحرّكِهما فيها علىٰ شاكلةِ ما ذكرَ من أنّ هذه

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، ٣٣٨/٤.

[2]) حسني عبد الجليل يوسف، المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي، ٢٩.

الحركةَ لم تكن منتظمةً ولا سائرةً مسارًا واحدًا، وهذه الصورةُ لم تكن لتتحقّق بغيرِ إعمالِ الفتّالِ لهذه المفارقةِ المشهديةِ.

ومما تمثَّل فيه الفتَّالُ الصورةَ البديعيةَ في نظمِه، قولُه، يصفُ جذوةَ الشبابِ وشرخِه، وحدَّة الأملِ والنشاطِ والإقبالِ على الدنيا فيه فقال في (مناغاة الشباب)[1]:{ بحر الطويل }

وأمضـــي إلَـــى حيـــثُ الأمـــاني بِهِمَّـــةٍ تُزلـــــــــزلُ شُـــمَّ الرَّاســـياتِ مـــواقِعي
وأعتصـــرُ الإصـــرارَ فـــي نَيْـــلِ حاجـــةٍ تَعـــزُّ علـــى الـــدُّنيا تَـــذلُّ لـــواقِعي

ففي ذهابِه لإظهارِ مكامنِ القوّةِ والجسارةِ في الإقبالِ على الحياةِ – زمنَ الشّبابِ – بِقلبٍ رحيبٍ ونفسٍ لَا تخشَى شيئًا ولا تَهابُ أمرًا مَهما كَانَ، يُعبرُ عن ذلكَ بالمضيّ إلَى الأمانِي الذي يَطمحُ إلى تَحقيقِهَا ونوالِهَا بِهمَّةٍ دونَ أن يَعترضَه شيءٌ، ويَسعَى إلى اعتصارِ الإصرارِ لينَالَ منهُ زُبدتَهُ، مِن أجلِ الحصولِ عَلى مَا يطلبُه دونَ أن يَمتنعَ عليهِ، وقدَ تضمَّن هذا النّظمُ عددًا مِن الصورِ الرّائعةِ التّي تُثري مجالَ النصِّ، وَتفتحُه عَلى آفاقٍ أخرَى بعيدةِ المَرامِي، لِيفسِحَ عن طريقها الفتّالُ المَيدانَ لقراءاتٍ وَاعيةٍ ومتعددةٍ لهذا النصِّ، يسعى بها جميعًا إلى تجسيدِ مشهدِ الشبابِ وعنفوانِه، إلَّا أنَّ أقربَ تلك الصورِ مناسبةً لاستعمالِ الفتَّال للطباقِ في إبرازِ فتوةَ الشبابِ، تلك التي استدعَى فيها صورتَه وهو يمضي لتحقيقِ مراميهِ بِهمَّةٍ، وتزلزلُ تلك الهمةُ الجبال الراسيات، فذلك من التصويرِ المشهديّ لموقفِه من الشبابِ، و"الشاعرُ المعاصرُ يستغلُّ عمليةَ المفارقةِ في تصويرِ بعضِ المواقفِ والقضايا التي يُبرزُ فيها التناقض"[2]، والاقترانُ بينَ مضيِ الفتّالِ، وزلزلةِ الجبالِ لَا يسوغُ إلّا بالحملِ على هذه الثنائيةِ الضديّةِ، ووجهُ الضديّةِ في تلك الصورةِ جعلُ الشّاعرِ مضيّه في مقابلِ زلزلةِ الجبالِ، والمضيُّ مما يُوحي بالاطمئنانِ والزلزلةُ مما يُشعرُ بالاضطرابِ.

وفي مرحلةٍ مِن مراحلِ إنتاجِ دلالةِ هذا الخطابِ، يَقفُ بنَا عَلى ما أرادَ قولَهُ دونَ غيرِه، فَلا يحيدُ بالمَقصدِ مِن النّظمِ إلَى مَا قَدَ يُعطِي انطباعًا للمُتلقّي بِأنّهُ انسلخَ مِنهُ لمَعانٍ أخرَى، يُجري الصُّورةَ البديعيّةَ التي قَرَنَ فيهَا بينَ مَتضادَّينِ في المعنَى والصُّورةِ التي قَد يُفضِي إليهَا كلٌّ منهما، جاعلًا مِن الفِعلِ (تَعِزُّ) فِي مَقابلِ الفِعلِ (تذلُّ) غَيرَ أنَّ الفعلَ (تعزُّ)

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 131/4.

[2]) دعاء توفيق محمود إبراهيم، المفارقة التصويرية (مفهومها، وتجلياتها في التراث البلاغي) ، حولية كلية الآداب، جامعة أسوان، مصر، عدد/ شهر أبريل، 2021، 68 .

مِن متعلقاتِ (حاجةٍ) فَهي فِي محلِّ جرٍّ صفةٍ لِكلمةِ (حَاجةٍ) الّتي سَبقتهُ، وَالفعلُ (تذلُّ) فِي مَحلِّ رفعِ خَبرٍ لمبتدأ محذوفٍ مقدَّرٍ بِـ(هي) وذلكَ أولَى مِن تقديرِ الفعلِ (تذلُّ) صَفةً ثَانيةً لكلمةِ (حَاجةٍ)، فاختلافُ متعلقِ كلٍّ مِن الفعلينِ يُرتِّبُ التضادَّ الكاملَ بينَهما.

وعَلى ذلكَ فإنَّ مَا يترتَّبُ مِن قيمٍ بَلاغيةٍ يُنتجُها اختلافُ المُتعلق لكلٍّ مِن هذين الفعلينِ، أن يَذهبَ السَامعُ مِنهما في المذهبِ نفسِه الذي أرادَهُ الشّاعرُ مِن إثَباتِ القدرةِ عَلى تحقيقِ الآمالِ الّتي عَجزَ كثيرٌ غيرُه مِن الناسِ عن تَحقيقِها؛ لِأنّهُ امتلكَ مِن أدواتِ تحقيقِهَا الجسارَةَ والإقدامَ والنّشاطَ، فكانَ ذلك مما ينطلي فيه اللفظُ على المعنَى؛ حيثُ "ائتلفَ في معناهُ، ما يُضادُّ في فحواهُ"[1]، فأثَّر الجمعُ بينَ النّقيضَينِ في بناءِ المعنَى الذي أرادَه الفتَّالُ.

ويندرجُ تحتَهُ "الجمعُ بينَ فعلَي مصدرٍ واحدٍ، أحدُهما مثبتٌ، والآخرُ منفيٌّ، أو أحدُهما أمرٌ، والآخرُ نهيٌ"[2]، فكلُّ لفظٍ يُقابلُه ضدُّهُ منفيًا، أو كانَ أحدُ اللفظينِ فعلَ أمرٍ والآخرُ منهيًا عنهُ، كانَ من نوعِ هذا الطباقِ، وهنا الاستعارة ايضا لها تأثير تصويري .

ومن ذلك قولُ الفتّالِ ناصحًا صديقًا لهُ تناولَه الناسُ بألسنتِهم بأن لّا يُصيخَ إليهم سمعَه، ولا يلتفتَ إليهم، وأن يحرصَ على استقامتِه وعدمَ ميلِه بسببِ ميلِهم فقال في (إلى الصديق) [3]: { بحر الوافر }

وخَلِّ العمرَ يَمضِي مُستقِيمًا بِـــــــلا مَيْلٍ، وذا نِعمَ الخدينُ

فمن الملحوظِ في هذا البيتِ أنّ الفتّالَ – في إطارِ موعظتِه لصديقِه الدكتور [يحيى شريف الاسدي][4], قرنَ بينَ لفظينِ لكلٍّ منهما في معناهُ دلالةٌ تقعُ على النقيضِ من دلالةِ الآخرِ مِن جهةِ اللفظِ، أمّا المعنَى فقد اتّفقَا فيهِ جميعًا، والمطابقةُ بينَ هاتينِ الكلِمَتين واقعةٌ مِن حيثُ الإيجابُ والسّلبُ، فالاستقامةُ معنًى موجبٌ للاعتدالِ، ونَفيُ المَيلِ بِـ(لا) النافيةِ للجنسِ موجبٌ للمعنَى ذاتِه، ولكن من طريقِ النفي لا الإثباتِ، وجمعُه بينَ كلمتَينِ تؤديَّان معنًى

---

[1]) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 258.

[2]) حسن إسماعيل ابد الرازق، البلاغة الصافية (المعاني، البيان، البديع) ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٦، ٢٥٧ .

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 4/ ٣٨٥.

[4]) هو أحدُ أصدقاءِ الشاعرِ عليّ الفتّال، وكانَ يعملُ طبيبَ أسنانٍ بعد أن تخرَّجَ في كليةِ طبِّ الأسنانِ بالاتّحاد السوفييتيّ عام 1966، وكانَ من مواليد 1936م العراق، وكانت وفاتُه عامَ 2013م، بكربلاء ,وله ديوانان مطبوعان (شموس الاسدي, رياحين الاسدي), اتصال بنجله الدكتور يحيى بتاريخ 2023/ 11/8 .

واحدًا بالإثباتِ مرةً وبالنفي أُخرَى من بابِ الطباقِ المعنوي، حيث أثبت الاستقامةَ لمضيِّ العمرِ، في الوقتِ الذي نفَى فيه الميلَ عن نفسِ الاستقامةِ التي طلبَ من صديقِه تخليةَ السبيلِ للعمرِ للسيرِ على وفقِها.

وعلى ذلك نجدِ أنّ محاولةَ فهمِ الغايةِ من توظيفِ الشاعرِ لهذين اللفظين المتقابلين بالتضادِّ تُعدُّ من المسائلِ المعضلَة؛ لأن استنطاقَ الخطابِ المعتمدِ على الثّنائياتِ الضديَّةِ من الأمورِ التي تقفُ حجرَ عثرةٍ في سبيلِ فهمِ مرادِ المتكلمِ من كلامِهِ؛ لجوازِ إنتاجِ هذا التضادِّ لمعانٍ قد لا تكونُ من مرادِ المتكلمِ، ولذا فإنّ اللجوءَ للظواهرِ اللغويةِ والسياقِ المقاميِّ الذي انبثقَ هذا النوعُ من الخطاباتِ عنهُ مما يُساعدُ على فهم المغزى.

وإنّ ما ينبغي على دارسِ النصوصِ الأدبيةِ التعرّفُ عليهِ والإحاطةُ بهِ، والإلمامُ بسببِ جمعِ المبدعِ بينَ ضدينِ – على أيِّ صورةٍ كانت – فالجمعُ بينَ الأضدادِ – على سبيلِ المطابقة – في الكلامِ يخضعُ لمعيارٍ يُقاسُ بهِ ، يتمثلُ ذلك المعيارُ في: "أن يجمعَ المتكلمُ بينَ معنيينِ لا يتنافيانِ في ذاتِهما، ولكن يتعلَّقُ أحدُهما بما يُقابل الآخرَ بسببِه أو لزومِه أو نحوِهما"[1]، وإنّ من لوازمِ الاستقامةِ عدمُ المَيْلِ، وهذا ما طالبَ به الفتالُ صديقَه، لا أنّه يُطالبُه بالجمعِ بينَ متضادَّين في آنٍ.

فهو يطالبُه بتخليةِ السبيلِ للعُمرِ كي يسيرَ في مسارِه الطبيعيِّ مستقيمًا، بأن يُتيحَ لنفسِه ما يُمكّنه من ذلك، وإنّ ما يُمكّنُه من ذلك ما هو إلّا لازمٌ من لوازمِ استقامةِ مسارِ العمرِ، فما لم يَسْعَ الدكتور (يحيى شريف) في تمهيدِ الطريقِ ليأخذَ العمرُ فيهِ سبيلَه سهلًا بأن لّا يَميلَ بسببِ ميلِ الناسِ واتهامِهم له، فلن يتمكّن من تحقيقِ هذه المعادلةِ الصعبةِ التي تجمعُ بينَ أمرِ الفتّالِ لهُ -على سبيلِ النصحِ- بتخليةِ سبيلِ الاستقامةِ للعمرِ، ونهيهِ لهُ عن اتّخاذِ الميلِ صاحبًا في رحلةِ الحياةِ.

وإنما يفهَم من قولِ الشاعرِ "بِلا مَيلٍ" أنّهُ نهيٌ موجّهٌ لصديقِه في صورةِ الجارِّ والمجرورِ؛ لأنّ الأمرَ من قولِه "وَخَلِّ العُمرَ..." متوجَّهٌ به إليهِ، فهو وإن كانَ أمرًا خارجًا عن حقيقةِ معناهُ إلى إرادةِ النّصحِ، فكذلك النهيُ المقدّرُ في قولِه: "بِلَا مَيْلٍ" نهيٌ خارجٌ عن حقيقةِ معناهُ، وقرينةُ الحالِ مانعةٌ من إرادةِ كونِ الأمرِ والنهي على حقيقتِهما، فالفعلُ المنهيُّ عنه المجرورُ لفظًا، في حكمِ (لَا تَمل) وذلك ما جعلَ من نوعِ هذه المطابقةِ مطابقةً خفيّةً.

---

[1]) حسن إسماعيل عبد الرزاق، البلاغة الصافية، ٢٥٨.

ثانيًا: طِباقُ السّلبِ:

ومنِ براعةِ استعمالِ الفتّالِ للطّباقِ في شِعرِه، قولُه من (رُباعياتِه) التي شكَّلت في معظمِها مناجاةً للهِ تعالَى، وهو من شعره الجميل وتبصُّرًا منهُ ببعضِ الحقائقِ الإلهيةِ التي أطالَ فيها العلماءُ الحديثَ[1]: { بحر الخفيف }

إنَّ إدراكي لَا يسطِيعُ أنْ يُدركَ كُنهَك

فهو ــمهما اتَّسعتْ آفاقُه في البحثِ- مُنهَك!

فَلِهذا سَأُناجي فيك ما أضحَى سِراجي

كيفَ لي أن أسبرَ الغورَ لكي أعرفَ ذاتَك؟

أنت من يعرفُ ذاتَك

ففي تلكَ المُناشدةَ التي يَطلبُ فيها الفتّالُ مِن اللهِ (عزَّ وجلَّ) هدايتَهُ إلى التعرُّفِ عليهِ، والوصولِ بِه إلى اليقينِ الذي يُرسِّخُ في قلبِه الإيمانَ والسّلامَ، كما يُحيلُ كذلكَ عَلى معنًى ثانويٍّ يظهرُ مِن تدارِكِه على البيتِ الأوّلِ بالبيتِ الثّاني، ممّا يُشعرُ أنَّ سؤالَهُ لمَ يكن لانتفاءِ حقيقةِ الإيمانِ بذاتِ اللهِ تعالى، بل هو مما يُشاكلُ في صِفتِه سؤالَ إبراهيمَ (عليهِ السّلامُ) لربّه، حينَ أرادَ الاطمئنانَ لكيفيةِ إحياءِ اللهِ الموتَى، فالتمسَ من ربِه (سُبحانَه وتعالَى)، أن يُرشدَه إلى ذلك، وذلك مِمّا يُثيرُ في النفسِ العَجبَ والدّهشةَ، فالفتَالُ لَم يَكن لِيطلبَ من المولَى جلَّ شأنُه مَا يؤكّدُ بهِ على إيمانِه بِه، إذ إنَّ إيمانَهُ يقينيٌّ، بل إنّهُ يسعَى لإزالةِ ما تلبّست بهِ نفسُه من السؤالاتِ التي لَا يجدُ لهَا عندَ غيرِ اللهِ إجابةً.

فإنَّ معرفةَ ذات الله تعالى، لا تكونَ عن كيفيةٍ ولا يصل إليها الإنسانُ بالعقلِ المحضِ، فمالم تكن تلك المعرفةُ مخصوصةً بالطريقِ الذي حدَّه الله لها، فهي من العبثِ الملجئِ لإعمالِ العقلِ في كيفيةِ الوصولِ إلى معرفةِ ذاتِ الله تعالى، وذلك مما قد يؤدي إلى الإلحادِ، وهذا الطريقُ الذي تجبُ به معرفةُ الخالقِ سبحانه طريقٌ توقيفيٌّ ليس لأحدٍ فيه اجتهادٌ، فـ"توحيد المولَى تعالَى في الإثباتِ والمعرفةِ، هو إثبات حقيقةِ ذات الربِّ تعالَى وصفاته وأفعاله وأسمائِه، ليس كمثلِه شيءٌ في ذلك كلِّه، كما أخبر به عن نفسِه، وكما أخبر رسولُه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كلَّ

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة, 7/ 203 .

الإفصاح"[1]، وقد تعرّض الفتّالُ لقريبٍ من هذا المعنى؛ لتحقيقِ إثباتِ معرفة اللهِ بالطرقِ التي خصَّها اللهُ لبيانِ معرفتِه.

وبرهانُ تصديقِه وإيمانِه بِذاتِ اللهِ معَ يقينِه في أنَّ ذاتَه سبحانَهُ ممّا لا يُدرَك لعظمتِه وجلالِه، يتحوّلُ الفتّالُ عن طريق الطباقِ إلّى إثباتِ هذا المعنَى، فَيجمعُ في الكلامِ بينَ مُتناظرين في الدلالةِ مُتباينينِ في اللفظِ، مِن قبيلِ طباقِ السّلبِ الذي أدَّى بدورِها هنا دلالةً وقامَ على توظيفِه معنًى لم يكن ليقومَ بغيرِه، فـ"الطباقُ ليسَ مجردَ زينة لفظيةٍ أو حليةٍ فارغةٍ...، وإنما أداةٌ فنيةٌ تلعب دورًا فاعلًا في إبرازِ المفارقةِ بين صورتين"[2] فهو يُثبت لنفسِه (الإدراكَ) عَلى عمومِه، وينفيهِ عن نفسِه بصفةٍ خاصّةٍ، عندَ محاولةِ إدارِكِه لذاتِ اللهِ تعالَى، فقولُه: "إنَّ إدراكِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدرِكَ كُنْهَك" أي مَاهيتَك وخصوصيةَ ذاتِك، مُعلِّلًا عدمَ قدرتِه عَلى إدراكِ ذاتِ اللهِ بِقولِهِ: "فَهُوَ مَهمَا اتَّسَعَتْ أَفَاقُهُ فِي البَحْثِ مُنهَك"، حيثُ يُعييهِ البحثُ والتفتيشُ عَن نيلِ ذلكَ.

والمَطابقةُ بينَ (إدراكي) و(لَا يَستطِيعُ أن يُدرِكَ) هي مَا أنتجت هذا المعنَى (المطابقة الخفية)، وجلَّت عَن غرضِ الفّتالِ مِن التّساؤلِ المضمَّنِ في هذه النّوعِ مِن الطباقِ السلبيّ، وهو طِباقٌ ظاهرٌ لا يَختلفُ عليهِ اثنانِ، غيرَ أنّ للشّاعرِ فِي البيتِ التّالي قولًا آخرَ، أظهرَ فيهِ مقدرةً هائلةً على استعمالِ وتوظيفِ أنواعِ الطّباقِ المُختلفةِ ظاهرةً وخفيّةً في بيتَينِ متتالينِ، فالنّاظرُ إلى قولِه:

كيفَ لي أن أسبرَ الغورَ لكي أعرفَ ذاتَك؟

أنت من يعرفُ ذاتَك

طباقٌ، ولكنّه من نوعٍ آخرَ، لا يُجلِّي عَن نفسِه، ولَا يُفصِحُ عن مَاهيتِه، لِأنّ الفتّال قد أخفَى القيمةَ البديعيّةَ تحتَ الظواهرِ اللغويّةِ الّتي وظَّفَها في التّأطيرِ لهذا النّوعِ مِن الطّباق، فَسؤالُ الفتّالِ عَن كيفيةِ سَبرِ أغوارِ العقلِ مِن أجلِ الوصولِ إلَى معرفةِ كُنهِ ذاتِ اللهِ تعالَى، فتحقيقُه لأنَّ إدراكَه عاجزٌ عن معرفةِ ذاتِ اللهِ بنفسِه، هو الذي أحالَهُ على السؤالِ بـ(كيفَ) مِن قولِه: "كَيفَ لِي أن أسبرَ الغورَ..."، فكانَ تأكيدُه بِـ(إنَّ) المؤكدةِ مِن قولِه: "إنَّ إدرَاكِي لَا يَستَطِيعُ أَن يُدرِكَ كُنهَك"، دليلٌ عَلى أنّهُ لَم يَزلَ يبحثُ عن طريقةٍ

[1])صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، دار ابن رجب، المنصورة، مصر، ط1، 2002، 38 .

[2]) محمود علي عبد المعطي، موسيقا الشعر (النظرية، وآفاق التطبيق)، 391 .

للوصولِ لذلك، وبحثُه يعنِي أنّهُ لَم يَصل، كَما أنَّ إقرارَهُ بأنَّ العلمَ بحقيقةِ الذّاتِ الإلهيةِ حصرٌ عَلى اللهِ تعالَى، برهانٌ عَلى أنَّه لَن يَصل إلى مَا يريدَ حتّى معَ طولِ بحثِه، فهو لم يكن ليجمعَ بين المتضادين لمجردِ الجمعِ بينهما، فـ"فقضيةُ التضادِّ تقومُ على بناءِ المعاني، وتجليتِها في صورةٍ معينةٍ تكونُ أقدرَ على جلاءِ المعنَى المرادِ من غيرِها"[1]، ومِن ثمَّ فإنّهُ يطابقُ هَنا بينَ محدوديةِ علمِه، وطلاقةِ علمِ اللهِ تعالى، وهو أيضًا يُعدُّ من طباقِ السّلبِ، لأنَّهُ نفَى عن نفسِه مَا أثبتَهُ للهِ تعالَى.

[1]) أحمد محمد علي، دراسات في علم البديع، مطبعة الأمانة، القاهرة، مصر، ط1، 1986م ، 20 .

- **المَطلَبُ الثّاني: التّورية**

تعريفُها: التَّوريةُ أن تكونَ الكلمةُ بمعنيينِ، فتُريدُ أحدَهما، فَتُورّي عنهُ بالآخر"[1] وقد عرَّفها ابنُ أبي الإصبعِ تعريفًا أشملُ من هذا، بقولِه: "أن تكونَ الكلمةُ تحتملُ معنيينِ فيستعملَ المتكلمُ أحدَ احتمالَيها، ويُهملَ الآخرَ، ومُرادُه ما أهملَه لا ما استعملَه"[2]، وتجلّت شموليةُ تعريفِ ابنِ أبي الإصبعِ في الإشارةِ إلى أنَّ الكلمةَ تنطوِي عَلى معنيينِ بِطريق الاحتمالِ لَا بطريقِ الاشتراكِ اللغويّ، ويؤكِّد على ذلك قولُ الشيخ مرعي الكرميّ: "أن يذكرَ المُتكلِّمُ لفظًا مفردًا لهُ معنيانِ حقيقيَّانِ، أو حقيقةً ومجازًا"[3]، فقولُه: "أو حقيقةً ومجازًا" يدلُّ عَلى عدمِ ضرورةِ دلالةِ اللفظِ بالوضعِ عَلى معنيينِ في التّوريةِ، وهي قسمانِ: الأوَّلُ: التوريةُ المُجرَّدة، والثاني: التَّوريةُ المُرشَّحةُ.

أوَّلًا: التَّوريةُ المُجرَّدةُ

وهي "التوريةُ التي لا تُجامعُ شيئًا مما يُلائمُ المُورَّى به"[4]، ومِن الألفاظِ المفردةِ التّي أطلقَهَا الفتَّالُ تَدلُّ عَلَى معنًى في نَفسِهَا يَعرفُه السّامعُ وَيهتدِي إليهِ بِالاستعمالِ العربيّ لَهَا، مَعَ إرادةِ الشّاعرِ المعنَى البعيدَ الذي تضمَّنتهُ، عَلَى سبيلِ التّوريةِ، قَولُه فِي شَجاعةِ الحُسينِ (عَليهِ السّلامُ) ووقوفِه فِي وَجهِ الأعداءِ مشمّرًا لَهم عَن سَاعدِ القوَّةِ الّتي تُرهبُهم (ملحمة كربلاء) [5]: { مجزوء الرمل }

إنَّ دينَ اللهِ بالتَّوحيدِ والإيمانِ يسمو

لا بتعفِيرِ جَبِينٍ، إنَّه للدِّينِ هدمُ

إنَّ ذِكرَى كربلَا.. هي عنوانُ الولَا

عبرَ قولِ السِّبطِ للأعداءِ (لا)

كربِلَا يا كربِلَا يَا كرْبِلَا

---

[1]) أسامة بن منقذ، البديع في البديع (في نقد الشِّعر)، 97 .

[2]) ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، 268 .

[3]) مرعي بن يوسف الكرمي، القول البديع في علم البديع، 131.

[4]) حسن إسماعيل عبد الرزاق، البلاغةُ الصافية (في المعاني، والبيان، والبديع)، 262 .

[5]) علي الفتال، الأعمال الشّعريةُ الكاملةُ، 44/8 .

إذ لو كانَ الغرضُ مِن إجراءِ القّتالِ كَلمةَ (لا) وهي أحدُ حروفِ النفي، عَلى لِسانِ الحُسينِ (عليهِ السّلامُ)، النفيَ بِهَا، لَكانَ في حَاجةٍ سَندٍ يُظهرُ حُجَّتَه في نفي الحُسينِ (عليهِ السّلامُ) لأمرٍ ما عن الأعداءِ، بَل إنَّهَا مستعملةٌ في حقيقةٍ أخرَى، ولكنَّهَا لَم تَبعُد عن حقيقةِ النفي التي وُضعت لهَا في اللسانِ العربيّ، فالمعنَى الظّاهرُ مِن إثباتِ نَفي الحُسينِ (عليهِ السّلامُ) لشيءٍ ما عَن الأعداءِ، هو النفي، ولكنّها احتملت وجهًا آخرَ يبعُد عن ذلِكَ معَ تضمَّنِه لمعَنى النفي أيضًا، ولكنُّه نفيٌ لغايةٍ مخصوصةٍ، والمعنَى علَى أنّ الحُسينَ (عليهِ السّلامُ) أبرزَ لأعدائِه مِن قوّتِه وقُدرتِه عَلى الظّفرِ بِهِم مَا يُخيفُهم منهُ، وَيصدُّهم عَنهُ، فانتَهوا إلَى حيثُ أرادَ أن يَنتهوا إليهِ، ولأنّ هذه التّوريةِ لَم تَحمل مَعهَا ما يُمهّدُ لهذا المعنَى، سُمِّيت بالتّوريةِ المجردةِ[1]، وهي أخفَى مِن التّوريةِ المُرشّحةِ، ولذلكَ يتّسمُ المعنَى هُنا بِشيءٍ مِن الغموضِ، فَلا يُمكِّنُ مِن الوصولِ إلَى المعنَى المقصودِ مِن النفي بِـ(لا) إلّا بِإجهادِ الذِّهنِ، لأنَّ (لا) النّافيةُ مِن حروفِ المعاني، وحروفُ المعاني لا تقومُ بنفسِها، فكيفَ حملنَاها على التوريةِ هُنا؟!، والجوابُ أنَّها تضمَّنت معنى نَفي شيءٍ بعينِه وهو يُورَّى بِه عن الشدَّة والجرأةِ على الرفضِ والإباء، وهي هُنا في هذا الاستعمالِ، كـ(بَلى) و(نَعم) في الإجابةِ بِهما وحدَهُما دونَ إعادةِ مدخولِهما، فالمُجيبُ بِـ(بلَى) لَا يقولُ: بلَى سألعبُ، إجابةً لمَن قالَ لهُ: هل ستلعبُ؟.

ومِما يُوهمُ خلافَ المرادِ فِي شِعرِ الفتّالِ، استعمالُه لكلمةِ (الخُرافةِ) فِي معاناهَا البعيدِ الذي لَا يَلتفتُ إليهِ المتلقّي إلّا بِقرينةِ الحالِ، وذلكَ في إطارِ حديثِه عَن العباداتِ التّي خطَّط لهَا الإنسانُ الأوَّلُ في أزمنةِ التّيهِ قبلَ زمنِ النبوَّاتِ، مِن قولِهِ (بداية النهاية) [2]:{ بحر الرمل}

بَقِيَ الإنسانُ في هذا قرون يتلظَّى عبْرَ جهلٍ في الخُرافةْ

وهو لا يدري، بما سوفَ يكون فغدَا يُنشدُ ربَّاتِ العرافة

فإجراؤه لكلمةِ الخرافةِ عَلى وجهِ العادةِ مِن استعمالِ النّاسِ لَهَا، فِي كلّ مَا لَا يتّصلُ بالواقعِ والحقيقةِ بِصلةٍ قريبةٍ أو بَعيدةٍ، لَمَ يَكُن إلّا مَعنًى قريبًا سَائغًا في الفهمِ عندَ مَتلقّي النصِّ، عَلى حينِ أنَّ المُورَّى بهذه الكلمةِ عنهُ ليسَ ذلكَ المعنَى، بل إنّهُ مدلولٌ عليهِ بذلكَ اللفظِ في الاستعمالِ الشّائعِ، والمرادُ منهَا المعنَى البعيدَ، وهو المقصودُ لذاتِه بِهَا، فإيرادُ

[1]) ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)، 383 .

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 87/8 .

الكلمةِ في زحمةِ المفرداتِ الّتي انطوت على صورةِ العباداتِ الأولَى للإنسانِ، والّتي أفصحَ عنهَا الفتّالُ فِي أبياتِ القصيدةِ السّابقةِ واللاحقةِ، تُشيرُ إلى أنَ مغزَى الكلمةِ مؤذنٌ بِأنواعِ تلكَ المعبوداتِ الّتي كَانَ الإنسانُ يصنعُها أو يَنحتُها بِيديه.

وذلك الذي راحَ الشَّاعرُ يُعبّرُ عنهُ هنا مما أثارَ في نفسِه عواملَ الدهشةِ، واسترعَى جانبَ الغرابةِ في نفسِه، حيثُ يستنكرُ على هؤلاءِ عبادتَهم لما يصنعونَ، فجلَّى عن غرابتِه من فعلِ هؤلاءِ بتوظيفِ اللفظِ القريبِ المستعملِ، وهو (الخرافة) موريًّا به عن معنًى بعيدٍ لا يتنبَّه إليه السامعُ إلَّا بإرجاعِ هذه الكلمة إلى أصلِها الأوَّلِ، حيثُ درجَ النَّاسُ قديمًا على الربطِ بينَ أنواعِ العباداتِ ومفهومِ الخرافةِ[1]، فالخرافةُ إذن تَعنِي عندَ مَن يعبدون غيرَ اللهِ تعَالَى (العِبادةَ)، وذلك مُبرزٌ لِإيمانِ هؤلاءِ بتعدُّدِ الآلهةِ.

وبالجمعِ بينَ المعنَيين يَظهرُ لَنا أنّ الشّاعرَ لَم يشَأ الحُكمَ عَلى فعلِهم بِالخُرافةِ مِن وجهةِ نظرِهم؛ لأنّهم عَلى يقينٍ بِأنَّ فعلَهم هذا مِما لَا ينطبقُ عليهِ هذا المفهومُ، بَل هو حكمٌ مِن طرفِه هو على فعلِهم بِأنّهُ مِن بابِ الخرافةِ والأساطير، ويُجلِّي لَنَا ذلكَ الإطارُ الذي يتمايزُ فيهِ رأيُ الفتّالِ عن رَأي مُعتنقِي هذه الديانَاتِ عن أنّ استعمالَهُ لهذه الكلمةِ مِن قبيلِ التوريةِ المُجرَّدةِ أيضًا.

وفي هذا الصددِ يقولُ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه واله وسلم) عن عائشة أم المؤمنين: حدَّثَ رَسولُ اللهِ نِساءَهُ ذاتَ لَيلةٍ حَديثًا، فقالتِ امرَأةٌ منهُنَّ: يا رَسولَ اللهِ، كأنّ الحَديثَ حَديثُ خُرافةَ. فقال: أتَدرينَ ما خُرافةُ؟ إنّ خُرافةَ كان رَجُلًا مِن عُذْرةَ، أسَرَتهُ الجِنُّ في الجاهليَّةِ، فمكَثَ فيهِنَّ دَهرًا طَويلًا، ثم رَدُّوهُ إلى الإنسِ، فكان يُحدِّثُ النّاسَ بما رأى فيهم مِنَ الأعاجيبِ، فقال النّاسُ: حَديثُ خُرافَةٍ!"[2]، فعبادةُ الجنِّ وإحداثِ أخبارٍ في شأنِهم مِمّا تَأوَّلَ فيه النّاسُ كثيرًا عَلى إثرِ بعضِ الحوادثِ الّتي لَها أصولٌ حقيقيةٌ، كالّتي رواها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، ما حملَ بعضَهم على اتّخاذِ الخرافةِ مثارًا لتعليقِ أوهامِهم عليَها، وذلكَ مِمّا يُقرّبُ به الفتّالُ رؤيتَهُ في هذا النصِّ.

---

[1]) ينظر: روبرت إيه سيجال، الخرافة (مقدمة قصيرة جدًا)، ترجمة: سعد طنطاوي، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2014 ، 55 .

2) شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ٢٥٢٤٤ • إسناده ضعيف • أخرجه أحمد (٢٥٢٤٤) واللفظ له، والترمذي في «الشمائل المحمدية» (٢٥٣)، وأبو يعلى (٤٤٤٢) .

- **التوريةُ المُرشَّحةُ:**

ومن معاييرِ الفتَّالِ في صياغةِ لغةِ خطابِه الشِّعريِّ استنادُه كذلكَ إلى التوريةِ المرشَّحةِ، وهي نوعٌ من التوريةِ تعرَّضُ فيهِ صاحبُ لذكرِ قرينةٍ تصرفُ التوريةَ عمَّا قد يُرادُ بها من المعاني القريبةِ، إلى المعنَى المرادِ البعيدِ، وذلك معنَى التَّرشيحِ فيها، فالمتكلِّم بها يستصحبُها بما يدلُّ على أنَّ المعنَى البعيدَ هو المرادَ، فلا يجدُ عناءً في بلوغِه، فـ"اقترانُ هذا النوعِ من التوريةِ بما يُلائمُ المعنى المُورَّى به"[1] هو موجبُ الحُكمِ بترشيحِها.

ومن إيراداتِ الفتّالِ لهذا النّوعِ مِن التّوريةِ قولُه في قصيدة (هدهدة العصفور) تيمُّنًا بمولدِ حفيدةٍ له، اسمُها زهراء زهير[2]: { البحر السريع }

حفيدَتي[3] يا بعضَ حُلمي الَّذي نشرتُه كرمًا علَى الدَّالِية

بِكِ ازدهَت آمالُ أيَّامِنا فأنتِ فينا (زهرةٌ) زاهيةْ

فَمن يَقفُ عَلَى اسمِ (زهرةَ) مِن قولِه السّابقِ، لَا يَكادُ يظنُّ أنّ القصدَ منعقدٌ عَلَى أنّهُ اسمٌ لَفتاةٍ يَتيمَّنُ الشّاعرُ بذكرِ اسمِهَا فِي نظمِه، بَل لَا يكادُ يشكُّ فِي أنَّ المعنيَّ بهذا الاسمِ الزّهرُ، وهو نوعٌ من النّباتِ، أو نَوْرُه أو مَا اتّسمَ بالصُّفرةِ مِنهُ[4]، ولكن ريثمَا يُمهلُ نفسَهُ لمكاشفةِ الحقيقةِ، ومُطالعةِ المعنَى الذي أرادَه الفتّالُ مِن هذا الاسمِ لَا يرتابُ في أنّهُ دلَّ بالاسمِ عَلى مسمًّى قريبٍ في الغايةِ، يَصلُ إليهِ كلُّ مَن قرأ النصَّ، وهو الزّهرُ النباتيُّ المعروفُ، غيرَ أنّهُ رغبَ في الإحالةِ بِهذا الاسمِ عَلى مسمًّى آخرَ سِوَى هذا النباتِ.

والذي يَدعو المَتلقّي إلَى الاشتباهِ في أنّ الفتّالَ أرادَ بهذا الاسمِ نوعَ النّباتِ العطريِّ المعروفِ، وصفُه للاسمِ بِقولِهِ: "فَأنتِ فِينَا زَهْرَةٌ زَاهِيةْ"، فالنّعتُ بـ(زَاهية) لَا يكونُ إلّا للزهرِ النباتيِّ، ولو لَم تَكن حفيدةُ الفتّالِ مُسمَّاةً بهذا الاسمِ، لَكَانَ وصفُها بِالزّهرةِ الزّاهيةِ مِن قبيلِ التشبيهِ المركَّبِ الضمنيِّ، وهو ما "احتملَ التشبيهَ من غيرِ صراحةٍ"[5]، أو تشبيه مؤكد واضح (شبه صراحة), ولكنّ إرادَة إطلاقِ الاسمِ عَلى مُسمَّاهُ الحقيقيِّ أخرجتْه مِن هذا

---

[1]) حسن إسماعيل عبد الرزاق، البلاغة الصافية (في المعاني، والبيان، والبديع)، 262 .

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 4/ 138.

[3]) وهنا ورد الترشيح في هذا البيت (حفيدتي).

[4]) النباتُ، ونَوْرُه، أو الأصفرُ منهُ، القاموس المحيط، (زهر) ، وشاعَ استعمالُ هذا الاسمِ على النباتِ ذِي الرائحةِ العطريةِ , 725.

[5]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (في المعاني، والبيان، والبديع)، 226 .

الوادي، لينحو منًحى آخرَ مِن البلاغةِ، ليصيرَ إلى ما لا بدَّ مِن مصيرِه إليهِ فِي المُحسّناتِ المعنويّةِ البديعيّةِ، وقد جاء الترشيحُ في هذه التوريةِ سابقًا على الاسمِ، ففي قولِ الفتَّالِ[1]: { بحر السريع }

أسمَيتُها – من فرطِ حُبّي- لها زهراءُ وهي وردةٌ قانيةْ

فحيثُ صرّحَ هُنا بِاسمِ حفيدتِه الذي أطلقَهُ عليهَا، تَيمُّنًا باسمِ السيدةِ الزّهراءِ (عليهَا السّلام)، تَرتفعُ شبهةِ كونِ الاسمِ للنّباتِ المعروفِ، وتثبيتُ التّوريةُ بِ (زَهرةَ) عَن الفَتاةِ الّتي تحدَّثَ عنهَا الاديب الفتّالُ في هذا البيتِ, وقد ذكر كلمة حفيدتي في البيت السابق من باب الترشيح .

ومن إعمالِه لهذا النوعِ مِن التوريةِ، قولُه من قصيدتِه التي عنونَ لها بِسرابِ الهوَى[2]:{ بحر الخفيف }

أنَا أمضيتُ في الهوَى شطرَ عُمري ثُمَّ أعلنتُ للإلَه متابي

فَسَرابُ الهَوَى يظلُّ سرابًا ويحَهُ من مُخادعٍ قد سَرى بي

ففي وصفِه لحالتِه التي كَانَ عليهَا والتّي تنصَّلَ منهَا بعدَ أن أدركَه الكمالُ العقليُّ بعدَ فواتِ زمنِ الشّبابِ، نجد استعارات واضحة يَتعرّضُ بها لإبرازِ وجهِ التمايزِ بينَ الحالينِ، مِن خلالِ اتّهامِه للهّوى بِأنّهُ من السّرابِ الذي مَا إن تَابعَه الإنسانُ العاقلُ عَلى مَا يُريدُ لجَرَفه إلَى الضياع وَأهدرَ ما بقيَ مِن عمرِه وحياتِه، وفي حديثِه عَن حالةِ الاستقرارِ النفسيّ والوجدانيّ الذي وصلَ إليهَا، يُعلنُ ثورتَهُ عَلى الهوَى بِرجوعِه إلى اللهِ تعالَى، مُضمّنًا تلكَ المعانِي دلالةً غامضةً تُسفرُ قرينةُ المقالِ عنَهَا، فَإعلانُه توبتَه إلى اللهِ تعالَى مِن الهوَى، دليلٌ عَلى أنّهُ يعدُّ الحبَّ مِمّا يُوقعُ في خطيئةً تستحقُّ التوبةَ والبراءةَ مِنهَا إلى الله.

وعن طريق المُشاكلةِ اللفظيةِ بينَ قولِه: "فَسَرابُ" وقولِهِ: "سَربًا" وقولِه: "سَرَ بِي" يُوقّعُ ذلكَ النّغمَ الموسيقيَّ العذبَ عَلى وتيرةٍ واحدةٍ تَستمدُّ طاقتَها الإيقاعيةَ مِن الحروفِ المتشاكلةِ للكلماتِ الثّلاثةِ، مَا يخلقُ في نفسِ المُتلقّي بِه دَافعيةَ استقبالِ النصّ ومُحاولةَ تفسيرِ رُؤى الفّتالِ التّي عرضَت لهُ فيه، إلَى أن يَستقرَّ المتلقّي عَلى هذا الفارقِ في الرسمِ الخطيّ بينَ كلمةِ (سَرابًا) مِن نِهايةِ الشّطرِ الأوَّلِ، وكلمةِ (سَرَى بِي) مِن نِهايةِ الشّطرِ الثّاني، فَيتنبّهُ لِأنَّ

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 4/ 137.

[2]) المصدر نفسه، 79/3 .

مَعنًى مُخالفًا دخلَ هذه الكلمةَ الثّانيةَ لَم يَكن الفتَّالُ يَعني بِه السّرابَ الذي يَترَاءَى للظّمآنِ في الأرضِ القفرِ، بِل إنّ الكلمةَ تعنِي معنًى أبعدَ مِن ذلكَ دلَّ عَليهِ الشّاعرُ بِهذا التّشاكلِ اللفظيّ بينَ الكَلمتَينِ، وَإن كَانتِ الثّانيةُ الّتي هي (سَرى بِي) منِ وادٍ آخَرَ في الاسشتقاقِ، إلّا أنّها تُحيلُ عَلى المَعنَى نَفسهِ الذي يُمكنُ فهمُه مِن كلمةِ (سَرابًا) ولكن مَعَ مظنَّةِ أنَّ الفتَّالَ ينسبُ بِضمير الملكيةِ فِي (سَرَى بِي) إلَى نفسِه السّرابِ.

وهذا الذي صَاغَهُ الفتّالُ هُنا مِن هَاتينِ الكَلمتَينِ (سَرابًا) و(سَرَى بِي) هو جوهرُ الصورةِ البديعيةِ فِي البيتِ، فَفي كَلمةِ (سَرى بي) الواقعةِ ضربًا في الشطرِ الثانِي مِن البيتِ توريةٌ مَرشَّحةٌ، وذلكَ لِأنَّ الفتَّالَ أطلقَهَا عَلى معنًى وظنَّ السّامعُ -الذي لَم يُعاين طَريقةَ رسمِها الخطيِّ في الكتابةِ- أنّه ينسبُ بِها السّرابَ لنفسِه بعدَ مَحاولتِه البراءةَ منهُ وإعلانَ التوبةِ إلى اللهِ من آثارِه التي جَنت عليهِ في زمنِ شَبابِه.

- **المَطلَبُ الثّالِثُ: حُسنُ التَّقسِيمِ:**

وإنَّ مما يُضفي على جوهرِ النظمِ شيئًا من الرونقِ وقوةِ التأثيرِ في النفوسِ، ما يُطلقُ عليهِ البلاغيون في علمِ البديعِ مفهومَ حُسنِ التقسيمِ، ويعني: "استيفاءَ الشاعرِ لجميعِ أقسامِ المعنَى الذي هو آخذٌ فيه ، بحيثُ لا يُغادرُ منهُ شيئًا"[1]، وهو على حدِّ تعبيرِ أبي هلالٍ: "إتيان الشاعرِ على جملةِ المعاني التي يأخذ فيها، دون أن يترك منها شيئًا يُسئلُ عنه"[2]، وإنَّ دراسةَ البيتِ الشعريِّ عن طريقِ هذه الصفةِ البديعيةِ، تجعلُ منه وحدةً واحدةً مستقلةً بذاتِها، لا يُداخلُها شيءٌ غريبٌ عنها، وذلك أتمُّ للمعنَى وأوفَى للغرضِ الذي يضعُ الشاعرُ له البيتَ، ومن ثمَّ قسَّم النقادُ القُدامى "الشعرَ إلى أنواعٍ يتمُّ التفاضلُ بينَها بحسبِ استقلالِ شطرِ البيتِ بمعنى هُو إفادتِه دلالةً كاملةً لا تحتاجُ إلى الشطرِ الثاني لإتمامِها"[3]، وسنقف في شِعرِ الفتّالِ على بعضِ مَا يُبرزُ قيمةَ توظيفِه لحُسنِ التقسيمِ، ومَا قد يَحمله على استعمالِه مِن المعانِي الّتي لا يتوصَّلُ إليهَا إلّا بِهِ فِي التّالِي.

ومِن أمثلةِ مَا ساقَه الفتّالُ مستوفيًا المعانِي الّتي يَرغبُ في استقصائِها والوقوفِ عليهَا جميعًا في آنٍ واحدٍ، قولُه مُخاطبًا روحَ الشاعرِ التي بداخِلِه، مستنهضًا لها في قصيدة (الشاعر)[4]:{ بحر البسيط }

سِـر فـي طريقِـكَ حُـرًّا، وانطلِـقْ خَبَـا وكُـن ضُـبًا لجيـوشِ الجهـلِ، كُـن ذِربَـا

حيثُ يظهر لنا في هذا البيت ولعُ الفتالِ بتقسيمِ البيتِ إلى عددٍ من المقاطعِ الصوتيةِ الداخليةِ، التي عدَّها بعضُ الباحثينَ قوافي داخليةً يتضمَّنُها البيتُ، ولكنَّها لا تجري مجرى القافيةِ الخارجيةِ التي تُقامُ في القصيدة كلِها على رويٍّ واحدٍ[5]، فبمحاولةِ قراءةِ البيتِ للمرةِ الثانيةِ بأناةٍ ورويّةٍ سندركُ أنَّ الفتّالَ قسّمَ هذا البيتِ إلى مجموعةٍ من الوحداتِ الصوتيةِ الصغرَى التّي ضمَّتْها وحدةٌ صوتيةٌ أكبرُ منها، وهي البيتُ الشّعريُّ، فقابلَ في الشّطرِ الثّانِي

---

[1]) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق: علي فودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1994م ، 224.

[2]) أبو هلال العسكري، الصناعتان الشعر والنثر، 314 .

[3]) محمود عبد المعطي، موسيقا الشعر (النظرية وآفاق التطبيق)، 480 .

[4]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 8/3 .

[5]) ينظر: حسني عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي(دراسة فنية وعروضية) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1989م ، 169/1 .

تَفعيلاتِ: كُن ضُبًا، بِقولِهِ مِن آخرِهِ: كُن ذربًا، كما قرَنَ بينَ: سِرْ فِي طريقِك حُرًّا، مِن أوَّلِ الشطرِ الأوّلِ، و: كُن ضُبًا لجُيُوشِ الجَهلِ، مِن أوَّلِ الشّطرِ الثاني.

ذلِكَ إلى جانبِ تَقسيمِه للمعانِي التي أرادَ رسمَ لوحتِه الشّعريةِ منهَا جميعًا، فهو يَأمرُ نفسَهُ بِالسيرِ حُرًّا، مِمّا يرتّبُ على ذلكَ قدرتُه على الخببِ وهو ضربٌ من السيرِ السريعِ ، ولا يَقدرُ على الخببِ إلّا حرٌ، إذ لو كانَ يرزحُ في قيدٍ لمَا تسنَّى له أن يَسيرَ مسرعًا، ولأنّه حرٌّ يُمكنُه إتيانُ الفعلِ الذي لا يقدرُ عليهِ غيرُه مِن المقيَّدينَ بِأيّ قيدٍ حسّيٍّ أو معنويٍّ، مَا يلزمُ منهُ أن يَقفَ في مواجهةِ جيوشِ الجهلِ الّتي تُناوئُ الثقافةَ والعلمَ، وأن يكونَ حادًّا معَهم ليتيسَّر له ردعُهم عمَّا يُريدونَ إحداثَه، فلم يكن ليكتفِي بذلكَ الإيقاعِ الذي تُنتِجُه التفعيلاتُ المُتساويةُ بينَ الجملِ المكوّنةِ لهذا البيتِ، نتيجةَ حُسنِ تقسيمِ الشاعرِ لهَا، بَل جعلَ مِن حُسنِ تقسيمِه للجُملِ مرجعًا لتقسيمِ المعانِي التّي أرادَ أن يُقرَّهَا في ذِهنِ المتلقِّي، بِحيثُ يقفُ عندَها مستوفيًا لأجزاءِ الكلامِ عن طريقها دونَ حاجةٍ إلَى مَا يُكمِّلُ بهِ مفهومَه.

ومن مذهبِ الفتَّالِ في حسنِ التقسيمِ، اتّخاذُه من نمطِ التَّرصيعِ –وهو لونٌ من ألوانِ التقسيمِ، تُقطَّع فيه الأجزاءُ مسجوعةً كانت أو شبيهةً بالمسجوعةِ[1]- سبيلًا لإثراءِ البيتِ بشحنةٍ إيقاعيةٍ ثرَّةٍ، يغزو من خلالِها أحاسيسَ المخاطبِ، ويوقعُ في نفسِه الشغفَ بالمعنَى المرادِ من البيتِ، ومن ذلكَ قولُ الشَّاعرِ من (مذهبي)[2]: { بحر الخفيف }

ذَبُلـــتْ زَهرتـــي وجـــفَّ رَحيقـــي وَبـــدَا كاسِـــفًا سَـــناءُ شُـــروقِ!

وما ذلك لأنَّ الفتَّالَ أراد وحسب أن يُشكِّلَ بهذا التقسيمِ الجمليّ الذي أنتج في البيتِ عددًا من اللوحاتِ الوسيقيةِ ذات التشكيلِ الإيقاعيّ المتنغامِ وحسبُ، بل لأنَّه أرادَ توطينَ المتلقِّي على أنَّ جهةَ الخطابِ تلقَى من الأسَى وتشعرُ من الحزنِ ما دفعَ به إلى التعبيرِ عنهُ بهذه النغمات التي تمتدُّ تأثيراتُها إلى أعمقِ مكان في القلبِ، فتحيلّه إلى ما يجعلُه يشعرُ بمدَى ما أصابَ الشَّاعرَ من هذا الحزنِ، وذلك نتيجةَ الدفقِ الموسيقيّ المتتابعِ عليهِ من "عمليةِ

[1]) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، 190 .

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 3/ 17 .

التناغمِ الصوتيّ لمقاطعِ الأبياتِ"[1], (ذبلت زهرتي) ازدواج تركيبي أيضا وهو يسهم في البناء الموسيقي للخطاب.

ونظيرُ ذلكَ، ما قالَه الفتّالُ في المسكينةِ التّي لَا تملكُ من متاعِ الحياةِ ما تَدفعُ به الفقرَ والجوعَ عن أولادِها، وهي لَم تكن ساعتئذٍ تملك فوقَ الخمسينَ دينارًا باليةً لا تجدُ لها مصرفً فوصفها في(التصريفة) قائلا [2]: { بحر الكامل }

جَاءَت مُلفَّعةً بِسملِ عَباءةٍ وَتجَرُّ – حَيرَى – خَلْفَهَا أوْلَادَهَا
مَشدوهَةَ العَينَينِ ذَابِلَةَ اللَّمَى تَهْذِي وَتَلْعَنُ تَارةً أجْدَادَهَا

فحينَ تطرَّقَ الفتّالُ إلى وصف تلكَ المرأةِ المسكينةِ ، وهي مِن الصّفاتِ التي تَجمعُ تحتَها صفاتٍ فرعيةً أخرَى، فالفقرُ مِمّا يستدعِي الحيرةَ في العين، والذبولَ في الجسمِ، والهذيان في العقل، واستحضارِ اللعناتِ للأقربين والأبعدينَ؛ وذلك نتيجةَ ما يشعرُ به الفقيرُ من الأسَى والحزنِ، أتَى على كلِّ تلكَ الصّفاتِ تحتَ بابِ حسنِ التقسيمِ، فجعلَ البيتَ الثّاني مِن هذين البيتين محضرًا لهذه الصفاتِ جميعًا، عن طريق تقسيمِه له عَلى أقسامٍ متساويةٍ في الإيقاعِ، وفي المعانِي.

ففي إشارتِه إلَى الحالةِ التي كانت عليهَا هذه المرأةِ وهي تَحاولُ تصريفَ الدنانيرَ لدَى أيٍّ من الباعةِ؛ لتطعمَ أولادَها الصغارَ الذين تجرُّهم خلفَهَا، يعرضُ لإظهارِ هذه الحالةِ في صورةِ مقاطعَ صوتيةٍ منغمّةٍ، يَنتجُ عنها تقسمةُ الحالةِ إلى معانٍ ليسَ بعدَها مَا يُمكنُ وصفُ الفقيرِ بِه، فَـ(مشدوهةُ العينَينِ، وذابلةُ اللمى، تَهذي، وتلعَنُ)، أربعُ صفاتٍ حصرًا على الفقيرِ، وما دونهنَّ قد يشعرُ به غيرُ الفقيرِ، إلّا أنّها غالباً لا تجتمعُ في شخصٍ إلّا الفقيرَ، وبذلك يكونُ الفتّالُ قدَ وصفَ الحالةَ وصفَ طبيبٍ مُشخِّصٍ لمرَضٍ، فهو هنا أثرَى الخطابَ بالإيقاعِ الذي نجحَ في إنتاجِه بِتقسيمِ البيتِ إلى عددٍ من الجملِ المتناسقةِ، وبالمعنَى الذي أتَى عليهِ جميعًا بِهذه العباراتِ التي استقصت أكبرَ عددٍ مُمكنٍ من التّقاسيمِ الخاصّةِ بهذا المعنَى.

وقد أولَى الفتّالُ حُسنَ التّقسيمَ بعضَ عنايةٍ، فأجرَى كثيرًا من نظمِه عَليهِ، بغرضِ الاستهداءِ إلى أنَّ المعانِي التّي يرومُ إثباتَهَا مجموعةً تحتَه، ومِن عنايتِه بِه والتفاتاتِه إليهِ،

[1]) جابر عصفور، مفهوم الشعر(دراسة في التراث النقدي) ، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1995 ، 66.

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 90/3 .

قولُه، مستغيثًا بالإمامِ الحسينِ (عليهِ السّلامُ) وكانَ قدَ تعرّضَ للمساءلةِ مِن دائرةِ أمنِ كربلاء فقال في قصيدة (الجرح المنتصر) [1]: { بحر المتقارب }

فَفِيـــكَ الشُّـــموخُ، وَفِيـــكَ الإبـــاءُ وَفِيـــكَ الشّـــجاعةُ لَـــم تَرعُـــدِ

فوفقًا لِحَدِّ قُدامةَ ابنِ جعفرٍ للتّقسيمِ المُسمَّى تَرصيعًا[2]، يقوم الفتالُ باستيفاءِ الغايةِ من المقصدِ، بتقسيم هذا البيتِ – وهو في إطارِ الندبِ والتحسُّر – على أقسامٍ ثلاثةٍ، وأقلُّ ما يكونُ عليه التقسيمُ قسمانِ[3]، إذ إنّه يَسعَى إلى إثباتِ صَفاتِ الكمالِ البشريّ للإمامِ الحسينِ (عليه السّلامُ) ونفيُ ما عدَاها عنهُ مماّ قد يَعتري غيرَه من البَشرِ مِن نعوتِ النقصِ، فهو منزَّهٌ عن ذلكَ؛ لقرابتِه مِن النبيّ الأعظمِ (صلَّى اللهُ عليهِ واله وسلّم)، ولمكانتِه بينَ آلِ البيتِ جميعًا، ومعَ اشتمالِه بالكثيرِ مِن الخصالِ والمحامدِ التي يُمكنُ الوقوفُ عندَها في ذلكَ الجانبِ، يُمكنُ القولُ أيضًا بأنَّ الشّاعرَ استوفَى أكبرَ قدرٍ منهَا تصريحًا وتضمينًا بِهذا التّقسيمِ.

غيرَ أنّ شيئًا يجبُ التلويحُ به، والإلماحُ إليهِ، ذلِكَ أنَّ الكمالَ الذي أرادَ أن يُثبتَه الفتّالُ للإمامِ الحُسينِ(عليه السلام)، فَي معرضِ القوّةِ والشّجاعةِ، فهو يَمدحُه هُنا باستِبسالِه في وقتِ الحاجةِ إلى ذلكَ، فأسبغَ عليهِ من صَفاتِ القوّةِ مَا ليسَ وراءَه وصفٌ، فقسَّمَ البيتَ إلَى مقاطَعَ، كلُّ مقطعٍ منهَا يحملُ دلالةً خاصّةً قد تتوافَّرُ تلك الدلالةُ في شخصٍ ما، ولكنّ اجتماعَها جميعًا في شخصٍ، لَا يكونُ ما لَم يحظَ بمَا حظي به الحسينُ(عليه السلام) مِن خصوصيةِ القربِ من النبيّ واتصالِ نسبِه بِه، وحرصِه (صلَّى اللهُ عليه واله وسلم) عَلى تولّي رعايتِه وتربيتِه وتغذيتِه صغيرًا بنفسِه.

فكان مِن ملامِح ذلك التقسيمِ، أن نَسبَ إليهِ الشموخَ والإباء والشّجاعةَ وعدمَ الخوفِ، فكأنَّه جسدٌ روحَه هذه الصّفاتُ، امتزجَ بعضُها ببعضٍ لَيخلصَ المتلقّي إلَى أنَّ الحُسينَ (عليهِ السّلام) كانَ ممثِّلًا لكلّ تلك الأشياءِ، فما إن ذُكرت مجموعة حضرَ عندَ مَن ذُكرِت عندَه شخصُ الإمامِ الحسينِ(عليهِ السّلام) ، ومِن ثمَّ يُمكنُ الحكمُ عَلى هذا النّوعِ مِن التّقسيمِ بِأنَ لهُ

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 33/5 .

[2]) ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محمد بن علي الجيلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط1، 2010 ، 275/1.

[3]) وذلك ما قضى به العقلُ، إذ لا يسوغُ أن تدخلُ الأقسامُ ما هو أقلُّ من قسمين، والنقلُ، وقد أشارَ إليه صاحبُ العمدةِ ابنُ رشيقٍ، 1/ 271 .

في نَفسِ المُتلقّي مِن القدرةِ التبليغيّةِ مَا ليسَ لغيره مِن ألوانِ البديعِ، فبهِ تقومُ الحجَّةُ على مَن مِن شَأنِه التّعدّي بِالقولِ عَلى شخصِ الإمامِ، أو التنكُّرِ لِمحبّةِ مُحبّيهِ، ولعلّهُ يقصدُ بذلكَ أنّهُ (عليه السّلامُ) بِمَا تمثَّلَ فيهِ مِن أقسامِ الشّجاعةِ والقوةِ ومعالمِ البسالةِ، يَستطيعُ تخليصَهُ مِن قبضةِ دائرةِ أمنِ كربلاء.

ومما استوفَى فيهِ الفتّالُ أقسامَ المعنَى، فَلم يُبقِ على قِسمٍ منهَا، إلّا وقدَ أتى عليهِ، نظمُه الذي عرضَ لاسترفادِ مادّتِه مِن الذكرَى، حينَ أجمعَ أمرَه على إعادةِ الماضي عَلى مسامِع حبيبتِه، مذكّرًا لَها بِمَا كانَ بينَهما، مِن قولِه (هل تذكرين ؟)[1]: { بحر الكامل }

هَل تذكُرينَ تَحِيَّتِي وسَلَامِي وَتضرُّعِي وتوسُّلِي وهُيامِي؟!

فالحُبُّ وَإن تَكاثَرت ملامحُ الدلالةِ عليهِ، تَبقَ تلكَ الأقسامُ خاصَّةً مُظهرةً لِحقيقةِ شعورِ المُحبِّ بِه في حَالتَي القربِ والبُعدِ، فالمُحبُّ يدورُ معَ هذه الأقسامِ كيفما دارت، فالتّحيةُ والسلامُ مِن علاماتِ الوصلِ والقربِ، والتّضرُّعُ والتوسُّلُ والهيامُ مِن ملازماتِ العاشقِ عندَ النّأي والافتراقِ، وقدَ أتى الفتّالُ عَلى هذه الأقسامِ؛ تبيانًا لأنَّ علاقَته بِمحبوبتِه دارت في فَلَكِ العلاقاتِ الطبيعيةِ بينَ العاشِقِينَ، فتارةً تهدأ روحُه وتستقرُّ نفسُه؛ لوصلِ محبوبتِه لهُ، وأُخرَى تَضطربُ فيأخذُ منهُ الوجدُ كلَّ مأخذٍ بِسببِ بُعدِها عنهُ.

وقد عوّل في سردِ خِطابِه الشّعريّ المُفصحِ عَن مدَى تشوُّقِه وعتابِه عَلى محبوبتِه في آنٍ واحدٍ، عَلى الاستعادةِ والتذكُّرِ، فتوزيعُه للمعنَى علَى أقسامٍ استقلَّ كلُّ قِسمٍ منها بنغمةٍ وإيقاعٍ يختلفُ عن سَائرِها نتيجةٌ طبيعةٌ عن شعورِه بِالاضطرابِ والحيرةِ التي تسبَّبَ لهُ فيهَا تغيُّرُ محبوبتِه عليهِ، وانتقالُها مِن حالِ الوصلِ إلى حالِ القطيعةِ، ولعلَّ في تداعياتِ تلك الحالةِ ما يُشيرُ إلى هذا التردّي الملحوظِ في حالةِ الشّاعرِ النّفسيةِ والوجدانية، حيثُ احتملت الصورةُ البديعيةُ في هذا الخطابِ ما يدلُّ عليهِ؛ بِمَا شكَّله لَهُ اتّصالُها بِه تارةً وانفاصلُها عنهُ أخرى مِن خللٍ يرمي بِه في تنُّور الحيرةِ وانعدامِ التوازنِ الفكريّ، وفَقْدِ القدرةِ على تفسيرِ أسـبابِه.

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 28/1 .

الفصل الثاني

مرجعية الصُّوَرُ البَيانِيَّةُ في شِعرِ الفَتَّالِ

إطَارٌ نَظَرِيٌّ

إنَّ عِلمَ البيانِ مِن علومِ البلاغةِ العربيةِ الّتي تعتمدُ فِي إبرازِ الصُّورةِ عبرَ طرائقٍ متباينُة فيما بينَها بحسَبِ الحاجةِ الدَّاعيةِ إليها، ومُقتضَى الدلالةِ، وإنَّ لهذا العلمِ من المكانةِ بينَ علومِ البلاغةِ ما جعلَ الإمامَ عبدَ القاهرِ الجُرجانيَّ يقولُ: "ثُمَّ إنَّك لا ترَى علمًا أرسخَ أصلًا، وأبْسقَ فرعًا، وأحلَى جنًى، وأعذبَ وردًا، وأكرمَ نتاجًا، وأنورَ سِراجًا مِن علمِ البيانِ"[1]، وفي جُملةِ المَسألةِ، يُمكنُ القولُ بِأنَّ حُكمَ عبدِ القاهرِ عَلى البيانِ بِهذا الكلامِ مِمّا يَستوجبُ الوقوفَ عندَ هذا العِلمِ وفروعِه لدَى تَحليلِ النصوصِ الأدبيّةِ على وفق ما جاءَ بِهِ مِن ضَوابطِ تَحكمُ الصُّورةَ وَتُفضِي إلَى مدلولٍ مَا أرادَ المُبدعُ بلوغَه عن طريقها، وَإفهامَه لمُخاطبِهِ.

ويَأتي علمُ البيانِ في الرُّتبةِ الثّانيةِ بلاغيًّا، بعدَ علمِ المعاني، وكان لهُ السبقُ والتقدُّمُ على كلِّ من عِلمَي البيانِ والبديعِ؛ لِأنَّهُ منهما كالأصلِ للفرعِ، قالَ الطيبي: عِلمُ المعانِي يَبحثُ عمَا يُعرفُ منهُ كيفيةُ تأديةِ المعنَى باللفظِ...، فَنِسبةُ عِلمِ المَعاني إلى عِلمِ البيانِ، نِسبةُ الفردِ إلى المُركَّبِ"[2]، فأنزلَه البيانَ من المعاني منزلةَ الجزءِ من الكُلِّ، لمَا في علمِ المعاني من الارتكازِ على الضّوابطِ النحويةِ، التي هي أصلٌ في معرفةِ المعنَى، ثمّ يأتي علمُ البيانِ مُراعيًا لمُقتضَى الحالِ، بعدَ تمامِ المعنَى بالتّقعيدِ.

- عِلْمُ البيانِ في اللُّغةِ:

والبيانُ في اللُّغةِ مِن الفِعلِ (أبَانَ) وَمعناهُ الظُّهورُ بعدَ خفاءٍ، والوضوحُ والجَلاءُ بعدَ فقد الحُجَّةِ الّتي بِهَا يُكتَبُ لَهُ بِهَا الإسفارُ عن المعانِي الكامنةِ في أعماقِ الكلامِ، وفي ذلكَ المعنَى يقولُ الرَّاغبُ الأصفهانيُّ: "والبَيّنَةُ: الدلالةُ الواضحةُ، عقليَّةً كانتْ أو محسُوسةً...، والبيانُ: الكَشفُ عن الشيءِ...، وسُمِّيَ الكلامُ بيانًا؛ لكشفِه عن المعنَى المقصودِ إظهارُه"[3]، وقد تضمَّن كلامُ الرّاغبِ هذا مَا تضمَّنَهُ المَعنَى الحرفيُّ المَقصودُ بِمَا لِعلمِ البَيانِ مِن الكَشفِ عَن مُبهماتِ المَعانِي فِي كلامِ المُتكلِّمِ.

---

[1]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق وشرح: الشيخ محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2000، 5 .

[2]) الشيخ بهاء الدين السبكي، عروس الأفراحِ في شرحِ تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، 96/1.

[3]) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: مصطفى العدوي، مكتبة فياض، القاهرة، مصر، ط1، 2009، 105 .

وجاءَ في تعريفه ايضاً أنَّ "البيانَ عبارةٌ عن إظهارِ المتكلمِ المرادَ للسامعِ"[1]، وقيلَ فيه كذلك: "هو النطقُ الفصيحُ المُعربُ – أي المُظهرُ – عمَّا في الضَّميرِ"[2]، و معناه اللغوي : "الإبانةُ: الإفصاحُ"[3]، وإنّ للمفهومِ الاصطلاحيّ صلةً وثيقةً بهذه المعاني اللغويةِ على ما سيظهرُ في التالي:

والبيانُ عَلى ضَربينِ، أفاضَ في ذِكرِهما الرَّاغبُ في مفرداتِ القُرآن:

الأوَّلُ: بالتَّسخيرِ، وهو الأشياءُ التي تدلُّ على حالٍ من الأحوالِ من آثارِ الصَّنعةِ

الثَّاني: بالاختيارِ، وذلكَ إمَّا أن يكونَ نُطقًا، أو كتابةً، أو إشارةً، والثّانِي هو مَا عليهِ مَدارُ بلاغةِ الكلامِ في العربيّةِ، وهو مَا سيتبَّعُ فِي المظانّ مِن أبياتِ الفتّالِ؛ لِبيانِ قيمتِه البلاغيّةِ والدلاليّةِ الّتي صَرفَ بِهَا الفتَّالُ مُتلقِّيهِ مِن خلالِ الصُورِ البيانيّةِ إلَى مُرادِهِ مِن توظيفِهَا[4].

عِلمُ البَيانِ في الاصطِلاحِ البَلَاغيّ

وقد عرَّفَ البَلاغيُّونَ عِلمَ البيَانِ بِأنَّه: "علمٌ يُعرفُ بهِ إيرادُ المعنَى الواحدِ بِطُرقٍ مُختلفةٍ في وضوحِ الدلالةِ عليهِ"[5]، والمقصودُ بقولِهم (علم) الملكة التي بها يقتدرُ المتكلِّمُ على تصريفِ الكلامِ في وجوهٍ مختلفةٍ، ومعنَى إيرادِ المعنَى الواحدِ بطُرقٍ مختلفةٍ في الوضوحِ: أن يُعَبَّرَ عنه بجُملةٍ من التراكيبِ بعضُها أوضحُ دلالةً عليهِ من بعضٍ"[6]، وذلِكَ يَعنِي أنَّ للمُتكلِّمِ الخَيرةَ في أن يَسُوقَ المعنَى الواحدَ كالكَرَمِ – مثَلًا- عَلَى وجوهٍ مُختلَفةٍ مِن التّعبيرِ، فَتارةً يُوظِّفُ في سَبرِ أغوارِه الكِنايةَ، وأُخرَى يَستعملُ التّشبيهَ، وثالَثةً يذهبُ بِه فِي مذهبِ الاستِعارةِ، إلَى غيرِ ذلِكَ مِمّا يعملُ عَلَى إخراجِ مَعناهُ عبرَهُ مخرجًا يَلِذُّ في السّمعِ.

---

[1]) علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: عادل أنور خضر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2013 ، 48.

[2]) المصدر نفسُه، 49 .

3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 1506 .

[4]) ينظر: المرجع نفسه، 105.

5) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 235.

6) المرجع نفسه،15 .

وقد جاءَ في تعريفِه أيضًا أنّه: "عِلمٌ يُعرفُ بهِ إيرادُ المعنَى الواحدِ بطُرق مختلفةٍ، في وضوحِ الدلالةِ عليه"[1]، وعرّفه بعضُهم بعبارة اخرى، فقالَ: "علمُ البيانِ هو العِلمُ الذي يُعرفُ بِهِ إيرادُ المعنَى الواحدِ بِطُرقٍ مُختلفةٍ بالزّيادةِ في وضوحِ الدلالةِ، وبِالنُقصانِ؛ ليُحترزَ بذلك عن الخطأِ في مُطابقةِ الكلامِ لِتمامِ المُرادِ منهُ"[2]، وقد قطعَ صاحبُ جوهرِ الكنزِ بأنَّ ما وضعَه العلماءُ لعلمِ البيانِ من التّعريفاتِ ليسَ حدًّا يُمكنُ التعويلُ عليهِ؛ لصعوبةِ ذلِكَ، فهو إنّما يُعرفُ من بِموضُوعِه ورسمِه[3]، وليسَ وحدَه من ذهبَ في هذا المذهبِ، بل إنَّ عدداً من البلاغيينَ قالوا به كذلِكَ ، وعليهِ فإنَّ ما حَدَّه البيانيُّونَ لِهذا العلمِ مِن الحدودِ ليست حدًّا، بل هي بيانٌ لموضوعِه ورسمِه الذي به يُعرفُ، ويدلُّنا على ذلك الاختلافِ كلامُ صاحبِ كنزِ الجوهرِ.

وفِي هذا العِلمِ عددٌ مِن الفَروعِ الّتي يَتضمَّنُها، والّتي يلجأُ المُتكلِّمُ إلَى اختيارِ الأنسبِ مِنهَا؛ لِلتّعبيرِ عَن مُرادِهِ والإفصاحِ عَن خطِرَاتِ نَفسِهِ، وذلك ما سيتولَّى الباحثُ بيانَه عن طريق عددٍ مِن النّماذجِ المُنتقاةِ مِن شِعرِ عليّ الفتّال، يرسم الشاعر صورة جميلة باستخدام الكلمات والأدوات الفنون البلاغية ؛ كما يرسم الفنان التشكيلي لوحته باستخدام الالوان, و بموجباتِ دلالةِ الفنونِ البيانيّةِ وما تُحيلُ عليهِ من معانٍ، في مباحثَ فرعيَّةٍ، يُشكِّلُ كلٌّ مبحثٍ مِنهَا نَوعًا مِن أنواعِ عِلْمِ البَيانِ : (التَّشبيهاتُ , الاستعاراتُ, الكِناياتُ, المجازُ المُرسلُ)

---

[1]) التفتازاني ، المطول في شرح التلخيص ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 506.

[2]) ابن الناظم بدر الدين ابن مالك، المصباحُ في المعاني والبيانِ والبديع، تحقيق: د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، بدون سنة نشر، 103.

[3]) ينظر: نجم الدين أحمد ابن إسماعيل بن الأثير الحلبي، جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدواتِ ذوي اليراعة) ، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 2009، 46.

المبحَثُ الأوَّلُ

التَّشبيهاتُ

كثُرتِ التّشبيهاتُ في النّثرِ ليسَ ككثرتِها في الشعرِ، ذلك لأنَّ الشعرَ بابُه الخيالُ، وأكثرُ ما يقعُ نقلُ الصورةِ للمخاطبِ مِن طريقِ التّشبيهِ والاستعارةِ، وقد أبرزَ القيمةَ الكبيرةَ للمجازِ التشبيهيّ والاستعاريّ الإمامُ عبد القاهر الجرجانيُّ، بقولِه: "وأنَّ المجازَ أبدًا أبلغُ من الحقيقةِ، إلَّا أنَّ ذلك وإن كان معلومًا على الجملةِ، فإنَّ لا تطمئنُّ نفسُ العاقلِ في كلِّ يطلبُ العلمَ بهِ حتَّى يبلغَ فيهِ غايتَه"[1]، ومن ثمَّ فإنّ الوصولَ إلى الغرضِ المنشودِ بالتّشبيهِ بأيٍّ من أنواعِه، أبلغُ في أداءِ المقصدِ من الوصولِ إليهِ بالحقيقةِ اللغويةِ، وسنقفُ على جملةٍ من تلك الدلالاتِ البلاغيةِ عندَ تحليلِ النماذجِ المُنتقاةِ لهذا المبحثِ.

التّشبيهُ لُغةً:

ويعنَي التّشبيهُ في اللُّغةِ "التّمثيلُ"[2]، ويعني أيضًا: "الدلالةَ على مشاركةِ أمرٍ بآخرَ في معنًى، فالأمرُ الأوَّلُ المشبه، والثاني المشبه به، وذلك المعنى هو وجه الشبه"[3]، ويظهرُ من هذا التعريفِ أنَّ صاحبَ التعريفاتِ لم يقف على مجردِ إيرادِ التعريفِ اللغويّ مكتفيًا به، بل خلطَ بينَ التعريفِ اللغويّ، والاصطلاحيّ للتشبيهِ، فأوردَ إلى جانبِ التعريفِ الموضوعَ، والأركانَ التي يقومُ عليها التشبيهُ، وقالَ فيهِ الكفويُّ في تعريفِه اللغويّ: "التَّشبيهُ في اللُّغةِ: التمثيلُ مُطلقًا"[4]، ويعني بقولِه: "مطلقًا" أي بلا قيدٍ، فالقيدُ هو الوضعُ الاصطلاحيُّ لعلماءِ البيانِ، ولذا يقولُ: والتشبيهُ الاصطلاحيُّ الذي يُبتنَى عليه الاستعارةُ هو أخصُّ من مطلقِ التشبيهِ اللغويّ"[5], فالتشبيه هو المماثلة والمشابهة في اللفظ أو المعنى.

---

1) عبد القاهر الجرجاني, دلائلُ الإعجاز، تحقيق: الشيخ محمود محمد شاكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2000، 70.

2) ابن منظور، لسان العربِ، 167/5، (شبه)

3) الجرجاني ،التعريفات ، 57 .

4) أبو البقاء الكفوي , الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ، 229 .

5) المصدر نفسه، 229 .

التّشبيهُ اصطلاحًا:

والتشبيهُ في اصطلاحِ علماءِ البيانِ: "هو الدلالةُ على اشتراك شيئينِ في وصفٍ من أوصافِ الشيءِ في نفسِه، كالشجاعةِ في الأسدِ، والنُّورِ في الشمس"[1] وقد جمعَ هذا التعريفُ تحتَه أكثرُ ما يتضمَّنه التشبيهُ من ملامحَ بيانيةً، وقد عرَّفَه الكفويُّ في مُعجمِه، بقولِه: "هو الدلالةُ على اشتراكِ شيئينِ في وصفٍ من أوصافِ الشيءِ الواحدِ في نفسِه"[2]، ومن ثّم نُدركُ أنَّ للتشبيهِ المفهوميّ علاقةً وثيقةَ الاتِّصالِ بالتّشبيهِ البيانيّ, وقد عرفه السيد احمد الهاشمي في كتاب جواهر البلاغة :"فالتشبيه هو عقد مماثلة بين امرين أو اكثر قصدا شراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض المتكلم"[3].

وفي مجموعِ أعمالِ علي الفتّال جُملةً موفورةً من التّشبيهاتِ المُتنوّعةِ، وقد توسّع الفّتال في التشبيهاتِ؛ لسعةِ ديوانِه وكثرةِ نظمِه على امتدادِ أيّامِ عمره، كما ترجعُ كثرةِ صوره التّشبيهيةِ إلى إمعانِه في الجانبِ المجازيّ المُبرزِ للهيئات المخصوصةِ عقلًا أو المتوهَّمةِ في صورةٍ حيّةٍ، وذلك ما سيتناوله هذا الفصل.

أوَّلًا: التّشبيهُ المُفصلُ:

وهو التّشبيهُ الذي استوفَى أركانَه جميعًا (المُشبَّهَ – المُشبَّهَ بِه – وجهَ الشّبهِ – الأداة)، هو بالضرورة يستوفي الأركان , ومِن تلكَ النصوصِ التي أعملَ فيها الفتّالُ الصورةَ التشبيهيةَ تامّةَ الأركانِ، قولُه (الزهرة المسروقة) [4] (بحر الخفيف)

فَتَكامَلَتْ فيكِ الصّفاتُ وَلَم يَكُن عَبثًا عنَائي

وَغدَوتِ لِي فِي وحدَتِي كالإلْفِ خالصةَ الوفاءِ

ففي هذا النصِّ الذي يُخاطبُ فيهِ تلك الزهرةَ الّتي طالمَا اعتنَى بها، فغرسَها بيدِه ودوامَ على الإشرافِ عليها وسقايتِها حتّى كبِرت ونمت، وتحوَّلت مِن مجردِ زهرةٍ في مزهريةٍ إلى صديقٍ صادقِ الودِّ يبثُّه الشّاعرُ همومَه وشواغلَه، يَأتي بالصورةِ التشبيهيةِ المعبرةِ عن هذا

---

[1]) ابن عليّ الجرجاني , التعريفات، 57 .

[2]) الكفوي ،الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ، 229 .

[3]) السيد احمد الهاشمي , جواهر البلاغة , 247.

[4]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 77.

الغرضِ إجمالًا في نهايةِ القصيدةِ، مُتخلِّصًا بها تخلُّصًا حسنًا، مِن حيثُ استطاعَ بقولِه: "وَغَدوتِ لِي فِي وحدتِي..." الوصولَ إلى الغايةِ التي بنَى مِن أجلِها النظمَ من أوّلِ الأمرِ، وذلك مَا يُسمَّى في مفهومِ بلاغةِ البديعِ بِحُسنِ التخلُّصِ[1]، بعدَ أن برعَ في الاستهلالِ من قولِه[2]: (بحر الخفيف)

يَا زهرَتِي لَا تَيأَسي سَتَعودُ أيّامُ اللقاءِ

حيثُ دلَّ بهذا الخطابِ الموجزِ على أنَّ ثمَّ شيئًا غاليًا انتزِعَ منه، فأثَّر في نفسِه إلى الدرجةِ الّتي حفزّته على النّظمِ، فيلتقي لديهِ براعةُ الاستفتاحِ بقوةِ التخلُّصِ، ليتهيَّأ لهُ الأمرُ بعد ذلك لصياغةِ الصورةِ التّشبيهيةِ مُنتزعةً من صورٍ بلاغيةٍ مُتعددةٍ، ففي تلك الانزياحاتِ ما يعدّ بمنزلةِ التمهيدِ للتشبيهِ الذي يدعمُ به الشّاعرُ حقيقةَ العلاقةِ النفسيةِ التي ربطتُه بتلك الزهرةِ، والّتي لمَ يشعر بها شعورًا قويًّا إلّا بعدَ انتزاعِها منه، والتّشبيهُ واقعٌ هنا بينَ الزّهرةِ الّتي هي ركنُ التّشبيهِ الأوَّلِ، والإلْفِ الذي هو رُكنُ التّشبيهِ الثّاني، بجامعِ ما بينهما من الوفاءِ، ووجهُ الشّبهِ في تلك الصورةِ مُصرَّحٌ بِه، وهو المنصوبُ على الحالِ من قولِه: "خَالِصَةَ الوفاءِ" ومجئ الحالِ "معرفةً جائزٌ في مذهبِ يونس بن حبيبٍ بلا تأويلٍ"[3]، وكلامُ سيبويه في جوازِ انتصابِ (وحْدَه) على الحالِ، معَ كونِه مضافًا إلى الضميرِ، ينمُّ عن جوازِ مجئِ الحالِ من المعرف بالإضافةِ ، ولكن ليسَ على إطلاقِه، والأداةُ موجودةٌ ظاهرةٌ، وهي الكافُ.

ثَانيًا: التّشبيهُ المُجملُ:

ومِن هذا النّوعِ من التشبيهاتِ الّتي عمدَ بِها الفتّالُ إلى التعبيرِ عن شموخِ العراقِ، ووقوفِه على امتدادِ الأعوامِ وكرِّ العصورِ في مواجهةِ الطّغاةِ والبغاةِ، مع حفاظِه على أبنائِه، وخوفِه عليهم، قولُه في (فتشوا معي) [4]: (بحر الكامل)

---

[1]) حسن التخلص عند البلغاء هو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا قد وقع الثاني لشدة الالتئام بينهما, ينظر: احمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية , 2/ 110-111.

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 76.

[3]) سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 2008 ، 76/2 .

[4]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 39/2 .

وهو المَلاذُ لخائفين يضمُّهم ضمَّ الرَّؤومِ بِأضلُعٍ لَم تَرهَبِ

مُثيرًا في النّفسِ الحميةَ تجاهَ ردِّ الجميلِ الذي ظلَّ طوالَ سنواتِ عمرِه يبذلُه لأهلِه، ويُحرّضُ في الوقتِ نفسِه على الدفاعِ عنهُ ضدَّ من يُريدونَ التنكيلَ بِه وبأبنائِه وصغارِه الذين لَم يعودوا يجدوا ملجأ فيهِ لهم؛ لكثرةِ ما احتلَّ منهُ الأجنبيُّ الأماكنَ التي هي لهُم في الأصلِ، فصاروا يستقبلون صباحاتِهم بتلك الوجوهِ التي لا تدلُّ على وطنِهم ولا تنتمي إلى أرضِه، فيُشبِّهُ هذا الوطنَ العاني، بالأمِّ الرؤومِ الّتي تجدُّ في سعيها لتوفيرِ الحنانِ والرعايةِ لأبنائِها الذين لم يعودوا يَجِدُونَ الدفءَ والراحةَ إلّا بينَ ذراعيها، وطَرفًا هذه الصورةِ حسيَّانِ، فالمُشبَّهُ وهو الوطنُ مما يُدركَ بالحواسِّ الاستشعاريةِ، والأُمُّ التّي شبّه الشّاعرُ بها هذا الوطنَ من المدركاتِ الحسيّةِ أيضًا، والغرضُ من هذه الصورةِ إبرازُ حقيقةِ الوطنِ وما لهُ على الإنسانِ من البرّ كالذي أوجبَهُ الشّرعُ عليهِ تجاهَ أُمِّه، لأنّ ملاذه في أعقابِ كلِّ داهمةٍ لا يكونُ إلّا إليهِ، وقد حذف الشّاعرُ وجهَ الشّبهِ مُبالغةً في إثباتِ تلكَ الغايةِ، وهو مِن نوعِ التشبيهِ المُجملِ.

ومِن نظائرِ ذلكَ قولُه في (رسالة) [1]: (البحر الخفيف)

أنَا ذاكَ الحبيبُ قلبًا ورُوحًا هَل جَفَا قلبُكِ الحَنونُ حَبِيبه؟

هل نسيتِ الوداد مذ كان طفلاً فرَعينَاهُ كالفِراخِ الزّغوبة

ففي محاولةٍ لاستعتابِ حبيبتِه ، ولومِها عَلى تناسيها لما كان يجمعُها بهِ من المحبّةِ والودِّ، يُخبرُ بأنّهُ الحبيبُ الذي لا يُنسى، فيُضَمِّنُ الجملةَ الابتدائيّةَ: "أنَا ذاكَ الحبيبُ قلبًا ورُوحًا" دلالةً استقصائيّةً تشي بما كان عليه ذلك الحبُّ وما كانَ يتمتّعُ به هو عندَها من المنزلةِ العظيمةِ، مُشيرًا إلى أنّهُ كان يذوبُ فيهَا بكلِّ كيانِه، بقلبِه ورُوحِه، فكيفَ لها أن تنساهُ أو تتغافلَ عن حُبِّه وقد كانا يرعياهُ قبل ذلك الوقتِ كما ترعَى الأُمَّهاتُ مِن الطيورِ صغارَهَا مِن الفراخِ الّتي لَم يكد ينمو من ريشِها على جِسمِها إلّا الزّغب، وهو صغارُ الريش الّتي تنبتُ أوّلًا على جسمِ الطائرِ بعدَ أيّامٍ من خروجِه عن البيضةِ[2]، ثمَّ يتبعُه الرّيشُ، فيُعملُ في ذلك البيتِ الصورةَ التّشبيهيةَ التّي فيه وجه الشبه ولا اداة فيه، ليُثبتَ لهَا أنّ هذا الحبَّ ما زالَ

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/59-60 .

[2]) ابن منظور، لسان العرب، 451.

يحتاجُ إليهما مُجتمِعَينِ، فهما مَن قامَا على رعايتِه والعملِ على إكباره في قلبيهما منذ كانَ صغيرًا إلى أن تخلَّت هي عنهُ، فأنتجَ ذلك التّخلِّي دافعيّةَ اللومِ عليهَا بِمَا نصّ عليِ في خطابِه.

فهو في هذه الصورةِ يُشبّهُ الحُبَّ الذي قامَا على رعايتِه حتّى كَبِرَ بالفراخِ الصّغيرةِ التي لَم يَنبت لها ريشٌ يُعينُها على الطيرانِ، لينفي عنهَا فكرةَ الرحيلِ والتّخلِّي، حينَ تشعرُ بحاجةِ هذا الحبِّ إلى بقائِها واستمرارِ هذه العلاقةَ التي ربطت بينهما، ووجهُ الشّبهِ وإن لم يكن مُصرَّحًا بهِ تصريحًا يُمكِّنُ من الحكمِ عليهِ بالوجودِ في الكلامِ، يبقَى مُنتزعًا من كلمةِ (زغوبة) أي ذات زغبٍ، فيه الاداة ولم يرد وجه الشبه ظاهرا ؛فهو تشبيه مرسل مجمل , فإنّ فيهِ ما يدلُّ على الضّعفِ وقلّةِ الحيلةِ، فالفراخُ الّتي لَم تَزل على تلك الحالةِ، تتطلّبُ الحمايةَ من الأبوين وتوفيرَ المطعمِ والمشربِ؛ لضعفِها عن اجتلابِ رزقِها، وقد وظّفَ الفتّالُ صيغةً من الصيغِ اللغويةِ الّتي تقتربُ من اللغةَ العاميّةَ في الصّيغةِ لا في المدلول، حينَ قالَ (زَغوبة) فتلك الصّيغةُ وإن كانَ لها امتدادٌ عربيٌّ نقفُ عليهِ في المبالغةِ فيمَا كانَ على (فَعُولَة) إلّا أنّها لا تنطبقُ على الأسماءِ الجامدةِ الصّريحةِ، وقد دلَّ الدكتور عبد الله ناصر على أنَّها لا تقعُ إلا في المشتقاتِ بقولِه: "وفعولٌ: أبرزُ ما فيها المبالغةُ، فهي تحتفظُ بقوةٍ معينةٍ في التعبيرِ عن الصِّفةِ والحدثِ"[1]، وانطلاقًا مِن قوّةِ إيغالِ هذه الصّيغةِ في الوصفيّةِ، يجد حكمُ على طريقةِ إيرادِ الفتّال لهَا بالوهنِ وُمخالفةِ الضّوابطِ اللغويّةِ في الصّياغةِ.

1) د. عبد الله ناصر القرني، ما جاء على صيغة فعول (دراسة لغوية)، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، 2012 ، عدد: 16، جـ2، 984.

ثالثًا: التّشبيهُ التّمثيليّ:

وإنما يَعني تمثيلَ صورةٍ بصورةٍ وحالةٍ بحالةٍ، لا مفردٍ بمفردٍ، ولذا قيلَ في تعريفِه: "الهيئةُ الحاصلةُ من مجموعِ أمورٍ متعددةٍ قد اجتمعت وتلاصقت وكوَّنت شيئًا واحدًا، حتَّى إنَك لو أخذت وجهَ الشبهِ من بعضها لاختلَّ التشبيه"[1]؛ ولذلك لأنَّ وجهَ الشبهِ منتزعٌ من الصورِ المتعددةِ التي تداخلت فأثَّرت في جمعيةِ هذا الوجهِ.

ومن خطاباتِ الفتَّال الشعريةِ التي تظهرُ دقَّةَ اختيارِ الشاعرِ عليّ الفتَّال للصورةِ التي تلائمُ الغرضَ من النظمِ، قولُه في أحداثِ تموزَ في (صبح تموز)[2]: (بحر الخفيف)

هُو ذا الصّباحُ قَد تَهادَى إلَينَا فَارِسًا مِن خِبائِهِ المَكنونِ!

يَحمِلُ الشّمسَ بينَ كفَّيهِ مهراً لِعَروسٍ قَد ضمَّهَا في الوَتِينِ

هو تموزٌ بابليُّ المَعاني سُومَريُّ الأَوصافِ والتّكوينِ

فبعدَ تصريحِه بمدَى مَا أصابَ البلادَ من التخبُّطِ والرُّزوحِ تحتَ ظلامِ الليلِ الدامسِ الذي لَم يعُد النّاسُ يرونَ فيهِ النجومَ التي يستضيئونَ بِها فتهديهم طريقَهم، يُخبرُ بقدومِ المُخلِّصِ لهم من ذلك البلاءِ، عن طريقِ الصورةِ المجازيةِ الّتي علّقَ فيهَا تحقيقَ آمالِ النصرِ والتحوُّلِ من حالةِ البؤسِ والشّقاءِ والركودِ الّتي كانت تُعانيهَا البلادُ إلى حالةِ الظّفرِ والحركةِ المحققةِ للانتصارِ، فينسبُ لهذا الشّهرِ الانتصارَ؛ لأنّهُ وقعَ فيهِ، وذلك حيثُ ذكرَ الحالَّ وهو الانتصار، وأرادَ المحلَّ وهو الشّهرُ الذي وقعَ فيهِ الانتصارُ[3]، وهو من بابِ المجازِ المرسلِ بعلاقتِه الحالِيَّةِ، فحلولُ النصرِ في هذا الشّهرِ حملَ الشّاعرَ على نسبتِه إليهِ، مُنطلقًا من هذه الصورةِ إلّى نوعٍ آخرَ من أنواعِ الخيالِ الّتي تُجسّدُ حقيقةَ هذا الشّهرِ وشكلَه ؛ لأنّهُ مما لا يُدركُ بالعينِ أو بإحدَى الحواسِّ، فأرادَ إبرازَ ما وقعَ فيهِ للبلادِ من انتصاراتٍ في صورةٍ ملحوظةٍ تُعطيهِ شكلًا وملامحَ تُشبهُ تلكَ التي يقعُ عليهَا النظرُ في المحسوساتِ, وأن كان كلمة النصر غير مذكورة ولكن المعنى يوحي بالنصر في ايام تموز خصوصا ايام الجمهورية العراقية السابقة .

---

1) د. حسن إسماعيل عبد الرؤوف، البلاغة الصافية (في العاني، والبيان، والبديع)، 291 .

2) عليّ الفتّال، الأعمال الشعرية الكاملة، 51/2.

3) المجاز المرسل : من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه ، وهو اللفظ الذي نُقل من معناه الأصليّ ، ليدلّ على معنى غيره , ويكون مناسب للسياق .ينظر: عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 666.

فيبحثُ بملكاتِه الشّعريةِ في مخزونِه الذوقيّ؛ لاستنطاقِ هذه الصورةِ التشبيهيةِ بما يدلُّ على الغرضِ مَن هذا الخطابِ، فلم يَعرض شيئاً لهُ أنسبَ من التشبيهِ التمثيليّ، فيُشبّهُ تموزَ في حملِه للنورِ -المُعبَّر عنهُ بالشّمسِ- إلى العروسِ -ويعنِي بِهَا العراقَ- تخليصًا لهَا من تلك الظلمةِ الحالكةِ الّتي أنزلَها بِها الاحتلالُ، بالملامحِ المعنويةِ لمدينةِ بابلَ، وهي من أثرَى المدنِ التي تنتمي للحضارةِ القديمةِ حضارةً، وأرفعِها شأنًا، حيثُ كانت " ولم تكن قد أنشئت مدينةٌ بعدُ، ولم يكن قد تكوَّن أيُّ مجتمعٍ، يوم كانت البلدان قاطبةً مغمورةً في لجةِ البحرِ"[1]، ولتأثيرِ تلك المعاني الفخمةِ في نفسِ الشّاعرِ والتي مِن شأنِها الانعكاسِ على أهلِ تلكَ البلادِ بالمفاخرةِ والمباهاةِ بموروثِهم الحضاريّ، يَأتي هذا التصويرُ التمثيليُّ معبّرًا أشدَّ التعبيرِ عن حقيقتِه، ولمُناسبةِ أحداثِ هذا الشّهرِ معَ نتاجِ هذه الأمّةِ من الانتصاراتِ السّابقةِ في مدينتِهم العامرةِ (بابلِ) يصوّرُ تموز بِها في الجوهرِ، فهما قسيمانِ.

أمّا هنا في هذا النّصِّ فيسوقُ لنَا الفتّالُ صورةً تشبيهيةً رائقةً، تمثَّلَ فيهَا حالةَ المحبوبةَ التي تمتازُ بعينَينِ ناعستَين، وهو مِن الصّفاتِ الخِلقيَّةِ الحسنةِ المُحببةِ في النّساءِ، بحالتِها الّتي تبدي مدَى جمالِهَا وبراءتِها عندَ استغراقِها في النّومِ، فيقولُ في (كما تريدين) [2]: (بحر السريع)

وَعَافَـــتِ الـــرَّوضَ فَراشَـــاتُه فَلَـــونُ خَـــدَّيك غَـــدَت عَاشِـــقَةْ
وَأَســـبَلَتْ عَينـــاكِ أجفانَهَـــا كَأنَّهَـــا فـــي نَومِهَـــا غارقـــةْ

والصورةُ التي اعتمدَها الشّاعرُ هنا في هذا الخطابِ الغزليّ، تُشكِّلُ عنصرًا مِن عناصرِ الخيالِ الّتي تعملُ على بناءِ المعنَى بِمَا تُثيرُه عندَ المتلقّي مِن شغفٍ وفضولِ التّعرفِ على طبيعة تلك التّي تغزَّل فيهَا الشّاعرُ ووصفَ عينيها بِتلك الصّفاتِ الّتي مَا إن انطبقتِ على امرأةٍ حُكِمَ لهَا بِبلوغِ الغايةِ في الجمالِ، وقد كوَّن هذه الصورةَ مِن طرفَي التّشبيهِ الحِسّيينِ، ضَاربًا في بلوغِ تلكَ الغايةِ مثلًا من صورتَين تتكاملانِ في أداءِ الدلالةِ المُرادةِ، مُنطلِقًا مِن التلميحِ بدرجةِ جمالِها البالغِ الغايةِ، مِن طريقِ التّعريضِ، حيثُ يتعرَّضُ لإبرازِ حقيقةِ هذا الجمالِ الذي جذبَه إليهَا عن طريق الخبرِ المُتيقّنِ لديهِ والذي أشارَ بِهِ إلى أنَّ لونَ خديها مِن

[1]) مارغريت روتن، تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار – ميشال أبي فاضل ، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 1984 ، ص10.

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعريى الكاملة، 85/1 .

شدةِ حُمرتِه جعلَ الفراشاتِ أكثرَ تعلُّقًا بـهِ وعشقًا لـهُ، مـا أدَّى بِتلك الفراشـاتِ إلـى أن تعـافَ مصدرَ غذائِها -الوردِ- متأثرةً بِمَا أصابَهَا مِن حبِّ لونِ خدِّي محبوبتِه.

وهنـا يقفُ بنَـا عندَ هذه الدلالـةِ بتشبيهِ لـونِ خديهَا فـي حمرتِهمـا، بلـونِ الـوردِ النّاضـرِ الجاذبِ بحُمرتِه الفراشاتِ إليهِ، وهو من التّشبيهاتِ الضمنيةِ التي تحتاجُ إلى عناءٍ في استكناهِ فحواها واستبطانِ معانيهَا مِن المُخاطبِ، حيثُ يسوقُ المتكلمُ تشبيهه "ضمنًا من غيرِ أن يُصرّح بها ِجاعلًا منهُ برهانًا على الحكم الذي أسنده للمشبه"[1]، ومِن ثمَّ يُعالقُ بينَ هذا النّوعِ مِن التشبيهاتِ والتّشبيهِ الذي يَليهِ المُنتزعِ مِن طرفينِ حِسيينِ، يقعُ المُشبَّهُ (إسبالُ العينِ أجفانَها دلالًا وغنجًا) فيهِ مِن المُشبَّهِ بِهِ (صورةِ المرأةِ النّاعسةِ الطّرفِ المُستغرقةِ في نَومِها ببراءةٍ تدعو مَن يراها إلى الافتتانِ بِهَا) موقعًا عظيمًا من النفسِ، حيثُ يعمدُ بـهِ إلـى التّـأثيرِ في النفوسِ وإثارةِ نزعةِ الفضولِ فيهَا نحوَ تصوُّرِ هيأةِ هذه الفتـاةِ التـي دعتـه لوصـفِه بتلك الصّفاتِ، وهو مِن التّشبيهَاتِ التّمثيليةِ، وتسمَّى أيضًا بالتشبيهاتِ المركبـة، حيثُ يتركَّبُ كلُّ طرفٍ من طرفي التشبيهِ "تركيبًا لم يُمكنُ معه إفرادُ أجزائهما"[2] التـي تشكَّل مضمونُها من صورتَينِ تامتي البناءِ.

[1]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في (المعاني، والبيان، والبديع)، 225 .

[2]) المصدر نفسه: 209 .

رَابِعًا: التّشبيهُ البليغُ:

وهو ضربٌ من التَّشبيهاتِ حذفت منهُ الأداةُ ووجهُ الشَّبهِ[1]،أنَ الفتَّال قد قدَّم في هذا البيت تشبيه بليغا بما يُوحي أنَّه يعني السَّرابَ، ولا يعني (السَّرى)، فقولُه[2]:{ بحر الخفيف }

فوجدتُ الهوَى وقد شابَ رأسي حُلمًا يخدعُ الفتَى بالسَّرابِ

مؤذنٌ بإرادتـةِ المعنَـى القريـبِ المَتنـاولِ الـذي قدَّمَ بِـه فِـي هذا البيـتِ، وهـو (السّـراب) المتضمّن لدلالةِ الوهمِ، إلّا أنَّ المعنَى بجعلِ (سَرى بِي) كلمةً واحدةً غيرُ منسجمٍ مـعَ الدلالـةِ، والتّوغُّدِ فِي قولِ الشّاعرِ: "وَيحَهُ مِن مُخادِعٍ"، فليسَ يبقَى إذن سَوَى أن يَنحوَ المتلقِّي بِالمعنَى نحوًا بعيدًا لينتظمَ المعنَى وتستقيمَ الدلالةُ، فيحملَ المقصدَ عَلى أنّهُ يتوعّدُه لِأنّهُ مَضَى بِـه إلَـى حيثُ لَا يرغبُ؛ حيثُ موطنُ هلاكِه, ونجد في هذا البيت تشبيه بليغ .

ومن هذا النوعِ من التّشبيهاتِ يُوردُ لَنَا الفتّالُ فـي البيتِ الـذي ضمَّنه امتداحًا فـي شـاعرِ دمشقَ الأوَّلِ نزار قباني، صورتَهُ البيانيةَ المعتمدِ فيهَا على تشكيلِ المعنَى مِن طريـقِ الخيـالِ الذي انتزعَ في الوصولِ بِهِ إلى غايتِه مِن المديحِ معلمًا مِن معالمِ الطّبيعةِ الحيّـةِ، بقولِـهِ فـي (نزار القباني) [3]: (بحر الخفيف)

أَنت سِنَّورُنَا المُطِلُّ شُمُوخًا أَنتَ قِيثارُنا، وَأنت الغِناءُ

فإرادةُ إنتاجِ دلالةٍ مخصوصةٍ بامتداحِ هذا الشّاعرِ العظيمِ، ألزمت الفتّال بضرورةِ تـوخّي الحيطةِ في انتقاءِ الصورةِ المُناسبةِ معَ الغرضِ، فقد كـانَ نـزار قبّـاني شـاعرَ العروبـةِ المعبّرِ عن ضميرِها الحيّ الناطقِ باسمِ عربيَّتِها، وانتماءها القوميّ إلى هذا الوطنِ الواسعِ، ومِن ثمَّ جاءَ نظمُه عاكسًا لانطباعاتـه الشّخصـيةِ عن قضـايا الـوطنِ فـي كثيرٍ مـن شِـعرِه، فهـو أشـبهُ بتعبيراتِه عن أنَّات وطنِه ولوعاتِ أبنائِه بِالسِّنَّورِ، وهو "حيوانٌ ضاري من أكلةِ اللحومِ، ألقى الله مخافته في قلبِ كبارِ الحيوانِ كالفيلِ، وهو من السباعِ المحرَّم علـى الإنسـانِ أكلهـا"[4]، ولعلّه أرادَ بهذا التّشبيهِ البليغِ الـذي حذفَ منـهُ وجـهَ الشّـبهِ والأداةِ المُبالغـةَ فـي ضـرواةِ نـزارِ قبّانِي تجاهَ أعداءِ وطنِـه مِن أهلِـه ومِن غيرِ أهلِـه، حيثُ يشبّهُ نـزار قبّـاني وهـو يتمثّلُ تلك

[1]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 224 .

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 79/3 .

[3]) المصدر نفسه، 134/6 .

[4]) محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ 47/2-48.

الطبيعةَ الافتراسيةَ ضدّ أعدائِه، بالسِّنَّور في افتراسِه لمَن يقرب منزلَـه، فمِن عاداتِـه أنّـهُ "إذا نزلَ منزلًا لا ينزلُه غيرُه من الضّواريِ والسباع"[1]، أمّـا عن حملِ قولِ الفتّـالِ: "شُمُوخًا" عَلى أنّهُ وجهُ الشّبهِ، فذلك لا يتأتَّى ما لمَ يكن الشموخُ المُعبر به هُنا مِن طباعِ هذه الضّـاري، ولَم يُوردِ الجاحظُ ولا الدميري عنهُ أنّهُ من طبعِه ذلك، بل إنّ من صفاتِه ما يُنافِي ذلك، فبينَ السنورِ والجرذِ من العداوةِ ما تجعلُ "الفأرةَ تساجلُ السنانير في الحربِ التي بينهما"[2]، وذلك – كما أسلفت- مُنافٍ لأن يكونَ للسِّنورِ شموخٌ، ومِن هُنا يمكنُ القولُ بأنّ وجهَ الشبهِ الاشتراكُ في الضراوةِ والافتراسِ.

ثمَّ يتخطَّى الفتّالُ هذه الصورةُ ليُقرِنَ بِها صورةً أُخرَى يعملُ بِهَا على رأبِ صدعِ هذه الصورةِ، فكمَا أنّهُ أخبرَ عن قوّةِ الشّاعرِ في التعبيرِ عن قضَايَا وطنِه بقلمِه ولسانِه، إلى حدِّ تشبيهِه بطباعِ السنورِ في الافتراسِ والهجومِ، يُخبِرُ عن أنّهُ مِن الرّقةِ والعذوبةِ بالمكانِ العظيمِ الذي لا يخفَى عَلى مُحبٍّ لشعرِه، فيُصوّرُ نزار قباني بالقيثارِ وصوتِ الغناءِ الذي يُريحُ النفسَ ويبردُ الخاطرَ، وذلك في شِعرِه الغزليّ وبعضِ مَا يصفُ فيهِ الوطنَ وينعته بالقربِ والحميميةِ، وهو مِن نوعِ التّشبيهِ البليغِ أيضًا، وقد توصّل بِه إلى الغايةِ عن طريق الجمعِ بينَ صورتَين خيالِيتينِ إحداهُما تنبعثُ منهَا ملامحُ القوّةِ والبسالةِ، والأُخرَى تفوحُ منهَا رائحةُ المحبّةِ والودِّ الذي يُكِنُّه الشّاعرُ لمحبوبتِه أو لوطنِه، والجامعُ بينَ نزارٍ بوصفِه مُشبّهًا، والقيثارةِ والغناءِ بوصفِهما مُشبّهًا بِه، وجهٌ عميقُ التّأثيرِ في النفسِ، يُبرزُ حرارةَ الانفعالِ بشعرِه والطّربِ لوقعِ موسيقاهُ في النفسِ.

---

[1]) محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى ، 48/2 .

[2]) أبو عثمان بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، 214/3.

المَبَحثُ الثّانِي

الاستعاراتُ

والاستعارةُ مِن ألوانِ البيانِ ذائعةِ الاستعمالِ في أدبِ العربيّةِ، لاسيما الشعرَ، وقد أكثرَ الشعراءُ من تداولِها واستعمالِها فيمَا أرادوا إعطاءه صورةً، فكثيرٌ مِن المتوهمِ الذي لا يتضحُ إلّا بإعطائِه صورةً ماثلةً لا يقعُ للشّاعرِ أو النّاثرِ أن يُبرزوه إلّا عن طريقها، وهذا أحدُ أسبابِ ودوافعِ توظيفِها في الخطابِ العربيّ، وإنما تقوم الاستعارةُ على التشبيهِ في أصلِ مبناها، ولكن معَ تناسي التشبيهِ؛ مبالغةً في القصدِ، ولا بُدَّ فيها من حذفِ أحدِ ركنيها الأساسيين، المشبه أو المشبه به معَ قيامِ قرينةٍ تشي بحذفِه أو تقديرِه في الكلامِ[1]، ومِن ثمَّ فإنّها في الاصطلاحِ مَا يصدقُ عليهِ مفهومُ التّشبيهِ؛ لأنَّ شرطهَا عَلى التّحقيقِ: "أن تكونَ علاقُتها التّشبيهَ بشرطِ قصدِ المُبالغةِ"[2]، وقد عرّفها البيانيون على أنَّها: "استعمال اللفظ في غيرِ ما وضعَ له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينةٍ صارفةٍ عن إرادة المعنى الأصلي"[3]، وتنقسمُ إلى تصريحيةٍ، ومكنيةٍ، وكلٌّ منهما إلى تمثيليةٍ ومفردةٍ.

- **الاستعارةُ التّمثيليةُ المُركَّبة:**

وهي التي يشبَّه فيها صورةٌ قائمةٌ بصورةٍ أخرَى تمثِّلُ حالتين تشبَّه إحداهما بالأخرَى، وقد عرّفها القزويني بِأنّها: " تشبيهُ إحدى صورتينِ منتزعتين من أمرين أو أمورٍ بالأخرَى، ثم تدخل المشبَّهةَ في جنسِ المشبَّهةِ بها مبالغةً في التشبيهِ"[4]، ومِن بيانِ الفّتالِ الذي يتبلورُ عبرَه المعنَى، مِن طريقِ الاستعارةِ المكنية قولُه من (مذهبي)[5]: (بحر الخفيف)

وَتَمَطَّى الإملاقُ فالتَفَّ حَولِي أَخطَبُوطًا فَصِرتُ شِبهَ غريقِ

وَأَقَامَ الشّبابُ حفْلَ وداعٍ وَأَقَامَ المَشيبُ حفْلَ صَدِيقِ!

---

[1]) ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 306.

[2]) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح بشرح تلخيص المفتاح، 142/2 .

[3]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في (المعاني والبيان والبديع)، 244 .

[4]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علم البلاغة، 332 .

[5]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 3/ 17 .

فهو هُنا إذ يبكي الشّباب، والأيّامَ الّتي تولّت من عمره، ومَدَى ما خسرهُ بفواتِ هذه الأيامِ، نتيجةَ شعوره بالكبرِ وضرْبِ الشيخوخةِ بجذورها في أعضاء جسمِه، يستعيرُ للإملاقِ الذي تراءَى نتيجةَ إحساسِه بفقدِ الشّبابِ، لا مِن قِلّةِ ذاتِ اليدِ، فليسَ في النصّ مَا يدلُّ على أنّه يُعاني مِن الفقرِ والحاجةِ، بل إنّ مرامي الكلامِ في عمومِ النصّ تقطعُ بأنّ مُعانتَه الفقرَ الذي عبَّر عنهُ بقولِه: "وَتَمطَّى الإمْلاقُ فالتفَّ حولِي"، فقرٌ معنويٌّ أنتجَهُ ذهابُ زمنِ الشّبابِ، ومَا أحوجَ الإنسانَ زمنَ مشيبِه إلى مَن يأخذُ بيدِه ويحملُ عنهُ متاعبَ الحياةِ، وهذا نوعٌ من الافتقارِ المؤدِّي للشعورِ بالضّيقِ الذي جعلَه الفّتالُ نتيجةً للحاجةِ مِن قولِهِ في القصيدة نفسها[1]: (بحر الخفيف)

وَتَهاوَت عَليَّ أشبَاحُ بُؤسٍ وَأنَاخَتْ عَليَّ أغْلَالُ ضِيقِ

فالضّيقُ الذي أنتجتهُ هذه الأغلالُ التي كبَّلته سببٌ مؤدٍّ إلى شعوره بتمدُّدِ الإملاقِ حولَهُ، ونشرِ أذرعتِه حواليهِ، كأنّهُ أخطبوطٌ ذي أذرعٍ متعددةٍ لا يستطيعُ الفكاكَ منهُ، ومِن ثمَّ تأتي الصورةُ الاستعاريةُ التّمثيليةُ داعمةً لهذا التصوّرِ القائمِ في نفسِ الفتّالِ؛ مِن أجلِ تحويرِه ليخرجُ مخرجَ الأشياءِ ذات الهيأةِ والصورةِ الظاهريّةِ، فيضربُ بهذه الاستعارةِ مثلًا للإملاقِ الذي أصابَهُ نتيجةَ شعورِه بالحاجةِ لِمَن يأخذُ بيدِه ويقومُ على حاجتِه، بالأخطبوطِ متعدّدِ الأذرعةِ، لبيانِ أنّ التفاف الإملاقِ حولَه مما يصعبُ الإفلاتُ منهُ، ثمّ يُحيلُنا على استعارةٍ أُخرَى تؤكّدُ على هذا المعنَى في تالِي ذلكَ البيتِ، فيُصوّرُ الشّبابَ في رحيلِه بالشّخصِ الحزينِ الذي يُشجيهِ الرحيلُ عن صاحبِه، حتّى إنّه لحُزنِه يُقيمُ حفلَ تأبينٍ ووداعٍ، بمَن أضناهُ فراقُ أحدِ أحبّتِه، وأحزنَهُ فراقُ بعضِهِ عَن بعضِه، وهما استعارتانِ مُتعالقتانِ تعالقًا داعمًا للمفهومِ من الخطابِ مؤكّدًا على مدَى سرعةِ رحيلِ الشّبابِ، واستتبابِ الأمرِ للمشيبِ الذي أقامَ هو الآخرُ حفلًا لإقامتِه في حياةِ الشّاعر.

ومن الابيات التي توصّلَ به الفّتالُ إلى مرادِه مِن الدلالةِ على أنّ الإنسانَ يُمتحنُ في الحياةِ بالحقّ الذي يُسفرُ وجهُ الباطلِ عن نفسِه في وجهِهِ، قولُه في (يا صاحب العصر) [2]:(بحر بسيط)

أَيَّامُنا تَشتَكِي مِن جُورِ مِحنَتِها ومِحنةُ العصرِ: صَارَ الحقُّ مهتوكًا

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة ، 17/3 .

[2]) المصدر نفسه، 159/5 .

حيثُ يبثُّ الفتّالُ لوعتَه مِن هذا الامتحانِ العظيمِ الذي تقعُ فيه الأُمَّةُ بتداخلِ الحقّ والباطلِ واختلاطِهما على كثيرٍ من النّاسِ، الأمرُ الذي لَم يجعلُ لهم منهُ مخلصًا إلّا أن يقومَ المهدي (عليهِ السّلامُ) في الناسِ إمامًا يُحرّضُهم على اتّباعِ الحقّ والبُعدِ عن الهوَى، ويُبشرهم بصُبحٍ جديدٍ يأتلقُ حاملًا معَه بشاراتٍ صادقةٍ تأخذهم إلى الجنةِ.

ومن هنا تّأتَّى لهُ أن يستعير لفظ الأيّامَ للتعبير عن مَن يَقعُ في براثنِ الباطلِ مِن الضعفاءِ، فيشكو هذا الجور الذي جرَّ عليهِ والمحنةَ التي يعيشُها، على سبيلِ الاستعارةِ المكنيةَ، وينطلقُ من هذه الصورةِ إلّى تشبيهِ الحقّ في تحوُّلِه مِن حالِهِ مِن السّترِ إلى حالٍ لا ينبغي للحقّ أن يكونَ عليهَا من الافتضاحِ المُعبَّرِ عنهُ بقولِهِ: "ومِحنَةُ العَصرِ: صَارَ الحقُّ مَهتوكًا" بالمحنةِ الّتي يمرُّ بِهَا النّاسِ لعظيمِ ما وقعَ بِهِم، وطرفَا التشبيهِ في هذه الصورةِ قائمانِ مُعتمدٌ عليهما في صياغتِها، غيرَ أنَّ الطرفَ الأوَّلَ المُشبَّهَ وهو (الحقُّ) ظاهرٌ، والطّرفَ الثّاني المُشبَّهَ بِه وهو الباطلِ مدلولٌ عليهِ بالمحنةِ وهي لازمٌ من لوازمِ الباطلِ وصفةٌ من صفاتِه تقومُ في مقامِه على أيّ حالٍ، وقد حُذِفَ من هذا الانزياحِ وجهُ الشّبهِ والأداة الدالَّةِ على إبرامِ التّشبيهِ، ومِن بلاغةِ هذا التّشبيهِ، أنَّه يُصيّرُ المعدومَ في حكمِ الموجودِ ويُخرجُ المتوهمَ في صورةِ المُحقَّقَ، بِمَا يعملُ عليهِ مِن إذابةِ الفواصلِ بينَ المُشبَّهِ والمشبّهِ بِهِ بجعلِهما شيئًا واحدًا، وذلَك أبلغُ ما يكونُ في تأديةِ القصدِ، إذ إنَّ الشّاعرَ رَامَ التّعبيرَ عن فَقْدِ النّاسِ القدرةَ على التمييزِ بينَ الحقّ والباطلِ لاختلاطِهما في زمنٍ يحتاجُ إلى المهدي لإسعافِ الخلقِ وإنقاذهم مِما هم فيهِ، بالمحنةِ التي لا مخلصَ منها إلّا ما أشارَ إليهِ.

- **الاستعارةُ المفردةُ:**

وتُمثّلُ الاستعارةُ ضربًا مِن ضروبِ البيانِ العربيّ، ولَهَا أقسامٌ يَقفُ الشّاعرُ عندَ ما استرعَى عنايتَهُ منهَا، وتَأكّدت لهُ شدّةُ مُناسبتِه لِفحوَى خطابِه، ومِن تلك الأقسامِ الاستعارةُ المُفردةُ، وهي عَلى شاكلةِ التّشبيهِ المُفردِ، وقد عرّفَها البيانيُّونَ بِـ"تشبيهِ اسمٍ مفردٍ باسمٍ مفردٍ أو صفةٍ مفردةٍ بأخرَى مفردةٍ أيضًا"[1].

وحيثُ يُوجّهُ الفتّالُ متلقّيهِ إلى ضرورةِ التزامِ الصدقِ، إدراكًا منهُ لأنّهُ سببٌ مِن أسبابِ الهيبةِ، وضربٌ مِن ضروبِ السّعادةِ، يقولُ من (العبارات القصار)[2]: الرمل (تفعيلة الرمل)

---

[1]) د. حسن إسماعيل عبد الرازق، البلاغة الصافية (في المعاني والبيان والبديع)، 347 .

[2]) علي الفتّالُ، الأعمال الشعرية الكاملة، 330/7 .

وإذا مَا شِئتَ للنّفسِ حياةَ السُّعداءِ

فَخُذِ الصّدقَ رَفِيقًا؛ فَهُوا خَيرُ الأصدقاءِ!

وَشَرِيفًا كُن عَلَى الدَّربِ، فَإنَّ الشُّرفاء

هُم عِيَالُ اللهِ حتمًا

وَعَلى اللهِ تَوكَّلْ

ففي عرضِ النّصيحةِ لا بُدَّ مِن امتلاكِ المُتكلِّم لجانبٍ مِن الحكمةِ يُمكِّنُه مِن إسداءِ النّصيحةِ على الوجهِ الذي يقبلُ بِه المُخاطبُ؛ كي لَا تؤدِّيه النّصيحةُ إلى الشُّعورِ بِاستعلاءِ النّاصحِ عليهِ، فيُحجمُ عن قبولِ هذه النّصيحةِ، وقد عُنِيَ الفتّالُ بهذه الصُّورِ البيانيةِ كثيرًا في رباعيّاتِه الّتي مِنهَا هذا النصُّ، لأنّهُ يُدركُ قيمةَ النصيحةِ، ويعلمُ أنَّ لهَا سبيلًا لا يسوغُ الحيادُ عنهُ في تقديمِها للمنصوحِ بِهَا، ومِن تلكَ الصورِ الّتي عَرَضَ لهَا هُنا؛ تحقيقًا لهذه الغاياتِ الاستعارةُ حيثُ لَم يَكُن ليتحقَّقَ لهُ المعنَى بِمَا يُجسِّدُه للمخاطبِ على صورتِه التي تروقُه فتدعوه للقبولِ بِهَا والإذعانِ لَهَا إلّا مِن هذا الطريقِ.

ولم يلِج إلى تجسيدِ الصورةِ مِن بابِ الحقيقةِ، فليسَ للحقيقةِ اللغويةِ وقعٌ في النفسِ كالذي يُنتجهُ المجازُ الاستعاريُّ، ومِن هُنا اعتمدَ لأوَّلِ الأمرِ على الاستعارةِ المكنيةِ، مُشبِّهًا الصدقَ برفيقِ الدّربِ الوفيّ الذي يجبُ على سالِك الطريقِ أن يتخذه صاحبًا فيهِ؛ مِن أجلِ ضمانِ النّجاةِ والسّعادةِ معًا، فيحذفُ المشبَّهَ وهو الشّخصُ الوفيُّ الذي يصلحُ لأن يكونَ رفيقًا في مواجهةِ مصاعبِ الحياةِ وسلوكِ دروبِها الملتويةِ زيادةً في المبالغةِ في الأمرِ[1]، جاعلًا مِن المشبَّهِ وهو الصّدقُ عينَ المُشبّهِ بِه، كأنَّ الصِّدقَ هو الصديقُ نفسُه، مُبقيًا على أحدِ لوازمِه الدّالَّةِ عليهِ، فالرفقةُ لا تقعُ إلّا مِن أعيانِ البشرِ الموثوقِ فيهِم، والصّدقُ معنًى، فتوظيفُ المعنَى فيمَا يتطلّبُ توظيفَ الأعيانِ مِن بابِ الاستعارةِ، حيثُ لا يكون هنالك "أمرٌ ثابتٌ حسًّا أو عقلًا، فيجرى عليه اسم ذلك الأمرُ... وإثبات ذلك الأمر للمشبَّه استعارةٌ تخييلية"[2]، وفي أداءِ المعنَى بهذه الاستعارةِ مَا يُحقِّقُ قيمةَ التوكُّلِ على اللهِ تعالَى في مقامٍ كهذا. والحقُّ أنَّ بناءَ الدلالةِ خاضعٌ لهذه الاستعارةِ في هذا الخطابِ، لأنّهُ مِن بابِ ذكرِ السببِ والنتيجةِ، والحقيقةُ

---

[1]) انظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة في (المعاني، والبيان، والبديع)، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007 , 111.

[2]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،337 .

أنّ الصدقَ أحدُ أسبابِ السّعادةِ الدنيوية والأُخرويةِ، وهذا ما ألمحَ إليهِ الفتّالُ بِقولِه السّالفِ، وطرفًا هذه الاستعارةِ مُفردَانِ، أحدُهما، وهو المُشبّهُ: الصدقُ، والآخرُ، وهو المُشبّهُ بِه، الصّديقُ.

ومِن استعاراتِه التّي يُظهرُ بِهَا المعنَى الذي استطاعَ كسرَ أفقِ توقّعاتِ المُتلقّي بِهِ، قولُه، مُتحدّثًا عَن الشّعرِ وكيفَ أنّهُ بلغَ مِن نفسِه مبلغًا جعلَه كالغرائزِ التي فطَرَ اللهُ عليهَا الإنسانَ من قوله في (شيخي)[1]: (بحر الطويل)

وَحُبُّ انتِظارِي مَن أُحِبُّ، وَإنْ نَأَى فَفِي ذاكَ أبقَى شَاعرًا أتراجز
وَتِلكَ لَعَمرِي خَيرُ مَا يَملكُ الفَتَى وَمَن عَبَّ مِن لَذَّاتِهَا فَهو فَائز

فهذان البيتانِ مِن قصيدتِه التّي عنونَها بِـ(شيخي)، والّتي تمخَّضَ فيهَا الحوارُ السرديُّ القصصيُّ داخلَ الخطابِ الشّعريّ عن إجاباتٍ متتابعةٍ على سؤالٍ واحدٍ توجّهُ بِه شيخُه إليهِ بقولِه[2]: (بحر الطويل)

يُسائِلُنِي شَيخِي أَفِيكَ غريزةٌ؟ أجبت :بَلَى واللهِ، فِيَّ غرائزُ

جاعلًا مِن تلكَ الغرائزِ المُتعددةِ التّي فُطرَ عليهَا، والّتي اكتسبَها بالمواظبةِ عليَهَا وبشدّةِ ارتباطِها بِهَا وحُبِّهَ فيهَا، حُبَّ انتظارِ مَن يُحبُّ حتّى مَعَ علمِه بِنأيهِ وابتعادِه عنهُ، مُعلِّلًا هذا الحُبَّ الغريزيَّ لانتظارِه مَن يُحبُّ بشدةِ ربطِه بينَه وبينَ نظمِه للشعرِ، حيثُ يحكمُ على منظوماتِه في الحبيبِ المُنظرِ بأنّها صارت من الغرائزِ التابعةِ لغريزةِ حُبِّ انتظارِه؛ لأنّ حُبَّ انتظارِه هو الدّافعُ للنظمِ والتراجزِ بالشّعرِ.

فالفوزُ الجديرُ بالحكمِ عليهِ بِأنّهُ فوزٌ -في نظرِ الفتّالِ- لا يكونُ إلّا بالشّعورِ بلذّةِ هذا الشعورِ، وقد استعارَ الفِعلَ (عَبَّ) ومعناهُ الشربُ حتى الامتلاءِ، وتأتي معَ البحرِ بمعنى علا وارتفع موجُه، وهو مِن قبيلِ الاستعارةِ التّبعيةِ الواقعةِ في الفعلِ[3]، لاشتدادِ وطأةِ هذا الشّعورِ الأخّاذ في نفسِهِ، فجعلَ مِن الصورةِ البيانيةِ التي بناهَا مِن الاستعارةِ التّبعيةِ المُجراةِ

---

[1]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 73/3.

[2]) المصدر نفسه، 73/3 .

[3]) أنور سعادة عبد المنعم، أسلوبُ الشرطِ في العربيةِ (تركيبُه ودلالتُه)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، بكلية اللغةِ العربيةِ وآدابِها، جامعةِ الخرطوم، السودان، 2001 , 47.

في الفعلِ المّاضِي (عَبَّ) دليلًا عَلى أنّ الفوزَ الذي يُحقّقُ لهُ قسطًا وافرًا مِن السّعادةِ وإن وقعَ لهُ في الزمنِ الماضِي إلّا أنّ لهُ امتدادًا إلَى الزّمنِ الحاضرِ.

وقد بلورَ الشّاعرُ هذا المعنَى بِأسلوبِ الشّرطِ مِن قولِهِ: "وَمَن عَبَّ مِن لَذَّاتِهَا فَهوَ فائز"، ذلك الأسلوبُ الذي أيَّدَ النحويونَ فكرةَ تعبيرِه عن المُستقبلِ أو الزّمنِ الحاضرِ، فـ"تعليقُ وقوعِ الجزاءِ عَلى شرطِه، مِمّا لا يقعُ إلّا مُستقبلًا ولو تقديرًا"[1]، فتشبيهُ الشّاعرِ لِمَا ينالُه مِن حظٍّ في المحبّةِ وانتظارِ المحبوبِ، ومَا اصطفاهُ اللهُ بِه مِن ملكةِ النّظمِ والتراجزِ، بالمَاءِ الذي يعبُّه عبًّا حتّى يمتلئَ جوفُه بِهِ، مِن قبيلِ الاستعارةِ المفردةِ؛ فطرفاهَا مُفردانِ وإن تضمَّنَا عباراتٍ تحتَهما، فالدّلالةَ إفراديةٌ، وهي مِن الاستعاراتِ المكنيةُ، حيثُ أوردَ الشّاعرُ فيهَا المُشبَّهَ صراحةً وهو الملكات الموهوبةُ، أو العلاقاتُ الحميميةُ، واكتفىَ مِن ذكرِ المُشبّهِ بِهِ وهو البحرُ، بنعتِه المُلازمِ لهُ وهو الفعلُ عَبَّ مِن قولِه: "وَمَن عَبَّ مِن لذَّاتِهَا".

[1]) ينظر: عبّاس حسن، النحو الوافي، ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط6، 1998 , 167/3.

المَبَحثُ الثّالِثُ

الكِناياتُ

وهي من أرفعِ أنواعِ البيانِ، وأقصدِه في أداءِ المقصودِ، ويتعرَّض لها الشاعرُ والناثرُ في كليهما على السواءِ، وهي أوقعُ في النفسِ وأدلُّ على المرادِ في الشِّعرِ منهُ عن النثرِ، وعرَّفها صاحبُ الإيضاحِ بقولِه: "الكنايةُ: لفظ أريد به لازمُ معناه مع جوازِ إرادةِ معناه حينئذٍ"[1]، وإنَّ للكنايةِ من البلاغةِ والبلاغِ ما ليس لغيرِها في موضعِها من أنواع المجاز الأخرى، فهي: مبنيةٌ على الانتقالِ من اللازم إلى الملزوم" بما يجعلُهما كالشيءِ الواحدِ في الدلالةِ، وهي حينئذٍ تحملُ المتلقِّي على وضعِ تصوُّرٍ للمرادِ؛ لأنَّها تحيلُه على مدلولٍ قد يُرادُ معَه لازمُ معناهُ، وقد لا يُرادُ[2]، فهي إمّا أن تكونَ كنايةً عن صفةٍ وإمّا أن تكونَ عن موصوفٍ، وإمّا أن تكونَ عن نسبةٍ.

أوَّلًا: الكِنايةُ عن صفةٍ:

وقد اكتفَى في حدِّها صاحبُ الإيضاحِ على التقسيمِ، دونَ وضعِ رسمٍ لها، وفي تقسيمِه لها، بحسبِ الصفةِ المُكنَّى عنها، يُصنِّفها إلى "قريبةٍ وبعيدةٍ"[3]، وقد وظَّف الفتَّالُ كناياتِه عن الصفةِ القريبةِ في نظمِه، وهي التي "يُنتقلُ منها إلى المطلوبِ بها لا بواسطة"[4]، وذلك ما سيتَّضحُ لنا في التحليل.

ومن كناياتِ الفتّال التي تدلُّ على تصوُّنه وعفّتِه، قولُه مِن قصيدتِه المُسمَّاةِ بـ (الفقرِ والغِنَى)[5]: (البحر الوافر)

سَمَتْ نَفسِي عَلَى كُلِّ النُّفوسِ لِأنّي لَستُ بالوغدِ الخسيسِ

أَصُونُ كَرامتِي بِرَغِيفِ خُبزٍ ولَو بِالمَاءِ مَنقوعٌ يَبيسِ

---

[1]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 348 .

[2])ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة في (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007 , 94.

[3]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 349 .

[4]) المصدر نفسه، 349 .

[5]) عليّ الفتّال، الأعمال الشعرية الكاملة، 5/3 .

شِعارِي في الحَياةِ سُموُّ نفسي وذا تِرسِي حَمَانِي مِن تُروسِ

إنّ في الحياةِ ما يُرغمُ الإنسانَ على التبذُّلِ والخروجِ عن لباسِ العفةِ، فيقودُه ذلكَ إلى طلبِ مَا يقتاتُ عليهِ ويبُلُّ بهِ حلقهُ الصّادي، من المطعمِ أو المشربِ، ولكلٍّ منَّا في ذلكَ وجهتُه، فبعضُ النّاسِ يطلبون ما هو فوقَ ذلك، من الغِنَى والجاهِ أو المنصبِ والسّلطانِ، فيبذلون في سبيلِ ذلك كلَّ غالٍ ونفيسٍ، ولإرادةِ الشّاعرِ إثباتَ أنّه على عكسِ هؤلاءِ، فإنّه من التعفُّفِ والتصوُّنِ عن طلبِ الحاجاتِ ببذلِ ماءِ الوجهِ، والتعدّي على الكرامةِ، بالمكانِ الذي لا يخفَى على مَن يعرفُه حقَّ المعرفةِ، ولإنّه كذلك، يرومُ تعريفَ مَن ليسَ يعرفُه بخُلُقِه الذي يدعوهُ لطلبِ العفّةِ والصيانةِ عن الذلِّ والامتهانِ، بخطابِه هذا، فيُصوّرُ لهُ نفسَهُ وهو على تلك الحالةِ من العفافِ بالكِنايةِ الدالّةِ على مبالغِ نفسِه من تلك الصّفاتِ، فيُكنّي عن الرّفعةِ وعلوّ المنزلةِ أوّلًا بقولِه: "سَمَت نَفسِي عَلَى كُلِّ النُّفُوس" وهي كنايةٌ عن صفةِ الاعتزازِ بالذّاتِ والنفرةِ مِمّا يُلحقُ بهَا النقص، ثمَ يُكنّي عَن صفةِ العِفّةِ مهما بذل من أجلِها بِقولِه: "أصُونُ كَرَامَتِي بِرَغِيفِ خُبزٍ"، ففي التّعبيرِ بالرغيفِ الخُبزِ -وهو أدنَى طعامِ الإنسان، وأقلُّ ما يُمكنُ أن تقومَ بِه بنيتُه في مُقابلِ ما يلقاهُ من عناءِ يومِه ومشقَّةِ العملِ- مَا يُحصّلُ للشاعرِ المعنَى المدلولِ عليه بِهذه الكنايةِ، إذ إنّهُ يريدُ الإخبارَ عن تناهيهِ في الحفاظِ على كرامتِه حتّى لو كان في حفاظِه عليهَا مَا يؤدّي بهِ إلى الجوعِ، فتناولُ الخبزِ اليابس المنقوعِ بالماءِ مِمّا لَا تقومُ بنيةُ الجسدِ، ومِمّا يدلُّ على فقرِ صاحبِه، ومعَ ذلكَ فإنّه لو بلغَ هذه الحالةَ فإنّه سيظلُّ محافظًا على كرامتِه من مدِّ يدِه وبذلِ ماءِ وجهِه ليجدَ قوتَه، وهي كنايةٌ أخرَى عن صفةِ العفَّةِ.

ومِن المؤكَّدِ أنَّ مَن يفعلُ ذلكَ مُستوجبٌ للثّناءِ بفعلِه، وقد مدَحَ المولَى تعالَى مَن يحفظونَ أنفسهم، ويعتدُّونَ بكرامتِهم حتّى معَ ما يجدونَ من شدَّةِ نابِ الدّهرِ وقوَّةِ وطئِه لهامتِهم، وفي ذلِكَ يقولُ اللهُ تعالَى: **"... يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيْمَاهُمْ لَا يَسْأَلُوْنَ النَّاسَ إِلْحَافًا..."** [1]، وهو هُنا إذ يُشيرُ إلى معنَى تلكَ الآيةِ يُكنّي عَن صفتِه الشّخصيّةِ الّتي يَرَى أنّه مِن العزّةِ ورفعةِ المنزلةِ مَا يجعلُه ضِمنَ هؤلاءِ الذين امتدحَهم الله بالعفافِ في هذه الآيةِ الكريمة.

[1]) سورة البقرة:273.

- **ثانيًا: الكِنايةُ عنَ موصوفٍ:**

وهي أن تكونَ الكنايةُ فيها عن موصوفٍ، وقد "يكون معنًى واحدًا، وقد يكونُ مجموعَ معانٍ"[1]، وتتصرّفُ الكنايةُ عن الموصوفِ في الكلامِ تصريفًا يُبرزُ هذا المقصودَ بالوصفِ، مِن حيثُ الظُّهورُ.

ومِن كناياتِه بالغةِ الدّقّةِ في الصّياغةِ والتّعبيرِ، حتّى مَع ما اتّسمت بِهِ مِن كثرةِ الجريانِ على ألسنةِ العامّةِ، والخاصّةِ مِن الشّعراءِ وغيرِهم، قولُ الفتّالِ يصفُ الأديبَ علي الحائري[2] ببلوغِ الغايةِ في امتلاكِ ناصيةِ الحرفِ، وقدرتِه على تصريفِ معانِيه في كلِّ وجهٍ يرضاهُ لهَا , في قصيدة (سيد الحرف)[3]: (بحر الكامل)

لَـــو لَـــمَ يَكُـــن قَـــدَرًا عَلَيـــكَ مُحتَّمَـــا لَكَفَـــرْتَ بِـــالمَوتِ الَّـــذي لَـــن يَرحَمَـــا!

يَـــا سَـــيِّدَ الحَـــرفِ الـــذي طوَّعتَـــهُ فَغَـــدَا رَخِيًّـــا نَاعِمًـــا مُتنَعِّمَـــا

ففي رحلتِه عبرَ فضاءاتِ الشّعرِ معَ هذا الرّجلِ، وهو الأديبُ عليّ الحائري، يَجِدُّ الفتّالُ في إنتاجِ الدلالةِ عن طريق عددٍ مِن الصورِ البيانيةِ التي جعلَ مِنها مُنطلقًا لإبرازِ الغاياتِ الخطابيةِ، فنراهُ يستهلُّ النظمَ بالخبرِ المُباشرِ مِن قولِهِ:" لَو لَمْ يَكُن قَدَرًا عَلَيكَ مُحَتَّمًا" في إشارةٍ قطعيةٍ إلى أنّ الموتَ قدرٌ لا محيدِ عَن مُلاقاتِه، فليسَ للأديبِ الحائري أن يفرّ منهُ، كما لَم يستطع الفرارَ منهُ أحدٌ مِمّن سبقه إليهم، منطلقًا مِن هذا الإخبارِ إلى صورةٍ بيانيةٍ توضّحُ حجمَ المصابِ في هذا المرثيّ، وقدرَ الفجيعةِ في فقدِه، فهو يعجبُ مِن أن يحومَ الموتُ حولَ أرواحِ أصحابِ الرسالاتِ مِمّن ملكوا نواصِي الحروفِ فأثّروا في النّاسِ تأثيرًا معلومًا.

وفي نعتِه بسيادةِ الحرفِ، كنايةٌ عن موصوفٍ، ذلك الموصوفُ هو السيد الأديب علي الحائري، لَم يعمد إلى التصريحِ باسمِه؛ تأكيدًا علَى أنّ بروزه ورفعةَ شأنِه كانت بسببِ سيادتِه للحرفِ، ولولا ذلك لم يكن من محيدٍ عن ذكرِ اسمِه صراحةً، فذكرُ اسمِه في الخطابِ الرثائيّ أدلُّ على المقصودِ مِن الكنايةِ عنهُ، ما لم يكن في عملِه وصفاتِه ما يفوقُ معرفةَ

---

[1]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 276 .

[2]) علي الحائري: (1351 ـ 1419 هـ / 1933 ـ 1999 م) علي بن محمد بن محمد علي بن زين العابدين الحائري، شاعر كبير وأديب وكاتب ولد في كربلاء من أسرة كربلائية علمية عرفت بـ (آل زين العابدين) , ينظر : سلمان هادي ال طعمة ,شعراء كربلاء , مركز كربلاء للدراسات والبحوث, طبعة الاولى , 2017م, ج 3 / 208 , و موسى الكرباسي ,البيوتات الأدبية في كربلاء خلال ثلاثة قرون ,منشورات نقابة المعلمين , العراق, ط1, 1968, 343.

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 138/6 .

الناسِ باسمِه، وهذا ما كان، فتلك المنزلـةُ التـي تبوّأهـا علـيّ الحـائري فـي النّـاسِ واحتلَّهَـا مـن نفسِ الفتّـالِ كانـت نتيجـةَ قُدرتِـه علـى تصـريفِ الكـلامِ فـي وجـوهٍ شـتّى تُبـيّنُ حكمتَـهُ ومـدى ارتباطِه باللغةِ العربيةِ وفنونِها، فاقتصرَ على الكنايةِ المُبرزةِ للغرضِ من النظمِ، والموضـحةِ للقيمةِ الأدبيةِ لهذا الرجلِ عن التصريحِ.

وقد بنَى القّتالُ هذه الكنايةَ مِن المجازِ المرسلِ بعلاقتِه الجزئيةِ، فقولُه: "يَا سَيّدَ الحَـرفِ" مجـازٌ لا يخفـى علـى عـارفٍ بطرائـقِ صـياغةِ العربِ لكلامِهـا، وعلاقتُـه السـببيةُ، فقد أطلـقَ الشّاعرُ هُنا (الحرفَ) وهو جزءُ الكلمةِ، وأرادِ في الوقتِ ذاتِه (الكلِمَةَ) أو الكلامَ الذي يُؤسِّسُ بِه المُتكلمُ لخطابٍ شافٍ مفيدٍ إفادةً تامّةً، والحرفُ جزءُ الكلمةِ أو الكلام، وهذا مُا يُطلقُ عليـهِ عندَ البيانيينَ المجازُ بعلاقةِ الجزئيةِ، حيثُ أطلقَ الجزءَ وأرادَ منهُ الكُلَّ.

- **ثَالِثًا: الكِنايةُ عَن نسبةٍ:**

وهي التي "يراد بها نسبة أمر لآخرَ إثباتًا أو نفيًا، فيكون المكنَّى عنـه نسبةً"[1]، ومـن ضوابطِها أن "يكونَ ذو النسبة المقصودُ بالكنايـةِ مذكورًا"[2]، ففـي ذكرِه مـا يُشـعرُ بالكنايـة، ويُؤذنُ بإراتها دونَ غيرِها من أنواعِ المجازِ الأخرَى.

ومِن الصُّورِ الكّنائيّةِ الّتي احتملت في تضاعِيفِها كنايةً عن نسبةٍ، قولُ الفتـالِ ينعـي أحدَ أصدقائِه، وهو عبد الأمير معلّه[3] [4]: (بحر البسيط)

تَسْتَرخِصُ النّفسَ، والأيّامُ شَاهدةٌ بِأنَّكَ الفَردُ، تبقَى فِي ذُرَى الشُّهُبِ!

لِيقعَ هذا البيتُ مِن جملةِ المنظومـةِ الرّثائيـةِ خِتامًـا مُعبّرًا عن جُملـةِ الصّفاتِ الّتـي فصَـلَ القولَ فيهَا في عمومِ النظمِ، مما يُعطيـهِ قوةً دلاليـةً خاصَّـةً، أنتجهـا حُسنُ تخلُّصِ الشـاعرِ بِـهِ وقوةُ ختامِه، وقد أجملَ صفاتِه الحميدةَ وخصـالَه الحسنةَ إجمـالًا مُعبّرًا عَن كلِّ مَـا انطـوَى تحتَ شهادةِ الأيامِ لهُ بخلودِ الذكرَى، فمِنَ سُنّةِ الأيّامِ أن تُخلِّدَ ذكرَ العُظماءِ الذين تركوا فيمَن

---

[1]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 275 .

[2]) المصدر السابق، 276 .

[3])عبد الأمير حميد خضر معلّة (1942 – 1997) شاعر وكاتب عراقي. ولد في النجف في العراق. مجاز في الأدب. عمل في حقل التدريس مدّة، ثمّ اتجه إلى العمل الإعلامي فشغل عدداً من المهام الصحفيّة والإعلامية,. توفي عبد الأمير معلة عام 1997. إثر جلطة في المخ عن عمر ناهز 58 عاماً.

[4]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملةُ، 66/2 .

خلفَهم أثرًا يدلُّ على وجودِهم السابقُ في تلك الحياةِ، فكانت الكنايةُ عن صفةِ تهوينِ النّفسِ في سبيلِ تحصيلِ المعالِي، وحيازةِ المجدِ المُخلِّد للذكرِ طريقَ الفتّالِ لأداءِ هذا المعنَى.

فقولُ الفّتالِ" تَسترخِصُ النّفسَ" إنّما يَعنِي أنّك تبذلُ نفسكَ رخيصةً طلبًا لِمَا هو أغلَى منها، ولا شيءَ يفوقُ النفسَ في الغلاوةِ كالمجدِ الذي يكتبُ الإنسانُ لنفسِه بِهِ الخلودِ الأبديَّ بينَ الخلقِ، فقد يموتُ الإنسانُ ولكنَّ ذكرَه الذي أبقاهُ بينَ النّاسِ بفعالِه لَم يَزل حيًّا ينطقُ باسمِه ورسمِه بينَهم، ومِن هُنا نتبيَّنُ أن استرخاصَ النفسِ صفةٌ تُحيلُ على معنَى تهوينِ الحياةِ في نظرِ طالِبِ الخلودِ بمَا يُحصِّلُه مِن مجدٍ يُبقي آثارِه حيّةً مِن بعدِه.

ومِمّا يُرجعُ فيهِ الفتّالُ الكِنايةَ إلَى النِّسبةِ، قولُه، ناعيًا علَى المدخِّنينَ مَا يوقعونَه بأنفُسِهم مِن الأذىَ الذي قد يُودِي بِأحدِهم إلَى الموتِ , فقال في (التدخين)[1]: (البحر المتقارب)

لِمَاذا تُدخِّنُ يَا صاحِبي وصَدْرُكَ ضَجَّ بِهذا السُّعالِ؟!

فمِن عنايةِ الشّاعرِ بإخوانِه وظهورِ مدَى خوفِه عليهِم مِن أن يلحقَ بأحدِهم الضررُ الذي لا يستطيعُ دفعَه، ما دعاهُ إلى التوجُّهِ إليهِم بالنصيحةِ بتركِ التدخينِ، وقد وظَّفَ في ذلكَ أسلوبًا مِن الأساليبِ الطلبيّةِ التّي يُستَهدَفُ منهَا بالنُّصحِ المشوبِ بنبرةِ التحذيرِ، مُجليًا عن هذا التحذيرِ بطريقةِ الاستفهامِ الخارجِ عن حقيقةِ وضعِه؛ إلى حقيقةٍ أخرَى ضِمنيةٍ مُفادُها الإنكارُ المشوبُ بنزعةِ التحذيرِ[2]، يدلُّ عليهَا الاستفهامُ بقرينةِ الحالِ، فليسَ ثَمَّ من سلطةٍ تُمكِّنُ الشّاعرَ مِن توجيهِ المُدخِّن إلى تركِ التدخينِ بطريقِ الأمرِ المُباشرِ، فتوخَّى الحذرَ في انتقاءِ الأسلوبِ البلاغيِّ الذي يُناسبُ هذه الحالةِ، فراحَ يطلبُ تحذيرَ المدخِّن بأسلوبِ الاستفهامِ التحذيريِّ، مِن قولِه: "لِمَاذا تُدَخِّنُ يَا صَاحِبِي؟!"، مُضيفًا إلى ذلكَ أسلوبًا طلبيًّا آخرَ يُسفرُ عن حقيقةِ محبّةِ الفتّالِ لِمَن يُوجّه لهم الخطابَ، وهو أسلوبُ النّداءِ المُفيدِ للإشفاقِ[3]، وإفادةُ الإشفاقِ في طريقةِ النّداءِ التي وظّفهَا الفتّالُ في هذا الخطابِ، مُستقاةٌ مِن المُنادَى، حيثُ آثرَ نداءَ مَن يوجّهُهم لمنفعتِهم بتركِ التدخينِ بصفتِهم، لا بِأسمائِهم، فهو لَم يَقُل يَا فلانٌ على التّعيينِ، بل أتَى بالصفةِ (صَاحِبِي) في محلِّ المُنادَى؛ إشعارًا لهؤلاءِ بإشفاقِه عليهِم وخوفِه مِن مغبّةِ ما يفعلونَ بأنفسِهم.

---

1) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 66/3 .

2) ينظر: حسن إسماعيل عبد الرازق، البلاغة الصافية في (المعاني والبيان والبديع)، 216 .

3) ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 80-81 .

ثم لِينطَلِقَ مُعالقًا بينَ هذه الصّورةِ سالفِة الذّكرِ وصورةٍ أُخرَى انشّقّت منهَا، فالتحمَتَا لأداءِ مدلولٍ واحدٍ، وأكثرُ تعبيرًا عن فحواهُ من تلكَ، وهي الكنايةُ التّي ساقَها بوصفِها عِلَّةً فيما يُسديهِ لهؤلاءِ من النّصيحةِ المُضمَّنةِ في أسلوبَي الاستفهامِ والنِّداءِ، حيثُ كنَّى بِقولِه: "وَصَدرُكَ ضَجَّ بِهَذَا السُّعالِ" عَن نسبةِ الضّجيجِ إلى صدرِ المُدخِّن، وهو يَعنِي في الوقتِ نفسِه، الكنايةَ عن لُهاثِ المُدخِّنِ المُنبعثِ مِن أنفاسِه التي تخرجُ من صدرِه عند التنفُّسِ، لضيقِه عَن أن يجري فيه النّفسُ على طبيعتِه كغيرِه مِن غيرِ المُدخِّنين، ونسبةُ الضّجيجُ الذي كنَّى بِهِ عن ارتفاعِ صوتِ السُّعالِ، هي في الأصلِ إلى المُدخِّنِ، وصدرُه جزءٌ منهُ مشتملٌ عليهِ جسدُه كبقيّةِ أعضائِه، فتحوَّلَ من نسبةِ هذا الضّجيجِ مِن شخصِ المُدخِّنِ إلى صدرِه، والكنايةُ هُنا بالمجازِ المُرسلِ بعلاقتِه المسببيةِ، إذ إنّهُ أشارَ إلى السببِ وهو الضّجيجُ الناتجُ عن السُّعالِ، وأرادَ المسببَ وهو الدخانُ، ولا ضيرَ في تلبُّسِ الكنايةِ بِأنواعٍ أخرَى مِن المجازِ، فقد تكونُ الكنايةُ بالاستعارةِ، وقد تكونُ بالمجازِ، وقد عقد صاحبُ الإيضاحِ لذلك بابًا تحتَ اسمِ "بيانُ الاستعارةِ بالكنايةِ"[1], ويبقى المراد هو ايصال الفكرة للمتلقي بابسط الطرق.

[1]) الخطيبُ القزويني، الإيضاحُ في علوم البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)، 337 .

المَبحثُ الرَّابِعُ

المجازُ المُرسلُ

المجازُ المرسلُ أحدُ فنونِ علمِ البيانِ رفيعةِ الشّأنِ، وإنّ لهُ مِن الدلالةِ التي يفيضُ بهَا على النظمِ خاصَّةً مَا يُجلِّي عَن خصوصيةِ الشِّعرِ، لاسيّمَا لو استطاعَ الشاعرُ توظيفَهُ في خطابِه عَلى الوجهِ الذي يُرسِّخُ بِه للقيمِ الدلاليةِ المنشودةِ مِن استعمالِه، وعرَّفَه البيانيُّونَ بِأنّهُ: "ما كانت العلاقةُ بين ما استعملَ فيه وما وُضعَ له لملابسةٍ غير التشبيه، كاليدِ التي استعملت في النعمةِ؛ لأنَّ من شأنِها أن تصدرَ عن الجارحةِ"[1]، ايراد معنى من المعاني إلى غيرِ الموصوفِ به في اعتقادِ المتكلم، لملابسة ما تصح في الذهن، ومن فوائدِه تحقيق الإيجاز المفيد، والتأكيد على المعنى المراد، ويُفهم ذلك من تعريفِ الهاشميّ له، فقولُه: "المجازُ المرسلُ هو اللفظة المستعملةُ قصدًا في غيرِ معناها الأصليّ، لملاحظةِ علاقة غير المشابهة مع قرينةٍ دالةٍ على عدمِ إرادةِ المعنى الأصليّ"[2]، مُشعرٌ بإسنادِ الصفةِ في الكلامِ لغيرِ موصوفِها، وهذا ما سيقفُ القارئُ الكريمُ حيالَهُ عندَ التحليلِ.

وإنَّ للمجازِ المُرسلِ عددًا من العلاقاتِ المُنبثقةِ مِن الصورةِ الاستعماليةِ لهُ، والمُبرزةُ لِلمعانِي مِن طريقِ تناولِ الشّاعرِ لها، فكلُّ علاقةٍ منها تقومُ بوظيفةٍ بيانيةٍ في الخطابِ، تُلمحُ بشيءٍ من الجماليةِ لمرادِ الشّاعرِ وتوضِّحُ سببَ استعمالِه لهذا النّوعِ من المجازِ في شِعرِه، وتلكَ العلاقاتُ كثيرةٌ[3]، وقد وظَّفَ الفتّالُ عددًا لا بأسَ بِه منهَا في تضاعيفِ نصوصِه مِن هذا الديوانِ، وسيتعرّضُ الباحثُ هُنا لِعددٍ من تلك العلاقاتِ في إطارِها الوظيفيّ داخلَ خطاباتِه المتعددة وأغراضِه المتباينةِ، ومن تلكَ العلاقاتِ: (السببيةُ، والمسببيةُ، والحالِّيَّةُ، والمحلِيَّةُ، والزمانيةُ، والمكانيةُ، والآلية...إلخ).

- **المجازُ المرسلُ بعلاقةِ الآلِيَّةِ:**

وإنَّ لتلك العلاقةِ خصوصيةً قد لا يلتفتُ إليها في الإعمالِ إلَّا من دقَّق النظرَ فيها، وإنما تعني: "أن يكون الشيءُ واسطةً لإيصالِ أثرِ شيءٍ إلى آخرَ"[4].

---

[1]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني، البيان، البديع، 296 .

[2]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في (المعاني والبيان والبديع)، 237 .

[3]) ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 237 .

[4]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 238 .

ومِن توظيفاتِ الفّتالِ للمجازِ المرسلِ بعلاقتِه الآليةِ الّتي تُمثّلُ في خطابِه واسطةً لِمَا يجبُ توصيلُ أثرِه إلى غيرِه، قولُه من (الرباعيات) [1]: (تفعيلة الرمل)

والَّذينَ استنهَضوا أنفُسَهُم بِالعقلِ تَاهوا

هُم كَمَن يَحلُبُ ثورًا يَبتَغِي مِنهُ جَنَاهُ[2]

مَن تَحلَّى بِالبَلَاهَة

لَا يُعانِي مِن مَتاهَة[3]

عَقلُهُ لَا يَشتَرِي بَاقَةَ كُرَّاثٍ صَغِيرة

فِهي أيَّامٌ عسيرة!

ذلكَ أنَّ العقلَ آلَةُ التفكيرِ والتأمُّلِ التي تحكمُ الإنسانَ بسلوكٍ مُعيَّنٍ وتصرُّفٍ مُحدّدٍ، عَلى أن يكونَ مجلبةً للمنافعِ، مدفعةً للمضارّ، ولذلك سُمِّي العقلُ عقلًا، لِأنّهُ عقالُ المرءِ وحاكمُه، وتصويرُ الفتّالِ للعقلِ في هذا البيتِ بصورةِ الإنسانِ العاجزِ عن شراءِ باقةٍ من كُرَّاثٍ؛ لضعفِ منطقِه وغباوتِه، تجسيدٌ لصورةِ سلوكِ صاحبِ هذا العقلِ وتشخيصٌ لفعلِه الدالّ على قصورِ فكرِه وقلّةِ تدبُّرِه للأمورِ، إلى حَدِّ انعدامِ قُدرةِ عقلِه عَلى توجيهِه لشيءٍ نافعٍ، ولأنّ العقلَ آلةُ التّفكيرِ ومنبعَ التصوُّرِ، نسبَ الفتّالُ إليهِ العجزَ عن الشّراءِ، من منطلقِ أنّهُ الآلَةُ التي تُمكّنَ صاحبَهَا مِن الوصولِ بأثرِها مِن المنطقِ والحكمةِ إلى مَا يطلبُها مِن الأشخاصِ أو الصّفاتِ، وصاحبُ العقلِ أحرَى بنسبةِ العجزِ إليهِ، غيرَ أنّهُ عمدَ إلى نسبةِ هذا إلى الآلةِ التّي مِن شأنِهَا توجيهُه إلى ما يفعلُ ويقولُ؛ ليكونَ ذلكَ أظهرَ في بيانِ مدَى عجزِه، فتعطُّلُ آلةِ التفكيرِ لديهِ أدلُّ على الغرضِ مِن بيانِ عجزِه عن شراءِ باقةٍ من كرّاثٍ بأسلوبٍ آخرَ.

وحيثُ عبَّر هنا الفتّالُ بالعقلِ وهو بصددِ التّعريضِ بصاحبِه؛ مِن حيثُ كانَ العقلُ هو المُتحكِّمَ في سلوكِه والمُلهمَ لحكمتِه، لزمَ مِن ذلكَ أن تكونَ هذه العلاقةُ آليةً، أوردَ فيهَا الآلةَ وأرادَ أثرَهَا الذي تُنتجهُ، فيعكسُ مدَى قدرتِها على أداءِ وظائفِها المنوطةِ بِها.

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 208/7.

[2]) الصورة التشبيهية المستحيلة .

[3]) مستوحى من قول المتنبي : ذُو العَقْلِ يَشْقَى فِيْ النَّعيم بِعَقْلِهِ وأَخُو الجَهَالَةِ فِيْ الشَّقَاوةِ يَنْعَمُ.

- **المجازُ المُرسلُ بعلاقةِ اعتبارِ ما كانَ:**

ويؤدَّى المعنى المرادُ بهذه العلاقةِ بالنظرِ إلى الماضي، فيوقعُ المتكلمُ الماضي موقعَ الزمنِ الحاضرِ أو المستقبلِ كأنَّه جزءٌ منه[1].

ويُحيلُنا الفّتالُ بهذا النصِّ الذي يُؤطِّرُ فيهِ لعلاقةِ السُّنةِ بالشيعةِ بوشيجةٍ قويةٍ، وآصرةٍ لا تنقطعُ، يُرجِعُها إلى الخَلْقِ الأوَّلِ بِقولِهِ في (النطفة الواحدة)[2]: (البحر الرمل)

إنَّما الشيعةُ والسُّنةُ في حياةٍ ليسَ فيهَا خُصماءُ

وَكَذا السُّنَّةُ لا يَرقَى لهم نَتَنُ الشّرِّ، فيزدادَ البلاءُ

فَهُما مِن نُطفةٍ واحدةٍ فَلِمَاذا إخوَتِي هذا العداء؟!

علَى مَا يجبُ أن تكون عليه العلاقاتُ بينَ هاتين الطائفتين من المسلمين في السّرّ وفي العلنِ، في الظّاهرِ وفي الباطنِ، لأنّهُم وإن كانَ هنالكَ مِن الاختلافِ ما يُمكنُ أن يُفرّقَ بينَهم، فإنّهُ ليسَ أوثقَ من عُرَى الدينِ الذي يشتركونَ فيهِ لتماسكِهم وتمازجهم معَ بعضٍ، ثمَّ إنَّ العلاقةَ العقديةَ وإن كانت قريبةَ العهدِ، فإنّ علاقةً بعيدةَ الغورِ في أعماقِ التّاريخِ تربطُهم قبلَ أن يكونَ على الأرضِ سوَى نبيِّ اللهِ أبينَا آدمَ (عليهِ السّلام)، فهما منِ نُطفتِه، وهي نُطفةٌ واحدةٌ، وذلك أدلُّ على الغايةِ المنشودةِ من هذا الخطابِ، وأقصدُ في مسألةِ ردِّ مَن يُعاندُ ويتّخذُ من صاحبِه عدوًّا يُناصبُه العداوةَ ظاهرًا وباطنًا، بِجانبِ عنايةِ الفتّالِ بالدّعوةِ إلَى الوحدةِ بينَ الطّوائفِ والشعوبِ العربيّةِ جميعًا، لاسيّما أنّ تلك الحقبةَ قد طغَى عَلَى أسلوبِ الشّاعرِ الكربلائيِّ فيهَا روحُ الإخاءِ الباعثةِ لهُ عَلى المُطالبةِ بالوحدةِ والتوحُّدِ، حتّى صارَت تلك النّزعةُ مسارًا مُتّبعًا لدَى الشّاعرِ الكربلائيِّ في تلكَ الحقبةِ.

وقد أنتجَ الفتالُ هذه المعاني السّاميةِ عبرَ ذلك القالبِ البلاغيِّ البديعِ، حينَ أعادَ المتخاصِمَين مِن جمهورِ السُّنةِ والشيعةِ إلى الطبيعةِ الأُولَى التّي كانوا عليها قبل خلقِهم في الأرحامِ، فصوَّرَ لهُم هذا الواقعَ الساخنَ الذي يعيشونَهُ باللا شيء حينَ أرجعَهُم إلى الماضي السّحيقِ وأصلِ الخِلْقة، فهو هنا يعقد موازنةً بينَ قوَّةِ الإنسانِ الّتي يغترُّ بها الآنَ، وطبيعتِه الواهنةِ الضّعيفةِ المهينةِ الّتي كان عليهَا قبلَ خلقِه.

---

[1]) ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح بشرح تلخيص المفتاح، 138/2 .

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 160/5 .

وعبَّر عن هذه الظواهرِ الدلاليةِ بالصورةِ البلاغيةِ التّي تحسم الجدلِ بينَ طرفَي الخصومةِ، بأنساقَ المجازَ المرسلَ بعلاقتِه اعتبار ما كان[1]، من قولِه: "فَهُما مِن نُطفَةٍ واحدةٍ" وتلك هي صورةُ الإنسانِ الأُولَى الّتي أنتجته فيمَا بعدَ مراحلِ الخلقِ والتّكوينِ إنسانًا كاملَ الخلقةِ تامَّ الشّكلِ، وقد خاطبَهم باعتبارِ ما كانوا عليهِ؛ لحاجةِ المقامِ إلى تذكيرِهم بهيئاتِهم المهينةِ التّي كانوا عليها، ولداعي توظيفِ المجازِ المسلِ بعلاقتِه اعتبارِ ما كانَ هنا من أجلِ حثِّهم على التوحُّدِ والاجتماعِ بدلًا من التفرُّقِ والخصامِ.

- **المجازُ المرسلُ بعلاقةِ اعتبارِ مَا سيكونُ:**

وهو تسمية الشيء باسمِ ما سيؤول إليه في المستقبلِ، بـ"النظرِ إلى المستقبل"[2]، غيرَ أنَّ حالةَ الإطلاقِ في الزمنِ الماضي والزمن الراهنِ لا تنطبقُ عليه، فهو لم يقع بعدُ، وإنما سيقعُ

ومن الاستعمالاتِ المجازيةِ التي أطّر بِها الفّتالُ لِمَا بينَ المُستقبلِ المشرقِ الذي ينشدُه شعبُ العراقِ، والحالةِ الرّاهنةِ الّتي تُقيّدُهم بإسرِها، وتُقيُدهم عن استشرافِ هذا المستقبلِ، يُعبّرُ بالزرعِ، في قولِه (نصف الحقيقة) [3]: (تفعيلة المتقارب)

أخِي في الخِضَم

هَلُمَّ إلَى حيثُ يُهراقُ دمْ

إلى المعركةِ هلُمَّ

نَشُدُّ الأكفُّ؛ لِتُحمَى الذِّمار

ونَزرعُ في أرضِنَا سُنبلةً

وَنغسِلُ مِن أرضِنَا ألفَ عارْ

لمَّحَ الفتالُ إلى العلاقةِ بالصورةِ البيانيةِ التّي صاغَهَا بِالمجازِ المُرسلِ بِعلاقةِ اعتبارِ مَا سيكونُ، فالسنابلُ لا تُزرعُ، وإنّما المزروعُ البذورُ التي تُنبتُ تلك السّنابلَ بعدَ حينٍ، والدليلُ

---

[1]) أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، تحقيق: د. أبو أزهر بلخير هانم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010، 276 .

[2]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 239.

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 83/2 .

عَلى ذلك قولُ المولَى تعالَى علَى لسانِ يُوسفَ: "فَمَ حَصَدتُم فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ" [1]، والحصادُ إنّما يَقعُ على السّنابلِ دونَ مَا اشتملت عليهِ، ويُشيرُ إلى ذلكَ بِالضّميرِ المُستترِ فِي (حَصَدتُمْ) والبارزِ في (سُنبُلِهِ)، فهما راجِعانِ إلى مَا داخلَ السنابلِ، لا إليهَا بعينِها، وهذا مؤكِّدٌ على أنّ الأصلَ في السنابلِ مَا اشتملت عليهِ، فهو المزروعُ المتحوِّلُ بعدُ إلى سنابلَ، ويشيرُ إلى قريبٍ من ذلك المعنىَ صاحبُ الكشّافِ[2]، وذلكَ مُنتجٌ للمعانِي الدّالةِ عَلى طلَبِ الشّاعرِ للزراعةِ بعدَ مطالباتِه بالقتالِ، فليسَ يحلُّ السّلامُ والأمنُ المُمكِّن للشّعبِ مِن الزراعةِ والعطاءِ مَا لَم يكن هناكَ جهادٌ يُقرُّ على إثرِه هذا الأمنَ في البلادِ.

فإنّه يدعو بني وطنِه إلى الجِدِّ والاجتهادِ واحتمالِ الأعباءِ التّي تُمكِّنُهم مِن استعادةِ سالفِ مجدِهم، فيستعملُ في ذلك أسلوبَ النّداءِ غيرِ القياسيّ، باسمِ فعلِ الأمرِ (هَلُمَّ) المفيدِ لطلبِ الحضورِ من المخاطبِ به، فَمِن استعمالاتِه العربيةِ أنَّه "اسمُ فعلٍ بمعنَى احضروا"[3]، ونجد الفتَّال هنا أجراهُ على اللغةِ الحجازيةِ[4]، حيثَ جاءَ على صيغةِ المفردِ والمخاطبُ بهِ وإن كانَ واحدًا في اللفظِ، إلَّا أنَّه متعددٌ في المعنى، وهو مِن المعانِي المجازيةِ التي يُقصدُ بِهَا استنهاضُ الهممِ، لا مُجرد الحثِّ على الحضورِ بينَ يدَي المُتكلِّم.

فالدعوةُ هنا دعوةُ تشجيعٍ على الإقدامِ على الحربِ، ومُساورةِ العدوّ؛ لكي يتخلّصوا مِن وطأةِ الظلمِ والاستبدادِ الذي أحلّهُ بهم العدوُّ الغاشمُ، ودعوتُه هنا مشوبةٌ بنزعةِ الجرأةِ على قتالِ، وإن كانت أكثر دعاوَى الفتّالِ في شِعرِه للتّخلُّصِ من العدوّ بالمسالمةِ، لأنّه قد تراءَى لهُ أنّ مثلَ هذا الوقتِ لا يجوزُ فيهِ سوَى القتالُ، فليسَ لهم مخلصٌ من هذا الظلمِ إلّا مِن طريقِه، فناسبت الدعوةُ للجهادِ الوقتَ الذي طالبَ الفتّالُ فيهِ إخوانَه وبني جِلدتِه برفعِ رايةِ القتالِ لاستردادِ أمجادِ هذه الأمّةِ المسلوبةِ، فهو هنا مُتمثِّلٌ لمعنَى الآيةِ الكريمةِ: "وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ" [5]، فالحياةُ الّتي تحدّثت عنهَا الآيةُ الكريمةُ نتيجةَ اندحارِ مَن تُسوّلُ لهُ نفسُه قتلَ النّفسِ الي حرّمَ اللهُ إلّا بالحقِّ، فذلكَ رادعٌ له عن مقاربةِ مثلِ هذه الخطيئةِ، وهو

---

[1]) سورة يوسف:47.

[2]) ينظر: جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، 819.

[3]) أحمد بن يوسف السمين الحلبي، الدر المصون من علوم اللؤلؤ المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، ، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 2006 ,211/5.

[4]) المصدر نفسه، 211/5

[5]) سورة البقرة:179.

أحفظُ لحياتِه وحياةِ مَن يُقدمُ على قتلِه[1]، ويُجلِّي القتال عن مضمونِ هذا المعنَى عن طريق ربطِه بينَ الدّمِ الذي يطُالبُ بإراقتِه تخليصًا للوطنِ وحفظًا للكرامةِ، وبينَ قولِه: "وَنَزْرَعُ في أرْضِنَا سُنبُلَةً..." فزراعةُ السنابلِ مُوحيةٌ بالسّلامِ والدفء والعطاءِ، والقتالُ على نقيضِ ذلكَ، وفي الظّاهرِ أنّهُ ليسَ يتولّدُ مِن القتالِ سلامٌ، ولكن بالنّظرِ إلى هذا الارتباطِ الضديّ بينَ القتالِ والسّلامِ، نجدُ أنّ الفتّال جعلَ مِن القتالِ مدعاةً للسّلامِ، كما جعلتِ الآيةُ القتلَ سببًا في الحياةِ, وقد يحمل على علاقة تسمية الشيء باسم ضده.

- **المجازُ المرسلُ بعلاقةِ الجزئيةِ:**

ويعني: "إطلاقُ جزءِ الشيءِ على أخصِّ من كلِّه...، لأنَّه جزءٌ مخصوصٌ"[2] فمخصوصيةُ هذا الجزءِ هو الذي يحكمُ العلاقةَ بينَ ما نُقلَ منهُ اللفظِ إلى ما وضعَ فيه.

وهنا في ذلك الخطابِ ينطلقُ الفتّالُ مِن المجازِ بعلاقتِه الجُزئيةِ، حيثُ تمثَّلَ فيهِ زيارتَه لبيتِ اللهِ الحرامِ في أحدِ الأعوامِ التّي نصَّ علَى ذكرِهَا مِن الهجرةِ والميلادِ معًا في أوّلِ وثاني رباعيةٍ من هذه المنظومةِ، مُنطلقًا مِن أرضِ كربلاء الطّاهرةِ نحوَ مكَّةَ موفِّيًا بِدَينِه للهِ، يقولُ في (مناسك الحج) [3]: (مجزوء الرمل)

وَاتَّجَهْنَا بِرِقَابٍ شَخَصَتْ صَوبَ عِلِي

ذلِكَ الواهبُ نَفسًا للنَّبيّ الأَكمَلِ

وَوَصِيُّ المُصطَفَى المُختارِ، بَل خيرُ وِلِي

سَلَّمَ الكُلُّ عَلَيهِ بِهَدىً مِن حَجِّ بَيتِك

والاتجاهُ – كما يظهرُ من نوعِ الخطابِ – دينيٌّ فيهِ من الروحانيةِ مِا يأخذ بمجامعِ القلوبِ، وفيهِ نصٌّ عَلى المكانِ المأمومِ، ومكانِ الانطلاقِ إلى تلك الرحلةِ، والأشخاصِ المُحبَّبينَ الذين آثَرَ أن تكونَ زيارةُ أضرحتِهم آخرَ مشاهدِ عينِه قبلِ الرحيلِ إلى الحجِّ، وهذا عنصرٌ قلَّ مَن يتنبَّهُ إليهِ في مثلِ ذلكَ الموقفِ، فإنّما أرادَ الفتّال التنبيهَ على أنَّ التعبُدَ بزيارةِ

---

[1]) ينظر: أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 216/1.

[2]) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح، بشرح تلخيص المفتاح 133/2.

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 167/5 .

قبورِ هؤلاءِ والطمعِ في رضاهُم ومحبتهم قريبٌ من تعبُّد الإنسان للهِ بما افترضه عليهِ، فحبُّ آلِ البيتِ فريضةٌ أيضًا؛ ولذا نجدُ الفّتال يشيرُ إلى هذا المدلولَ ضِمنًا مِن غيرِ تصريحٍ، بإخباره أنّهُ اتّجهَ معَ الحُجّاجِ قبلَ الرّحيلِ إلى مكّةَ برقابٍ مائلةٍ نحوَ مقامِ الإمامِ عليٍّ (عليهِ السّلامُ)؛ لمَا له من الولايةِ بعدَ النبيِّ، ولأنّهُ الذي أوصَى له رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مِن بعدِه بِهَا.

وهُنا نقفُ معَ هذه الصورةِ البيانيةِ الّتي ألّفَ بها الفتّالُ بينَ المعاني، وحقّقَ عن طريقِهَا مدلولَ القولِ، فعمدَ إلى تمثيلِ صورتِه معَ هؤلاءِ الذين قصدوا الحجَّ معَهُ في ذلكَ العامِ، بِمَن توجَّهَ برقبتِهِ، وقدَ عبَّرَ بالرّقابِ مِن قولِهِ: "وَاتّجهنا بِرقابٍ شَخَصَتْ" وهِي إحدَى أعضاءِ الجسدِ، وبعضٌ منهُ، وأرادَ الكُلَّ، وهو الجسَدَ جميعًا، فإنَّ الشوقَ الذي يأخذ من نفسِه كلَّ مأخذٍ لا يُشبِعُه ميلُه إلى مقامِ الإمامِ عليٍّ (عليهِ السّلامُ) بعُنُقِهِ وحسبُ، ولكنّه التّعبيرَ بالعُنُقِ اعتيادٌ عربيٌّ من ناحيةٍ، ومِن جهةٍ أُخرَى، نَرَى أوّلَ مَا يميلُ مِن جسمِ الإنسانِ حيثُ مالَ الإنسانُ العُنُقَ، وهو بعضُ الإنسانِ، كما أنّه موضعٌ شريفٌ مِن الإنسانِ، ولذلك عُبّرَ بِه فِي قولِ المولَى تَعالَى: "ظَلَّت أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ"[1]، فـ" ذهبُ مجاهدٌ إلى أنَّ المقصودَ بالأعناقِ رؤوس القومِ وكبراءهم"[2]، فجرت العادةُ بالتّعبيرِ بِهِ في الدّلالةِ عَلى الشّرفِ ورفعةِ المنزلةِ، ولشرفِ العُنقِ يُعبّرُ بِهِ الشّاعرُ عَن تشوُّفِه لرؤيةِ مقامِ الإمامِ عليٍّ، ومِن هُنا كانَ توظيفُه للعُنقِ في هذا الموضعِ تحديدًا مِن قبيلِ الاستدلالِ على الكلِّ بِجُزئِهِ، ولأنَّ إيثَار الجزءِ لاعتبارِ أنَّه أخصُّ أجزاءِ الشيءِ[3]، فلمَّا كانت لهذا الجزءِ خصوصيةٌ أُطلقَ على الكلِّ.

- **المجازُ المُرسلُ بعلاقتِه الزمانيةِ:**

وهو "إسناد الوصفِ إلى غيرِ ما هو له بجامعِ ما بينهما من وقوعِه في زمنِه"[4]، فبالنظرِ لزمنِ وقوعِ الوصفِ، نُسبَ إليه، وسُميَ باسمِه.

ومِن كلام الفّتالِ الذي ضمَّنهُ دلالةَ الاعتزازِ بالانتسابِ إلى آلِ بيتِ النبيِّ (صلى الله عليه واله وسلم) مُمثّلِينَ في شَخصِ كُلٍّ مِن السيدةِ فاطمةَ بنتِ رسولِه اللهِ، وسيّدِنا الإمامِ عليٍّ

---

[1]) سورة الشعراء:4.

[2]) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تفسير معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعوية، ط1، 1989 ,233/4.

[3]) ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح، بشرح تلخيص المفتاح، 133/2.

[4]) عبد العزيز عتيق، علم البيان، 149.

(عليه السلام)، عن طريق المَجازِ المُرسلِ بعلاقتِه الزّمانيةِ، قولُه في (يا إبنة النور)[1]: (بحر الخفيف)

هِيَ ذِي فَاطِمٌ وَذَا العِزُّ مِنهَا مُحتِدٌ، عِزُّهَا نَمَّتْهُ العُصُور

فمِمّا لَا يرتابُ فيهِ ممارسٌ للسانِ العربيّ دارسٌ لعلومِها، أنّ التعبيرَ بمَا يؤدّي إلى معنًى سِوَى ما احتملَه اللفظُ في الوضعِ يُعدُّ مِن بابِ المَجازِ، وهُنا يتأتّى للفتّالِ أنّ يصوغَ ذلكَ الحُبَّ وتلكَ العلاقةَ القويةَ التي تربطُه بآلِ بيتِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في صورةٍ بيانيةٍ بالغةِ الدقّةِ، يرغبُ بِها أن يُخبرَ ليسَ عن الحالةِ التي تنتابُه تجاه آلِ البيتِ وحسبُ، بل وكذلك أن يُخبرَ عن أنّ هذه المحبّةَ التي ملأت قلبَه لهم، استرفادٌ مِن العصورِ الأولَى لزمنِ البعثةِ النبويةِ، ظلّت تتنامَى وتكبرُ إلى أن بلغت الغايةَ المنتهَى إليها في كلِّ نفسٍ حلّت فيها، وقد نسبَ الشّاعرُ هذا التنامي المُطردِ في تلك المحبّةِ التي ادّخرهَا كلُّ مَن أنعم اللهُ عليهِ بمحبةِ آلِ بيتِ النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) إلى العصورِ، والعصورُ أزمنةٌ متفرقةٌ تقعُ فيهَا أحداثٌ منها ما يذكرُه الإنسانُ ومنها ما ليسَ كذلك، وكان حظُّ محبّةِ آلِ البيتِ في القلوبِ أن تستقرَّ فيهَا وتُقيمَ إقامةً طويلةً ساعدت الأيّامُ على نمائِهَا، وأيّدت العصورُ مِن بقائِها.

وهو إذ يُشيرُ إلّى فاطمةَ (عليهَا السّلامُ)، بقولِهِ: "هِيَ ذِي فَاطِمُ" يلمِحُ إلَى أنّهَا حاضرةٌ في كلِّ نفسٍ لا تخفَى على مُؤمنٍ مُحبٍ لِآلِ البيتِ، وفي قولِهِ: "عِزُّهَا نمَتْهُ العُصُور" قطعٌ بِنسبةِ نَماءِ عزِّ السّيدةِ فاطمةَ في نفوسِ النّاسِ إلى العصورِ، وهو مجازٌ مُرسلٌ علاقتُه الزّمانيةُ، فسُمِّي الفعلُ الكائنُ في هذا الزمنِ باسمِه من قبيلِ" إسنادِ الفعلِ إلى غيرِ فاعلِه الحقيقيّ"[2]؛ حيثُ ذكرَ الفتّالُ الزّمنَ الذي تمدَّد عبرَهُ عِزُّ السيدةِ فاطمةَ (عليها السلام) في كلِّ نفسٍ أحبّتْهَا، وأرادَ ما وقَعَ فيهِ مِن أحداثٍ دلّ عليَها بِعبارتِه الصّريحةِ المُشعرةِ بِأنّ هذا العزَّ مِن الأشياءِ الّتي ظلّت قائمةً لمَ تتقاصرَ عبرَ الزمنِ كما تتقاصرُ وتتراجعُ وتندثرُ أشياءُ كثيرٌ، فأن يكونَ العزُّ منسوبًا إلى أزمنةِ نمائِه تولّي إكبارِه في نفوسِ مُحبّي السيدةِ فاطمةَ الزهراء وزوجِها سيدِنا عليٍّ (عليهما السّلامُ) ذلك مِن منطلقِ العلاقةِ التي تربطُ بينَ الزمنِ ومرورِه والأحداثِ التي تقعُ فيهِ.

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 421/6 .

[2]) عبد العزيز عتيق، علم البيان، 150 .

الفصل الثالث

مرجعية الصُّوَرة فِي شِعرِ علي الفتَال في ضوء علم المعاني

-

- **مِهادٌ نَظَريٌّ:**

وإنَّ مِمّا يُعوّلُ عَلَيهِ الشّاعرُ أو الأَديبُ فِي تَحقِيقِ غَاياتِه مِن الخِطابِ، وإبرازِ مَقاصدِهِ مِن النصِّ ذلِكَ النّحوُ مِن أَفانِينِ البلاغةِ الذي يَتَّخذُ مِن التَّراكيبِ النّحويَّةِ والأنظمةِ التقعيديَّةِ للغةِ منهجًا يستندُ إليهِ في صَناعةِ الصُّورةِ وصِياغةِ الدّلالاتِ، ولِاعتمادِ هذا الفَنّ عَلَى التّركيبِ النّحوِيّ - غَالِبًا – أطلَقَ عَلَيهِ البَلاغِيُونَ مَفهومَ عِلْمِ المَعانِي؛ وذلِكَ لِتعلُّقِه المُباشرِ بِالإفصاحِ عَن المَعانِي الّتي هِيَ الغَاياتُ المُرادةُ مِن الخِطابِ، وإنَّ لِهذا العِلمِ مِن الأَثَرِ في قراءةِ دلالاتِ الخِطابِ الشِّعريّ واستنطاقِ فَحوَاهُ، مَا تُجلِّي عَنهُ الأبنيَةُ العمِيقَةُ المُستنبطَةُ مِن الأبنِيَةِ الظّاهرةِ السَّطحيَّةِ.

- **عِلْمُ المَعانِي فِي اللُّغة:**

المَعانِي جمعُ (مَعنًى)، والمَعنَى هو ما وُضِعَ بإزاءِ اللَّفظِ لتمييزه عن غيره ممَّا قد يشتركُ معَه في الدلالةِ الإفراديَّةِ والمُعجميَّةِ[1]، وقد رَبطَ البَلاغيُّونَ بينَ المعنَى المَوضوعِ بإزاءِ اللّفظِ والمعانِي الّتي تُنتِجُها البلاغةُ التّصويريَّةُ المُعتمِدَةُ عَلَى التّركيبِ النّحويّ، مِن جِهةِ "أَنَّ صاحبَ العربيَّةِ إذا أخلَّ بطلبِ هذا العلمِ وفرَّط في التماسِه ...، بان جهلُه وظهرَ نقصُه"[2]، وإنّ لِهذا المفهومِ اللُّغويّ انسحابًا ظاهرًا عَلى المَفهومِ الاصطلاحيّ يَظهرُ في تعريفِ البَلاغيّينَ لهُ عَلى نَحوِ مَا سَيظهرُ في السطور الآتية:

- **عِلْمُ المَعَانِي فِي الاصطِلَاحِ:**

لَم يقِفِ العُلماءُ من هذا التَّعريفِ موقفَهم من تعريفِ علمِ البيانِ وعِلمِ البديع، بل اختلفوا في مفهومِه اختلافًا ظاهرًا، وكان ذلك الاختلافُ نتيجةً طبيعيَّةً لاختلافِهم في فَهمِ مدلولِه، وتبَعًا لأنواعِ العلومِ التي كانوا يتناولونَها ضِمنًا معَ هذا العلمِ في كُتُبِهم؛ إذ إنَّهم تناولوا علومَ البلاغةِ الثَّلاثةِ دونَ فصلٍ بينَها - في أوَّلِ أمرِها – وقد عرَّف السَّكاكي علمَ المعاني بقولِه: "تتبُّعُ خواصِّ تراكيبِ الكلامِ في الإفادةِ وما يتَّصلُ بها من الاستحسانِ وغيرِه؛ ليُحترَزَ بالوقوفِ عليها عن الخطأِ في تطبيقِ الكلامِ على ما يقتضي الحالُ ذِكرَه"[3]، فلم يسبق وان فسر وفصل بين فنون البلاغة "فقد سارت دراسةُ البلاغةِ قبلَ السَّكاكي على منهاجٍ من عدمِ

---

[1]) ينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، 654.

[2]) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتان، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار افكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1971، 8.

[3]) يوسف ابن أبي بكر أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: أحمد جاد المولى، المكتبة الوقفية، القاهرة، مصر، ط1، 2009، 122.

الفصلِ بينَ فنونِها"[1]، وبتتبُّعِ مَسارِ هذا التّعريفِ نَجدُ أنّهُ اتّسمَ بِعُمقِ الأُسلوبِ والإغراق في التّعقيدِ عَلى حدِّ قولِ الدكتور عبد العزيز عتيق، حيثُ بنَى السَّكاكي مَنهجِه في دراسةِ علومِ البلاغةِ على أُسسٍ منطقيَّةٍ[2]، وذلِكَ تبعًا لما كان عليه السَكاكي من العلومِ المنطقيَّةِ.

وقد أكَّدَ ابنُ النّاظمِ عَلَى قوَّةِ الوشيجةِ الّتي تربطُ علمِ المعاني بعلمِ النّحوِ، انطلاقًا مِن مُراعاتِه لشِدَّةِ تأثيرِ القواعدِ التّركيبيّةِ في تحديدِ دلالةِ العِبارةِ ، فقالَ: "هو تتبّعُ خواصّ تراكيبِ الكلامِ، وقيودِ دلالتِه؛ ليحتَرَزَ بِالوقوفِ عليها عَن الخطأِ في تطبيقِ الكلامِ على مَا تقتضِي الحالُ ذكرَه"[3]، فالصِّلةُ الّتي تؤطِّرُ لعلمِ البلاغةِ بعلمِ النّحوِ في المعاني واضحةٌ شديدَ الوضوحِ،

وقد عرَّفَه الدكتور عبد العزيز عتيق، تعريفًا أيسرَ من ذلك، وأكثرَ وضوحًا؛ بغرضِ بيانِ ما هو معقودٌ لهُ من أوجهِ البيانِ، فقالَ: "هو العلمُ الَّذي يبحثُ في وجوهِ مُطابقةِ الكلامِ لمُقتضى الحالِ بمعونةِ القرائنِ"[4]، وقد راعَى الدكتور عبدِ العزيز عتيق في ذلِكَ التّعريفِ عدَّةَ أُمورٍ، أوَّلُها: اتِّفاقُه مَع مذاهبِ العُلماءِ في المَفهومِ، وثانيها: مُراعاتُه لِحالِ المُخاطبينَ في أداءِ المعنَى المَطلوبِ، وثَالثُها: عملُه بِقانونِ القَرينةِ، وكلُّ ذلِكَ مِمّا سَيقفُ القارئُ الكريمُ عَليهِ بشيءٍ مِن التّفصِيلِ عندَ تحلِيلِ نماذجِ الأبياتِ المُختارةِ مِن شِعرِ الفتَالِ تحَتَ هذا البَابِ.

ومِن هُنا تأتَّى لعلماءِ البلاغةِ الحُكمُ على العبارةِ أو الجملةِ بالبلاغةِ مِن عدمِها عن طريق استِيفائِها لأحكامِ وضوابطِ التّركيبِ أوَّلًا.

عَلَى أن يَضمَّ تحتَهُ عددًا مِن المَباحثِ، عَلى هذا النّحوِ:

المَبحَثُ الأوَّلُ: الخَبَرُ والإنشاءُ

المَبحَثُ الثّانِي: التَّقديمُ والتَّأخيرُ

المبحَثُ الثَّالِثُ: التَوكيدُ

المَبحَثُ الرَابعُ: القصرُ

---

[1]) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، 27 .

[2]) ينظر: د. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، 27.

[3]) أبو عبدِ الله محمد بدر الدين بن محمد بن عبد الله بن مالك، المصباح في علوم البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع) 7 .

[4]) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، 37.

المَبحَثُ الخامسُ: الإيجازُ

المَبحَثُ السَّادسُ: الإطناب

المبحثُ الأوَّلُ

الخبَرُ والإنشاءُ فِي شِعرِ الفتّالِ

أوَّلًا الأُسلوبُ الخبريُّ:

وقبلَ تَطبيقِ معاييرِ الأسلوبِ الخبريّ عَلَى بعضِ النّماذجِ المُنتقاةِ مِن شعرِ الفتّالِ، يَجبُ أوَّلًا الوقوفُ على تعريفِ علماءِ البلاغةِ لِلخبرِ، وبيانِ أساليبِه المُعتمَدَةِ لديهم، حتّى إذا تَعرَّضتُ لِتحليلِ الأبياتِ علَى وفقِ تلك المعاييرِ اتّضحَ للقارئِ الكريمِ سبيلُ ما أخذتُ فيهِ مِن التّحليلاتِ.

الخَبرُ في اللُّغةِ: "والخَبَرُ بالتَّحريكِ: واحدُ الأخبارِ، والخبرُ: ما أتاكَ من نبأٍ عمَّن تستخبرُ، وقالَ ابنُ سِيدِه: الخبرُ النَّبأُ، والجمعُ أخبارٌ"[1]، وهو متوقِّفٌ علَى مُخبِرٍ، ومُستَخبِرٍ، وهذا هو الغرضُ مِن التّبليغِ.

والخبرُ في الاصطلاحِ:

أمّا التّعريفُ الاصطلاحيُّ للخبرِ، فـ: "ما يحتملُ الصِّدقَ والكذبَ لِذاتِه"[2]، والمقصودِ بقولِهم: "لِذَاتِه" أي بقطعِ النَّظرِ عن خصوصِ المُخبِرِ أو خصوصِ الخَبَرِ وإنما يُنظرُ احتمالِ الصدقِ والكذبِ إلى الكلامِ نفسِه، لا إلى قائلِه.

واحتمالُ صدقُ الخبرِ من كذبِه، مُخضَعٌ لمدَى مُطابقتِه للواقعِ، فإن طابقَه فهو الصَّادقُ، وإن خالفَهُ فهو الكاذبُ[3]، وهذا الجانبُ مما اختُلِفَ فيهِ، تبعًا لِاعتقادِ كلِّ ناظرٍ إليهِ، وصورتِه الّتي يَجبُ أن يكونَ الخبرُ عليهَا لديهِ، فقيلَ: "مُطابقتُه لاعتقادِ المُخبِرِ ولو خطأً وعدمُهما، بدليلِ قولِه تعالَى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}"[4]، ومهما يكن من أمرٍ، فإنَّ الراجحَ والمعوَّل عليهِ من جملةِ تلك الاعتراضاتِ التي وردت على مسألةِ احتمالِ الخبرِ للصدقِ والكذبِ، هو الذي انتهى إليهِ رأيُ الجمهورِ، من أنَّه "ما احتمل الصدقَ والكَذبَ لِذاتِه" وهو الرّأيُ الذي اعتمَدَه البلاغيُّونَ.

---

[1]) جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، 314/2 .

[2]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان، والبديع، 43 .

[3]) ينظر: المصدر نفسه.

[4]) الإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1422هـ , 19.

ويأتي الخبرُ على أنواعٍ بِحسبِ حالِ المخاطبِ بـه من خلوّ الذِّهنِ من عدمِـه واستعدادِه السابقِ لاستقبالِه، ومقتضيهِ الذي يطلبُه، مما يُرتِّبُ إلقاءَ الخبرِ مُجرَّدًا عن الزَّوائدِ، أو الزيادةَ فيهِ بالإثباتِ أو النفي أو التَّعريفِ أو التَّنكيرِ، أو الإطالـةِ بالتأكيدِ أو مـا إليـهِ...، وجميعُ ذلك "من أحوالِ الإسنادِ الخبريّ"[1]، إلى غيرِ ذلك مما سيتبين عنهُ في تضاعيفِ التَّحليلِ.

ومِن الأساليبِ الخبريةِ التي وظَّفها الفّتالُ في شِعرِه كثيرًا مَا نقفُ عليـهِ فـي هذا النموذجِ لدراستِه علَى وفقِ مُرادِ الفتّال، وقد ضَمَّنَ طريقتِـه الأدائيّةَ معيـارًا تقريريًّـا يُحقِّقُ لـهُ النّتيجـةَ المرجوّةَ مِن الشعر، فيقولُ في (نفثات) [2]: (بحر المضارع)

لِكُلِّ شيءٍ نِهايةْ نِهايَتِي كَالبِدايَةْ

خُلِقْتُ فَردًا شَقِيًّا مُعذَّبًا بِالوِصَايَةْ

فَكُلُّ مَا فِيَّ شُؤمٌ وَكُلُّ فَألٍ سِوَايَ

خُلَاصَةُ القَولِ أَنِّي بَدءٌ بِغَيرِ نِهايةْ

فَمِنَ المُلاحظِ في هذا النّصِّ أنّ الشّـاعرَ قدَ عوَّل علـى طريقـةِ الإخبـارِ بِمَـا تَحتَمِلُـه مِن صـدقٍ وكذبٍ، غيرَ أنّ احتمالَهَا للصّدقِ والكذبِ بِالنّسبةِ للمُتلقّي، أمَّـا الكلامُ مِن حيثُ هو بِالنّسبةِ للشّاعرِ فَإنَّه تقريرٌ لِحالةٍ يعيشُها، بِالنّظرِ إلَى طبيعةِ عيشِه وصورةِ حياتِه الّتي يَحياهَا يُمكنُ للقارئِ استكشافُ حقيقةِ قولِه، والتّأكُّدُ من موافقتِه لواقعِه المُرِ الذي يَعيشُه، ومِن ثمَّ كان أسلوبِ التّقريرِ الّذي عَمَدَ إليهِ في تحقيقِ تلك الغايةِ كان الأنسَبَ معَ هذا الغرضِ.

وتأكيدًا على مَا راحَ ينشدُه مِن الأغراضِ في هذه القصيدةِ، يستفتح النّظمَ بِمَـا لا يستطيعُ أحدٌ أن يُكذِّبَهُ معَهُ، لِأنّهُ مِن الأمورِ الّتي لا يختلفُ عليهَا اثنانِ ولا ينتطحُ فـي شـأنِهَا عنْزَانِ، فالمسلمُ وغيرُ المُسلمِ مُسَلِّمٌ بِأنَّ لكلِّ شيءٍ نهايةً محتومةً، وبِذلك جرَى القدرُ عَلى كلِّ الكائناتِ في الكونِ.

وقد تشكَّلت تقريريَّـةُ العبـارةِ فـي كلِّ بيتٍ مِن الأبيـاتِ الأربعـةِ الآنفـةِ مِـن طريـقِ نسبـةِ الإسنادِ التي يُعوَّلُ عليهَا في إصدارِ الحُكمِ عَلَـى المُسندِ إليـهِ بِالصـدقِ أو الكذبِ، مِن طريـقِ إثباتِ المُسندِ مِن كلِّ جملةٍ مِن الجُملِ السّابقةِ فـي النصِّ، فإثباتُـه منـوطٌ بِـه غايـةٌ مـا، وغايـةُ

[1]) أبو عبد الله محمد بدر الدين بن مالك، المصباح في علوم البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)، 12 .
[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 39/4 .

الفتّالِ مِن إثباتِ ركنِ الإسنادِ الثّاني هُنا تحقيقُ العِلمِ بهِ في نفسِ السّامعِ[1]، فإخبارُ الفتّالِ عَن نهايتِه الّتي أشبهت بدايتَه، مؤذنٌ بمأساتِه الّتي عبَّر عنهَا بتلكَ الصياغةِ التي عزَاها في الأغلبِ إلى الخبرِ المُفردِ مِن هذه الأبياتِ، غيرَ أنّهُ لمَّا أرادَ الإحالةَ على معنًى مُغايرٍ يتّسعُ لاستيعابِ قدراتِه صناعةِ الأملِ حتّى معَ ما يُلاقيه مِن العنتِ والمُعاناةِ في ذلك، جاء بالخبرِ جملةً اسميةً مِن قولِه: (بحر المضارع)

خُلَاصَةُ القَولِ أَنّي بَدءٌ بِغَيرِ نِهايةْ

مُخبرًا بِالجُملةِ المُؤكَّدةِ بِـ(أنَّ) مِن قولِه: أَنّي بَدءٌ بِغيرِ نِهايةٍ، عَن ديمومةِ بقائِه واستمرارِه الخالدِ، نتيجةَ صدقِه الذي عبَّر عنهُ بِقولِه[2]:

وإنَّمَا الصِدقُ قَولِي حَقًّا، وذا خيرُ آيةْ

فهو يرَى أنَّ البقاءَ الحقيقيَّ للإنسانِ والخلودَ الأبديَّ لهُ لا يتأتَّى لهُ إلّا عن طريقِ صدقِه، فهو الصّفةُ الّتي يجبُ أن يتحلَّى بِهَا كلُّ مَن رَغِبَ في البقاءِ في أذهانِ النّاسِ وضميرِ الخلقِ، ولأنَّ الخبرَ مِما يكادُ يتّفقُ عليهِ النّاسُ، انطلاقًا مِن أنّ قيمةَ الصّدقِ تُبقِي عَلى الإنسانِ، لَم يَحْتَجِ الشّاعرُ إلَى أيٍّ مِن الأساليبِ المزيدةِ عليهِ طلَبًا لتحقيقِه في ذهنِ سامعِه.

ومِن قول الفتّالِ الذي اعتمدَ فيهِ عَلَى خصائصِ الإسنادِ الخبريّ في تقريرِ الوعي بالذَّاتِ الإلهيَّةِ، يَقولُ مبتهلًا للهِ ومُثنيًا عليهِ -سُبحانَه- بِفضلِه عَلَى النّاسِ، حيثُ جعلَهُم يَدينونَ دِينِ الَحَقِّ الذي شقَّ بِهِ دروبَ الظُّلمةِ، فحقَّق العدلَ والوئامَ والسّلامَ ، قوله في (الرباعيات) [3]: (تفعيلة الرمل)

زَحَفَ النُّورُ -نَقِيًّا- حَامِلًا [اللهُ أكبر][4]

فَسَمَا فِي الأَرضِ، والكَونُ لَهُ غَنَّى وكَبَّر

فَانْزَوَى كُلُّ شَقِيٍّ؛ وَهو بِالظَّلْمَاءِ مُغْتَر

---

1) ينظر: بدر الدين بن مالك، المصباح في علومِ البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)، 13.

2) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 4/ 41.

3) المصدر نفسه ، 218/5 .

4) وقد حوت هذه الرباعية على كناية رمز والمراد بها رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وتتضح هذه الكناية من خلال تكملة السياق حيث اردف الفتال قائلا في ما بعد (فغدا النور على الافواه – بالحب– يذاع : [طلع البدر علينا من ثنيات الوداع].

يَتَلَوَّى أَلَمًا مِن دَفْقِ نُورٍ يَا إِلَهي

فَمِن أحوالِ هذا النّوعِ مِن الإسنادِ الخبريّ، طَلَبُ تحقيقِ الغايةِ المُرادةِ بِهِ، مِن طريقِ القيدِ الذي يُقيّد المُتكلّمُ بِه المُسندَ إليهِ؛ رغبةً في زيادةِ بيانٍ يُنتِجُها هذا القيدُ، ومِمّا أرادَ الفتّالُ إضافتَهُ عَلى المعنَى مِن دلالاتٍ لَها محلُّها مِن العنايةِ فِي بيتِه الأوَّلِ مِن هذا النموذجِ، ما تعرَّضَ لهُ عن طريقِ إقحامِه للقيدِ (تَقِيًّا) مَنصوبًا انتصابَ الحالِ، لتخصيصِه بصفةٍ معيَّنةٍ فيهِ، مع إرادةِ مدحِه[1]، فتخصيصُ المُسندِ بالحالِ ليسَ عبثًا أو شيئًا زائدًا عن حاجةِ الكلامِ، بل هو مُرادٌ لغرضٍ أتمَّ بِهِ الشّاعرُ الفائدةَ لمرجوّةَ مِن الخطابِ، فالتّعبيرُ بالزّحفِ يقعُ مِن النقيّ وغيرِ النقيّ، ولمَّا كانَ الأمرُ كذلك، قيَّدَ الشّاعرُ هذا الزّاحفَ – وهو النّور – بِالحالِ (نَقِيًّا).

ولَم يكتفِ الشّاعرُ في إبرازِ خصائصِ المُسندِ (النُّور) بالصفةِ المُستقاةِ مِن الحالِ المُنصوبةِ، بل أتبعَ القيدَ بالحالِ بِقيدٍ جديدٍ، فجاءَ بِه مُعرَّفًا بِـ(أل)،" طلبًا لتحقيقِ إفادةِ السّامعِ فائدةً يُعتدُّ لِمثلِها"[2]، ذلكَ أنَّ النُّورَ المرادَ هُنا ليسَ أيَّ نورٍ، بل هو نورٌ معهودٌ عهدًا ذهنيًّا وذِكريًّا، أمَّا الذهنيُّ فمُستقَى مِن قولِ المولَى تعالَى: "... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ"[3] ، والمُرادُ بِالنُّورِ في الآيةِ القرآنُ الذي هو قوامُ ذلك الدينِ الذي بعثَ اللهُ بِه النبيَّ (صلى الله عليه واله وسلم)[4]، وأمّا العهدُ الذّكريُّ، فمُتمثِّلٌ في ذِكرِ الشّاعرِ لِهذا النّورِ في أبياتٍ سابقةٍ، مِن قولِه في الرباعيات [5]: (مجزوء الرمل)

وَإذا بِالنُورِ يِنهالُ عَلى النَّاسِ انهِيالَا[6]

فَيُزِيلُ الظُّلمةَ الرَّعْنَاءَ، إذ كانت جِبالَا[7]

كَانَ نُورًا دَفقُهُ مَاءً ويَنسَابُ ذُلالَا

---

[1]) ينظر: الإمام سعد الدين التفتازاني، المطول في شرح تلخيص المفتاح، 29–30 .

[2]) بدر الدين ابن مالك، المصباح في علوم البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)، 13 .

[3]) سورة المائدة: 15.

[4]) ينظر: أبو الفداء عماد الدين ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2011 ، 52/1.

[5]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 218/5.

[6]) نجد هنا استعارة تصريحية واضحة على طريقة التجسيم .

[7]) نجد هنا استعارة مكنية مؤسسة على تشبيه بليغ.

وهو مِما يصطلحُ عليهِ البلاغيُّونَ بالتَّكرارِ، ولهُ فائدةٌ عظيمةٌ، تُحقِّقُ المغزَى مِن الخطابِ في ذِهنِ السّامعِ، وتؤكِّدُ عليهِ؛ لنزولِه مِن الكلامِ منزلةَ التّوكيدِ اللفظيّ، فإنَّ "إعادةَ الشَّاعرِ كلمةً بعينِها في بيتٍ لاحقٍ كانَ قد ذكرَها في بيتٍ أو أبياتٍ سابقةٍ غرضُها التوكيدِ؛ فتعملُ على تماسكِ وتلاحمِ البيتين أو الأبيات"[1]، وبتضافرِ تلك القيمِ الأسلوبيةِ والبلاغيةِ، يتمخّضُ لنَا هذا النّوعُ مِن الإسنادِ عَن دلالاتٍ مُتباينةٍ، على نحوِ ما ذُكِرَ.

ثَانيًا: الأُسلوبُ الإنشائيّ

وما ليسَ منهُ بُدٌّ هنا التّعرُّضُ أوَّلًا لتعريفِ الإنشاءِ، قبلَ تطبيقِهِ على النصوصِ محلِّ الاختيارِ للشاعرِ العراقيِّ عليّ الفتّال، وحيث لم يضعنا صاحبُ الإيضاحِ بينَ يدي هذا القسمِ من أقسامِ علمِ المعاني، إلَّا من طريقِ أقسامِه[2]، عَرَضَ لي أن أسوقَ تعريفَه من عندِ أحدِ شارحي تلخيصِه، فقد عرّفَه التفتازاني بقولِه: "الإنشاءُ: قد يُقالُ على الكلامِ الذي ليسَ لنسبتِه خارجٌ تُطابقُه أو لا تُطابقُه"[3]، وحيثُ كانَ قسيمُه (الخبرُ) ما تجبُ مطابقةُ نسبتُه بالخارجِ، فإن وقته حُكمَ له بالصدقِ، وإن لَّم تطابقه حُكِمَ عليهِ بالكذبِ، كانَ أجدرُ بالإنشاءِ أن يكونَ على عكسِ ذلكِ.

أمَّا السيد أحمد الهاشمي، فقد عرَّفَ الإنشاءَ لغةً واصطِلاحًا، فقالَ: "الإنشاءُ لُغةً: الإيجادُ، واصطِلاحًا: ما لا يحتملُ الصِّدقَ والكذبَ لِذَاتِهِ"[4]، وليسَ بينَ وبينَ تعريفِ التفتازانيّ فرق كبير، بل هو أشبهُ ما كانَ لهُ، ودالٌّ على ما دلَّ عليهِ.

وهو علَى قِسمَينِ: إنشاءٌ طَلَبيٌّ، وَإنشاءٌ غيرُ طلَبيٍّ

أمَّا الإنشاءُ الطلبيُّ: فهو "ما يستدعي مطلوبًا غيرَ حاصلٍ وقتَ الطَّلبِ"[5]، وأمَّا **الإنشاءُ غيرُ الطَّلبيِّ:** فهو "ما لم يستدعِ مطلوبًا غيرَ حاصلٍ وقتَ الطَّلبِ"[6]، وهو مما استبعدَهُ علماءُ

---

[1]) محمود أحمد الطويل، الأسلوبية والخطاب الشعري (الشريف الرضي نموذجا)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، عدد/ 158 , 317.

[2]) ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (الماعني، والبيان، والبديع)، 153 .

[3]) سعد الدين بن مسعود التفتازاني، المطول بشرح الإيضاح في علوم البلاغة، 406 .

[4]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)، 57.

[5]) المصدر نفسه .

[6]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)، 57 .

المعاني من تحليلاتِهم، وقد علَّل الشيخُ التَّفتازانيُّ ذلك بقولِه: "والمقصودُ بالنَّظرِ هاهُنا هو الطَّلبُ؛ لاختصاصِهِ بمزيدِ أبحاثٍ لم تُذكر في بَحثِ الخبرِ، ولأنَّ كثيرًا من الإنشاءاتِ غيرِ الطلبيةِ في الأصلِ أخبارٌ نُقِلَتْ إلى معنَى الإنشاءِ"[1]، وقد انقسَمَ الإنشاءُ الطلبيُّ بِدَورِه إلَى أقسامٍ بِحسبِ الغاياتِ المُرادة مِنهُ، وأقسامُه على نحوِ مَا يَلِي: (الأمرُ، النّهي، النّداءُ، التَّمنّي، الاستفهامُ)، وفيما يلي عرض لنماذج مختارة من اعمال الفتال، وفقًا لِمُلابساتِ هذه الأقسامِ.

أوَّلًا: الأمرُ:

وَمِن شعره الّذي وظَّفَ فيهِ أسلوبَ الأمرِ عَلى طريقةِ الدارجة، أن الامر نوعان :حقيقي واجب التنفيذ ,وغير حقيقي يخرج لأغراض بلاغية, بِمَا يُبرزُ إدراكَ الفتّالِ لطبائعِ العربيّةِ، وكيفياتِ تصريفِ أساليبِها في الوجوهِ المُختلفةِ، الّتي تُناسِبُ كلَّ غرضٍ مِن أغراضِ الكلامِ، قولُه مِن رباعيَّاتِه[2]: (مجزوء الرمل)

انتَبِه: رُوحَكَ – يَومًا، بَلْهَ حَتْمًا – سَتُفارِق وَسَتَغْدُوا مَحضَ سِرٍّ خَلْفَ أسْتَارِكَ غارِقْ

فَاشرِبِ الخَمرَةَ سُكرَا أنتَ لَا تَعرِفُ أمْرَا

أَنتَ لَا تَعرِفُ مِن أَيْنَ إلَى الدُّنيا أتيتَ وَإلَى مَن – إنْ مضَيتَ-؟!

وحيثُ كانَ مبنَى الخطابِ مِن هذا النّصِّ عَلَى النُّصحِ والإرشادِ، وجبَ القولُ بِتخريجِ الأمرِ مِن قولِ الفتّالِ: "انتَبِه" عَلَى غيرِ ما وُضِعَ لَهُ في اللسانِ العربيِّ، ومِن ثَمَّ فإنَّ الحُكمَ بِذلِكَ مُوجبٌ لوجودِ قرينةٍ تصرفُه عن حقيقةِ معناهُ إلى معنًى مجازيٍّ آخرَ للشّاعرِ فيهِ مأربٌ، ولِيكُن أوَّلًا الحديثُ عَن القرينةِ الصّارفةِ هذا الفِعلَ الطلبيَّ الأمريَّ عَن وجهتِه لوجهةٍ أُخرَى غرضُها النّصحُ والتّوجيهُ، وهي مُلتمسةٌ في تَعريفِ الأمرِ، فإنَّه متَى استُعمِلَ في حيّزِه "دلَّ على طلبِ حصولِ الفعلِ من غيرِ كَفٍّ في زمنِ المستقبلِ على جهةِ الاستعلاءِ من الآمرِ"[3]، أو كما عرَّفَه ابنُ النّاظمِ بِقولِه: "حُصُولُ الثبوتِ في الخارجِ بِذلكَ علَى وجهِ الاستعلاءِ"[4]، وحيثُ لَم يكِنُ المُرادُ بِهذا الفِعلِ طلبَ حصولِه عَلى حصولِه مِن غيرِ، ولا مِن

---

1) سعد الدين التفتازني، المطول في شرح تلخيص المفتاح، 406 .

2) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 221/7 .

3) سعد الدين التفتازاني، المطول بشرح تلخيص المفتاح، 424 .

4) بدر الدين بن مالك، المصباح في علوم البلاغة، 90

طريقِ استعلاءِ المُتكلِّم عَلى المُخاطبِ؛ لافتقادِه الصّفةَ الّتي يتوجَّهُ إليهِ بهَا بالأمرِ المُباشرِ، كانَ ذلك بمنزلةِ القرينةِ الحاليّةِ المانعةِ من إرادةِ معناه الحقيقيّ.

أمَّا ثانيًا، فليَكُن الحديثُ عَن مأربِ الفتّالِ مِن توظيفِ الأسلوبِ الطلبيّ بِالفعلِ الأمريّ في خطابِه ذلِكَ، وحيثُ أرادَ الشّاعرُ التوجُّهَ إلى مُخاطبِه بالنّصيحةِ الّتي لولا أنَّه رأى تخلِّيه عَن العملِ بِهَا، أو قصورَ عن إتيانِ مُوجباتِها، مَا توجَّهَ إليهِ بِهَا، فأنبرَى يحملُ على عاتقِهِ عبءَ النّصيحِ الذي يُريدُ لمُنصوحِه الخيرَ والنّفعَ، منوّها بِمناطاتِ الخيرِ الّتي يرضاهَا لهُ كما رضِيهَا لنفسِه مِن قبلِه، فاستعملَ فِعلَ التّنبيهِ (انتبه) تذكيرًا لهذا المخاطبِ بِأنّ الأيّامَ قصارٌ وأنّ العمرَ يفنَى، فليسَ مِن صالحِه أن يُغرقَ نفسَهُ فيمَا لا طائلَ مِنهُ، ويُطالِبُه بالاستمتاعِ بلحظاتِ حياتِه والسُّكرِ المُباحِ فيهَا، لا أنّهُ يأمرُه أو يُنبّهُهُ على السُّكرِ المُحرّمِ الذي يجرُّ عليهِ وبالًا في الدّارَين، وقرينةُ حملِ طلَبِ الشّاعرِ مِن مُخاطبيهِ السُّكرَ الحلالَ، عامَّةٌ مبثوثةٌ في سياقِ الرّباعيّاتِ كُلِّها، فهي جميعًا اعترافٌ بفضلِ اللهِ الهاطلِ وكرمِه الكبيرِ، وما يجبُ على الإنسانِ تجاهَ كلِّ ذلِكَ مِن حمدِه سُبحانَه وشُكرِه، وحملُه لِهذ المعنَى عَلى مدَى ما أصابَه مِن النّشوةِ بِالفعلِ، عادةٌ جاريةٌ في الشّعرِ الصوفيّ؛ تستهدفُ "إشرابَ المعنَى المدلولُ عليهِ بلفظِ الخمرِ أو ما يُحيلُ عليهِ من السُّكرِ، ما حفلت به الرموزُ العرفانيةُ من أذواقٍ وأسرارٍ"[1]، ثمّ إنّ ما يجبُ التّنويهُ بِه هُنا أنّ لِهذه الرباعيّاتِ بِربُاعيّاتِ إيليا أبي ماضي المُسمّاةِ بِـ(طلاسمِ، أو لستُ أدري) تشابهًا ملحوظًا في مُحاولةِ قراءةِ الحياةِ والوصولِ إلى أفقِ المعرفةِ عن طريق بُعدِها الفلسفيّ الذي يُعطي لكلِّ شيءٍ في الوجودِ شكلًا مُعيَّنًا مُعتمدُه على الحسّ الحدسيّ المتسائلِ عن محيطِه وما تلبَّس به من صورِ الشرّ وطرقِ التغلُّبِ عليه.

[1]) خمرة العشق في شعر ابن الفارضِ وجلال الدين الرومي، د. حسن حميد الفياض وآخرين، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، العراق، عدد: 69، 2023، 273 .

ثَانِيًا: النّهي:

للنهـي نوعـان : منـه الحقيقـي واجـب التنفيـذ ,أو غيـر حقيقـي يخـرج لأغـراض بلاغيـة كالدعاء والنصح , ومنه قولُ الفتال مِن رُباعيَّاتِه الّتـي شَكَّلت دعوةً عامَّـةً للتّوكُّلِ عَلَـى اللهِ، ناهيًا لِمَن عساهُ تُساورُه أفكـارُه حـولَ اتّخـاذِ كلِّ مَـن يتقرَّبُ مِنـهُ - بِدعوَى المحبَّـةِ – صـديقًا يُلقِي إليهِ بِمحبَّتِه، وينفضُ لديهِ خبيئَةَ نفسهِ فيقول من (العبارات القصار)[1]: **(مجزوء الرمل)**

لَا تُساوِ خَصْمٍ وَعَدوٍّ وَصَدِيقْ وَبِرَغمِ الصُّلْحِ بيْنَكُما مِن بَعدِ ضِيقْ

فَلِكَي تَبقَى القرَاراتُ لِعَينَيْكَ تَلِيقْ كُنْ بِهَا حافِظَ إرثٍ.. وعَلَى اللهِ تَوكَّلْ

فإنّ في استعمالِه لأسلوبِ النّهي مِن قولِه: "لَا تُساوِ..." مَا يُشيرُ إلى تسلُّطِ الشّاعرِ عَلـى مَن يُخاطِبُه بذلِكَ الفِعلِ، وقُدرتِه عَلَى نهيهِ عَمَّا يأتِيهِ مِمّا يُخالِفُ رغبتَهُ هو فـي اتّخـاذِه العدوَّ والخصمَ صديقًا مِن غيرِ تبيُّنٍ لحقيقةِ ما يُضمرُه لهُ مِن كراهيةٍ ، يُبدِيها عَلى غيرِ مَا تستحقُّ الظُّهورَ عليهِ، مُتستّرًا خلفَ رِداءِ المحبَّةِ الزّائفةِ، وذلِكَ عينُ النّفاقِ، ولعلَّ ذلِكَ المُشارِ إلَيه ما يبدو لَنا مِن ظاهرِ الاستعمالِ اللغويِّ لِلفعلِ المُضارِع المنهيّ عن إتيانِـه والكفِّ عنـهُ، ولكنَّ طبيعةَ الفعلِ تحوَّلُ بِما يطرأُ على السياقِ مِن مُتغيّراتٍ تُلزمُ المُتلقِّي بِالحُكمِ عليـهَ مِـن خلالِـها بِأنّـهُ مُستعملٌ فـي أصـلِ وضـعِه مِـن النّهـي المطلـوبِ بِـه "الكـفّ عـن الفعـلِ علـى جهـةِ الاسـتعلاءِ"[2]، أو أنّ للشّـاعرِ مِـن وراءِ اسـتعمالِه غايـةً أخـرَى أبـداهَا فـي صـورةِ الأمـرِ، وبالرجوعِ إلى متطلِّباتِ الكفِّ عن الفعلِ على جهةِ الاستعلاءِ والنصح ,نجدُ أنَّ الشاعرَ لم ينهَ عن التَّسويةِ بينَ العدوِّ والصديقِ بِـ"مقتضَى الفورِ والتَّكرارِ"[3]، وهما من لوازمِ النهي المرادِ بـه حقيقةُ الاستعمالِ[4]، ومِن ثَمَّ فإنَّ القرينـةَ المُستصـحَبَةَ لإخراجِ النّهي عن حقيقـةِ استعمالِه هُنا إلى غرضِ التّحذيرِ المَشوبِ بنزعةِ التّهديدِ مِمّا قد يُلاقيـهِ مَن لَّم يَنتـهِ عمّا نهاهُ الشّاعرُ عنهُ، فإنّهُ مُلاقٍ – لا محالـةَ- ما قد يكونُ مِن بابِ التوعُّدِ، حيثُ تأتيـهِ الخيانـةُ مِن حيثُ مَأمنُه.

ومقـامُ الخطـابِ ومُقتضـاهُ، يُبـرزُ لَنَـا غايـة الشّـاعرِ الكامنـةِ فـي أعمـاقِ نفسِـه تجـاهَ مَـن يُخاطبِهُم، فقد أراد الشّاعرُ دعوةَ مُخاطبِه إلـى اجتنـابِ مـا أثبتت لـهُ التجربـةُ أنّـهُ مِمّـا يُلحـقُ

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 346/7.

[2]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 58-59 .

[3]) سعد الدين التفتازني، المطول بشرح تلخيص المفتاح، 427 .

[4]) ينظر: المصدر نفسه، 427 .

المضرّةَ بِه، مِمّن يظنُّ أنّهُ مِن المقرَّبينَ، وليسَ يتّسعُ لهُ الأمرُ لِأن ينهاهُ نهيًا مُباشرًا؛ لافتقادِه سُلطةَ الأمرِ والنّهي عَلى هذا المخاطبِ، فليسَ يسوغُ حملُ هذا الأسلوبِ هُنا إلّا عَلى ضربٍ مِن المبالغةِ والتجاوزِ في استعمالِ النّهيِ، ما لم يَكن الفتّالُ ناهيًا نفسَهُ عن صحبةِ الخصمِ ومُصادقةِ العدوِّ والمُساواةِ بينهما في القيمةِ، لِمَا عكستْه عليهِ تجاربُه الشّخصيةُ مِن ثبوتِ خيانتِهم.

ثَالِثًا: النّداءُ

ومِن مظاهرِ الإبداعِ الّتي وظَّفَ فيهَا الشّاعرُ الفتّالُ أسلوبَ النّداءِ بطرائق متباينة تُعبّرُ أصدقَ التّعبيرِ عَن الحالةِ الوجدانيّةِ التي يُريدُ أن يُبرِزَهَا في هيئةٍ مَا ثلةٍ للمُتلقّي، ذلكَ النظمُ الذي صوَّرَ فيهِ أحدَ الجنودِ الفدائيينَ وهو علَى الجبهةِ وقد أخذَ منهُ الحنِينُ إلَى حبيبتِه فِي المَدينةِ كلَ مأخذٍ، يقولُ في (رسالة من فدائي في الجبهة)[1]: (تفعيلة الرجز)

حَبِيبَتِي، رِسالَتِي إلَيكِ مِن أرضِنَا الطَّيّبَةِ المِعطاء

أبعَثُهَا مَعَ النَّسِيمِ العَاطِرِ عَلَى جَناحِ طَائر

أَنَا هُنا حَبِيبَتِي أَصنَعُ تَارِيخًا لِمَجدِ أُمَّتِي[2]

فهذه صورةٌ مِن صَورتَين ِمُختلِفَتين لِأسلوبِ النّداءِ وظَّفَهما الفتّالُ في خطابِه الّذي مزجَ فيهِ بينَ عاطفةِ الحُبِّ للوطنِ والإذعانِ لِنداءاتِه التي تطلبُه، وعاطفةِ الحَنينِ إلى الحَبيبةِ الّتي هِيَ جزءٌ مِن هذا الوطنِ ومُكَوّنٌ مِن مُكوّنَاتِه، فكانت كلُّ صورةٍ مِن صُورَتَي النّداءِ دالَّةً عَلى الحدثِ الّذي وُظِّفت فيهِ صادقةً عليهَا بكلّ دِقَّةٍ.

أمّا هُنا فَقد مزجَ الشّاعرُ بينَ استجابةِ قلبِه وعقلِه لنداءاتِ وطنِه، وخضوعِ عواطفِه لهذه المحبوبةِ الّتي افتقدَهَا، ومعَ افتِقادِه لَهَا لَم تَزل قريبةً مِن نفسِه، وقد عبَّرَ عن هذا القُربِ بِندائِهَا بِـ(حَبِيبَتِي) مَرَّةً تِلو المرَّةِ مِن قولِه: (حَبِيبَتِي رِسَالَتِي إلَيك)، وقولِه: (أَنَا هُنا حَبِيبَتِي...)، ثمَّ دلَّ علَى قُربِ هذه المَحبوبةِ بِطريقةٍ أُخرَى كذِلَك، فحذف أداةَ النّداءِ الّتي هِيَ (يَا) والحذفُ جارٍ فيهَا لا في غيرِهَا لِأنَّهَا محلُّ التّصرُّفِ في اللسانِ العربيّ، لِأنّها أُمُّ بابِ

[1]) علي الفتّال، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 104.

[2]) يحتوي البيت على كناية نسبة.

النّداءِ[1]، وكونُ النِّداءِ "طلبَ الإقبالِ بحرفٍ نائبٍ منابَ الفعلِ أدعو"[2]، غيرُ قادحٍ في أسلوبِ النداءِ هُنا، ففي طلبِ إقبالِ محبوبتِه عليهِ بِندائِها بِـ(حبيبتي) ما يدلُّ على استحضارِه لها في ذِهنِه أوَّلًا، إذ يستحيلُ طلبُه إقبالَها عليهِ على جهةِ الحقيقةِ ؛ لبُعد البَونِ بينَهما، فهو في الجبهةِ، وهي في المدينةِ، ومن المعاني التي تقومُ في النفسِ ما يُعبَّرُ بالنِّداءِ عنها تعبيرًا تقديريًّا[3]، وخُصّت (يا) من بينِ أدواتِ النداءِ بنداءِ القريبِ والبعيدِ، ولذلك هي ما يُقدَّرُ حذفُها من بينِ تلك الأدواتِ في النداءِ محذوفِ الأداةِ، لاسيَّما لو كانَ دالًّا على القُربِ[4].

وإنَّ لحذفِ أداةِ النداءِ غرضًا تداوليًا، يظهرُ من انضواءِ هذا الأسلوبِ علَى فعلٍ دلَّ عليهِ المُنادِي بالحرفِ الذي نابَ منابَه، وهو الفعلُ (أدعو) فمتَى حُذِفَ ، كانَ لحذفِه غايةٌ ، وقد دلَّ على أنَّ حذفَ حرفِ النداءِ لغرضٍ قولُ سيبويهِ: "إنَّ النِّداءَ كلُّ اسمٍ مُضافٍ فيهِ فهو نصبٌ على إضمارِ الفعلِ المتروكِ إظهارُه ، والمُفردُ رفعٌ وهو موضعُ اسمٍ منصوبٍ"[5]، فهو هُنا يسعَى إلى تقديمِ صورة دلاليةٍ لهذا الحذفِ، أجازَه على إثرِها.

وأمّا الصُّورةُ الأخرَى للنِّداءِ، فهي الصُّورةُ الّتي تعرَّضَ فيهَا الشّاعرُ لِذكرِ حرفِ النِّداءِ، مِن قولِهِ (رسالة من فدائي في الجبهة)[6]: (تفعيلة الرجز)

(وأنتَ كالفراشَةِ

تُلَوّنينَ الفجرَ لي)[7]

فَأنتِ لِي يا أملِي يَا أملِي

فَلمَّا كانَ السياقُ هُناكَ مُحتمِلٌ لِاستحضارِ صورةِ الحبيبةِ الّتي ما إن عرضَ لهُ حضورُها في ذاكرتِه، كتبَ لهَا رسالَتَه, عَمَدَ إلَ حذفِ حرفِ النّداءِ تدليلًا عَلى قُربِهَا مِن نفسِهِ وحضورِهَا القريبِ في خاطرِه، أمَّا هُنا فالمقامُ مُؤذِنٌ بِأنَّه بعيدةٌ عنهُ بُعدًا مكانيًّا لا ذِهنيًّا، دلَّ

---

[1]) ينظر: جلال الدين السيوطي، همع الهوامع بشرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح: أحم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط!. 2009، 123/3.

[2]) سعد الدين التفتازاني، المطول في شرح التلخيص، 439 .

[3]) ينظر : سعد الدين التفنازاني، المطول في شرح التلخيص ، 439، وابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 417/1 .

[4]) ينظر: سيبويه، الكتاب، 230/2-231.

[5]) سيبويه، الكتاب، 182/2 .

[6]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 105/1 .

[7]) يحمل الكلام صورة تشبيهية وتشبيه مفصل, وهنا موضع الجمال يأتي من التصوير بالتشبيه.

عليهِ بِقولِه: "فَأَنتِ لِي يَا أَمَلِي، يَا أَمَلِي"، مِن حيثُ كانَ الأملُ ما دلَّ عَلى تعلُّقِ الإنسانِ بِمَا يرجو تحقُّقَهُ ويسعَى لَهُ، وذلِكَ هو الواقعُ الذي يُؤطِّرُ لهُ البُعدُ المكانيُّ بينَهَا وبينَ حبيبِها الذي يرتَقِي جبهةَ العِزَّةِ دفاعًا عن الوطنِ، فكان النِّداءُ سبيلَ الشَّاعرِ لتوضيحِ حقيقةِ الرابطةِ التي تربطُ بينَ الحبيبِ المُتأمِلِ والحبيبةِ التي لا يملكُ إلَّا القلمَ والورقةَ في الوصولِ إليها، "فالنِّداءُ هو الطَّريقةُ المُثلَى بصيغِه الظَّاهرةِ والمحذوفةِ، وأشكالِه المختلفةِ، وأساليبِه المتنوّعةِ؛ للتعبيرِ عن الغرضِ حينَ تقصرُ الوسائلُ الأخرَى من إشارةٍ، وإيماءةٍ، وحركةٍ، وغمزةٍ، وبسمةٍ"[1]، وقد ورد التكرار لتعزيز النداء (يا أملي يا أملي) ، وظاهرُ تخريجِ هذا الأسلوبِ في ذلك السياقِ أنّ النداءَ موظَّفٌ فيهِ توظيفًا حقيقيًّا لَا يخرجُ عن الوضعِ اللسانيّ العربيّ لِغرضٍ آخرَ، ومِن ثَمَّ فقدَ جمعَ الشّاعرُ بينَ النِّداءِ المَجازيّ الذي يستنطقُ الدلالةَ المرادةِ مِن الخطابِ بِمَا ينسجمُ معَ رغبةِ الشّاعرِ منهَا، والنّداءِ الحقيقيّ الذي أخذ محلَّه من السياقِ لإبرازِ حقيقةِ الرّابطةِ الّتي تَصِل بينَ الفدائيّ البطلِ وحبيبتِه الغائبةِ عن مشهدِه.

[1]) مبارك تريكي، النداء بين الوصف والتفسير ، مجلة العلوم الإنسانية، دورية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية، عدد: 30، 2006 م، 25.

رابعًا: الاستفهامُ

ومِن اشعارِ الفتّالِ الّتي تُذكِّرُ المُسلِمينَ والعربَ بِحادثةٍ لَا يُمكنُ أن يَنساهَا التّاريخُ مهما طالت أيّامُه، يُرجِعُنا بِالزّمن من خلالِها إلَى الوراءِ حيثُ تلُّ الزّعتر، وهو أحدُ المُخيّماتِ الّتي آوت عدداً من إخوانِنا الفلسطينيينَ بِلُبنان، فثارت ثائرتُهم على غرارِ بعضِ المُناوشاتِ الّتي حدثت في بلادِهم تحتَ وطأةِ "الاستفزازاتِ الإسرائيليةِ التي ارتكبها اليمين الصهيونيّ المتطرف ضد الأماكن المقدسة الإسلامية"[1]، فتسببت في مقتلِ الآلافِ منهم في مُخَيَّمِ تلّ الزَّعترِ، يقولُ الفتَّال في (ثوار تل الزعتر) [2]: (بحر المتدارك)

مِن أينَ لَنَا سيفُ الطّائيُّ لِيفصِلَ بَينَ الجِدِّ وبينَ اللَّعَبِ

مِن أَينَ لَنَا -زينَبُ- تصفع وَجْهَ -يَزيدٍ- بِلَظَى الغَضَبِ

مِن أينَ لَنَا سيفُ عَليٍّ لِنُخَضِّبَهُ بِدَمٍ لَجِبِ

فإنَّ في تلكَ الأبياتِ قِصَّةً أسهَمَ الفّتالُ بِنظمِه لَهَا في التّأريخِ لِحادثةٍ هِي مِن كِبارِ المُلِمَّاتِ بِالشّعبِ الإسلاميّ والعربيّ، فتعرَّضَ لَهَا فِي هذه الأبياتِ الثّلاثةِ عَلى طريقةِ الشُّعراءِ، مُستفهِمًا عن الحالةِ العامَّةِ للشعوبِ العربيّةِ المُتصدّعةِ، والمُتفرّقةِ في كلِّ وادٍ، فهو لَم يَكُن يعني السيدةَ زينبَ(عليها السلام) ، ولا الإمامَ عليًّا، ولا أبَا تمّامٍ لِذواتِهم، بل لأنّهُ مصدرُ قُوَّةٍ استرفد الفتّال مِن كلِّ واحدٍ منهم معنًى معيّنًا يُحقِّقُ به الغايةَ مِن إيرادِ أسمائِهم فِي هذا النّظمِ، فسيفُ أبي تمّامٍ دليلٌ على القوّةِ والحزمِ، ولَطمُ السيدةُ زينبُ(عليها السلام) برهانٌ على الشّجاعةِ والاستبسالِ في وجه العدوّ، وسيفُ عليٍّ (عليهِ السّلامُ) حُجّةٌ عَلى الفَتْكِ والجرأةِ في الحقّ.

ولمَّا كانَ لتلك الحادثةِ أثرٌ بعيدَ الغورِ في نفسِ كلِّ مُسلمٍ، يلجأُ الفتّالُ لِإبرازِ هذا الأثرِ الدّامِي مِن نفسِه، فِي صورةٍ شِعريّةٍ يلجأُ فيهَا إلَى أسلوبٍ مِن الأساليبِ المُتضمّنةِ معنَى الحَسرَةِ عَلَى فواتِ الماضِي الذي مجَّدَ العربَ وخلَّدَ ذِكرَهم، والإنكارِ عَلى قُادةِ الحاضرِ الذين لَم ينفكُّوا يُدافعونَ عَن عروشِهم لَا عَن الدّينِ والأرضِ، وإنَّ لِهذا الأسلوبِ ظاهرًا وباطنًا، أمَّا الظّاهرُ فهو الاستفهامُ، وهو حقيقةٌ تمخَّضَ عنهَا ظاهرُ الاستعمالِ اللفظيّ والتكرار في قولِهِ: "مِن أينَ لَنَا سيفُ الطّائيّ..." وقولُه: "مِن أَينَ لَنَا زَينَب..."، وقولُه: "مِن

[1]) إيلان هاليفي – ألفريد ليلينتال، إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة، ترجمة: رياض صوما، دار المروج، بيروت، لبنان، ط1، 1985 , 46.

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/122-123.

أيْنَ لَنَا سيفُ عَلِيٍّ"، وأمَّا الباطِنُ، فهو المعنَى المُعوَّلُ عليهِ في إبرازِ تلكَ الحقيقةِ الّتي رَغِبَ الفتّالُ في الإشارةِ بِهَا دُونَ تَصريحٍ؛ لِأسبابٍ تَخفَى أو تُعلَنُ، فهي في نِهايةِ الأمرِ مُجملَةٌ فِي الخوفِ مِن لحاقِ مَا ليسَ يحمدُ لهُ عاقبةً، وذلِكَ وجهٌ مِن وجوهِ استعمالِ الإزاحةِ البلاغيةِ بالأساليبِ التّي تتضمَّنُ خلافَ الظّاهرِ مِن استعمالِها[1],وقد تطرق في هذه الابيات الى استعمال الكناية بالرموز (الطائي, زينب, علي).

والمقصودُ باستفهامِه عَن سيفِ الطّائيِّ الذي يَفرقُ بينَ الجِدِّ واللعَبِ، الكِنايةُ عَن قولِ حبيبِ بنِ أوس الطّائيِّ، في فَتحِ عموريةَ[2]: (بحر البسيط)

السّيفُ أصْدَقُ أنبَاءً مِن الكُتُبِ فِي حَدِّه الحَدُّ بَيْنَ الجَدِّ واللَّعِبِ

وهِيَ "كِنايةٌ بِالتّعريضِ"[3]، استهدفَ الشّاعرُ بِهَا استحضارَ العربيِّ لأمجادِ وبطولاتِ أمّتِه السّابقةِ، في استردادِ مُلكِهم مِن يدِ عدوّهم، والإبانةِ عن بسالةِ هذه الأمّةِ في الحفاظِ على مُقدَّراتِها، ومِن ثمَّ فإنّ صورةَ الاستفهامِ هُنا مُحيلةٌ عَلى معنًى ثانويٍّ، غرضُه التّوبيخُ، وليسَ في الكلامِ ما يُجيزُ حملَ الاستفهامِ على حقيقتِه؛ "لأنَّ الحاجةَ إلى الجوابِ مُنتفيةٌ هنا"[4]، ومعنَى التّوبيخِ مُستقى مِن السياقِ الذي جاءَ فيهِ الشّاعرُ بِهذا الاستفهامِ.

ثمَّ لَمّا لَم يَكن المقامَ لِيكتَفِي بِهذا النّوعِ مِن الاستفهامِ التّوبيخيِّ، يحملُ الفتّالُ عَلَى نفسِه فِي إيرادِ مَا يُمعِنُ بِه في تذكيرِ هذه الأمَّةِ الّتي تَخلَّت عَن ماضيها بِهذا الماضي؛ حملًا لَهَا عَلَى الاستِبسالِ في سبيلِ إعادةِ هذا الماضِي واستحضارِ ذِكراهُ في النفوسِ لِيكونَ أحثَّ لَهم عَلى مُواجهةِ أعدائِهم والانتقامِ لشهدائِهم، والرّبتِ على قلوبِ ثكلاهم، فيُرجِعُنا إلَى الوراءِ مُذكِّرًا بِحادثةٍ تاريخيّةٍ كانَ مؤدّاهَا إلى معرفةِ الشّجاعةِ في وجوهِ النّساءِ وانتقالِها مِن الرّجالِ إلَيهنَّ، حينَما عرضَت السّيدةُ زَينبُ بنتُ عليٍّ (عليهما السّلامُ) لِلَطمِ وجهِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ إثرَ

---

[1]) ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهرُ البلاغة، 67-68.

[2]) حبيب بن أوس الطّائيّ، ديوانُ أبي تمّام، تحقيق وشرح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط3، 1999.

[3]) عبد العزيز عتيق: كتاب علم البيان – بين الكناية والتعريض , 219 (وقد تكلم علماء البيان فيه فوجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما، ولا حدوا كلا منهما بحد يفصله عن صاحبه، بل أوردوا لهما أمثلة من النثر والنظم وأدخلوا أحدهما في الآخر، فذكروا للكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية، فمن فعل ذلك الغانمي وابن سنان الخفاجي والعسكري).

[4]) الإمام سعد الدين التفتازاني، المطول في شرح التلخيص، 418 .

علمِها بِوضعِه رأسَ أخِيها الحُسينِ عليه السّلامُ في طِست[1]، لعلَّ حادثةً كتِلك تكونُ سببًا في بثِ الهِمّةِ في نفوسِ الرّجالِ مِن أبناءِ هذه الأمّةِ، والاستفهامُ علَى غيرِ حقيقتِه أيضًا، والغايةُ مِنهُ الاتستنكارُ عَلى رِجالِ هذه الأُمّةِ تخاذلها عَن الثّأرِ لشهدائِها الّذين قتلَهم الصهاينةُ في تلِّ الزّعتر.

وفي إجراءٍ آخرَ لِهذا النّوعِ مِن الاستفهامِ الدالِّ عَلَ تباطؤ العربِ والمسلمينِ عَن اللحاقِ بِرَكبِ أُمَّتِهم ذاتِ الأمجادِ فِي سوالِف أيّامِها، يدعو الشّاعرُ القومَ للنهوضِ في وجهِ العدوِّ والأخذِ بالثأرِ لقتلانَا في كلِّ موطنٍ وأرضٍ، مُحِيلًا بِاستفهامِه عَن سيفِ أميرِ المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ (عَلَيهِ السّلامُ) عَلى معنَى القوَّةِ الّتي يتمنَّى لو كانت قائمةً في أهلِ زمنِه، حتّى يتّفِقَ لَهم مَا اتّفقَ لسابقِيهم مِن الحزمِ الذي يُمَكِّنُ لَهم في الأخذِ بدماءِ قتلانَا مِن الكِيانِ الصّهيونيّ، ولذِي الفِقارِ (سَيفِ عليّ) قدرُه المعروفُ في المُسلمينَ جميعًا، ولِذا تمثَّله الشّاعرُ فِي هذا المقامِ.

[1]) أبو الفضل أحمد بن طاهر بن طيفور، بلاغات النساء، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ط1، 2001، 70-73 , والشيخ المفيد، كتاب الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، ط2، 1993.

المبحثُ الثّانِي

التّقديمُ والتّأخيرُ فِي شِعرِ الفتّالِ

يأخذُ الحديثُ في العربيَّةِ وفي غيرِها مِن اللغاتِ الأخرَى مجراهُ الطبيعيَّ، فيُرتَّبُ الكلامُ وفقًا لمرادِ المُتكلِّمِ، ترتيبًا اتّساقيًا بِحَسبِ المعهودِ في ترتيبِ الجُمَلِ، غيرَ أنَّ مُقتَضيًا قد يُلجئُ المُتكلِّمَ لمُخالفةِ هذا التّرتيبِ، فيُقدِّمُ في الجُملةِ ما حَقُّه التَّأخيرُ، ويؤخِّرُ ما حَقُّهُ التّقديمُ، عَلى مُقتَضَى الحاجةِ؛ لِأنّ الغايةَ مِن الكلامِ الإفهامُ، فالخطابُ رسالةٌ يشتركُ فيها كلٌّ مِن المُتكلِّمِ والمُخاطبُ؛ بِغرضِ فهمِ المُحتوَى الذي يحملُه، وإلَّا فإنَّهُ خالٍ مِن الفائدةِ لا طائلَ مِن ورائِه.

ويُحِيلُنا ذلِكَ على فَنٍّ مِن أهَمِّ الفنونِ البلاغيَّةِ الّتي اختصَّ عِلمُ المعاني بِالحديثِ عنهَا، ووضعِ مؤشِّراتٍ وضوابطَ لَهَا؛ لِمَا لَهُ مِن قُدرةٍ عَلَى تحديدِ ملامحِ الخطابِ ؛ فالنظم بأبسط صوره يحقق معنى المعنى , ويضع المعاني الكلية في بنية لغوية تنسجم مع المعنى النحوي , وتحيلنا الى نصوص راقية وهو جوهر الانزياح "صور المعاني لا تتغير بنقلهامن لفظ الى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز وحتى لا يراد من الالفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة ولكن يشار بمعانيها الى معان اخر "[1] ، و"لشدَّةِ اتصالِه بقصدِ المتكلمِ"[2]، والمساعدةِ على تبليغِ متضمَّناتِ الدّلالةِ الّتي اشتملَ عليهَا، بِالارتكازِ على التّركيبِ النّحويّ، ذلك الفَنُّ منوطٌ بِه إبرازُ الأغراضِ والغاياتِ مِن الخطابِ، مِن خلالِ تقديمِ بعضِ الكلامِ علَى بعضٍ، وتأخيرِ بعضِه عَن بعضٍ، في موقعٍ التّقديمُ والتّأخيرُ أولَى وأجدرُ بأداءِ الدّلالةِ فيهِ مِن العَمْدِ إلَى تَرتيبِ الجُملةِ بِحَسَبِ استحقاقِ كلِّ كلمةٍ فيهَا.

ومعَ ما لِهذا الجانبِ مِن الأثرِ في بلاغةِ العِبارةِ، لَم يَسْعَ البلاغيُّونَ إلى وضعِ تعريفٍ لَهُ، ولعلَّ ذلك لأنَّهُ مُعرَّفٌ بِنفسِه، فليسَ لَهُ حدٌّ قد يجمعُ تحتهُ تعريفٌ أجمعُ مِن قولِهم (التّقديمُ والتّأخيرُ)، ولو سعيتُ لوضعِ تعريفٍ لَهُ يتّسقُ معَ صِفتِه البلاغيَّةِ، لَقُلتُ: "تَقديمُ بعضِ الكلامِ عَلى بَعضٍ؛ لِنُكتَةٍ بَلاغيةٍ لَا تتجَلَّى بِغيرِه"، وقد ناقشَ البلاغيُّونَ إشكاليةَ التقديمِ والتأخيرِ

---

[1]) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز , تحقيق: محمود محمد شاكر, 263.

[2]) فاطمة البربكي، إشكالية التقديم والتأخير في الدرس البلاغي ، مجلة الملك سعود للغة والآداب، عدد/2، 2008 ، 256.

ضِمنَ مباحثِ الإسنادِ، واشترطوا لهُ "وجودَ الباعثِ عليهِ"[1]، فلو لم يتوفَّر الباعثُ لم يلزمِ التقديمُ والتَّأخيرُ، بل قد يُعَدُّ لَغوًا في بعضِ الاستعمالاتِ[2].

وقد وظّف الفتّالُ في شِعرِه بلاغةَ التّقديمِ والتّأخيرِ كثيرًا، مُظهِرًا بِهَا بعضَ ما ليسَ إلَى تحقيقِه بُدٌّ مِن الدِّلالاتِ بِغيرِ التّقديمِ والتّأخيرِ، ومِن النّماذجِ الّتي أعملَ فيها بلاغةَ التّقديمِ والتّأخيرِ:

- **تَقديمُ الحَرفِ:**

مِن النّماذجِ الّتي وظَّفَ فيهَا الفتّالُ الحرفَ مُقدَمًا عَلَى مَا تعلَّقَ بِهِ، قولُه في وصفِ النّخلةِ من (نخلة الله)[3]: (بحر الخفيف)

كُنتِ -قِدَمًا- وَمَا تَزَالِينَ لليومِ رَمْزَ عِزٍّ وَفِيكِ تَسمُو العُصُور

فمِنَ المُلحوظِ في هذا النَّصِّ أنَّ الفتَّالَ قامَ بتقديمِ حرفِ الجرّ مَعَ مجرورِ (فِيكِ) والأصلُ، وليسَ الأوْلَى، أنَّ يتأخَّرَ الجارُّ معَ مجرورِه عَلَى الفِعلِ الذي وَلِيَهُ (تَسْمُو)؛ والسَّببُ في ذلِكَ أوضحُ مِن أن نذهب مِن توضيحِه في مذاهب بعيدةٍ ، فلأنَّ الجارَّ والمجرورَ (فِيكِ) مُتعلِّقٌ بالفعلِ (تَسْمو) كان الأشكلَ أن يأتي بعدَهُ لا قبلَه، فالجارُّ والمُجرورِ المُتعلِّقُ بِفعلٍ مَا مِن الأفعالِ، أن يكونَ تابِعًا لهذا الفِعلِ لا سابقًا عليه.

غيرَ أنَّ الجارَّ والمجرورَ في تلك العبارةِ مُخصِّصٌ لهذا الفِعل، فالغايةُ البلاغيةُ من تقديمِ متعلِّقِ المسندِ إليهِ وهو الفعل (تَسْمُو) عليهِ، طلَبُ تخصيصِه بهذا الاسمِ المجرورِ، والتخصيصُ أحدُ غاياتِ التقديمِ والتأخيرِ بينَ المسندِ والمسندِ إليهِ أو أحدِ متعلقاتِهما[4]، وحيثُ كانَ الجارُّ والمجرور قيدٌ في الفعلِ (تَسمو) وهو متعلقٌ بهِ، وجبَ تقديمُ هذا الفعلِ على ما تعلَّقَ بهِ، لولا أنَّ غرضًا عرضَ للشاعرِ، فقدَّم من أجلِه الجارَّ معَ مجرورِه؛ طلبًا لتحقيقِه.

---

[1]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 124.

[2]) ينظر: المصدر نفسه، 124 .

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 77/3 .

[4]) ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 124 .

- **تَقديمُ الاسمِ:**

وممّا اعتمدَ الفتّالُ في تبليغِ فحواهُ عَلَى بلاغةِ التقديمِ والتّأخيرِ، قولُه ناعيًا عَلَى مَن يكتبونَ الكلماتِ المنثورةِ يظنُّونَ أنّها شِعرٌ من قصيدة(الشعر في زمن النكوص)[1]: (مجزوء الكامل)

الشّعرُ فِي زَمَنِ النُّكوصِ يَشْكُو عناً مِن جور لُوصِ[2]

مُتَعَثِّرًا يَمشِي تَرَاهُ وذَاكَ فِي دَرْبٍ عَويصٍ

ففي وصفِه للحالةِ المُزريةِ الّتي آلَ إليهَا الشّعرِ في زمنٍ وصفَه الفتّالُ بِأنّهُ زمنُ النُّكوصُ، والنُّكوصُ في اللُّغةِ يَعنِي التّخاذُلَ والتّراجعَ والتّقهقُرَ[3]، وهو وصفٌ مُناسبٌ لطبيعةِ الزّمنِ الذي يَحياه النّاسُ، فقد بدت ملامحُ التراجعِ العربيّ باديةً في كلِّ جانبٍ مِن جوانبِ الحياةِ، والشّعرُ تبعًا لِذلك كانَ مِمّا أصابَه هذا النكوصُ.

ولِلمُناسبةِ بينَ عثرةِ العربِ وتراجعِهم في كلِّ أمرٍ، حتّى مَا أفلحَ وتميَّزَ فيهِ الأجدادُ، وهو الشّعرُ، باتَ ناكصًا مُتخاذِلًا أيضًا، أصابَهُ ما أصابَ كلَّ شيءٍ حولَهُ، يأتِي الشّاعرُ بِمَا يُعبّرُ عن هذه المُناسبةِ بينَ تراجعِ الشّعرِ في شكلِه وقالبِه ومضمونِه كذلِكَ ومَا يُبرزُ ذلِكَ المعنَى مِن المُفرداتِ الّتي زجَّ بِهَا في تركيبٍ مُلتوٍ يُظهرُ إلَى حَدٍّ بلغَ النكوصُ بِالعربيّ وبِمُقدَّراتِه وموروثِه مِن ثقافتِهِ، فيقولُ: "مُتَعَثِّرًا يَمْشِي تَرَاهُ..." مُقدِّمًا الاسمَ عَلَى المُسندَ المُنصوبَ (مُتَعَثِّرًا) عَلَى المُسندِ إلَيه العاملِ فيهِ (يَمشِي)، ليدلَّ بتقديمِه مَا حَقُّه التّأخيرُ عَلى مدَى عِنايتِه بِه وجمال تصويره ، فالفعلُ في هذا المثالِ ونظائرِه ليسَ محلَ نظرٍ، "ولكنَّ معمولَه – وهو الاسمُ المنصوبِ هنا - هو ما يقعُ فيهِ الكلامُ"[4]، فالمُتطَلَّعُ إليهِ هُنا في هذا المقامِ، التّنبيهُ علَى طريقةِ مشيهِ، لَا المشي نَفسِه، ولِمزيدِ عِنايةٍ بِالمُقدَّمِ دخلَ فِي حَيّزٍ لَيسَ لهُ.

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 113/3 .

[2]) يُفسِرُها الشّاعرُ وفْقَ مُرادِهِ مِن توظيفِهَا فِي ديوانِه بِقولِه: "اللُّوصُ: الخَتلُ والمُخاتلةُ" علي الفتال، الأعمال الكاملة، 123/3 .

[3]) ينظر: جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة (نَكَصَ) 167/9.

[4]) محمود السيد شيخون، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1977 ،13.

- **تَقديمُ الظّرفِ عَلى العاملِ فيهِ:**

ومِن هذا اللّونِ أيضًا قولُه المُؤثّرُ عَن تركِ الأُمّةِ لِكتابِ اللهِ حبيسَ الأرففِ يَعلوهُ التُّرابُ، بدلًا مِن تلاوتِه والعملِ بِمَا فيهِ، وذلِكَ مِن قصيدتِه الّتي يَمتدحُ فيهَا أميرَ المُؤمنينَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ (عليهِ السّلامُ) بعنوان (مولد النور)[1]: (بحر الكامل)

(وَلَقَد غَدَا فَوقَ الرُّفوفِ مُوسَّدًا وَلَقَد عَلَاهُ مِنَ التُّرابِ رُكامُ

وَلَقَد نَسِينَا أنَّ مِن آياتِهِ دُنيَا السّعادةِ والرَّخاءِ تُقَامُ)[2]

فِلشدَّةِ عِنايةِ الفتّالِ بِالمُتقدِّمِ في القولِ عَلى المُتأخِّرِ منهُ، نراهُ في البيتِ الأوّلِ مِن هذا النموذجِ، يُقدِّمُ الظّرفَ المكانيَّ (فَوقَ) عَلى العامِلِ فيهِ (مُوسَّدًا) ولِظانٍّ أن يَظُنَّ أنَّ الظّرفَ (فوقَ) مُتعلِّقٌ بِالفعلِ الذي سبقَه (غَدَا) والأمرُ مِن ذلِكَ – عِندَ النّظرِ – بعيدٌ كلَّ البُعدِ؛ لِأنّهُ لو تعلَّقَ بِـ(غدا) لَصَارَ دورانُ المعنَى حولَ غدوِّ القرآنِ فوقَ الرّفوفِ، وهذا غيرُ مُرادٍ، معَ جوازِ تعلُّقِ الظّرفِ بالفِعلِ (غَدَا)، على حينِ أنّا لو جعلْنَا مُتعلِّقًا بِالمُتأخِّرِ عنهُ، وهو مُعمولُ الفِعلِ المُتقدِّمِ عَليهِ (مُوسَّدًا)، لَصَارَ المعنَى عَلى مَا يُوجِّهُنا إليهِ الفتّالُ مِن الدلالاتِ المُشعرةِ برغبتِه في اللّومِ عَلى بعضِ المُسلمينَ مِمّن يتركونَ القُرآنَ مُوسَّدًا عَلى تلك الأرففِ.

وفي هذا التّعبيرُ استعارةٌ مكنيةٌ "مبنيةٌ عَلى حذفِ المُشبهِ بِه والإبقاءِ عَلى المُشبّهِ"[3]، وإنَّ فِي تلكَ الاستعارةِ مَا يؤكِّدُ عَلى صِحَّةِ قولِنا بتعلُّقِ الظّرفِ بِالمُتأخِّرِ (مُوسَّدًا) حيثُ استعارَ الفتّالُ للقُرآنِ صِفةَ الحيِّ الّذي يتوسَّدُ مَا لا يَلِيقُ بِهِ مِن الأماكنِ، فحذفَ المُشبَّهَ بِهِ مُستبقيًا لازمَهُ وهو (التوسُّدُ)، أمَّا القرآنُ فهو مُشبَّهٌ، وحقيقةُ الدّلالةِ على صِحّةِ تعلُّقِ الظّرفِ بالتوسُّدِ، منشؤها هذه الاستعارةِ، من حيثُ إنّهُ استطاعَ من خلالِها تصويرَ القُرآنِ بصورةِ مَن يحتاجُ للتوسُّدِ للراحةِ والدّعةِ بعدَ تعبٍ حلَّ بِه، فلمَّا اتّفقَ لهُ ذلِكَ لَم يَجد ما يتوسَّدُه إلّا مَا ليسَ يليقُ بِه.

وإنَّ مظهرَ العنايةِ بالظَّرفِ المتقدِّم (فوقَ) على العاملِ فيهِ (مُوَسَّدًا) إظهارُ فوقيةِ القُرآنِ، حتَّى معَ إهمالِ بعضِ المسلمينَ له، فليسَ يكفي في ذكرِ سببِ التقديمِ مجردُ الإشارةِ إلى العنايةِ بهِ، "بل يجبُ ذكرُ مِن كانت تلك العنايةُ، وبِم كانَ –المُقدَّمُ- أهمَّ"[4]، وحيثُ كانَ

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 45/5 .

[2]) يحتوي هذان البيتان على كناية عن موصوف.

[3]) اسيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 246.

[4]) الإمام عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: الشيخ محمود محمد شاكر، 108.

الغرضُ مِن تقديمِ الظّرفِ الدالِّ عَلى الفوقيةِ مُرتبطًا بِمركزيّةِ هذا الظّرفِ في الإشارةِ بِه إلى أنّ القرآنَ سيظلُّ في مكانِه الذي هو بِه أليقُ مهما كان حالُ النّاسِ معَهُ، يأتي الفتّالُ بِمَا يُشعرُ بِذلك المعنَى بتقديمِ الظّرفِ على مُتعلّقِهِ.

كِما يُقدِّمُ الفتّالُ في تالِي هذا البيتِ الجارَّ معَ مجرورِه مِن قولِه: "مِن آياتِه" عَلى العاملِ فيهِ، وهو الفِعلُ المُتأخِّرُ عنهُ مِن قولِه: "تُقَامُ"، والتّقديرُ: وَلَقَد نَسِينَا أنَّ دُنيا السّعادةِ والرّخاءِ تُقامُ مِن آياتِه" ومِن هُنا بِمعنَى السببيَّةِ[1]، على أنَّ السببَ في قيامِ سعادةِ الإنسانِ المُسلمِ في الحياةِ التزامُه بتعاليمِ القرآن، والتّقديمُ هُنا مردُّهُ إلى التّعريفِ بِمَا قد يتحقَّقُ مِن السّعادةِ للمرء متى ألزمَ نفسَه بتعاليمِ القرآنِ، فقدَّمَ الشّاعرُ الجارَّ والمجرورَ (مِن آياتِه) على مُتعلِّقِه الجُملةِ الفعليةِ (تُقامُ) الواقعةِ خبرًا لِـ(أنَّ) النّاصبةِ.

[1]) ابن هشام الأنصاري، مُغني اللبيبِ عن كتب الأعاريب، 1/ 419 .

المَبحثُ الثّالِثُ

التَوكيدُ في شِعرِ الفتّالِ

يتبوأ التوكيدُ منزلةً سامية في اللغةِ العربيةِ ؛ بالنَّظرِ إلى الغاياتِ التي يُنتجُها في الخطابِ، ومن أبرزِها ما سنشيرُ إليهِ في أسبابِ لجوءِ المتكلِّم إليهِ في كلامِه، وهو من المباحثِ المشتركةِ بينَ علمِ البلاغةِ وعلمِ النحوِ، وقد وردَ تعريفُه عندَ علماءِ النحوِ بحسبِ اللغةِ والاصطلاحِ على هذا النَّحوِ:

التَّوكيدُ في اللغةِ:

التّوكيدُ، بالواوِ: مصدرُ: وَكَّد يُوَكِّدُ، ويُقالُ فيهِ أيضًا التّأكيد – بالهمزةِ- وهو مصدر: أكَّد يؤكِّدُ، وهما لُغتانِ"[1]، وهو يعني في اللغةِ: "إحكامَ الشيءِ وتوثيقَه"[2].

وفي الاصطلاحِ:

وقد عرَّفَه العلويُّ، بقولِه: "اعلم أنَّ التوكيدَ تمكينُ الشيءِ في نفسِه، وتقويةُ أمرِه، وفائدتُه إزالةُ الشكوكِ وإماطةُ الشبهاتِ لِما أنت بصددِه"[3]، وقد جمعَ العلوي في هذا التّعريفِ بينَ الحَدِّ والأسبابِ الّتي يؤتَى لَهَا بالتّأكيدِ، وقد اصطلحَ عليهِ النّحويون بقولِهم: "لفظٌ يُرادُ بهِ تحقيقُ المعنَى وتمكينُه في نفسِ السَّامعِ، وإزالةُ الشَّكِّ أو اللبسِ عن الحديثِ، أو المُحَدَّثِ عنهُ"[4]، وليسَ هناكَ فرقٌ بينَ ما وضعَه البلاغيّونَ لِهذا الفنِّ البلاغيِّ ومَا وضعَهُ لهُ النّحويُّن؛ إذ إنّ الغايةَ مِنهُ واحدةٌ عندَ الفَريقَين غيرَ أنَّ البلاغيينَ حَدُّوا لَهُ بعضَ الأغراضِ الّتي أحجمَ النّحويون عن الحديثِ عنها اكتفاءً بِمَا وردَ في حَدِّه لَديهم.

---

[1]) المتولي علي المتولي الأشرم، التوكيد في النحو العربي ، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، مصر، ط1، 2004 ، 4.

[2]) ابن منظور، لسان العرب، 7/ 417، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، 914.

[3]) يحيى بن حمزة بن علي الحسيني العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ، 94/2 .

[4]) ابن معطٍ، الفصول الخمسون في النحوِ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط1، 1976 ، 235.

والغايةُ من التوكيد: ""تقريرُ نسبةِ المسندِ إليهِ للمسندِ، وتحقيقُ المفهومِ في الذِّهنِ عندَ الإحساسِ بغفلةِ السَّامعِ...، ولرفعِ توهُّمِ عدمِ الشمولِ"[1]، إذ لم كان التّوكيدُ اللفظيُّ أو المعنويُّ لغيرِ غايةٍ، لصارَ لغوًا وتطويلًا مِن غيرِ داعٍ.

هذا وإنَّ ديوانَ الفتّالِ لَم يَخلُ مِن الأساليبِ المُؤكِّدةِ لِنسبةِ الكلامِ بينَ المُسندِ والمُسندِ إلَيه، غيرَ أنَّ أساليبَ التوكيدِ الّتي اعتمدَهَا في جُلِّ أعمالِه الشِّعريّةِ الواردةِ في هذا الدّيوانِ كانَ مُعَوَّلُها علَى التّوكيداتِ اللفظيةِ، وأكثرُها إن لَم تَكُن جميعًا مسوقةٌ في صُورةِ التَّكرارِ لِعَينِ اللفظِ الذي يقعُ بِه التّوكيدُ.

- **التَّوكيدُ بالتَّكرارِ:**

التكرار لغة: اصل الكلمة من الكر بمعنى الرجوع على الشيء[2], أما اصطلاحا: قال ابن ابي الاصبع (هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد)[3].

ومِن النّماذجِ الّتي أطلَّ علينَا فِيهَا هذا الأسلوبِ بشكلٍ ظاهرٍ، مُبرزٍ للدلالةِ المُرادةِ مِنهُ، قولُ الفتّالِ داعيًا عَلى قاتلِ الإمامِ عليٍّ (عليهِ السّلامُ) بِالتّباب في قصيدة (العطش العطش)[4]: (بحر الوافر)

أَلَا تَبَّت يَدَاهُ وتَبَّ فِعلٌ يَنُوءُ بِخِزيِهِ كلّ العهودِ

ففي تَكرارِ فِعلِ التّبابِ مِن قولِ الفّتالِ: "أَلاَ تَبَّتْ يَدَاهُ، وتَبَّ فِعلٌ..." توكيدٌ لفظيٌّ عَمَد إليهِ الفتّالُ إشارةً إلَى عظَمِ وَقْعِ المُصيبةِ في نفسِ كلِّ مسلمٍ، بِمَا لا يتركُ لذهن أيٍّ مِنَّا مجالًا لنسيانِها في أيِّ عهدٍ مِن العهودِ، وفي إشارةٍ مُلمِحةٍ إلَى أنَّ هذا القاتَل، وهو عبدُ الرحمنِ بن مُلجمٍ مُستحقٌّ للتّبابِ والهلاكِ يُوقعُ الشّاعرُ فِعلَ الهلاكِ الذي أشارَ إليهِ بقولِهِ: (تَبَّتْ، وتَبَّ)، عَلى القاتلِ وعلَى فِعلِه؛ لِتحقيقِ وقوعِ الهلاكِ على هذا القاتلِ (لَعَنَهُ اللهُ) عَليهِ بِمَا لا يجعلُ لِمُسلمٍ ريبًا فِي أنَّ مصيرَه إلى الهلاكِ محتومٌ.

---

[1]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في علوم البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)، 132 .

[2]) الازهري : تهذيب اللغة , 303/3.

[3]) ابن ابي الاصبع المصري , تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن , مجلس الاعلى لشؤون الاسلامية , الجمهورية العربية المتحدة , 375.

[4]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 62/5 .

ومِن ذلِكَ النّوعِ مِن التّوكيدِ المُعتمَدِ فيه تَكرارِ لَفظِ المُؤَكِّدِ، قولُ الفتّالِ من(العبارات القصار)، ناصحًا وموجّهًا مُخاطبِيهِ بِالحذرِ مِن الاستِهانةِ بالأُمورِ البسيطةِ الّتي قَد يُؤتَى الإنسانُ مِنهَا، بِمَا يتولَّدُ عنهَا أمرٌ عظيمٌ , من (العبارات القصار)[1]: (مجزوء الرمل)

وَبِأَمرٍ يَا -صدِيقي- هَانَ لَا تَسْتَهِن فَهْوَ يُرْدِيكَ وَيَرْمِيكَ بِأَقسَى المِهَنِ

سُمعَةٌ مِنكَ فَحَاذِرْ، ثُمَّ حَاذِرِ، أَنْ تَنِي وَعَلَى اللهِ تَوَكَّأ وَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْ

فهو هُنا يتّخذُ مِن أسلوبِ التّوكيدِ ذريعةً لشدِّ النّكيرِ عَلى مَن لَا يُولِي الأمورَ الصّغيرةَ قدرًا مِن الأهميةِ؛ فينعكسُ ذلك عليهِ في وقتٍ مِن الأوقاتِ بِأن يتحوَّلَ الأمرُ اليسيرُ الذي لا قدرَ لهُ عندَ مُخاطبِه إلَى مسألةٍ عظيمةٍ تجرُّ عليهِ وبالًا، فراحَ يشدِّدُ على ضرورةِ اتّخاذِ المُخاطبِ الحذرَ صاحبًا فِي مثلِ ذلِكَ؛ وقايةً لِنفسهِ وحمايةً لَهَا مِن مغبَةِ الانكسارِ أمامَ هذه الأمورِ فيمَا بعدُ، فكانَ التوكيدُ اللفظيُّ بتكرارِ الفعلِ الطلبيّ: "حَاذِرْ، ثُمَّ حَاذِرْ" سبيلَهُ إلَى هذهِ الدّلالةِ.

- **التَّوكيدُ بـ(أنَّ):**

وقالَ الفّتالُ مِن قصيدتِه (الشِّعرُ في زمنِ النُّكوصِ)، الّتي يَؤكِّدُ فيها علَى ضلالِ وضعفِ المُدَّعينَ بأنَّ للشِّعرِ قوامًا سِوى الذي ورثناهُ عن أُمَّتِنا[2] : (بحر الوافر)

وَقَالُوا إنَّهُ إرثٌ مَقِيتٌ تَقَوْلَبَ، وهو فِي هَذا مُمِيت

وَقَالُو: لَم يُواكِب عصرَ قومٍ تَنَاهَوا فِيهِ، بَل أضحَى يُمِيتُ

ومَا يَدرونَ أَنِّي تِهتُ إن لَمْ أَنَلْ مِن رِيِّهِ، بَلْ مَا حَييتُ

فِالمُلاحظُ فِي هذه الأبياتِ أنّ الفتّالَ استعملَ أسلوبَ التّوكيدِ في صُورتَينِ مُتناقضتَينِ، الأُولَى مِنهُما، تلك الّتي يُبينُ فيهَا عن وجهةِ نَظرِ هؤلاءِ المُتنكِّرينَ لتراثِ أُمّتِهم، فَيسوقُ الاسمَ مُؤكَّدًا بِـ(إنَّ) مِن مقولِ قولِهم: "إنّهُ إرْثٌ مَقيتٌ" دالًّا بِذلِكَ عَلى توجُّههم في نبذِ الشِّعرِ بِالمقيتِ، على أنَّ توكيدَ مقتِ الشِّعرِ العموديّ ليسَ مِن عندِ الشّاعرِ، بل هي نظرتُهم، وقد ساقَ توكيدَهُ لِمقتِهم شِعرَ العربِ، بـ(إنَّ) المُؤكِّدةِ لِيُظهرَ موقفَهم المُزري مِن هذا الشّعرِ، والقولُ وإن لَم يَكُن محققًا عندَه إلّا أنّهُ داخلٌ في حيّزِ التّحقيقِ عندَهم، ولذلك أجرَى مقالَهم على التّوكيدِ؛ لأنّه كذلك لديهم.

---

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 352/7 .

[2]) المصدر نفسه، 142/3 .

ثمَّ يسوقُ توكيدَه هو الذي أجراهُ عَلى لِسانِه، مِن قولِه: "وَمَا يَدرُونَ أَنِّي تِهتُ إن لَّم..."، مُؤكِّدًا عَلى أنَّ مِن حقيقةِ ورودِه الموتَ وهو على قيدِ الحياةِ، أن يتنصَّلَ وينسلَّ مِن قالبِ الشِّعرِ العربيّ، فيؤكِّدُ عَلى ذلِكَ بِتوظيفِ (إنَّ) المكسورةِ الهمزةِ في سِياقٍ يُناقضُ سياقَ إيرادِهِ للتوكيدِ الذي أجراهُ عَلى لِسانِهم، مُحقِّقًا بهذين النّوعينِ مِن التّوكيدِ مُفارقةً مشهديةً، تجمعُ بينَ ضِدَّينِ في سياقٍ واحدٍ، صورةُ المُؤكَّدِ عَلى حقيقةِ وقوعِه وهو الحقُّ الذي لا ارتيابَ فيهِ عندَ الشّاعرِ، وصورةِ الزائفِ الذي يرَى صاحبُه عكسَ ما يراهُ النّاسُ عليهِ.

المَبحثُ الرّابعُ

أُسلوبُ القَصرِ فِي شِعرِ الفتَّالِ

مِن الأساليبِ البلاغيـة الّتـي جَلَّ قدرُها فَأنـافَ عَلـى أقدارِ كثيرٍ مِـن الأسـاليبِ البلاغيَّـةِ الأخرَى في عِلمِ المعانِي، لحكمَةِ العربيّ منهُ في قَصرِ وظائفِ ومُناسباتِ وأحكامِ المُسندِ إليهِ علـى المُسندِ، كأنّـهُ الشّـخصُ الّذي تتجسَّدُ فيـهِ تلك الأحكـامُ لا تُجـاوزُه لِغيـرِه[1]، وقد جـاءت عنايـةُ البلاغيـينَ بأُسلوبِ القَصرِ مُعبّرةً عَن هذه السِّمَةِ، عَلـى مـا سيأتي عنـدَه بشـيءٍ مِـن الإيضاحِ في مواضعِه من التّحليلِ.

القَصرُ في اللُّغةِ: "الحَبسُ، تقولُ: قصرتُ اللقحةَ علَى فرسٍ، إذا جُعِلَتْ دِرهًا لهُ لَا لِغيرِه"[2]، ومِنهُ قولُ ربّنَا عزَّ وجلَّ: "حُورٌ مَقْصُوْرَاتٌ فِي الخِيَامِ" [3]

وفي الاصطلاحِ: "تَخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بِطريقٍ مَعهودٍ"[4]، وهو مِن التّعريفاتِ الّتـي أَلِفَهَا جمهورُ البلاغِيين، ولَم يُخالفها أحدٌ إلّا مِن جهةِ الألفاظِ.

وإنّ لـه أقسـامًا، هـي القصـرُ الحقيقـيُّ، وغيـرُ الحقيقـيّ، وغيـرُ الحقيقـيّ يُسمَّى بِالقصـرِ الإضافيّ، وعِلَّةُ تسميتِه بِالإضافيّ: أنّكَ إذا قصرتَ صِفةً عَلى موصوفٍ مَا، إنَّما تَعنِي بِقصرِ هذه الصِّفةِ عليهِ بتخصيصِ ذلِكَ القصرِ عَلى حالٍ مُعيَّنةٍ أو وقتٍ مُعَيَّنٍ، كقولِكَ: "مـا زيـدٌ إلّا قـائمٌ" إذ يستحيلُ حبسُ زيدٍ فـي صـفةِ القيـامِ دونَ تَخطِّيهَـا إلـى صـفاتٍ أخـرى، كمـا يستحيلُ استمرارُه في القيامِ، فسُمِّي القصرُ الإضافيُّ بِهذا الاسمِ؛ نظرًا لأنَّ تخصيصَـه بالإضـافةِ إلـى مُعَـيَّنٍ آخـرَ[5]، وإنَّ لِكُـلٍّ مِـن هـذين النّـوعين قسـمين فـرعيين، فهمـا إمَّـا قصـرُ صِـفةٍ علـى موصوفٍ أو قصرِ موصوفٍ عَلى صفةٍ.

وللقصـرِ طُـرُقٌ مُتعـدِّدةٌ، مِـن أمثلَـةِ القصـرِ بِإنّمـا، والقصـرُ بـالنّفي والاسـتثناءِ، والقصـرُ بِأسلوبِ الابتداءِ، وسيأتي بيان مَا تيسَّرَ مِن هذه الطُّرُقِ.

- **أوّلًا: القصرُ بِـ(إنّما)، وهو أشهرُ طُرقِ القَصرِ:**

---

[1]) ينظر: السيد احمد الهاشمي , جواهر البلاغة, 187.

[2]) سعد الدين التفتازاني، المطول بشرح التلخيص، 381، وجمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصر) 112/6.

3) سورة الرحمن: 72.

[4]) سعد الدين التفتازاني، المطول بشرح التلخيص ، 381 .

[5]) سعد الدين التفتازاني، المطول بشرح التلخيص ، 381 .

ومنـهُ قـولُ الفتّـالِ فـي (عبـارات القصـار) الّتـي يَـدعو فِيهَـا لِإخـلاصِ التوكُّـلِ عَلَـى اللهِ تعالَى[1]: (مجزوء الرمل)

كُنْ إلَى الحُبِّ بِحُبٍّ سَائرًا سَيرَ الحَثِيثِ إنَّمَا المَرأةُ للعَالَمِ -فِي الشّرعِ- وَرِيث

فَهُم مِنهَا كَمَا النّاسِ مِن الغَيثِ النَّثِيثِ[2] فَارفَعِ المُرأَةَ – حُبًّا- وَعَلى اللهِ تَوكَّلْ

فالشّاعرُ هُنا يلومُ عَلَى العالمِ في مُعاملتِه للمرأةِ، لاسِيما في قضيةِ المواريثِ الّتي طالمَا شغلت أذهانَ وعقولَ النّاسِ في مُختلفِ البِقاعِ وعلَى شتَّى الأصعدةِ، مُخبِرًا عنها مِن طرقِ الحصرِ بِـ(إنَّما) إبرازًا للقيمةِ الّتي يتنكَّرُ لهَا العالمُ فِي مظهرٍ يجعلُ منها حصرًا في المرأةِ على سبيلِ المُبالغةِ، وذلك مِن قبيلِ قصرِ الصِّفةِ المِيراثُ عَلى موصوفِها وهو المرأةُ، وإن كانَ هذا التّركيبُ قاصرًا لِتلك الصِّفةِ عَلَى المرأةِ نافيًا لِمَا عدَاها عنهَا، إلَّا أنّ الواقعَ يقضِي باستحالةِ إثباتِ هذه الصِّفةِ لهَا معَ نفي غيرِها عنها؛ لجوازِ كونِ المرأةِ مُتَّصفةً بِغيرِها، غيرَ أنَّ قصرَ الصّفةِ عليهَا قصرًا إضافيًّا مُجيزًا لاتّصافِها بغيرِه في زمنٍ آخرَ أو في حالةٍ أُخرَى[3]، وهنا نجد صورة تشبيهية تبين العطاء الشحيح للمرأة بعكس واقع الحياة .

- **ثانِيًا: القصرُ بالخَبَرِ وبِضَمِيرِ الفصلِ:**

ومِن هذا النّوعِ مِن القصرِ، قولُ الفتَّالِ فِي قصيدتِه الّتي يُباهِي فِيهَا بِشِعرِه، ويؤكِّدُ فيهَا عَلَى أنَّ حياتَهُ صارت حصرًا فيهِ وقصرًا عليهِ في قوله (شعري) [4]: (بحر الخفيف)

إنَّ شِعرِي عُصارةٌ مِن شُعورِي وشُعورِي عُصارةٌ مِن نُزوعِي

وَنُزوعِي دَفقُ العواطِف والحُبّ يُناغِي شغافَها بِخُشُوغِ

وَخُشُوعِي هُوَ اصطيادُ القَوافي وَهِيَ تَنسابُ رَخصَةً فِي رُبُوعِي

ففي ذهابِ الفتّالِ إلَى إبرازِ قيمةِ الشّعرِ بالنّسبةِ إلَيهِ، يُوظِّفُ أسلوبَ القصرِ مِن طريقِ الابتداءِ، مِن قولِهِ: "وَنُزُوعِي دَفقُ العَاطفِ" بِقصرِ الخبرِ (دَفْقُ العَواطفِ) عَلَى المُبتدأِ

---

[1]) علي الفتّال، الأعمال الشعرية الكاملة، 394/7 .

[2]) النّثِيثُ: الماءُ المرتشحُ من الوعاءِ، ويعنِ به الشَّاعرُ المطرُ االقليل، ابن منظور، لسان العربِ، 98/9 .

[3]) ينظر: سعد الدين التفتازاني، المطول بشرح التلخيص، 383 .

[4]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 126/4-127.

(نُزُوعِي) مُبالغةً في الصِّفةِ، ذلِكَ حيثُ بلَغَ الشِّعرُ الغايةَ القُصوَى مِن نفسِه، فكانَ شغفُه بِهِ واحتكامُه إليهِ مِمّا حملَهُ عَلى جعلِه جزءًا مِن ذاتِه، ينزعُ إليهِ بعواطفِه، ومِن ثَمَّ فإنَّ قصرَهُ لـ(دفقُ عَوَاطِفِي) عَلَى (نُزوعِي) طَلَبٌ للمُبالغةِ بِتحقيقِ جعلِ الصّفةِ عينَ الموصوفِ بِهَا، وكلاهُما معنًى، وعَلَى ذلِكَ التّقديرِ يَكونُ النزُوعُ مُعبّرًا عَن عينِ المرادِ من (دَفْقُ العواطفِ)، لا يتخطّاه لغيرِه مِن صفاتٍ، وذلِكَ مِن المبالغةِ.

ثمَّ يسوقُ لَنَا فِي هذا البيتِ طريقةً أُخرَى مِن طُرائُقِ القَصرِ، يُحوّلُ فِيهَا الموصوفَ إلَى صفةٍ، كأنّهُ هو هي، غيرَ أنّهُ خالفَ الطريقتَهُ الأوَلَى، بِقصرِه (خُشوعِي) عَلى (اصطيادِ القَوافِي) بِتوسيطِ ضميرِ الفصلِ (هو) مِن قولِه: "وَخُشُوعِي هُوَ اصطِيَادُ القَوافِي"، حيثُ جعلَ خشُوعَهُ قصرًا عَلى اصطِيادِه للقوافِي، وذلكَ مُؤشِّرٌ مِن مؤشراتِ استشعارِ الفتّالِ لعظمةِ الشّعرِ في نفسِه، حتّى كأنَهُ قطعةٌ مِنهُ، يتمثّلُه في كلِّ وقتٍ، فأذابَ لأجلِ ذلك الفروقَ بينَ الصّفةِ وموصوفِها، لِيتّحِدَا في المعنَى مُبالغةً في الدّلالةِ.

ثَالِثًا: القَصرُ بِالنّفي والاستِثناءِ:

ويُوظِّفُ الفتّالُ أسلوبَ القصرِ كذلِكَ فِي قصيدتِه الّتي يُبرزُ فِيهَا مُلِمَّاتِ الشّيبِ، وذِهابِ زمنِ الشّبابِ، فيقولُ واصفًا الشّيبَ في (مناغاة الشباب) [1]: (بحر الطويل)

وَمَا الشَّيْبُ إلَّا زَائرٌ يَعشَقُ السُّرَى وَإلَّا رَديفٌ للسّرابِ المُخادِع

نلمسُ فِي هذا البيتِ مُخالفةَ الفتّالِ لِأصلِ مَا يجبُ أن يَكونَ عليهِ أسلوبُ القصرِ، ففي تَقييدِه للمقصورِ عليهِ (زَائرٌ) بِالصَّفَةِ (يَعشقُ السُّرَى) تَفلَّتٌ مِن هذا القصر، حيثَ أشركَ الموصوفَ فِي صفاتٍ مُتعدِّدةٍ، وهو مُنافٍ للغايةِ مِن القصرِ، إذ إنّ الغرضَ من القصرِ رغبةُ حصرِ الصِّفةِ في موصفِها، أو الموصوفِ المقصورِ في صِفتِه، وتقييدُ أحدِهما بِالوصفِ يُقلِّلُ مِن فرصةِ الظّنِّ بِهذا الحصرِ، ومن ثَمَّ تَنتفي بلاغةُ العِبارةِ.

وذلِكَ ظنُّ مَن ليسَ لهُ بِعلمِ البلاغةِ مراسٌ، فالقيدُ الذي وضعَهُ الفتّالُ في المقصورِ، وهو (الشيب) بِالصِّفَةِ (يَعشَقُ...) مُؤشِّرٌ عَلى أنّ المقصورَ عليهِ صِفةٌ مُقيَّدةٌ بِقيدٍ "يَمنعُ مِن عمومِ

[1]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 133/4 .

إطلاقِ هذه الصِّفةِ، وهو مانعٌ مِن مشاركةِ الموصفِ صِفتَهُ لغيرِه فيهَا"[1]، فحينَ قيَّدَ الفتّالُ الصِّفةَ المقصورُ عليها (زَائرٌ) بصفةٍ فرعيةٍ تُعيّنُها وتُخصّصها (يَعشَقُ السُّرَى) جعلَ مِن القصرِ أضيقَ نطاقًا مِن أن تَستوعِبَ فِيهِ الصِّفةُ غيرَ مَن قُصرَ عَليهَا، وذلك مُحقِّقٌ لِدلالةٍ أرادَهَا مِن وراءِ القصرِ لَم يَكن لَيصِلَ إليهَا بِغيرِ هذا الطّريقِ، فقصرُه الزّائرَ الذي يَعشقُ السُّرَى علَى الشّيبِ مُظهِرٌ لِحقيقةِ كراهيةِ الشّاعرِ لَهُ؛ لِأنّهُ سريعًا مَا يزولُ بِسببِ حُبِّه السُّرَى، وزوالُه لا يقعُ إلّا بمَوتِ صاحبِه, ونجد هنا صورة جميلة من التشبيه البليغ وقعت بين النفي والاستثناء ف(الشيب) مشبه و(الزائر) مشبه به, وللقصر اثر بليغ في انتاج الشاعر علي الفتال وبيان بلاغة وجمال صورته الشعرية .

[1]) بدر الدين ابن الناظم، المصباح في علوم البلاغة، 94 .

المَبحَثُ الخامسُ

(الإيجَازُ فِي شِعرِ الفتّالِ)

وحيثُ اعتمدَ العربيُّ عَلَى الوجازةِ في كلامِه أكثرَ مِمّا عوَّلَ عَلى التّطويلِ، يُجرِي الفتّالُ كثيرًا مِن نظمِه عَلَى مِنوالِ العربِ الأوائلِ في نظمِهم، فيجعلُ مِن الإيجازِ بِشِقَّيهِ: إيجازِ الحذفِ وإيجازِ القِصَرِ، سبيلًا لِإبرازِ كوامنِ الدّلالاتِ الّتي تضمَّنَتْها بعض نماذج مختارة من شعره لِتَكونَ محلَّ التّحليلِ البلاغيّ تحتَ هذا المفهومِ، وذلك نتيجةَ إدراكِه لِأنَّ الكلامَ في العربيّةِ علَى مراتِبَ، بعضهُ أحوجُ إلى الإيجازِ وبعضُه الآخرُ أعوزُ إلى الإطنابِ.

وقبلَ الولوجِ إلى عوالمِ الفتَّالِ الشِّعريَّةِ التي نسجَها من بلاغةِ الإيجازِ، ينبغي أن تتقدمها وقفةٌ معَ تعريفاتِ البلاغيين للإيجازِ، في اللُّغةِ، وفي الاصطلاحِ.

أمَّا الإيجازُ في اللُّغةِ، فهو: مأخوذٌ من مادَّةِ الفعلِ (وَجَزَ) بمعنَى: "قصَّرَ"[1]، وإن مِحورَ دورانِ الإيجازِ عَلى التّقصيرِ غيرِ المُخِلِّ بِمعنَى الكلامِ، وَإلّا فَهو عَيٌّ.

وأمَّا الإيجازُ في الاصطلاحِ:

فعرَّفَه صاحبُ الصِّناعتينِ بأن: "يكونَ اللفظُ القليلُ مُشارًا بهِ إلى معانٍ كثيرةٍ بِإيماءٍ إليها ولمحةٍ تدلُّ عليها"[2]، وقد عرَّفَه الرُّمَّاني، بأنَّه: "تهذيبُ الكلامِ بِما يحسنُ بهِ البيانُ"[3]، ولابنِ سنان الخفاجي فيهِ نظرةٌ أخرَى، فقد ظهرَ لهُ من تعريفاتِ سابقِه قصورُها عن الوفاءِ بأهدافِه، فضمَّها إلى التَّعريفِ بقولِه: ""أن يكونَ اللفظُ القليلُ يدلُّ على المعنى الكثيرِ دلالةً واضحةً ظاهرةً، لا أن تكونَ الألفاظُ - لفرطِ إيجازِها- قد أَلبَست المعنَى وأغمضتْهُ حتَّى يحتاجَ في استنباطِه إلى طرفٍ من التَّأمُّلِ ودقيقِ الفِكرِ؛ فإنَّ هذا عيبٌ في الكلامِ ونقصٌ"[4].

و لإيجازِ قِسمانِ: الأوَّلُ: إيجازُ الحَذفِ، وهو أن يحذفَ المُتكلِّمُ طرفًا من كلامِه، مع قيامِ الدليلِ عليهِ، لحاجةٍ داعيةٍ إلى هذا الحذفِ، فمتى كان الحذفُ.

---

[1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (وجز) 167/7، أبو البقاء الكفوي، الكليات، 417.

[2]) أبو هلال العسكري، الصناعتين، 339 .

[3]) الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله – محمد زغلول سلام ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1968 ،80.

[4]) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق: الشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة صبيح، القاهرة، مصر، ط1، 1953، 243-244.

والثَّاني: إيجازُ القِصَرِ، ولعلَّ " أوَّل مَن تنبَّه إليهِ، وأحالَ عليهِ أبو عثمان بن بحر الجاحظِ، فخصَّ الإيجازَ بما تضمَّنت فيهِ العبارةُ القليلةُ الكثيرَ من المعاني، وهو معنَى إيجازِ القِصَرِ" [1].

أوَّلًا: إيجازُ الحَذفِ:

وهو وإن كانَ غايةً في البلاغةِ، إلّا أنّهُ يظلُّ دونَ إيجازِ القِصَرِ في البلاغةِ، وقد أطلَقَ عليهِ بَعضُهم مُصطلحَ التّضييقِ، وعرَّفَهُ عَلَى أنَّهُ: "أَن يَنقصَ مِن الكلامِ مَا يَصيرُ بِه لِباسُ لَفظِه أضيقُ مِن قَدِّ مَعناهُ"[2]، ويقعُ بِحذفِ الاسمِ، وبحذفِ الفِعلِ، وبحذفِ الحرفِ، ولكلٍّ منها غرضٌ بلاغيٌّ آخرَ إلَى جانبِ إرادةِ الاختصارِ.

- **الايجاز بحذف الاسم:**

ومِما جاءَ في شِعرِ الفّتالِ مِن إيجازِ حذف الاسمِ، حذفُه للمبتدأِ مِن مقولِ القولِ، مِن قولِه (في الطريق)[3]: (بحر الخفيف)

فَلَا غَروَ إن قُلْتُ: مِثْلُ النُّضارِ تدلَّى عَلَى جَانِبَيهِ الشَّعَر[4]

فجملةُ مقولُ القولِ: (مِثْلُ النُضَارِ) جملةٌ ابتدائيّةٌ، مُكوَّنةٌ مِن مبتدأٍ وخبرٍ، أمّا الخبرُ فهو المذكورُ في العبارةِ، وهو المُضافُ والمُضافُ إليهِ مِن قولِه: "مِثلُ النُّضَار" والخبرُ محكومٌ على مُبتدئِة بِه، وهو أحدُ رُكنَي الإسنادِ، ولِأنّه كذلك لَزِمَ أن يكونَ لهُ مبتدأٌ، ولعدمِ وجودِ ما يصلحُ لهذه الصّفةِ في الكلامِ، وجبَ أن يكونَ هذا المبتدأُ مُقدّرًا في الكلامِ، وتقديرُه: (هو)، وهو ضميرٌ يعودُ عَلى (مُحيَّا) المُضافةِ إلَى (كَـ) الخطابِ، مِن قولِ الشّاعرِ في البيتِ السّابقِ عَلى هذا[5]: (بحر الخفيف)

لَقِيتُكِ يَا مُنيَتِي فِي السَّحر مُحَيَّاكِ يُزْرِي بِضَوءِ القَمَر!

---

[1]) فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، مصر، ط1، 1983 ,257.

[2]) بدر الدين ابن مالك، المصباح في علوم البلاغة، 73 .

[3]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 5/1 .

[4]) وقد احتوى البيت على استعارة تصريحية جميلة.

[5]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة ، 5/1 .

وهذا مِن بابِ الإيجازِ بحذفِ اسمٍ مفردٍ، أدَّت الظاهرةُ إلى اختصارِ اللفظِ، وذلك أكثرُ ما يُنوِّهُ البلاغيونَ عليه من دواعي الحذفِ[1]، لا سيما أنَّ لفظَ (مُحَيَّاكِ) تقدَّم ذكرُه، فليسَ ثمَّ ما يُعوزُ لإعادتِه، خاصةً وأنَّ الضّميرَ في قولِ الفتّالِ: "عَلَى جَانِبَيهِ" مِمّا لا يصلحُ عودُه إلّا علَى (مُحيَّاكِ).

- **الإيجازُ بِحذفِ جُملةٍ:**

كما أنّ الإيجازَ بِالحذفِ يقعُ في المُفرداتِ، فإنَّهُ يقعُ في الجُمَلِ أيضًا، بِقرينةٍ تُعينُ عَلى معرفةِ المحذوفِ، والغرضِ مِن حذفِه[2]، ومِن شِعرِ الفتّالِ الذي تضمَّن مثلَ هذا النّوعِ مِن الإيجازِ بِحذفِ جُملَةٍ تامّةٍ، قولُه مِن القصيدةِ نَفسِها[3]: (بحر المتقارب)

وَمِن وَجنَتَيكِ خِضابُ الحَيَاءِ تَطَافَحَ حَتَّى غَدَا يَنْهَمِر

وَمِن حَاجِبَيكِ سُيُوفٌ تُسَلُّ لِنَيلِ الأَمانِي وَدرَءِ الخَطَرْ

فَلمَّا قدَّمَ الفتّالُ بِالجُملَةِ الابتدائيَّةِ التّي لَا محلَّ لَهَا مِن الإعرابِ: (فَلَا غَروَ إنْ قُلْتُ...) وكانَ مبنَى الكلامِ ومحلُّ دورانِه عَلَى مقولِه فِي تلكَ الفتاةِ الّتي راحَ يتغزَّلُ بِكلِّ مَا فيهَا، سَاغَ لهُ بحذفُ مَا هو معروفٌ مِن الجُمَلِ الّتي لا فائدةَ في تكرارِها وإعادتِها؛ لافتقادِ تكرارِها إلى شيءٍ زائدٍ عَلى ما تقدَّمَ في ذِكرِها سابقًا، فأخذَ في خِطابِه دونَ التفاتٍ إليهَا، فقالَ: "وَمِنَ وجنَتيكِ..." كما قالَ: "وَمِن حَاجِبَيكِ"، والتّقديرُ فِي هاتينِ الجُملَتينِ ومَا ولَيهُما مِن الجُمَلِ الّتي ترتَّبت عَلى مقولِ القولِ في الأبياتِ التّاليةِ لهذين البيتَينِ: (فَلَا غَرو إن قُلتُ: أنّ الخضَابَ تطافَحَ ...، ولَا غَروَ إنْ قُلتُ: أنَّ السيوفَ تُسَلُّ مِن حاجِبَيكِ)، فكانَ المحذوفُ جُملةُ القولِ ومَا تعلَّقت بِه، فجملةُ القَولِ هُنا معمولةٌ لـ(لَا) النافيةِ للجِنسِ مِن قولِه: "فَلَا غَرْوَ..."، ولعلَّه لجوءَه إلى الإيجازِ بِحذفِ الجُملةِ راجعٌ إلَى مخافةِ إثارةِ الضّجرِ "وإحداثِ السّآمةِ"[4] لدَى المُتلقّي نتيجةَ مَا يلقاهُ مِن تَكرارِ الجُملةِ الّتي لا طائِلَ مِن تكرارِها.

---

[1]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 186 .

[2]) ينظر : لتفصيلِ المسألةِ في الحذفِ النَّحويّ، ابنَ هشامٍ الأنصاريَّ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريبِ، 712/2، وللحذفِ البلاغيّ: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 187.

[3]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 5/1 .

[4]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 187 .

- **الإيجازُ بِحذفِ الحرفِ:**

وقد وقعَ الإيجازُ بنقصِ حرفٍ، في شِعرِ الفتَّالِ كثيرًا، ومِن النماذجِ التي تمثلة فيها حذفَ الحرفِ، قولُه مِن قصيدتِه (سمراء) الّتي يُناجِي فِيهَا العراقَ ويبعثُ في أبنائِها الهِمّةَ الّتي تُقوِّيهم عَلى النّضالِ[1]: (بحر الكامل)

سَمْرَاءُ مَا عَادَ الدّلالُ بِنَافعٍ إنّ الحَيَاةَ بَسَالَةٌ ونِضالُ

فالظّاهرُ مِن هذا النّوعِ مِن النّداءاتِ الّتي حُذِفت مِنها الأداةُ المُؤذنةُ بِأنّهُ مِن هذا الوادي، أنّهُ دالٌّ عَلَى قُربِ المُنادَى مِن نَفسِ المُنادِي، والقرينةُ المقالِيّةُ مُبرزةٌ لِأنّهُ مِن بابِ النّداءِ، فالاسمُ المُسلَّطُ عليهِ النّداءُ لَم يَزل عَلى حالِه بعدَ حذفِ حرفِ النّداءِ، مبنيٌّ عَلى الضّمِّ؛ لِأنّهُ صفةٌ لِعَلَمٍ مفردٍ أُقيمَت مقامَ موصوفِها المحذوفِ أيضًا[2]، وذلك أدلُّ عَلى المُرادِ مِن ذكرِ المنعوتِ، وهو العراقُ، لأنّ في ذِكرِه إحالةٌ عَلى تعددِ النّعوتِ لمنعوتٍ واحدٍ، ونعتُه بـ(سَمرَاء) أحدُ هذه النعوتِ المُتعددةِ، ولكنّهُ أرادَ الانتقالَ بِهذا النّعتِ إلَى الإيذانِ بِأنّهُ مِن الأشياءِ الثابتةِ للمنعوتِ (العراق) ومِن ثَمَّ فإنّهُ يكونُ بِذلك دلَّ على أنّ صفةَ (سَمراء) ألصقُ بِهَا مِن غيرِها.

- **الإيجازُ بحَذفِ شِبهِ الجُملَةِ:**

ومِن هذا الضّربِ أيضًا قولُ الفتّالِ في (سمراء)[3]: (بحر الكامل)

كَمْ نَاحَ قَيسٌ، وَاشْتَكَتْ لَيلَاهُ مِن عَنَتِ الجَهَالَةِ، ثُمَّ سَاءَ الحَالُ

فحيثُ تعرَّضَ الشّاعرُ لِذكرِ سَببِ شَكوَى لَيلَى بِقولِهِ -مِن هذا البيتِ- "مِن عَنَتِ الجَهَالَةِ..."، وشَكوَى لَيلَى مُتأخِّرةٌ في تَرتيبِها في التّركيبِ عَلَى نياحةِ قَيسٍ، كانَ يلزمُه أيضًا

---

[1]) عليّ الفتّال، الأعمال الشعرية الكاملة، 52/2 .

[2]) ابن هشام الأنصاري، شذور الذهب من كلام العرب، تحقيق: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط1 ، 365.

[3]) عليّ الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 53/2 .

أن يَتعرَّضَ – سَابقًا – إلَى ذِكرِ سببِ نياحةِ قيسٍ، ولكنّهُ لَم يفعل ذلك؛ اقتصارًا عَلَى ذِكرِ السببِ الذي قادَ (لَيلَى) إلَى الشّكوَى والضَّجَرِ، فالسببُ في شكوَى ليلى، هو نفسُه سببُ نياحةِ قيسٍ، والمذكورُ دلَّ عَلَى المحذوفِ، فجُملةُ (شَكَتْ) مقابلةٌ لجُملةِ (نَاحَ) وكانَ اللازمُ مِن ذلِكَ ذكرُ العبارةِ الّتي تُفسّرُ لَنَا سببَ نِياحةِ قيسٍ، والمُقدَّرُ حينئذٍ: (مِن عَنَت الجَهَالَةِ...)، والمحذوفُ هُنا شبهُ الجملةِ المكوَّنةِ مِن الجارّ والمجرورِ .

ثَانِيًا: إيجَازُ القِصَرِ:

ومِن النّماذجِ الّتي تضمَّنت صورًا مِن بلاغةِ الإيجازِ قولُ الفتّالِ مِن رُباعيَاتِه، يَصِفُ الحَياةِ بِمَا لَا يُمكِّنُه مِن إيجادِ وصفٍ لَهَا[1]: (تفعيلة الرمل)

جِئتَ بِي بِالرّغمِ مِنّي لِمَتاهَاتِ الحَياة

كَي بِهَا الحَيرَةُ تَكويني إلَى حيثُ المَمَات

نَحنُ فِيهَا مُكرَهُون

وَمَدَاهَا جَاهِلُونَ

لَمَ نَعِ كُنهَ مَجيءٍ أو بَقَاءٍ، أو ذِهاب

كُلُّهُ مَحضُ سَرَاب!

يَتوجّهُ الشّاعرُ في هذه الرُّباعيَّةِ إلَى اللهِ تعَالَى، فيُقرُّرُ عندَ سؤالِه عَن العِلَّةِ فِي خَلقِ اللهِ لهُ، والمجيءِ بِه إلَى هذه الحياةِ التّي كونتْهُ فيهَا الحيرةُ فِي مُحاولاتِه للبَحث عَن إجابةٍ عَن هذا السؤالِ الغامضِ الذي تضمَّن عدَّةَ أسئلةٍ في تضاعيفِه، لِمَاذا جاءَ إلَى الحياةِ، وما الذي يصنعُه فيهَا، لِينتهي في آخرِ السؤالِ إلَى إجابةٍ غيرِ مُرضيةٍ، فالقولُ بِأنّ الحياةَ محضُ سرابٍ يتطلّبُ

[1]) علي الفتّال، الأعمال الشعرية الكاملة، 211/7 .

معرفتُه بالسببِ في حُكمِه عليهَا بذلك، وقد بالغَ الشّاعرُ فِي توظيفِ بعضِ المُفرداتِ إلَى الغايةِ الّتي أشبَه فيهَا بعضَ الفلاسفةِ الذين يرونَ أنّ الخلقَ بِلا عِلَّةٍ.

وقد أخفقَ الفتّالُ كذلك في استعمالِ التّركيبِ النّحويّ مِن قولِهِ: "كَي بِهَا الحَيرةُ تَكويني..."، فَـ(كَي) حرفٌ جارٌّ لَا يدخلُ إلّا على المُضارعِ المسبوقِ بِـ(إن) النّاصبةِ المحذوفةِ وجوبًا[1]، وليسَ مِن عملِها أن تدخلَ عَلى حرفٍ أو اسمٍ فِي أيّ مِن المذهبَين الكوفيّ ولا البصريّ، وهو ليسَ مِن الضّروراتِ التي أباحَها مَن ألّفَ في ضروراتِ الشّعرِ كالسيرافيّ وابن عصفور[2].

ونقفُ هُنا مَع و جازةِ قولِ الفتّالِ: "لَم نَعِ كُنْهَ مَجيءٍ أو بَقَاءٍ أو ذِهابٍ" فبينَ هذه الأشياءِ الثّلاثةِ دورةُ خَلْقٍ، وحياةٍ فيهَا ما فيهَا عبرَ رِحلتِها الّتي يَتفاعلُ فيهَا الإنسانُ معَ أشياءَ، وينفعلُ بِأشياءَ أُخرى، وموتٍ، يتبَعُه شَجَنٌ وشعورٌ بِالفَقدِ، ومُصابٍ يقعُ عَلى الأهلِ والاصّحابِ، فأوجزَ الشّاعرَ كلَّ تلكَ الأمورِ في كلماتٍ ثلاثٍ، نَفَى بِهَا معرفتَه بالعِلَّةِ في خلقِه والسبب في مجيئِه إلى الدنيا، فَـ"تطويعُ المعنَى الكثير بإلباسِه بنيةً لفظيةً قليلةً، مما يجعلُ إيجازَ القِصرِ في أعلَى المراتبِ البلاغية"[3] مؤذنٌ بحقيقةِ إيثارِ الفتّالِ هُنا لاستعمالِ إيجازِ القِصرِ عَلى نَظيرِه بِالحذفِ.

ومِن بلاغةِ الإيجازِ بِالقِصَرِ الّتي وظَّفَهَا الفَتَّالُ في الإشادةِ بِأصلِه وأرومتِه، وحقيقتِه الّتي قد يستنكرُها عَليهِ أحدُهم مِمّن لَم يَطَّلِع عَلى فِعالِه، قولُه [4]: (مجزوء الكامل)

أَنَا ذاكَ إن تَسْأل عَن الأنسابِ لَسْتُ مِن العَدَمْ

فقد شكَّل الشّاعرُ بِهذا البَيتِ خِتامًا لقصيدتِه المُعنونةِ بِـ(أنَا) وبادٍ مِن عنوانِ هذه القصيدةِ أنّهُ نظمَها بغرضِ الاحتفاءِ بِنفسِه والاعتدادِ بِذاتِه، والتّباهي بِمجدِه الذي صاغَهُ لِنفسِه مِن أمورٍ عديدةٍ وكثيرةٍ، أرادَ في نِهايتِها أن يُثبِتَها لِنفسِه حصرًا، بِصورةٍ مُوجزةٍ تَجمعُ تحتَ لفظِه القليلِ تلكَ المعاني الكثيرةَ، حيثُ عرضَ لهُ أن"يزيد في دلالةِ الكلامِ – باللفظِ الموجزِ-

---

[1]) التصريح على التوضيح، بحاشية الشيخ ياسين العليمي، 227/3 .

[2]) ينظر: أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي، ضرورة الشعر، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985، وعلي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الإشبيلي، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980 .

[3]) محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي ، مطبعة المختار الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1، 1984 ، 92.

[4]) علي الفتّال، الأعمال الشّعرية الكاملة، 147/4.

من طريقِ الإيحاءِ، ذلك أنَّه يتركُ على أطرافِ المعاني ظلالًا خفيفةً يشتغلُ بها الذِّهنُ"[1]، فانعكست صورةُ كلِّ مَا ذكرَهُ عن نفسِه في أبياتٍ سالفةٍ عَلى صفحةِ تلك الألفاظِ مِن هذا البيتِ الآنِف.

فمَن يُطالعُ هذا النصَّ مِن أوّلِه إلَى مَا قبلَ ذلِكَ البيتِ، يُدركُ حقيقةَ مَا في هذا البيتِ من الإيجاز، فابتداءُ الشّاعرِ، بِقولِه: "أنَا لَستُ (واوَ) مَعِيَّةٍ"، ثُمَّ تثنيتُه بِقولِه: "وَأنَا المُضافِ إلَيهِ عِندَ المُكرماتِ..."، من قولِه[2]:

وَأنَا المُضافُ إلَيهِ عِندَ المُكرماتِ وَبِي شَمَمْ

مُنتَهِيًا إلَى القولِ بِـ" وَأقبِّلُ الخدَّ الأسيلَ..، مِن قولِه[3]:

وَأُقَبِّلُ الخدَّ الأسيلَ إن استقامَ أو احتَشَم

وقولِه: أمّا الدّمُ المِهراقُ..." مِن قولِه[4]:

أمَّا الدّمُ المهراقُ لَن أهواهُ بَل بُعدًا لِدَمْ

مُحقِّقٌ لِهذا اللونِ مِن الإيجازِ فِي قولِه: "أنَا ذاكَ إنِ تَسْأل عَن..."، حيثُ يُحيلُ بِقولِه مِنهُ: "أَنَا ذاك..." عَلى كلِّ هذه المعانِي الّتي سبقت هذا القولَ، مُشيرًا إليهَا إشارةً مُختصرةً، بِكلماتٍ مُنحَصِرَةٍ.

---

[1]) أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة ، مجلة الرسالة، عدد/556، لعام 1844، 99 .

[2]) علي الفتال، الأعمال الشعرية الكاملة، 145/4 .

[3]) المصدر نفسه، 147/4 .

[4]) المصدر نفسه، 147/4 .

المَبحَثُ السَّادسُ

الإطنابُ فِي شِعرِ الفَتَّالِ

والإطنابُ ضربٌ من التطويلِ في الحديثِ؛ لغايةٍ يرجو المتكلِمُ تحقيقَها، وغرضٍ شريفٍ يَستهدفُ إفادةَ السَّامعِ بهِ، والإطنابِ سِوَى الإسهابِ والتَّطويلِ الذي لا يكونُ لفائدةٍ، فهو العبثِ المعيبِ عندَ البلاغيينَ، وفصلًا بينَ الإطنابِ والتَّطويلِ حَدَّه علماءُ البلاغةِ بالاصطلاحِ الذي ما إن وقفَ عليهِ البلاغيُّ أو البلاغيُّ عرفَ الفرقَ بينَ ما ينهضُ ببلاغةِ الكلامِ وما ليسَ كذلك.

وفي تعريفِه اصطلاحيًّا يقولُ الجرجانيُّ: "الإطنابُ: أداءُ المقصودِ بأكثرَ من العبارةِ المُتعارفةِ...، وقيلَ الإطنابُ أن يكونَ اللَّفظُ زائدًا علَى أصلِ المُرادِ"[1]، ومعَ تعريفِ الجرجاني للإطنابِ بحسبِ ما اصطلحَ عليه علماءُ البلاغةِ، إلَّا أنَّه لم يتحرَّز بقيدِ: "الفائدة"، ففي التحرُّزِ بهذا القيدِ ما يجعلُ الإطنابَ مفيدًا على عكسِ التطويلِ والحشوِ.

وقد لاحظَ السيد أحمد الهاشمي ضرورةَ تقييدِ تعريفِ الإطنابِ بهذا القيدِ، فعرَّفَ الإطنابَ بأنَّه: "زيادةُ اللفظِ على المعنى؛ لفائدةٍ"[2]، ثمَّ فرَّعَ على هذا القيدِ فرعينِ شكَّل بهما قوامَ الفائدةِ المرجوَّةِ من الإطنابِ، فقالَ: "أو هو تأديةُ المعنى بعبارةٍ زائدةٍ عن مُتعارفِ الأوساطِ؛ لفائدةِ تقويتِه وتوكيدِه"[3]، حاصرًا للفائدةِ في إرادةِ تقويةِ الكلامِ وتأكيدِه في ذِهن سامعِه.

وإنّ للإطنابِ أشكالًا سيأتي في عددٍ من النّماذجِ المُنتقاةِ مِن شِعرِ الفتّالِ لِهذا الغرضِ.

- **الإطنابُ بِالاعتراضِ:**

ومِن شِعرِ الفّتالِ الّذي احتملَ لفظُه زيادةً يقضِي بِهَا المعنَى، ويتطلّعُ الشّاعرُ مِن خلالِهَا إلَى تَحقيقِ غرضٍ مِن الأغراضِ البلاغيّةِ الفرعيّةِ، قولُه في (توبة)[4]: (بحر الكامل)

اللهُ رَبّي والحَبِيبُ المُصطَفَى هُوَ مُقْتَفايَ بِهِ أَلُوذُ وَأحْتَمِي

والمُرتَضَى الكَرَّارُ – جَلَّ مَقامُه- لِي خَيرُ مُؤتَمَنٍ، وخَيْرُ مُعَلِّمِ

---

[1]) علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، 33 .

[2]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 187.

[3]) المصدر نفسه، 187 .

[4]) عليّ الفتّال، الأعمال الشعرية الكاملة، 7/5 .

فمِنَ التوسُّعِ في المعنَى بزيادِة الألفاظِ في قولِ الشّاعرِ: "جَلَّ مَقَامُهُ" مِن عمومِ قولِهِ: "والمُرْتَضَى الكَرَّارُ جَلَّ مَقَامُهُ" ما يدلُّ عَلى إرادةِ التّعظيمِ[1]، فلمكانةِ الإمامِ عليّ بنِ أبي طالبٍ (عليهِ السّلام) مِن نفسِ الشّاعرِ، لَم يكتفِ بِمُجرَّدِ وصفِه بنعتِ (الكَرَّارِ) الذي يدلُّ عَلَى شجاعتِه واستبسالِه في الميادينِ ضِدَّ المُشركينَ، ولو اقتصرَ عَلى مُجرَّدِ وسمِهِ بِـ(الكَرَّارِ) لكانَ ذلِكَ كافيًا في تَعظيمِه، ولكن عندَ مَن لا يعرفونَ لأميرِ المؤمنين عليًّا (عليهِ السّلامُ) قدرَهُ، أو عرفوا لهُ بعضَ قدرِه، وهو فوقَ مِن أن يُقتَصَرَ عَلَى نعتِه بِال(كَرَّارِ) حتّى مِعَ أنِ هذا النّعتِ مِمّا اختُصَّ بِهِ.

ولالتِفاتِ الفتّالِ إلَى القيمةِ العظيمةِ للإمامِ أميرِ المُؤمنينَ عليٍّ (عليهِ السّلام) راحَ يضعُ في الكلامِ بصمةً أُخرَى تُوفّيه حقَّهَ مِن التّعظيمِ المُستحقّ لهُ وبجدارةٍ، فأطنَبَ فِي الحديثِ بزيادةِ مَا لهُ فائدةٌ لا تتمُّ إلّا بِهِ، ففي قولِه: "جَلَّ مَقَامُه" إطنابٌ لو تُرِكَ لَمَا كانَ في الدلالةِ نقصٌ تُعابُ بِهِ، ولكنَّ زيادَتَه فرَّعَت دلالةً جديدةً على المُرادِ، فهي جُملةٌ اعتراضيّةٌ، و"الجُملةُ الاعتراضيةُ لا مَحِلَّ لَهَا مِن الإعرابِ"[2]، غيرَ أنّ عدمِ وقوعِه موقعًا تستحِقُّ بِه الإعرابَ غيرُ قادحٍ في دلالتِهِ عَلَى شيءٍ، فهي تقومُ في هذا المقامِ بِدَورِ التّعظيمِ لِشأنِ مُستَحِقِّ التّعظيمِ, ولم يكن لهذا الاطناب انعكاسا جماليا في صورته الشعرية.

- **الإطنابُ بالتَّكرارِ:**

وكما يَزيدُ الشّاعرُ في الكلامِ لفائدةٍ مرجوةٍ بِالاعتراضِ، فَإنّنا نستطيعُ الوقوفَ كذلِكَ علَى ألوانٍ أُخرَى مِن الإطنابِ فِي شِعرِه بِالتّكرارِ، ومِن الإطنابِ بتكريرِ كلمةٍ بِعينِهَا في شِعرِ الفتّالِ وهو تكرار استهلالي، قولُه في (تموز والشعر) [3]: (بحر الكامل)

تَموزُ يَا شهقةَ آمَالِنَا العطشَى, فَأنتَ المُرتَوَى الثَّرُّ

تَموزُ كُنتَ المُرتجَى فِي غَدِ الأحْرَارِ، بَلْ أنت لَنَا القَطرُ

فمَن ليسَ لهُ كبيرُ درايةٍ بِبلاغةِ العربِ سيقعُ في نفسِه أنَّ الشّاعرَ قدَ تعرَّضَ لتَكرارِ أسلوبِ النّداءِ مِن قولِهِ في البيتِ الأوّلِ والثّاني: "تَموزُ"، وهو –كما ليسَ يخفَى– أسلوبُ نِداءٍ

---

[1]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، 187.

[2]) ابن هشام الأنصاري، الإعراب عن قواعد الإعراب، تحقيق: علي فودة نيل، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998 ، 44-45

[3]) عليّ الفتّال، الأعمال الشعرية الكاملة، 63/2 .

حذفَ الشّاعرُ منهُ الأداةَ (يَا) لِإبرازِ حقيقةِ الرّابطةِ الّتي تَصلُ بينَ نفسِه وهذا الشّهرِ، بِمَا يُمثِّلُه لهُ مِن آمالٍ في تحقيقِ الانتصاراتِ، ولتلك الصِّلَةِ النفسيةِ والوجدانيّةِ الّتي ربطت بينَ الفتّالِ وهذا الشّهرِ، يَعمدُ إلَى تكرارِ اسمِه مُنادًى في بَيتَينِ مُتلاحِمَينِ، بدلًا مِن الإحالةِ عَليهِ بِضَميرِ الغَيبةِ أو الخِطابِ، في البيتِ الثّانِي، الذي يعودُ عَلى (تَموز) مِن البيتِ الأوّلِ، فبدلًا مِن قولِهِ: (هو كانَ، أو أنت كُنتَ) كرَّرَ الاسمَ في أسلوبٍ تامٍّ بقولِه: "تَموزُ كُنتَ"؛ ليدلَّ عَلَى طبيعةِ هذه العلاقةِ، وهو مِن التّكرارِ المُرادِ بِهِ الإعظامُ أيضًا، أو تطويلُ الكلامِ بِإعادةِ ذِكرِ اسمِه؛ لِأنّهُ مِن الأمورِ المُحبَّبةِ إلَى قلبِه.

- **الإطنابُ بالتّذييلِ:**

حيثُ ترد "الجملةُ الثّانيةُ المُذيَّلةِ جُملةً مُستقلَّةً اشتملتْ علَى معنَى –سابقتِها – بغرضِ التّأكيدِ على المعنَى"[1] ويقولُ الفتّالُ مُمتَهِنًا تلكَ القِيمَ السّلوكيّةَ الّتي اجترَّهَا بعضُ مَن يدَّعونَ الثّقافةَ عَلى العَالمِ العربيّ والإسلاميّ مِن الغربِ، بِدَعوَى أنّها مِن المَدنيةِ والحضارةِ, من قصيدة (الباروكة) [2]: (بحر الخفيف)

وَلَهَوْنَا ووسْطَ بَحَرٍ حَرَثْنَا وَتَرَكْنَا جُرُوفَهُ وَضِفَافَه

فهو يعيبُ عَلَى مَن شدَّ مِئزرَهُ في الأخذِ عَن الغربِ والنّقلِ عَنهُم لِكلّ مَا تَسنَّى لَهُ مِن وجوهِ الدنيّةِ والتّحضُّرِ الزّائفِ، في الوقتِ الذي أهملَ فيهِ ما يُمكنُ العملُ بِهِ مِن أجلِ الصّالحِ العامّ مِمّا استقَدمَهُ بعضُ العُلماءِ مِن علومِهِم الّتي كشفت لهم عَن المجاهلِ، وضربَ الفتّالُ لَنَا ولهم مثلًا بِمَن يسعَى للأمنِ بالتزامِه الجرفِ والضّفةَ دونَ أن يَحمِلَهُ ضعفُ عقلِه وهوانُه عَلى نفسِه أن يَنزلَ إليهِ، أو بِالجاهلِ الذي يحرثُ الماءَ مِن وَسْطِ (بِسُكُونِ السّينَ) تاركًا مَا

[1]) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في (المعاني، والبيان، والبديع)، 191 .

[2]) عليّ الفتّال، الأعمال الشعرية الكاملة، 97/2 .

يُمكنُ أن يتحصَّلَ لَهُ مِن الفائدةِ بِحرثِه لحوافِّ البحرِ؛ فإنّ فيهَا الرجاءَ، لِأنّ استثمارَها وحرثَهَا مِمّا يُقيمُ حياةً لِمَن لا حياةَ لهُم بِمَا يزرعونَهُ علَى تلك الضّفافِ.

وقد أطلقَ الشّاعرُ عَلى حرثِ الماءِ مِن وسْطِه، اسمَ اللهوِ؛ لِيُعلِمَ أنّ فِعلَ العربِ المُستقدِمينَ للحضارةِ الزّائفةِ مِن الغربِ يفعلون ما يفعلونَ وهم عارفونَ بِأنّ ذلِكَ مِن التلَّهّي الذي يُشبِعُ غرائزَهم دونَ عقولِهم، ودلَّ بِكَلِمَةِ (وَسْطٍ) مِن هذا البيتِ عَلَى أنَّ ما اتّبعَ نهجَ هؤلاءِ هالكٌ لا محالةَ، إذ لا يُتوقَّعُ لِمَن يحرثُ الماءَ مِن وسطِه أن يَنجو، وكلمةُ (وسْط) ساكنةُ السّينِ كَـ(بَيْنَ) الظّرفيّةِ وزنًا ومعنًى[1]، واستعمالُه لهَا في الموقعِ أشكَلُ بمرادِه.

وقد أطنبَ الشّاعرُ بِهذا التّذييلِ الذي ساقَهُ تبعًا لِعبارةِ: "وَوَسْطَ بَحْرٍ حَرَثْنَا"، بِقولِهِ: "وَتَرَكْنَا جُرُوفَهُ وضِفَافَهُ"، فالحرثُ وسطَ البَحرِ نافٍ للحرثِ عَلى جروفِه وضِفافِه، إذ لا يُعقلُ أن يحرثَ الإنسانُ وسطَ البحرِ في الوقتِ الذي يحرثُ جانِبَيهِ؛ لِبُعدِ مَا بينَهما، ولكنّهُ ذيَّلَ بِـ"وَتَرَكْنَا جُرُوفَهُ وَضِفَافَهُ" جُملَةَ: "وَوَسْطَ بَحْرٍ حَرَثْنَا" لتكونَ أدلَّ عَلى مُتابعةِ العربِ للغربِ فِيمَا لَا ينفعُ، وغَفلةِ العرب عَن العملِ بِالنّافعِ.

وتُجلِّي لَنا تلك التّوظيفاتُ البلاغيةُ الّتي أحالَ الفتّالُ عليَها في تحديدِ مراميهِ وإظهارِ مقاصدِه التّبليغيّةِ لِمُخاطبِهِ، عَمَّا يُشعِرُ بِطولِ نَظَرِ الفتّالِ فِي التّراثِ العربيّ وسبرِ أغوارِه، وجَدّه في مُكاشفةِ أنماطِ الشّعرِ العربيّ القديمِ الذي عَوَّل أصحابُه عَلى الصُّورةِ الفنيّةِ البلاغيّةِ في تحديدِ دلالاتِ الخطابِ المرادِ منهُ، يظهرُ ذلك مِن جودةِ تصويرِه المعانيّةِ، وقوّةِ اختيارِه للفَنِّ الذي يتأدَّى بِه الغرضُ.

[1]) ابن منظور، لسان العرب، (وَسَطَ)، 451/7 .

الخاتمة

فِي نهايةِ هذه الرّحلةِ معَ الشّاعرِ العراقيّ المرحوم عليّ الفتّال، وأعمالِه الشّعريّةِ الكاملةِ، يَحينُ الوقتُ الى الحديثِ عَن أبرزِ النّتائجِ وأهمّها الّتي بَلَغتْهَا الدّراسةُ عَلَى نحوٍ مُجمَلٍ، وهي:

- إنّ الأعمالَ الشّعريةَ الكاملةَ للشّاعر العراقيّ عليّ الفتّال موفورةُ النّتاجِ غزيرةُ المادةِ الأدبيةِ، بالإضافةِ إلى أنّها عَبَّرت عن شخصِ الشّاعرِ عبرَ مراحلِ عُمرِه المُختلفةِ، والّتي حقَّقَ عن طريقهَا في الصّياغةِ الشّعريّةِ لمرورِه بِأكثرَ مِن جيلٍ.

- ساعدت غزارةُ مادةِ أعمالِ الشّاعرِ علي الفتال على مُناقشةِ النصوصِ وتحليلهِا على وفقَ المنهجِ المُختارِ، وفي الاحالة على المّرجعيّاتِ و ركائزِها المُختلفةِ الّتي كشفت عَن استعمالاتِ الفتّال المختلفةِ والكثيرةِ لمفهومِ الاقتباسِ أو المرجعيّةِ في صُوَرِهِ المتعددةِ.

- أسفرَ البحثُ في مجموعِ أعمالِ الفتال الشعرية عن أنَّه كانَ كثيرَ التكرارِ في الغرضِ الواحدِ، وكانَ أكثرَ ما كتب فيهِ من أغراضٍ، الاحتفاءُ بآلِ البيت الكرامِ، والحديث عن قدسيةِ مدينةِ (كربلاء)، والحثِّ على نشر السلامِ تارةً بالحربِ وأخرَى بمدِّ يدِ السلامِ.

- استخدامه للطباقُ، ولكنّه من نوعٍ آخرَ، لا يُجلّي عَن نفسِه، ولَا يُفصِحُ عن مَاهيتِه، لِأنّ الفتّال قد أخفَى القيمةَ البديعيّةَ تحتَ الظواهرِ اللغويّةِ الّتي وظَّفَها في التّأطيرِ لنّوعٍ مِن الطّباق.
- إسهامُ تكرار الفتالِ من الموضوعِ ذاتِه في شعرِه في تكرارِ كثيرٍ من الأساليبِ والتراكيبِ العربيةِ التي كان يُمكنُ الحيادُ عنها بتوظيفِ غيرِها؛ للمغايرةِ في طرائقِ التدوين، وللتجديدِ في شعريةِ الغرضِ الذي يخط فيه.

- تأثُّرُ الفتّالِ بالقرآن الكريمِ والسُّنةِ النبويّةِ وأقوالِ العُلماءِ مِن السّلفِ الصّالحِ، ويظهرُ ذلك بارزًا في كثرةِ المرجعيّاتِ الدينيّةِ في شِعرِه؛ إذ إنَّه عوَّلَ في إظهارِ مقاصدِ نظمِه على ما يُقوّيهَا مِن كلامِ ربِّ العالمينَ أو حديثِ نبيّه الكريمِ، أو كلامِ الأئمةِ الاطهار.

- استعمال الشّاعرِ للمرجعيات الدينيةِ في مواقِعِها التّي هي بِها أولَى، دليلٌ على إجادةِ الفتّالِ لتصريفِ الكلامِ العربيّ في وجوهِه المُختلفةِ، واستنطاقِ الدّلالةِ المُرادةِ عن طريق هذه المرجعيّاتِ بِمَا يُوقِفُ المُتلقّي عَلَى المقصدِ بِلا كَدٍّ ولَا نظرٍ طويلٍ.

- استعمالُ الفتّالِ للمرجعيّاتِ الدّينيّةِ تارةً، تابعةً للنّظمِ، بحيثُ أوقعَها منهُ موقعَ الجُزءِ مِن الكُلّ، وتارةً أُخرَى جاعلًا من تلك المرجعيّاتِ أصلًا والنّظمُ هو ما بُنِيَ عليهَا، ومن أمثلةِ ذلك رباعيّاتُه في مناسكِ الحجّ، فقد كانت تلك المناسكُ أصلًا للنّظمِ، صاغَهُ في قالبٍ شعريٍّ.
- لَم يقتصر استعمالُ الشّاعرِ للمرجعياتِ الدينيةِ عَلى النزوعِ الدّينيّ لدَى الفَتَّالِ، بل وظفَّ تلك المرجعياتِ أيضًا في الحثِّ على الجهادِ في سبيلِ اللهِ، ومناصرةِ الوطنِ وحمايتِه، ودعمِ عقيدته الدينية، والتّرسيخِ لبعضِ القِيَمِ الأخلاقيّةِ...إلخ.

- بروزُ الموهبة عند الشاعر في مرحلة مبكرة من عمره , وتوظيفِ اللغةِ في مظانِّها الّتي تطلبُها، ويتجلّى ذلك ظاهرًا في ميلِه إلى فنونِ اللغةِ العربيّةِ ودفاعاتِه عنهَا في قصيدتَيه اللَّتَينِ ينعي فيهما على ما يُسمَّى بِالشِّعرِ الحديثِ.

- اعتماد الفتالُ في شعره على أكثرِ الأساليبِ البلاغيةِ العربيةِ، ولعلَّ الباعثَ على ذلك اتساع منجزِه الشعريّ على امتدادِ أيامِ حياتِه، وتعدُّدِ أغراضِه التي كتب في شأنِها.

- يُلاحظُ كذلك اعتمادُ الفتّال على كثيرٍ من التراكيبِ النّحويةِ الّتي تؤدّي الغايةَ من شعرِهِ، وتُتيحُ للمتلقّي النّظرَ إلى نتاجِه الشّعريّ بأناةٍ ورويةٍ في القراءةِ ومُحاولةِ استشفافِ الدلالةِ.

- إخفاقُ الفتّال في بعضِ استعمالاتِه للتراكيبِ النّحويةِ الّتي لم يَرد بِها سماعٌ عن العربِ، وليست تُقاسُ على غيرِها من التّراكيبِ المَقيسةِ، وقد ظهرَ ذلك بشكلٍ جلِيٍّ في أثناءَ التّحليلِ لبعضِ هذه النّماذجِ الّتي تناولَتْها الدّراسةُ بالنّقدِ، وكان أكثرُ ما أخفقَ فيهِ مِن ذلكَ بسببِ ما اعتمدَ عليهِ من بلاغةِ التّقديمِ والتّأخيرِ.

- استعمالُ الفتّالِ للصورةِ البلاغيّةِ والأخيلةِ في محالِّها المُستحقّةِ لهَا، بحسبِ الحاجةِ إلَى عُنصرِ الخيالِ، دونَ إفراطٍ أو تكلُّفٍ للصُّورةِ، فلسنَا نقفُ لهُ على صورةٍ مِن الصُّورِ المُقحمةِ بغيرِ حاجةٍ تطلبُها في موقعِها.

- لكل نوع من انواع الاخبار لدى الفتال دلالة معينة ومنها : الاخبار بالابتداء لا توكيد فيه, أما الاخبار الطلبي فيحتوي على توكيد واحد ,وتضمن الاخبار الانكاري توكيدين أو اكثر من اثنين.

- تفرُّقُ منظوماتِ الفتّالِ في أعمالِه الشّعريّةِ الكاملةِ على عددِ أجزاءِ الديوانِ الثّمانيةِ، مِمّا يُؤدّي إلَى صعوبةِ التّعاملِ معَ مادّةِ الدّيوانِ، وصعوبةِ حصرِ منظوماتِه في الغرضِ الواحدِ، كما أدَّى ذلك استعمالِه للتّركيبِ الواحدِ في أكثرَ مِن موضعٍ على صورتِه نَفسِها مِـــــــــــــــــن غيـــــــــــــــــر تغييـــــــــــــــــرٍ.

التوصيات

هنالكَ مجموعةٌ من التّوصياتِ الّتي يجبُ الإلماحُ إليهَا هُنا بعدَ الانتهاءِ مِن دراسةِ مجموعةِ أعمالِ هذا الشّاعرِ الثّوريّ الذي ظلّت همومُ وطنِه ودينِه محلَّ نظرِه منذُ نبغَ في نظمِ الشّعرِ صغيرًا إلَى أن ماتَ، ومِن أهمِّ ما تُوصي بِه الدّراسةُ الآتي:

- توجيهُ عنايةِ الباحثينَ إلى ديوانِ الشّاعرِ عليّ الفتّالِ، وتحليلِ مقاصدِه وفقًا للمناهجِ النّقديةِ اللسانيّةِ الحديثةِ؛ لأنّها قد تصلُ بالبحثِ في تحليلِ تلك النّصوصِ إلَى دوافعِ الشّاعرِ الحقيقيّةِ مِن وراءِ كلِّ قصيدةٍ نظمَها عبرَ أيّامِ حياتِه المُتطاولةِ.
- الالتفاتُ – بصورةٍ مُكثّفةٍ – إلَى مقوّماتِ بناءِ القصيدةِ لدَى الفّتالِ، فهو قد لامَ على شُعراءِ العصرِ تسميةَ الكلامِ المُرسلِ بالشّعرِ، ومعَ ذلكَ نجدُ أنّ بعضَ منهم قد خالفَ فيهِ ذلك المنهجَ، وحادَ عن طريقةِ شعراءِ العربِ قديمًا، في مسألةِ الوزنِ، ويتجلّى ذلك لنَا في رُباعيّاتِه، لعلَّ النّظرَ في منهجِه ورؤاهُ النّقديةِ حولَ قضيّةِ الشّعرِ يُسفرُ لَنا عن شيءٍ لَم تضعِ الدّراسةُ يدَهَا عَلَيهِ.
- وضعُ حياةِ الشّاعرِ عليّ الفتّال في بؤرةِ النّظرِ؛ لرصدِ المُتغيرّاتِ الّتي طرأت عليهَا بينَ الفينةِ والأخرَى، والّتي أسهمت في تغييرِ توجُّهاتِه أو تجديدِ نظرتِه للأمورِ مِن آنٍ لآخرَ، فذلك مَا يضعُنا أمامَ الأسبابِ الّتي دفعت بِه إلى التّجديدِ في أغراضِه الشّعريةِ، وفي التّنويعِ مِن البُحورِ الّتي صاغَ عليهَا قصائدَه، وفي معرفةِ دوافعِ تكرارِه للغرضِ الواحدِ.
- توجيهُ العنايةِ مِن قِبَلِ الدّارسينَ إلَى مقارنةِ أعمالِ علي الفتال الشّعريّةِ الدّينيّةِ، الّتي جعلَ من الأماكنِ المُقدّسةِ فيهَا موضوعًا لنظمِه، معَ أعمالِ غيرِه مِن جيلِ الشّعراءِ الذين عاصروهُ؛ مِن أجلِ تحديدِ مكانتِه بينَهُم، وبيانِ أسبابِ تمسُّكِه بتلك الإماكن وشغفِه الشّديدِ بِهَا، وحرصِه عَلى التّأريخِ لهَا في شِعرِه، مُقارنةً معَ أقرانِه مِن الشُّعراءِ الحُسينِينَ.
- تقترح الباحثة دراسة (شعر الفتال دراسة سيميائية) ,أو دراسة (شعر الفتال دراسة تركيبية).
- تقترح الباحثة اعادة إخراج المجموعة الشعرية للفتال بحيث ترتب القصائد بحسب زمن نظمها ,أو بحسب قوافيها , أو بحسب أغراضها, مع مراعات التعديل للأغلاط الاملائية , والتنضيد بشكل مرتب ونسق ثابت في جميع الاجزاء .

- تتمنى الباحثة ان تكون قد اسهمت في تسليط الضوء على جانب مهم من جوانب العطاء الشـــــــعري لأدبـــــــاء العـــــــراق , والله وراء القصـــــــد علـــــــي

مسرد المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، بلاغة الحجاج في الشعر العربي(شعر ابن الرومي نموذجًا)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

- ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير، تحقيق: د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1، 2014.÷ـ÷هـ

- ابن ابي الحديد(ت 1258 هـ) , شرح نهج البلاغة، قم، ايران : مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي, ط2, 1387ه.

- ابن الأثير (ت 606 هـ)، منال الطالب في شرح طوال الغرائب، المحقق: الطناحي، محمود محمد مكتبة الخانجي, 1417ه – 1997م.

- ابن الناظم بدر الدين ابن مالك، المصباحُ في المعاني والبيانِ والبديع، تحقيق: د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، بدون سنة نشر.

- ابن جرير الطبري(310هـ)، تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، تحقيق عبد المحسن التركي، بيروت، لبنان، ط2، 2011.

- ابن حبان, صحيح ابن حبان، مؤسسة رسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

- ابن حجة الحموي(1433هـ)، خزانة الأدب وغاية الأرب، دراسة وتحقيق: د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 2005.

- ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، نقلًا عن ابنِ دقيقِ العيدِ، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

- ابن رشيق القيرواني(1064م)، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محمد بن علي الجيلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

- ابن سنان الخفاجي (466 هـ)، سر الفصاحة، تحقيق: الشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة صبيح، القاهرة، مصر، ط1، 1953 .

- ابن سنان الخفاجي(466 هـ)، سر الفصاحة، تحقيق: علي فودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1994م

- ابن شهراشوب (588 هـ) ,مناقب آل أبي طالب, مطبعة الحيدرية , النجف, 1956م.

- ابن معطٍ (628 هـ) ، الفصول الخمسون في النحوِ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط1، 1976 .
- ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، الإعراب عن قواعد الإعراب، تحقيق: علي فودة نيل، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998.
- ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، شذور الذهب من كلام العرب، تحقيق: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2007 .
- أبو البقاء الكفوي (ت 1094هـ) ، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، مراجعة وتعليق: محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2014 .
- أبو الفداء عماد الدين ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2011 .
- أبو الفداء عماد الدين ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية، دار الريان للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1998.
- أبو الفضل أحمد بن طاهر بن طيفور، بلاغات النساء، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
- أبو الفضل جمال الدين بن منظور(ت 181هـ) ، لسان العرب، تحقيق نخبة من المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2010 .
- أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري(ت 467هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009 .
- أبو بكر الجوهري (ت 323 هـ)، السقيفة وفدك, تحقيق الدكتور محمد هادي الاميني, شركة الكتبي للطباعة والنشر, بيروت, لبنان, ط2, 1993م.
- أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي، ضرورة الشعر، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
- أبو طالب بن عبد المطلب، ديوانه، بروايةِ أبي هفان البصري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2000 .

- أبو عبد الله أحمد ابن حنبل، المسند الصحيح، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2010 .
- أبو عبدِ الله بن عبد الله بن مالك، المصباح في علوم البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)، تحقيق: زغلول محمد سلام، ط1، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1988م .
- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، تحقيق: د. أبو أزهر بلخير هانم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م .
- أبو محمد الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، مكتبة الأمين، الكويت، ط1 2004م.
- أبو محمد زكي الدين عبد العظيم المنذري، الترغيب والترهيب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م.
- أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م .
- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق/ علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1971م.
- أثير الدين أبو حيان الأندلسي(٧٤٥ هـ)، البحر المحيط، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، داتر الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
- أحمد الزغبي، التناص نظريًا وتطبيقيًّا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2000 م.
- أحمد الشيخ عبد الحميد السماوي، مع إيليا أبي ماضي في طلاسمه، مطبعة لنعمان، النجف الأشرف، العراق، ط1، 1968م.
- أحمد بن يوسف السمين الحلبي(756هـ)، الدر المصون من علوم اللؤلؤ المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، ، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 2006م.
- أحمد حسن الزيات، إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط5، 1996م.
- أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة ، مجلة الرسالة، عدد/556، لعام ,1844 ه.
- أحمد طعمة الحلبي، التناص بين النظرية والتطبيق، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2007

- أحمد علي المجدوب، أهل الكهف في التوراه والإنجيل والقرآن (ط. الثالثة). الدار المصرية اللبنانية, 1998م.
- أحمد محمد علي، دراسات في علم البديع، مطبعة الأمانة، القاهرة، مصر، ط1، 1986م
- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة في (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.
- أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، البديع في البديع (في نقد الشعر) تحقيق: عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- أشرف مانع فرهود بمشاركة آخرين، المرجعيات الدينية في شعر أحمد خيال، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد/ 1، عدد/ 6، 2021 م.
- آل محمد السيد عاشور، الولاية التكوينية.
- الإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(792هـ)، ، المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1422هـ
- الإمام عبد القاهر الجرجاني(471هـ), دلائلُ الإعجاز، تحقيق: الشيخ محمود محمد شاكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2000م.
- الإمام عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: الشيخ محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2000 م.
- أنور سعادة عبد المنعم، أسلوبُ الشرطِ في العربيةِ (تركيبُه ودلالتُه)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، بكلية اللغةِ العربيةِ وآدابِها، جامعةِ الخرطوم، السودان، 2001م.
- إيلان هاليفي – ألفريد ليلينتال، إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة، ترجمة: رياض صوما، دار المروج، بيروت، لبنان، ط1، 1985 م.
- بدوي طبانه، معجم البلاغة العربية ، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1988م.
- بهاء الدين السبكي(٧٦٣ هـ) ، عروس الأفراح، بشرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة نشر.
- تَحسين آل شبيب، مرقدُ الإمام الحسينِ, ط1, 1421ه.

- التفتازاني (792هـ)، ، المطول في شرح التلخيص ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1-
- جابر عصفور، مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.
- جرجي زيدان , تاريخ التمدن الاسلامي , دار المعارف، القاهرة، ط1، 1991م.
- جلال الدين السيوطي(911 ه)، همع الهوامع بشرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح: أحم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط!- 2009م.
- جلال الدين السيوطيّ(911 ه)، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق: د. محمد الصباغ، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، بدون سنة نشر.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار السعادة، دمشق، سوريا، ط،2، 2005م.
- جون برانيغان، السلطة وتمثيلها (قراءة تاريخانية في قصة أثلجت لريتشارد جيفري)، ترجمة: يوسف عليمات، نوافذ، النادي الأدبي الثقافي بجدة.
- حازم القرطاجني(684ه)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد حبيب الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986 م.
- حبيب بن أوس الطّائيّ(231 هـ)، ديوانُ أبي تمّام، تحقيق وشرح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط3، 1999م,
- حسن إسماعيل ابد الرازق، البلاغة الصافية (المعاني، البيان، البديع) ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٦ م.
- حسن حميد الفياض وآخرين، خمرة العشق في شعر ابن الفارضِ وجلال الدين الرومي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، العراق، عدد: 69، 2023 م.
- حسني عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي(دراسة فنية وعروضية) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1989م .
- الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي(516ه)، تفسير معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعوية، ط1، 1989م.

- حصة عبد الله البادي، التناص في الشعر العربي الحديث، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2009 م.
- الخزاز القمي(400ه)، كتاب كفاية الأثر، تحقيق :السيد اللطيف الحسيني الخوئي , انتشارات بيدار, مطبعة الخيام , قم , 1401ه.
- الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، تحقيق: د. أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط1، 2016م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 170 هـ)، كتاب العين، تحقيق/ د. مهدسي المخزومي – إبراهيم السامرائي، دار الهلال, دت.
- الخوارزمي (ت 568 هـ)، مقتل الحسين، تحقيق محمد السماوي, نور الهدى.
- دعاء توفيق محمود إبراهيم، المفارقة التصويرية (مفهومها، وتجلياتها في التراث البلاغي) ، حولية كلية الآداب، جامعة أسوان، مصر، عدد/ شهر أبريل، 2021م.
- الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق/ الشيخ مصطفى العدوي، مكتبة فياض، القاهرة، مصر، ط1، 2009م.
- الراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: مصطفى العدوي، مكتبة فياض، القاهرة، مصر، ط1، 2009 م.
- الرماني, أبو الحسن علي بن عيسى (ت: 384هـ)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله – محمد زغلول سلام ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1968 م.
- روبرت إيه سيجال، الخرافة (مقدمة قصيرة جدًا)، ترجمة: سعد طنطاوي، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2014م.
- سعاد عبد الفتاح إبراهيم، فن تجويد القرآن، مطابع الدار الهندسية، القاهرة، مصر، ط1، 2004م.
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.
- السمين الحلبي(756 هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق/ د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1406 هـ .

- سيبوي أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 2008 م.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (في المعاني، والبيان، والبديع) ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1998م.
- الشريف الرضي(406 هـ)، نهج البلاغة، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- الشيخ الصدوق(381ه)، عيون أخبار الرضا ,تصحيح الشيخ مهدي الحسيني,دار العلم , قم , 1377ه.
- الشيخ المفيد(413 هـ)، كتاب الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، ط2، 1993م.
- الشيخ بهاء الدين السبكي(773هـ)، عروس الأفراحِ في شرحِ تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2003 م.
- الشيخ حسن القبانجي، شرح رسالة الحقوق - الإمام زين العابدين (ع)، ط2، ١٤٠٦ه.
- الشيخ خالد الأزهري، التصريح على التوضيح، بحاشية الشيخ ياسين العليمي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.
- الشيخ مرعي الكرمي(1033 هـ)، القول البديع في علم البديع، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2013 م.
- صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (792 هـ) ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، دار ابن رجب، المنصورة، مصر، ط1، 2002م.
- ضياء الدين ابن الأثير (637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتبِ والشاعر، تحقيق/ بدوي طبانة - أحمد الحوفي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1989م.
- العاملي حسين جمعة، شروح نهج البلاغة، مطبعة وزنكغراف الفكر- بيروت ,1983م.
- عباس القمي , مفاتيح الجنان , دار المرتضى , بيروت, 2010م.
- عبّاس حسن، النحو الوافي، ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط6، م1998.

- عبد الرحمن حسن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها, دار القلم للطباعة والنشر, ط1, 1414ه.
- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.
- عبد العزيز عتيق، علم المعاني ,دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط٣، ٢٠٠٩م.
- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
- عبد الله ناصر القرني، ما جاء على صيغة فعول (دراسة لغوية)، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، 984، عدد: 16، ج2، 2012 م.
- عبد الهادي الفكيكي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، محاكاة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 2011 م.
- عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني، معيار النظار في علوم الأشعار، تحقيق: محمد علي رزق الخفاجي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1991م.
- عثمان بن بحر الجاحظ(ت255هـ)، الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
- علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: عادل أنور خضر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2013 م.
- عليّ بنُ موسَى بن جعفر، مفتل الحسين (ت664)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ.
- علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الإشبيلي، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.
- علي جواد، أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام، دراسة وتحقيق نصير الكعبي , المركز الاكاديمي للأبحاث,ط1, 2011م .
- علي كاظم المصلاوي، الطفيَّات المقولة والإجراء النقدي، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط1، 2012م.
- عمر رضا كحالة، أعلام النساء، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1989م.
- فاطمة البربكي، إشكالية التقديم والتأخير في الدرس البلاغي ، مجلة الملك سعود للغة والآداب، عدد/2، 2008 م.

- فاطمة عويس السيد علي، التناص الحجاجي عند سهل بن هارون (رسالته في البخل نموذجًا)، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، مجلد/ 80، عدد/2020 م.

- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، مصر، ط1، 1983 م.

- محمد بن يعقوب الكليني(329 هـ)، كتاب الكافي ,تحقيق: علي اكبر الغفاري, مطبعة الخيام, قم , 1403 هـ.

- مارغريت روتن، تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار- ميشال أبي فاضل ، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

- مبارك تريكي، النداء بين الوصف والتفسير ، مجلة العلوم الإنسانية، دورية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية، عدد: 30، 2006 م.

- المتولي علي المتولي الأشرم، التوكيد في النحو العربي ، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، مصر، ط1، 2004م.

- مجدي وهبه، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

- محمد باقر المجلسي(1111 هـ) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار, دار إحياء التراث العربي, بيروت – لبنان, الطبعة الثالثة المصححة,1403 هـ - 1983 م .

- المحب الدين الطبري الشافعي (694ه)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى, تحقيق اكرم البوشي, ط1,دمشق ,1415ه.

- محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح الجامع، بشرح ابن حجر العسقلاني، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2011م.

- محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي ، مطبعة المختار الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1، 1984م.

- محمد أحمد جاد المولى وآخران، أيام العرب في الجاهلية، المقدمة (ط)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، بدون سنة نشر.

- محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة رسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1997م.

- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007 م.
- محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ.
- محمد حسنين صبري، مرجع الضمير في القرآن الكريم (مواضعه وأحكامه، وأثره في لمعنى والأسلوب)، دار غريب، القاهرة، مصر، ط 1، 2001م.
- محمد حماسة عبد اللطيفة، الجملة في الشعر العربي ,مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1990 م.
- محمد زكي العشماي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1994م.
- محمد طلعت الغنيمي، قانون السلام في الإسلام، 144-149، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ط1، 2001م.
- محمد عبد المطلب، مناورات الشعرية ، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 1996م.
- محمد عفيف الدين اليافعي (ت ٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, الطبعة : الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- محمود أحمد الطويل، الأسلوبية والخطاب الشعري (الشريف الرضي نموذجا)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2007م. .
- محمود السيد شيخون، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1977م.
- محمود باشا الفلكي(1302 هـ)، نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره (عليه الصلاة والسلام)، ترجمة: أحمد ذكي أفندي، المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، القاهرة، مصر، ط1، 1305 هـ.
- محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1988م.
- محمود علي عبد المعطي، موسيقا الشعر (النظرية وآفاق التطبيق)، منشورات الانتشار العربي، نادي مطة الثقافي الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434 هـ.

- مرعي بن يوسف الكرمي (1033 هـ)، القول البديع في علم البديع، تحقيق: د. محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2013م.
- مسلم بن الحجاج القشيري(261 هـ) ، بشرح الإمام النووي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، 2007 م.
- منير جهاد محمد سبتي, تأريخ مدينة الكوفة وتأسيسها وتطورها الحضاري خلال القرن الهجري الاول 622م–722م , مجلة كلية المأمون, العدد الرابع والثلاثون2019م .
- الميرزا النوري(1320ه)، مستدرك الوسائل , مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث ,ط1, 1987م.
- نبيل راغب، عناصر البلاغة الأدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.
- نجم الدين أحمد ابن إسماعيل بن الأثير الحلبي، جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدواتِ ذوي اليراعة) ، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 2009م.
- نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، مصر، ط3، 1981م.
- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، جدارا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009 م.
- وليد الخشاب، دراسات في تعدي النص ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 1994 م.
- وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، الكويت، عدد/ 207، 1996 م.
- وهبة الزحيلي (1418ه)، التفسير المنير للزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط2، 2007م.
- ياقوت الحموي (ت626هـ)، معجم البلدان ، ط /1، دار صادر ، بيروت ،1960م.
- يحيى بن حمزة بن علي الحسيني العلوي(749 هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ .

- يوسف ابن أبي بكر أبو يعقوب السكاكي (626 هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: أحمد جاد المـــــولى، المكتبـــــة الوقفيـــــة، القـــــاهرة، مصـــــر، طـــــ1، 2009 م

Conclusion:

Poetry, like all other literary texts, is subject to quotation and inclusion, and the best quotation is from the verses of the Holy Qur'an or from the words of the Noble Prophet's Sunnah and the Noble House. The most definitive text is the Holy Book, whether the quote is direct or indirect, and poets have followed this path. This method of quoting, ancient and modern, is for the purpose of strengthening the meaning, conveying the idea, and attracting the reader, including the late Karbalai poet Ali Al-Fattal, whose religious influence had a major role in his poetry. We have chosen a title for this study (Religious References in the Poetry of Ali Al-Fattal (d. 2021 AD), a Rhetorical Study) The study concluded that the poet Al-Fattall - the subject of the study - is an example of the poets of this holy city, and of Iraq as well. They are a class of intellectuals whose sources of culture are diverse, but they consider the noble verses and noble hadiths to be the most important sources of their culture.

The poets of this period did not limit their use of religious references to their religious inclinations, but they also employed those references in urging jihad for the sake of God, defending and protecting the homeland, .supporting its religious belief, and consolidating some moral values...etc

Al-Fattal's productions included most of the Arabic rhetorical styles. Perhaps the reason for this was the breadth of his literary achievements in general and his poetic achievements in particular throughout his life, and the multiplicity of his purposes for which he contrasted, which is evidence of Al-Fattal's proficiency in conjugating Arabic speech in its various aspects, and interrogating the intended meaning through these references in a way that stops the recipient from The goal is without effort or long consideration.

The researcher proposes to study the cultural - non-religious - references in his poetry, and to shed light on the poets of this stage whose works have not yet been studied.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Kerbala - College of Islamic Sciences

the department of Arabic language

Religious references in Ali Al-Fattal's poetry: a rhetorical study

A thesis submitted to the Council of the College of Islamic Sciences/University of Kerbala, which is part of Requirements for obtaining a doctoral degree in Arabic Language/Qur'an Language and Literature

:Written by

Sarmad Muhammad Bakr Al-Saadi

:Supervised by

a. Dr. Abboud Jodi Al-Hilli

Dhul-Qi'dah / 1445 May\ 2024